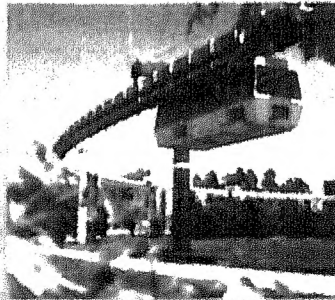
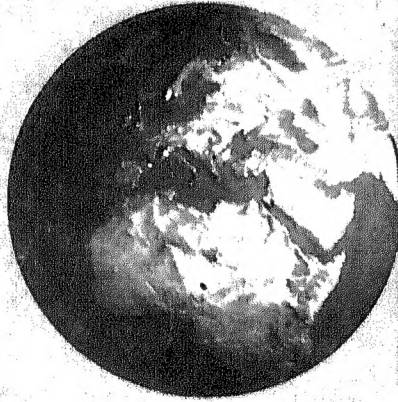
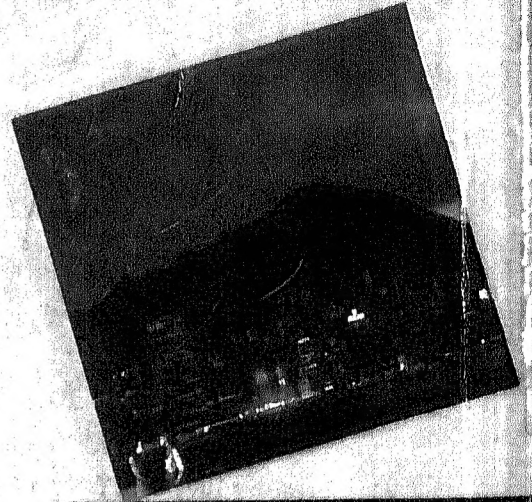


دكتورة نعات أحمد فؤاد

رحلة الشرق والغرب

سافرت في الإنسان والمكان والزمان



رحلة الشرق والغرب

(سافرت في الإنسان
والمكان
والزمان)

دكتورة نغمات أحمد فؤاد



المكتبة العامة للكتاب

١٩٨٦

الاخراج الفنى

راجية حسين

مقدمة

الانسان ٠٠ والرحلة

حين يعدد انسان ألوان الأدب فى الشرق أو الغرب ، قلما ينسى هذا اللون الشائق من ألوان الأدب وهو أدب الرحلات ٠٠ انه مرغوب شائق ٠٠ وأكثر من هذا هام ونافع ٠٠ ما هى الحضارة ؟ أليست رحلة كبيرة من العصر الحجري الى العصر الحديث ، استطاع فيها الانسان من خلال التجربة والخطأ ، والضرورة بين المواجهة ، والارتفاع فوق مقتضياتها الى أفق مجرد يعنى الفن الخالص وترف الروح ٠٠ أن يصوغ الانسان دنياه ويعيد تشكيلها ، مرات ، مستعينا بعقله وغرائزه معا حتى استوت أمامه فى الصورة التى نعيشها اليوم ؟

الاديان رحلة من الأرض الى السماء تبدأ بالواقعية وتنتهى بالمثالية فى عملية كشف للحجب الكثيفة التى رانت على العيون والعقول ٠٠ حتى اذا تقبلتها النفوس وتطهرت بها ، رفت وشفقت واتخذتها معراجا الى أفق أعلى من التصرف والتصوف والسلوك .

وفى أثناء رحلته الكبيرة ، عرف الانسان ألوانا أخرى من الرحلة لأغراض شتى ٠٠ فنارس الرحلة للتجارة ، وللعلم ، ولتوثيق النص ، وللمهيد للغزو ٠٠٠

ولكن حين تكون الرحلة بيضاء ٠٠ سياحة فى داخل النفس وخارجها فى المكان والزمان ٠٠ فى عملية مقارنة طموح حساسة ، تكون الرحلة نبضا انسانيا خلاقا ودافئا بمشاعر الأمل والألم والاشادة والنقد ، والتطلع والاستطلاع . والاضافة والطموح ٠٠

يفغى الرحلة شوق الانسان الى المجهول ، وطموحه الى كسب المال أو العلم أو المجد . وفى أثناء هذا تسهم الرحلة فى الحضارة بما تكشف من مجهول وما تفجر من أساطير ٠٠ أليس النشيد الثانى فى الياذة معرضا لأوصاف هوميروس لما زار من بلاد وجبال ووهاد ، وبحار وأنهار ؟ ٠٠

تسهم الرحلة فى الحضارة بما توثق من علاقة بين الأمم والأفراد .وهى بهذا مقياس حضارة بما تسجل من فروق المكان والزمان . . . تنبه الى هذا بعض الغزاة وقواد الحروب فحاولوا وحولوا غزواتهم نزواتهم من قسوة الغزوة ، وحماقة النزوة ، الى مكاسب حقيقية . . . الى رحلة علمية بما جلبوه من وسائل الرصد والتسجيل . . . وأنا الملح . بالطبع ، الحملة الفرنسية على مصر ، ونابليون ، بل الملح الاسكندر ق مع الفارق . . .

وقد عرفت مصر القديمة الرحلة حتى يذهب البعض الى أنها وص الى المكسيك . . . ولكن الذى نستطيع أن نؤكدده هو وصولها فى الأ الثالث ق م . الى بلاد (بنت) وهى (الصومال) برا وبحرا فى عهد الملكة حتشبسوت التى عنيت بتسجيل هذه الرحلة بالنقش البارز الدير البحرى بالصعيد .

وكما عرفت مصر الرحلة ، قصدها الرحلة والرحالون . . . فجا هيرودوت ، وزارها أفلاطون لتلقى العلم من كهنتها . وكتب عنها بلوتارك وبتلر . . .

وفى العصر الوسيط وقف عندها الادريسي والهروى والنايد والبلوى ، وابن جبير ، وابن سعيد الأندلسى ، والورثيلانى والمسعودى وابن حوقل ، وابن خرداذبة ، وناصر خسرو ، وابن فضل الله العمري وابن بطوطة ، والبغدادى . . . وقف هؤلاء جميعا عندها وقفات طر متفاوتة . . .

أما فى العصر الحديث فقد شد نيل مصر ، الرحالة الغربيين ج وراء معرفة المجهول من أمره ، وجنونا بكشف منابعه حتى أعلن Reke و Grant الى الدنيا المتشوقة سره . وهنا أفردت الكتب عنه ، ول من أشهرها كتاب اميل لودفيج Emile Ladwig بجزييه والذى سماه النيل . . .

وفى عصرنا الحاضر ظاهرة ملحوظة وهى تعلق الكثيرين بالس والرحلة مع أننا من أشد الناس تعلقا بالأرض والوطن حتى امتلأت أغاني قديما وحديثا بآلام الغربة . . . وهى غالبا لا تتجاوز الحدود . . . وقد تكد حدود المحافظة الواحدة أيضا . . . فاذا بمقتضيات العصر ومطامحه تغ الصورة تماما . . . واذا بأسفارنا تتعدى حدود القارة الافريقية وتجو القارات الست .

ولعل أشهر الرحلات فى أدبنا الحديث سندباديات الدكتور حسين فوزى ، ورحلات عزام (الدكتور عبد الوهاب عزام) ورحلة الدكتور زكى مبارك وليلاه المريضة فى العراق ، ورحلة الشرق والغرب للدكتور لويس عوض ورحلة بل رحلات الأندلس للأستاذ عبد الله عنان والدكتور حسين مؤنس والبرقوقي ، و (٢٠٠ يوم حول العالم) للأستاذ أنيس منصور ، و (رحلة الحجاز) لأديبنا ابراهيم عبد القادر المازنى .

وهناك رحلة من لون آخر ، يراها أناس قصة ، ويراهم آخرون ترجمة حياة ٠٠ انها (الأيام) ٠٠ وهل الترجمة الذاتية الا رحلة داخل النفس حتى أن الدكتور أحمد أمين يسمى ترجمته (حياتى) ٠٠ والترجمات عادة تذهب فى النفس بعيدا حيث الألم جمرات ، والفرح رقصات ، والعمر بينهما شفق وراء نهار مكدود ، وأمامه ليل مجهول ٠٠ ومع هذا يضىء بالشعاع ، ويعيش على الأمل .

وحين عمرت رحلات مصر القديمة بالحنين الى العودة - يجسمه (سنوحى) ، والفرحة بالاياب ، تتسم رحلات مصر الحديثة بالبعد والايغال فيه من حيث الزمان والمكان حتى لم تعد تسمى رحلات بل هجرات ٠٠ وللشباب المهاجر للعمل المؤقت أو الطويل تكون الرحلات المكتوبة من خبرة معمقة ، بوصلة للمسافر الحائر ، والمغامر ، والمجهول ٠٠ وبعد ٠٠ فهذه رحلة فى الوادى من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب

فى النيل

فى البحر الأبيض

فى الغرب

أما الشرق فله عندى وقفة أخرى أدخل فى باب الذكريات لا الرحلات . فقد أقمت فى بعض أقطاره ، وحاضرت فى بعض جامعاته أكثر من عام دراسى ، ودرست بعض آدابه حتى الشعبية منها .

سياحة فى النفس والمكان والزمان وأمل أن تكون رضا لهواة السفر ، وعشاق الأثر ، وأدب الرحلات .

دكتورة
نعمات أحمد فؤاد

القاهرة ١٩٧٦

فی اوروپا

الليل والبحر

٧٣/٧/٨

بدأت الرحلة ٠٠٠ نحن الآن على ظهر الباخرة الايطالية « اسبريا »
أى الأمل ٠٠٠ والحقيقة أن الباخرة ليست وحدها الأمل ولكن الرحلة
أيضا ، أمل ٠٠ أن يخرج الانسان ويرى ويسمع ويعلم ويتعلم وينمو
شعوريا ونفسيا وحضاريا شىء ممتع حقا .

الساعة الواحدة بعد الظهر ٠٠ جلسنا الى مائدة الغداء . بدأت
الباخرة تتحرك ويجذبها البحر وتجذبنا الاسكندرية التى تعلقت بها
عيوننا فى نظرة وداع فلم نر ما فى أطباقنا وان كنا أكلناه ٠٠٠

٧٣/٧/٩

بيروت

وصلتها الباخرة فى التاسعة صباحا وأقلعت منها فى الحادة عشرة
مساء فعملنا على أن نقضى اليوم فى بيروت .

شاهدنا فيلم (كاباريه) . السينما تحت الأرض وعلمت أن كثيرا
من المرافق الجديدة فى المدينة تحت الأرض . السينما بسيطة ٠٠
لا تقارن فى الديكور والفخفة بسينما مترو فى القاهرة أو الاسكندرية
ولكنها مع هذا أكثر نظافة وأكثر احتراما للفن والمكان ٠٠٠ السلطات
تمنع دخول المأكولات بل المشروبات والناس يحترمون هذا ولا يفكر أحد
فى مخالفة التعليمات سرا أو علنا . الفيلم فيه عرى وجنس وليل ومع
هذا لم تخذش الأذن كلمة عارية أو ضحكة نابية من المتفرجين .

وفى بيروت أكثر من مقهى بل عشرات المقاهى الانيقة المتألقة الناعمة
بالزهور كأنها نبت وسط حديقة كشجرة من أشجارها ٠٠٠ قد يعلل هذا
بارتفاع أسعار الطلبات من ارتفاع مستوى المعيشة وارتفاع مستوى

الرواد ٠٠ العميل أو الزبون وحده هو الذى يحكم ويكيف الأمور ومن هنا توجد المنافسة فى الخدمة وما يقدم فيها ولكن تكبيل الحريات وتقييد الاستيراد وتحويل كثير من المرافق الى قطاع عام أى الى بطالة مقنعة ومرتببات ثابتة وماس كهرباء فى شهر يونيو من كل عام ، أو شلل وجمود عن التصرف وخوف المحاسبة والالتهام ٠٠٠ كل هذا هبط بل هوى بكل شئ فى مصر ٠٠٠

وفى بيروت الوجوه نظراتها مستريحة ليس فيها أو وراءها شجن أو هم دفين كعيون جميلة تعيش فى جنة الدنيا لو علم أهلها وأنصفوا أنفسهم من أنفسهم قبل أن ينصفهم الناس .

تقول لى صديقة مصرية تعيش فى بيروت ، هنا فى الصباح تجددين رجل الشارع والعامل يقضم تفاحة ويشرب زجاجة لبن فى يده الأخرى ! وتحسرننا على عمال أوفر ذكاء وسماحة يكادون لا يعرفون اللبن بله التفاح فى أخصب وديان الدنيا .

هذا هو الوجه المشرق فى بيروت لان حس التجارة والشطارة والكسب فيهم منذ بعيد أيام فينيقية .

أما الوجه الآخر من بيروت الذى تشقى به مصر وكتابها وصناعاتها فوجه بغض كالح كوجه سارق النعمة أو قطاع الطرق ٠٠٠٠ ففى بيروت فئة موكلة بنهب القاهرة تسرق كتبها وتطبعها فى غير حياء أو اعتبار لهراف أو شرف أو مبدأ تعامل ٠٠ وتسرق صناعاتها ٠٠٠ وقد رأينا فى طرابلس بليبيا المعلبات الغذائية بنفس شعار (قها) مع استبدال الميم بالقاف لتصير (مها) وكان الميم قاف سقطت نقطها هذا اذا أراد أن يقرأ ويدقق !! سقطت ضمير ٠٠

وتسرق زبانية بيروت أقمشة القاهرة لتبيعها نحت أسماء أجنبية ٠٠ تسرق زبانية بيروت كل شئ فى غير هواربة وفى صفاقة ومع هذا تظل القاهرة هى القاهرة ٠٠٠ العاصمة المفكرة ٠٠ وبيروت المدينة التاجرة ٠٠

ما أجمل أن يسافر الانسان على باخرة كبيرة (لا تهتز بعنف) ويخلف أعباء كلها وراء ظهره ويلتقى مع كتبه وقلمه فى بسطة من الوقت ومتعة حقيقية ٠٠٠

ما أجمل أن يجلس الانسان فى شرفة باخرة ٠٠٠ البحر أمامه لا نهاية له ٠٠٠ الأمواج التى تفرقها الباخرة على الجانبين لها زقيف

الريح ٠٠٠٠ الهواء يلف الانسان من الخارج والداخل وينفض عنه تراب
العام كله ٠٠

معابد البعلبك

المعابد هناك فى البعلبك ، كان المراد أن تكون أكبر وأعظم من المعابد
فى أثينا (الاكروبول) ولكن معابد بعلبك لم يستكمل بناؤها ٠ واتحاد
أثار الحرب والزلازل ووجود الانسان على المعبد أكثر من احتماله حتى
أن الزائر الآن لا يرى الا بقايا تدل على ما كان عليه هذا الأثر العظيم ٠
يحتوى المعبد على أعلى أعمدة فى العالم القديم ٠

وعلى بعد مسيرة ١٠ دقائق على الأقدام ، وبالتحديد فى مدينة
زيبادانى حيث « حجر الجبلى » وطوله ٦٩ قدما وارتفاعه ١٢ قدما وعرضه
١٦ قدما ويزن ما يقرب من ٢٠٠٠ طن ٠ حجر الجبلى هو أكبر حجر
بنا فى العالم ومعبد « جوبيتار » الذى يمتد على مساحة ١٥٧ × ٢٨٨ قدما
وكانت مساحته أكبر من ضعف مساحة ال (Parthenon) فى أثينا ٦ فقط
من ال ٥٤ عمودا الأصلية ما زال قائما على ارتفاع ٧٥ قدما من البقايا
الباقية كقنطرة كبيرة ٠ والمكان المحصور بين المعبدین والمساحة الرئيسية
الفسيحة المزينة ب ٢٤٠ تمثالا لآلهة الرومان تحسب كاحدى عجائب
العالم ٠ وعلى الرغم من كل محاولات الأباطرة الرومان ، لم يكتمل أبدا
الأكروبول فى بعلبك ٠

هنا يلقى الانسان نفسه ٠٠ يستطيع أن يحلم ولو بالميناء القادمه
وبالشراء ٠٠ شراء أى شئ حتى ولو لم يكن فى حاجة اليه ٠٠٠ يكفى
أن هذا الشئ يستطيع أن يعيد اليه صور الساعات الحلوة الهنيئة
وما بالقليل هذا ٠

ما أجمل أن يجلس الانسان فى شرفة باخرة وأمامه نلوح من بعيد
باخرة أخرى تبدو لمينه صغيرة مهما كبر حجمها ٠٠٠ ان القرب يجسم
الأشياء كالمشاكل الا فى العبقرية فان مارك توين يقول ان العبقرى
لا يكتشفه أصدقاؤه لانهم يحكم التصاقهم به ، لا يرونه رؤية واضحة ٠٠٠

رائع حقا أن يسافر الانسان فى البحر ، وفيه ، من خلال الباخرة
يزاول رياضته وينعم بالموسيقى والسينما والصحيفة والكتاب وسمر
الأحباب ٠٠

وفى السفر يتلاقى الناس من مختلف الجنسيات ويتحدثون ثم يتسامرون وبعدها يحيى بعضهم بعضا كلما رآه كأنه صديق قديم .. والأطفال فى الرحلة من مختلف الجنسيات يلعبون معا ... لم تعرف قلوبهم بعد ما يحكم عالم الكبار من عواطف شوكية مدببة .

لا يمكن أن يحذف المرء الاثرة والغيرة من قاموس الانسان ما دامت فيه مصالح متشابكة وعقائد متوازية يحتدم من أجلها الصراع على المستوى الفردى والدولى ، ولكن محالات التوفيق كانت دائما تأخذ مكانا عندما تخلص النيات ، وتسامح وتقوى الرغبة فى نبذ النزاع فى عملية جنوح الى السلم .

٧٣/٧/١٠

(كريم)

الجزيرة جبلية ... الخضرة فيها بقع صغيرة تشبه الحداثق الخاصة فى الفيللات .. الجبال صخرية صارمة الوجه ، خشنة الجانب .. حق للقرآن الكريم أن يصف مصر بأنها جنات وعيون وزروع ومقام كريم . جزيرة كريم متواضعة فى كل شئ ... فى الشواطئ .. فى الشوارع .. فى البيوت .. فى المحال التجارية .. جزيرة . او لعل أراها هكذا لاني صاحبة شاطئ سيدى عبد الرحمن ومطروح ...

أبرز ما فيها أشغال اليد حيث لا زراعة كثيفة ولا صناعة .. الملابس شغلها رقيق جميل ولكن قماشها ضعيف كالشاش كم تكون قيمتها لو أن الشغل والنممة على لينوه مصرى .

٧٣/٧/١١

حين يخلق الانسان فى الفضاء فى طائرة من علمه ، أو يمتخر عباب الماء فى باخرة من صنعه ، يتيه ولو بينه وبين نفسه ويكاد يقول هاؤم أقرأوا (ابداعيا) .. ولكنه اذا خرج فى سرفة باخرة ، ولا أقول أطل من نافذة طائرة ، اذا خرج فى الليل أحس لليل رهبة لا تبددها أضواء المدينة .. هنا الانسان وحده والليل ... فاذا اجتمع عليه الليل والبحر .. أفاق

من غروره وشعر أنه ضعيف أمام الطبيعة وأنه صغير صغير . وأن الله كبير كبير . وأن باخرته أو طائرته لا تحفظها الا عناية الله ، وأن آلاته وموتوراته لا تغنى عنه شيئا اذا احترقت الطائرة أو ارتطمت الباخرة .
فى الجو والبحر يغدو علم الانسان مجرد اجتهاد ، واختراعه وابداعه .
مجرد محاولة ، ويبقى الله وحده « العليم » ، « العزيز » « الجبار » .
هذا الانسان ما أضعفه فى قوته .. ما أصغره فى كبرته
ما أهونه اذا ملكه الغرور .

يا رافع السماء وباسط الأرض
يا زارع المرج وفتان الروض
يا مجرى السحاب وبواخر العباب
يا نور الفجر يا روح البحر يا عطر الورد يا عبير الزهر
أنت أنت القوى
أنت أنت الله

وفى البر ، شاهدت فيلم (جحيم تحت البحر Posiden aventure .
يدور حول غرق باخرة ضخمة عالية الطوابق والشهرة حين اعترضها جبل مائى بسبب زلزال فى منطقة كريت .. وتدفقت المياه من النوافذ والأبواب كالطوفان . وانكفأت الباخرة الشامخة وصار عاليها واطيها كما يقولون ..
ونفذت حيلة الربان ، وحارت بصيرة الانسان . وحين زاغ البصر ، وحم القدر تساقط الناس والأشياء ورأى الركاب الذين كانوا يرقصون ويشربون غافلين ، رأوا فزع القيامة .. وصارعت الحياة ، الموت صراعا مريرا داميا عرف خلاله الانسان ، المشاهد على الأقل ، أن البحر أقوى منه ، وأن جبل الماء بله الصخر أقوى منه ، وأن القوة الأكبر التى تهيمن على الكائنات يتلاشى أمامها فى ساعة الخطر علمه ببريقه وزخارفه فلا يعصمه الا الايمان والرجاء .

الايمان بالله ..

والرجاء فى الله ..

بقى أن أقول أن قس السفينة كان يعرف من المعلومات العلمية عن

الباحرة ما أتاح له أن ينقذ النفر القليل الذى سار وراءه . فرجل الدين الحقيقى لا يقتصر عمله على ترديد الثواب والعقاب والجنة والنار . . .

ان من الدين معايشة العصر بعلومه وانجازاته . . وفى مصر القديمة كانت الكهانة لا تعنى وظيفة دينية ولكنها تعنى أسرار العلم وأعماقه البعيدة . ان الوظيفة وحدها بلا علم له قيمة ، حرفة . . لا فن . . وكم بين « حرفية » الوظيفة ، وسماوية الفنان . .

٧٣/٧/١١ .

Siracooza سيراكوزا

نزلنا من الباحرة لنجد الأوتوبيس فى انتظارنا . . . أوتوبيس فاخر جدا بالنسبة لجزيرة صغيرة بل بالنسبة لمدينة . . . أوتوبيس به تليفزيون وعلى كل كرسي فتحة للهواء وعدة أزرار ككراسى الطائرة . . ومنبت فى اللوحة الأمامية ساعة كبيرة . .

زونا الكاتدرائية وجدرانها كالعادة فى ايطاليا مملوءة بالتماثيل وسقوفها بالرسم والتلوين . . بها قباب كالمساجد والكنائس فى مصر غير أن قبابها غطيت باللوحات الملونة بدلا من المقرنص . .

وفى الطريق الى المسرح الاغريقى الرومانى كان بعض شرفات المنازل من الحديد المطروق ذى الشكل الاسبانى . فالاسبان بعض من احتلوا الجزيرة يوما ، كما احتلها العرب .

المسرح كبيرا جدا ، مدرجاته دوائر متسعة . .

هناك الجبل حدث فيه من مدة طويلة عدة انهيارات خلفت فجوات عالية ومنخفضة ، والأرض هناك مستويات كثيرة ولكنهم بدلوا خوف الطبيعة ، أمنا بما زرعه من ألوان الأزهار والأشجار حتى غدا المكان حديقة أنيقة تستهوى العين بالتنوع والغرابة .

الجزيرة بها شوارع ضيقة ولكن بها الكثير من الشوارع الكبيرة المرصوفة الناعمة ذات المحال التجارية وبها سكة حديد .

وكريت (اليونان) وسيراكوزا (ايطاليا) بل ايطاليا كلها فيها الكثير من أسلوبنا فى العيش وفى الحديث ، لا فى المدينة بل حتى فى

الريف ٠٠ عربات الفاكهة ، والميزان اليدوى ، والكفتان ، والنساء على
عتبات الدور. ينقن الأرز ، والغسيل فى الشرفات بل أمام البيوت فى
الطريق ، (فى سيراكوزا) ٠

٧٣/٧/١٢

نابولى

فى التاسعة صباحا نزلنا نابولى ٠٠٠ محطة المينا كبيرة فخمة ولكن
الغريب ان ساعات الحائط بها ، جميعها معطلة ٠٠٠ اننا نسرف كثيرا فى
لوم أنفسنا ٠٠٠ لو أن هذه الظاهرة فى ميناء مصرية لأكثرنا من اللوم
وتبكيك النفس ٠

البلد فيه ملامح من الاسكندرية ٠٠ الأسعار فيه أرخص من سائر
المدن الايطالية اذا استثنينا شارع روما وهو أكبر الشوارع وأحفلها
بالمروضات وأغلاها أسعارا ٠٠ ولكن العالمين بايطاليا يقولون أن الشوارع
الأخرى الأقل سعرا بضاعتها مغشوشة والبائعون يتلاعبون كثيرا ٠٠٠

جلسنا فى الجاليرى المغرمة به المدن الايطالية ٠ جلسنا على مقهى
يقول صديق لنا فى صحبتنا أن به أجمل « كابتشينو » ٠٠

عدنا الى الباخرة سريعا حيث أبحرت فى الساعة الواحدة ظهرا فى
طريقها الى جنوه ٠٠٠

٧٣/٧/١٣

جنسوه

وصلنا فى التاسعة صباحا وحجزنا الأتوبيس الذاهب الى نيس
بفرنسا ٠

جاء موعد الأتوبيس وركبنا وقطع بنا الريفيرا الايطالية وهى فى
رأبى أجمل وأنظف مناطق ايطاليا ٠٠ ظل الأتوبيس يصعد بنا ويهبط
ويدخل فى أنفاق ويخرج من أخرى ٠٠٠ مرة نعلو كثيرا على سطح البحر
ومرة نحاذى الشاطئ والطريق يشق بين جبال كثيرة ٠ كانت بلا شك
موحشة قبل أن يؤنسها الزهر والشجر والانسان الذى تصعد بيوته
السفح فى طموح الى القمة ٠٠٠

كان المطر يتساقط ثم يكف لتطلع الشمس ثم يعود الغمام . ويلف السحاب الجبال وفي جميع الحالات يبدو المنظر غريبا لنا نحن أبناء السهل والوادي لولا أننا رأينا هذا في زيارتنا الأولى لأوروبا .

نيس

مدينة (نيس) على شاطئ البحر المتوسط مقسمة الى ثلاثة أقسام ؟

المدينة الجديدة . . المدينة القديمة والميناء . . والى الشمال المدينة الجديدة بمسارحها وفنادقها و (كازينواتها) و (فيلاتها) وشرق المدينة القديمة به الوسط التجارى والميناء .

ونيس كاتيدراية ومتحف ومكتبة وأثر ل (غاريبالدى) الذى ولد فى نيس سنة ١٨٠٧ .

ونيس أسست منذ ٢٠٠٠ سنة على يد يونان مارسيليا . وعندما سيطر اليونان على المناطق المجاورة ، وبنوا (نيس) أطلقوا عليها اسم (نيس) نسبة الى الكلمة اليونانية نيك (Nike) بمعنى (النصر) .

وبعد ذلك وقعت المدينة تحت الحكم الرومانى والتركي . . وفى القرون التالية حكمت من البروفنس ، Provançe وسافوى Savoy .

وأهم صادرات نيس هو زيت الزيتون والصابون ، والبارقان ، الجلود ، الأثاث ومنتجات أخرى . . ونيس عاصمة Câtasur الفرنسية

عن دائرة المعارف الأمريكية

حوار طويل بين الانسان والجبل

● سان ريمو :

وصلنا سان ريمو فى الرابعة مساء ٠٠

سان ريمون مدينة جميلة نظيفة فى حضن البحر ٠٠ هواؤها رائع وشوارعها نظيفة ولو أنها صاحبة مزدحمة ٠ وهى كسائر مدن الشواطئ ، الشوارع فيها اما صاعدة واما متحدرة ٠٠ ومراجيح الأطفال بها تساير العصر فلم تعد مراكب الأطفال الحصان والوزة بل العربات بأنواعها والسيارات بماركاتهما وسفينة الفضاء والدبابة الخ ٠٠٠ وأثناء الدوران تتدلى من السقف لعبة تدنو وتبعد وكأنها تعابثهم فيحاولون التقاطها وهى تحاورهم حتى يتمكن طفل طويل نوعا من الامساك بها ويضحك الأطفال مسرورين ٠

أهم من هذا كله كيف أحال الانسان الأوربي العائق الى ميزة ؟ كيف تغلب على الجبال الرهيبة ؟ كيف تودد الى طبيعة أرضه القاسية حتى لان الصخر وأربى ؟ ان القرى الجميلة والمدن الحالية التى مررنا عليها كان يمكن أن تكون قفرا لا ظل فيها ولا نبض ولكن الانسان الأوربي لم ييأس من الجبل ٠ وبدلا من أن ينشئ فى ظله مدينة أنشأ مدنا ٠ فقد قسم السفح مدرجات وهضابا فبدت المدن والكبارى والبيوت طوابق يعلو بعضها بعضا ٠٠٠ المدن هنا رأسية لندرة الأرض المنبسطة السهلة ٠٠٠ الصعب غدا ميزة وأسلوبا وطابعا بعد أن يسره الانسان وأخضعه لارادته ٠

وسعينا الى الشاطئ فى سان ريمون فاذا بالبحر كابى اللون أو ترابى اللون ولكنه يعج باليخوت والزوارق والشاليهات والسيارات والناس والأطفال ٠٠٠

وأحسست بقلبي يعصر عصرا على جنات اللازورد وشواطئ الفيروز الممتد من الاسكندرية الى السلوم دون أن تمتد اليها يد ٠ وما بها حاجة الى جهد الانسان المصرى ولكن الانسان المصرى فى أشد الحاجة الى الانتفاع بها ٠٠٠ كيف لا تعمر شواطئنا التى لا نظير لها ولا ضريب ؟

أين شاطئ النخيل فى العريش

البلاد التى تبهرنا قصارى ما تملكه شريط من البحر الأبيض محدود المساحة ومصرنا تملك شاطئاً مترامياً فى البحر الأبيض وآخر فى البحر الأحمر ثم ننام عن هذه الكنوز كما نمنا عن غابات جبل علبه .

ليتهم يرسلون المحافظين فى بعثة الى هنا ليروا ويعلموا كيف تخلق المدن وتوفر فيها الحياة السهلة المريحة بالنظام والنظافة والترفيه . . . كيف تنتشر المطاعم الأنيقة والحداثات الجميلة والنافورات والتمائيل والميادين . . كيف تطل الزهور من النوافذ والشرفات . . . كيف تتنفس المدن هنا وتجميل بالزروع والزهور ولا تذبح الخضرة فيها بدعوة البناء والاسكان وفى الصحراء متسع لهما .

لا بد لنا من حرية كبيرة تطلق سراح الأفكار لتبدع ، وسراح الارادة لتنفذ ، سراح العمل والمنافسة لتتبارى الطاقات . . حرية آمنة وأمن لا تتهدده قيود . . .

فرنسا - إيطاليا

فى طريقنا الى فرنسا لاحظت أن رعايا الدولتين يدخلون ويخرجون بالبطاقات فقط . . . مسألة جوار ومصالح يفعلون هذا فى هدوء دون مانشيتات عريضة فى الصحف تعلن البشرى ، ودون قصائد طويلة من الشعر تتغنى بالاخوة والوحدة .
ان السفر بالبطاقات أمر طبيعى جدا عند غيرنا بلا زفة او ميكروفون .

٧٣/٧/١٤

نيس

أخذنا الأتوبيس فى تمام العاشرة صباحاً من « سان ريمو » متجهين الى نيس بفرنسا وبعد ساعتين تقريباً وصلنا الحدود ما بين إيطاليا وفرنسا أى نهاية الريفيرا الإيطالية وبداية الريفيرا الفرنسية . . كان المطر يهطل ولكنه لم يمنع الناس من سيرهم السير المعتاد بدون هرولة أو تلفت للاحتماء بالسقوف . . بعضهم كان يحمل مظلة ولكن الوجوه ساكنة . .

عند الحدود استوقف ، السيارة ، الجمرک ٠٠ وصعد رجل الجمرک
وعندما قدمنا له جوازات سفرنا سأل سؤالاً خفيفاً عن وجهتنا ثم أرسل
الجوازات للتأشير عليها فى مكتب الجمرک على جانب الطريق ٠ وكذلك
فعل رجل البوليس ٠

بدأت السيارة تسير بنا فى الريفيرا الفرنسية فتضاءلت أو اهتزت
على الأقل صورة الريفيرا الإيطالية ٠٠٠ هنا ريفيرا أخرى أجمل وأغنى
وأزهى وأشد نظافة وأكثر أناقة ٠٠٠ هنا قصور وعمارات شاهقة على
الشاطئ ، وقصور وناطحات سحاب على السفوح وفى أعلى القمم ٠٠٠
حتى البحر أصفى لونا والشاطئ أخضر به زروع وملاعب وحمامات خاصة
وجراجات سيارات ويخوت ٠٠٠ هنا دنيا أخرى ٠٠٠ الشوارع النظيفة
المترفة بالزهور والشجر والأسوار وما وراءها من حدائق وفيلات جميلة ،
بدت فى هذا الصباح أكثر شفافية بعد أن غسلها المطر وترك حباته على
أوراق الشجر لتلمع فى ضوء الشمس وتسيل من الرقة مع رفيف النسمة
النشوانة من الهواء والصفاء والنعيم البادى فى المكان كله ٠

لقد حضر الشرق القديم ، السهول والوديان ، وحضر الغرب
الحديث ، الجبل ٠

هنا حوار طويل بين الانسان والجبل ٠٠ كانت هنا معركة شنيقة
انتصر فيها عقل الانسان وإرادته معا ٠٠ اتفاق اسطوانية وشوارع تحتية
وفوقية والكبارى فى كل مكان من الجبل ٠٠ أعلاه وتحتة ٠٠ على رأسه
وهند قدميه ٠٠٠ على صدره وفى جوفه ٠٠٠ كان الحوار دائما ينتهى
بانتصار الانسان ٠٠ فاذا حدث ووصل مرة ، الجدل مع الجبل الى طريق
مسدود لم يكن الانسان يضيع وقتا بل يفتت الصخر وينفذ من خلاله ٠٠
ان بعض الأنفاق بدون طلاء كأنها تروى القصة كاملة ٠٠٠ انها تقول هنا
كان يقف الجبل متعنتا ولكن الانسان كان أقوى منه ٠٠٠ أقوى منه
صلابة ، وأقوى منه صبرا ، وأقوى منه ارادة ، وأمضى منه ذكاء وأملا ٠٠
اللهم الا بعض أماكن قليلة يقف فيها الجبل ، بعد أن أفسح للانسان
طريقا ، يقف مذبذب الصخور كأنياب حادة ٠٠٠ أنياب زرقاء خبيثة ٠٠٠
ولكنها بصورتها هذه تعمق معنى انتصار الانسان وتزيد الجمال فى المواضع
الأخرى جمالا وراحة حين يتخيل الانسان أن هذا الجمال كله كان فى
الأصل صخرًا وجبلًا !!

استطاع الغرب أن ييسر الحياة فكل شيء فيه مبدول رخيص ادا
قيس بمستوى الدخل ٠٠٠ أغلى ما فى الغرب ، اليوم ، الانسان ٠٠٠

اليد العاملة غالية وما أرخصها في الشرق سواء في مصر أو الهند أو الصين لقلة المال وكثرة العيال والجهل بموارد الثروة الطبيعية ووسائل استغلالها . . . ولو انتشر التعليم الصحيح والديمقراطية السليمة لتدفق الخير في ربوعنا وقطعت أوطاننا أشواطاً بعيدة على طريق التقدم والمدنية الحديثة بطاقتها المدفونة والمعطلة والمجمدة ، وبالحس الحضارى اذا تهياً لنا الانطلاق بلا تعويق أو تثبيط . وقد لاحت تباشير الفجر .

٧٣/٧/١٥

يوم حافل في (نيس) Nice اليوم (الاثنين) بداية الأوكازيونات في كثير من المحلات . . . خرجنا للفرجة . . رأيت في الطريق محطة انتظار الأتوبيس . . . محطة جميلة رائعة من الزجاج والنحاس الأصفر . . . مظهر من مظاهر احترام الانسان .

وفى جولة المساء لاحظنا في الأماكن المزدحمة من وسط المدينة حديقة غناء على أعمدة . . هكذا تبدو من بعيد فاذا اقترب منها السائر عرف أنها دوران جراجات السيارات تعلوها حديقة دائرية ينبت منها فى الوسط أعمدة مرة أخرى تحمل دوراً رابعاً عبارة عن حلقة سباق !!

ما أكثر الحداثى في المدن الفرنسية . . أكثر من حديقة واثنين في الشوارع الواحد ونحن نستكثر على القاهرة ذات الملايين الثمانية ، حديقة الأزبكية بعد أن وأدنا جزيرتي الروضة والزمالك وحولناهما الى حين سكنيين !! . .

وخرجنا الى البحر . . أقصد الى الشاطئ . . ان شاطئ نيس ممتد كشاطئ الاسكندرية وتطل عليه المباني الفخمة والعمارات الشاهقة قديمة وحديثة بل تطل عليه الأوبرا . . أوبرا نيس فلكل مدينة فى أوروبا ، على ما يبدو ، أوبرا خاصة . . ولا يقتصر الأمر على العاصمة كما هو الحال عندنا ، وليت الأوبرا الوحيدة عندنا عاشت بل التهمتها هى الأخرى ، النار . .

نعود الى شاطئ نيس . . انه من أوله الى آخره مفروش بالحصى والزلط الصغير . . لقد تحدوا قسوة الطبيعة بالزرع فى معظم الجهات . ولكنهم لم يستطيعوا فى هذا الجزء فهو مصيف المدينة هنا بطل الطلاء . . وتذكرت الرمال البيضاء المخملية فى شاطئ سيدى عبد الرحمن وهطروح .

٠٠ الرمال الملساء التى يحلو للأقدام أن تغوص فيها مرتاحة الى بردها ونعومتها ٠٠ ان الانسان فى مصايفنا يفرق فى البر لا فى البحر ومع هذا كله لا تحظى مصايفنا أو كنوزنا بمعشار ما يحظى به الصخر والحجر عند غيرنا ٠٠ ولكنى متفائلة ٠٠ لقد كانت فرنسا وسائر البلاد المتقدمة ٠٠ كلها كانت يوما تعاني من سوء الحال مرة ومن الفقر مرة ومن الاستعمار مرة ومن التخلف يوما ٠٠ ان فرنسا التى تعتبر من أسبق البلاد الأوربية الى المدنية كانت منذ ألفى سنة فقط تسكنها قبائل الجلواز الصيادين !! أى بعد أن كانت مصر قد قطعت من عمر حضارتها المعروفة تاريخيا خمسة آلاف سنة وسبقها بالطبع عشرات الآلاف من السنين فى عملية تحضير وسعى حضارى مستمر !! لهذا أقول ان الذى يبهرننا من أوروبا اليوم يجب ألا يفقدنا ثقتنا بأنفسنا بالتخلف بل على العكس يجب أن يدفعنا الى النهوض ايماننا بالممكن وايماننا بالعمل وايماننا بالعلم وايماننا بالمحاولة والطموح والاجتهاد ٠٠

وتأكيدا لهذا حاولنا أن نبحث عن الوجه الآخر من المدينة ٠٠ عن الأحياء الشعبية ٠٠ عن الأماكن التى لم تنفض عنها الغبار بعد ٠٠ ووجدناها كثيرة ٠٠

فى (نيس) الجميلة الأنيقة المترفة حارات ضيقة ، ومنها حارة اليهود ، وبيوت متواضعة بأئسة متأكلة يطحنها البلى ٠٠ وعلى الأرض مخلفات من أنواع شتى ولكنها مع التقارب الواسع ليست بها أصوات عالية أو شتائم عارية ، أو اشارات نائية تصك العين والسمع ٠٠ ليس بها حفاة أو ثياب رثة مهلهلة ٠٠ لقد رأيت بها عجوزا تطلب احسانا ولكنها كانت تلبس ما يسترها ولا تلحف فى السؤال ٠٠ وأخرى تبيع نوعا من النباتات فى عرض محتشم دون أن تذكر شيئا عن فوائده أو عن آخر وجبة تناولتها أو عن عدد من تعولهم أو أوصاف الزمان وأحواله ٠٠

ان الفرق بيننا وبينهم أنهم يعملون ويعالجون وجوه النقص حتى رجحت كفة المزايا على كفة السيئات وخاصة فى الحياة المادية أما نحن فلا نزال نهوى الكلام والخطابات والمناشطات والوعود والأحلام ٠

بلاد لا تقف للمدير .. وانما تحترم الانسان

٧٣/٧/١٧

جراس Grasse (١)

احدى ضواحي نيس . دعا أكبر مصانع العطور زوجي ودعيت معه ..
لفت نظري فى الطريق الجميل مكان علقت فيه لافتة كبيرة كتب عليها
(رسم المرور) . ليس فيها شرطى بل تصير اشارة المرور حمراء وهناك
تجويف معين اذا وضع فيه راكب السيارة قرشا ، صارت الاشارة خضراء
ويواصل السير .. كل شيء يتم فى هدوء واتفاق وتفاهم راض .

وهناك فى المصنع عدد من الباحثين والموظفين والعمال ولا يسمع
الانسان أقل صوت كأن ليس به أحد !

ولم تر عيناى بالمصنع الكبير الذى له فروع وراء البحار حجبا أو
سعاة .. وهو على ضخامته وأهميته به عدد محدود جدا من العاملين كل
معمل به من الباحثين اثنان أو واحد .. كل عنبر آلات به أربعة على
الأكثر .. ولو كان هذا المصنع عندنا لغص بالآلاف المتزايدة كل عام مع
موسم القوى العاملة .. هناك كل انسان له عمل يكفى طاقته ويزيد

(١) تتربع مدينة (جراس) على التلال المشرفة على (كان) وهى مركز صناعة العطور
تحيط بها حقول متسعة تزرع بها الأشجار الشذية مثل ، البنفسج ، والورد ، والياسمين ،
والزنبق ، الميموزا ، وأزهار البرتقال ، وفقا لفصول السنة ، وتحتاج الزجاجة الصغيرة من
العطر الفرنسى الرقيق الى آلاف من تلك الأزهار ، أما الأزهار المدفولة فتخلط بالدهن
فى أوهية كبيرة ويصنع منها الصابون المعطر ، فلا غرو أن العطر الفرنسى والصابون
الفرنسى غالبا لثمن لأنهما يحتاجان الى عمل شاق ووقت طويل الى اعدادهما .
وتفخر (جراس) بأنها مستقط رأس الفنان الشهير « جان أرنوبيه فراجوتار »
الذى ولد بها ١٧٢٢م .

ولهذا يعمل بدون رقابة وبلا تزويغ وبلا افتعال أعذار لأن وراءه شيئاً يشده وعليه أن ينجزه . . ليست هناك بطاقة أو بطاقة ولهذا لا يضيع على الدولة أو الأمة ، وقت أو مال .

وطاف بنا المدير ، وهو من المرموقين هناك ، على المعامل وأماكن الآلات المختلفة شارحاً المراحل الكثيرة للتقطير . . وعندما نمر على باحثين أو موظفين أو عمال كان أشد ما لفت نظري بل أدار رأسي أن أحداً من هؤلاء لم يهيب واقفاً عندما يدخل المدير . . لم يقفز أحد أو تنخلع يده في ضرب السلام . . كل إنسان منصرف إلى عمله كان المدير لم يكن . . هناك المدير لا يفتعل أحد تحيته أو تشجيع ناديه أو تدبيج نشرة طويلة في الصحف تعزية في بنت خالة زوجة أبيه أو تهنئة بشفاء كلبه من وعكة البرد التي ألت به .

الذي حدث أن المدير كان هو الذي يحيى الشخص القادر على شرح العمل في مكانه فيرد التحية في اقتصاد . . ولمست يدي سرا كبيراً من أسرار تقديمهم . . هناك يعمل الإنسان بلا عقد أو خوف قاتل أو زيف واحترام مصطنع ونفاق رخيص وتأليه كافر بما يقول والقباب بلهاء مخبولة يخلعها كل واحد على كل واحد كأن الكلام يستطيع أن يرفع خاملاً ، أو يشفع للحقيقة المرة . لهذا فقدت الكلمة الشريفة عندنا مدلولها عندما دأخلت معها الكلمة المحترقة ثم ضاعت الكلمات . . جميعها ضاعت . . وضاعت الأيام . . سرقت واحترقت ولم تخلف وراءها غير رماد ولو عشناها لمألانها عملاً وأملاً وعلماً وصناعة وفناً وحياة . .

ومع هذا كله نستطيع أن نبدأ من جديد . . نبدأ على مستوى أمة بدلاً من أن يحاول أفراد منا أن يبدأوا في بلاد أخرى وحدهم . وقد أثبتت، التجربة أن معظمهم ينجحون ويتألقون وهم أنفسهم كانوا بيننا مطحونين يقهرهم الغبن والتجمد والاهدار وضيق الحركة .

أذن المسألة لكي ننهض مسألة إتاحة الفرص واحترام الكفاية وتقدير العمل الجاد والثقة بالإنسان . . الإنسان المصري عنده الكثير ليعطيه . . عنده كنوز من الطيبة والذكاء والاخلاص والصبر والجلد والاجادة لو وجد بيئة مسعدة . . فلا تلجئوه إلى أن يبحث عنها خارج مصر . . حرام .

مرة أخرى في هذا اليوم خرجنا ولكن في التاسعة مساءً لنرسل تلغرافاً إلى شركة الادرياتيكا الإيطالية . . كانت المحلات مغلقة أبوابها فقط ولكن واجهاتها الزجاجية كما هي بمعرضاتها بل أكثر من هذا كانت

عضيئة من الداخل وأى محاولة بسيطة تستطيع تحطيمها أو نهب ما بها .وهو قوى الإغراء . ولم نر فى الشوارع رجل بوليس واحد . ما دلالة هذا الا افتراض الأمانة والثقة الكاملة !

وأكبر من هذا ما يجرى فى مكتب البريد . . هناك يتم كل شىء فى جو من الثقة فلا ايصالات عن المكالمات ولا رقابة على المكالمات المطلوبة بل يتم الحساب عنها وفقا لعدد يحسب المدة ، بذمة .

ان الناس هناك يقفون فى اشارات المرور حتى ولو لم تكن هناك سيارات . . مجرد احترام الإشارة المغلقة فلا يتحرك انسان الا اذا فتحت .

ثم هناك الزى موحد اذا استثنينا الهيبز ، فلا يمكن أن ترى العين مثلا بيجاما فى الشارع . ولكن الذى لا تخطئه العين فى الوقت نفسه ، أسى الشيءوخة ووحدها القاتلة . . عند عودتنا من مكتب البريد رأيت عجائز من السيدات والرجال يسسرون فى الطريق أو يمتطون دراجات وجوههم صماء ممتصة ليس فيها بريق . . أن يكافح الانسان فى هذه السن المرتفعة قسوة . . متى يستريح وأين رعاية الأبناء ومتى يردون الحنان والبذل ؟ نحمد الله ما زالت الأسرة عندنا بخير . . لم يتهرا الرباط العائلى كما حدث فى أوربا . . ويبدو لى أنهم فى قرارة نفوسهم تساء بجفاف العاطفة حتى بدأت تظهر فى المدن الأوربية الكبيرة كباريس جمعيات لتخفيف شقاء الانسان . بعض الذين يترددون عليها لا مطلب لهم الا الاستماع اليهم . . مجرد أن يجد الواحد منهم انسانا يصفى اليه وينفض نفسه عنده ! قالت لى سائحة أمريكية كانت ضمن الفوج السياحى الزائر لأسبانيا :

— لا أكتمك ان السيارة كلها لا أنا فحسب نغبط أسرتك فأنتم طوال الرحلة (أسرة) تأكل معا وتخرج معا وتتضام . . اننا ننظر اليكم الوقت كله . . وعندما أراحت ابنتك رأسها على كتفك لتنام فى السيارة كان منظرا رائعا بهرنى . .

ولم أكن أنا أشعر بالغرابة التى شدت أنظارهم لاننا فى مصر وفى الشرق نعم بجو الأسرة حين حرموا منه .

١٩٧٣/٧/١٨.

ذهبنا الى « كان » مدينة السينما ومهرجاناتها العالمية وأحد المصايف

الشهيرة لأصحاب المال والأعمال من جميع أنحاء العالم .. مدينة جميلة غنية أسعارها جنونية لا يطيقها الا وارث أو مليونير ، أو نجوم السينما . هذه « كان » التي نزل نابليون قريبا منها عندما فر من منقاه في جزيرة « البا » والتي تقع على مقربة منها « مونت كارلو » في اماره « موناكو » حيث يتجمع هواة القمار في « الكازينو » الشهير .

ابنتي همست في أذني .. اني أحببت « نيس » أكثر .. أحسن أن « كان » مدينة متعالية لا تتوحد الى زائرها بل تتحدث اليه بطرف لسانها وتسلم بطرف يدها .. ان سلمت .. معروضاتها لا تبهرني ما دامت ليست لي وانما تبهرني زهورها .. الطبيعة أم الانسان في كل مكان ..

انصرفنا عن المدينة وكأننا نرد على تعاليها بتعال واتجهنا الى البحر ..

طبعاً ما يهمنا منها هو الشاطئ .. الشاطئ هناك رملي في بعض أجزائه .. صخري في أجزاء أخرى .. ولكنه على امتداده مرصوف مما يلي الشمس كما أنه شارع خاص به وبعده حديقة .. حدائق جميلة .. أشجارها وارفة .. وقد نثرت فيه الكراسي والأرائك للجلوس عليها بين الزرع والبحر فإذا قطع الانسان الحديقة في مكانه وسار في الشارع الكبير فعلى طول الطريق أحواض الزهور الفاتنة الألوان حتى كأن رصيف الشارع ومنتصفه حوض كبير متصل من الزهور .. حتى لقد حسب أطفالنا أنها مدينة الزهور الفرنسية .

٧٣/٧/١٩

نيس - برشلونة

غادرنا نيس في قطار التاسعة صباحاً .. ووصلنا مرسيليا في الثانية بعد الظهر ومنها أخذنا قطارا آخر الى الحدود الفرنسية الاسبانية عند Portbou وصلنا في الخامسة والثلاث بعد الظهر وهناك في قاعة مكتب البوليس الفرنسي على يمين الداخل .. وفي مواجهته عند الطرف الآخر من القاعة ، البوليس الاسباني . أشر الفرنسيون على جوازاتنا بالخروج وأشر الاسبانيون بعد بضعة أمتار على جوازاتنا بالدخول . ووقفنا على المنضدة الحاجزة Counter أمام الجمرک الاسباني للتفتيش فقد سبقنا شباب فتشوا حقبة ملابسهم قطعة قطعة ولكننا جاء دورنا

سألنا ضابط الجمر عن بلدنا فقلنا مصر Egypt فابتسم ابتسامة
مرحبة وعلم الحقائق دون أن يمسه ٠٠ وجرينا نلحق القطار وإذا بنا
نكتشف بعد سيره أنه قطار (قشاش) ما أن بدأ يتحرك حتى وقف وكأنه
ترام شبرا ٠٠ وظل على هذا المنوال الطريق كله أى خمس ساعات نفذ
فيها صبرنا لا سيما أنه ليس به ما يؤكل أو يرطب ولم نكن قد تناولنا
طعاما بعد سنداتٍ صغيرة، فى القطار الفرنسى الساعة الثانية عشرة ٠

حاولنا التغلب على هذا المطلب بالمرح وأسعفتنا النكتة المصرية فترات
طويلة ٠ ولكن ما يلبث الضجر أن يطفو على السطح وهكذا حتى وصلنا
فى العاشرة مساء (برشلونة) وإذا بنا لا نجد مكانا واحدا لتغيير العملة
وإذا بنا لا نجد أناسا يفهم لغة غير الاسبانية التى لا تفهمها نحن بدورنا
٠٠ وبلغ ضيقنا قمته إذا كان لم يبلغها بعد ٠

وضعنا حقائبنا فى الفندق ثم ذهبنا نتحسس مطعما لتناول العشاء
بعد يوم حافل وإذا بنا تقع فى مطعم خدعنا مظهره الكبير وقربه من الفندق
٠٠ وقدم لنا طبقا واحدا لا يؤكل ٠٠ ثم قدم إلينا فاتورة الحساب ستة
جنيهاً ونصف جنيه !! أسطورة أو قصة رخص الأكل وكثرته فى أسبانيا
التى سمعنا بها قبل أن نأتى ٠

المهم أننا منذ غادرنا القطار وغادرنا آخر حاجة أى المطعم ودخلنا
السريـر ، ونحن نهتز أو نتطوح تطويحة القطار وكأننا لم نغادره بعد ٠٠
ولم نتحرك من التعب حتى أيقظنا ضوء الصباح أو على الأصح ضوء
الصباح فى هذا الحى الذى يقع فندقنا فيه ٠٠ حى الرملة كما يدعونه ٠

٧٣/٧/٢٠

برشلونة

تجولنا فى برشلونة فى طريقنا الى شركة Marsans السياحية
الاسبانية ٠٠ الشوارع طويلة كأنها بلا نهاية ٠٠ واسعة حتى عد أولادنا
فى كثير منها ثمانية أنهر للسيارات ٠٠ أحسن وصف لها قول ابنتى أنها
مطارات لا شوارع ٠ والشوارع فى أسبانية كأنها لضخامتها ، ميادين ٠
اختاروا للخضرة منتصفها ففى وسط كل شارع صفان متقابلان من الأشجار
الظليلة تحتها صفت الأرائك المدهونة النظيفة ٠٠ هذه الخميلة للمشاة ٠٠
هذا غير رصيفين عريضين !! وكثير من المقاهى ومحال المرطبات صفت

كراسيها ومظلاتها في هذه الخمائل .. ان المتهى في برشلونة خط الوسط
من الشارع لا الجانبين كما هو في مصر وفي فرنسا ..

وذهبنا الى البنك لتغيير العملة وما أكثر البنوك في برشلونة كأن
بين كل بنك وبنك ، بنكا .. دليل الوفرة والغنى وإقبال رءوس الأموال
على اختلاف جنسياتها .. ان اسبانيا اليوم تسمى بلد ال ٤٠٠ بنك !!
وهذا شاهد لا يخطيء على نجاح السياحة في اسبانيا نجاحا يقف وراء
الترف البادى فى عروض المحلات التجارية .

دخلنا البنك واذا به مكيف الهواء تتردد بين جنباته موسيقى جميلة
ناعمة هادئة لقد قدروا أن عمل موظف البنك يتعلق بالمال وبالحساب
فعملوا على راحة أعصابه وتهئية جو مريح يلعبه على أداء مهمته الدقيقة !!

وفى برشلونة ميدان واسع تحيط به التماثيل وتوسطه فسقية
جميلة يتدفق منها الماء وفى دوائر بعد أن ينبثق الى أعلى .. هذا الميدان
به مئات من الحمام كما فى ميدان سان مارك فى فينسيا . مثل هذا الميدان
اضافة جمال نابع من السلام الذى يعيشه الحمام الوداع الآمن من الخوف .

ولكن فى برشلونة كما فى فرنسا يعمل كبار السن الأعمال المرهقة
ففى الصباح رأينا سيدات طاعنات فى السن يقمن بتنظيف وغسل المحال
التجارية .

وفى برشلونة رأيت ماسح أحذية يضع صندوقه الى جانبه ويجلس
على ركبتيه وتحتهما سادة صغيرة ويأخذ فى تلميع حذاء يجلس صاحبه
على كرسى عال يطل منه على أخيه الانسان المتضع عند قدميه .

وفى اسبانيا رأيت فى الشوارع بصقا ومخاطا ولست أدري من ارتكب
هذا .. أهل البلد أم الغرباء .. ولكن الكافثيرات أو معظم روادها من
الاسبان لا تخلو أرضها من ورق ونفايات .

والناس فى برشلونة لا يحترمون اشارات المرور .. ما من شارع
مررت به ألا ويعبر الناس قبل فتح الاشارة بلا استثناء .. كنا ننتظر
الاشارة وحدنا .. لعلها حساسية الغريب .

وفى اسبانيا كسائر أوروبا تدخن البنات الصغيرات ممن دون العشرين
ويطلق عليه Teenage .

وفى المساء لا يستطيع السائح أن يجد موضعا لقدمه فى المدينة بشوارعها وميادينها على اتساعها فان الاسبانيين من عادتهم أن يقيلا فى الظهيرة ويسمون القيلولة : سيستا ٠٠ وفى المساء يخرجون الى الشوارع يسرون أو يجلسون اذا تعبوا ، فى المقاهى التى تتوسط الشوارع ٠٠ من يراهم يخيل اليه أن البيوت خلت من سكانها حتى لم يبق منهم بها أحد .

والطعام فى اسبانيا غالى التكاليف كسائر بلاد أوربا حتى الأشياء الصغيرة الكوكاكولا بعشرين قرشا وكذلك الجيلاتى الذى تشتريه فى مصر بثلاثة قروش لعلها تعادل مليما هنا أو أقل لو جاز أن هناك أقل من ملين ٠٠ اننا نعيش فى مصر ملوكا دون أن ندرى ٠٠ الآن فقط عرفنا .

لو أن عندنا من الحرية نصف ما عندنا من الطعام !!

لقد حكم أسبانيا اليونان والرومان والعرب والفرنسيون والألمان ومع كل هذه العشرات استطاعت أن تقف على قدميها بل استطاعت أن تقفز قفزة واسعة .

لقد كانت أسبانيا فى الأربعينات أى فى الأمس القريب ، فقيرة منهوكة عاجزة بعد الحرب الأهلية وكانت مصر تمنحها الهبات وتعطيها القروض ٠٠ قال لى مسثول فى السفارة المصرية بمديرد أنه كان فى أسبانيا منذ سبع سنوات فقط وكانت العاصمة نفسها متواضعة وكان يومئذ من السهل أن يعرفها المرء شبرا شبرا فلما عاد إليها سنة ١٩٧٣ وجد كل شيء جديدا عليه واحتاج الى ثلاثة شهور ليتعرف الى المدينة الكبيرة الواسعة الجديدة ٠٠



السياحة فى أسبانيا

رفعت أسبانيا الشعار (سائح لكل مواطن) فى سنة ١٩٦١ . وكان عدد السكان ٣٠ مليونا . وعدد السائحين ستة ملايين . وارتفع الرقم الى ٣٢ مليونا من السباح فى سنة ١٩٧٣ حين كان عدد السكان ٣٤ مليونا . وأعظم شاهد على ما بلغته السياحة فى أسبانيا قرية « بنى دورم » .

قرية بنى دورم

تعداد السكان فى هذه القرية الاسبانية (١٠ر٨٠٧) نسمة • وهى
مسترخى صيفى • وفى خلال الموسم تستقبل ١٠٠٠ر١٠٠٠ مصطاف •
وقرية بنى دورم ، أيضا مسترخى شتوى • انها قرية متحضرة تنمو
فى سرعة • تقف عالية فوق تل « كانتالى » وتطل على شاطئين جميلين
ويعلو من خلفهما أبنية عالية ••

الأغنية الاسبانية •• المسابقات الرياضية •• الفنادق •• المقاهى ••
النوادي تعطىها الحياة وتضمن لك زيارة ممتعة فى جو رائع وتحت شمس
ساطعة •



بلاد الأندلس

٧٣/٧/٢١

كلمة الأندلس من الكلمات التى لها تاريخ وطرائف • فبعض المؤرخين
يرد هذه اللفظة الى اسم جماعات الفنداليين Vandales الذين هاجموا
أسبانيا ومروا بها مهاجرين الى أفريقيا الشمالية فى مطلع القرن الخامس
الميلادى • ويقول أن هؤلاء الفنداليين عندما مروا بالمضيق الذى يفصل
أسبانيا عن المغرب ولعله مرفأ Tarila سموه باسمهم فأصبح مرفأ قندلس
وقد ظل هذا الاسم حتى جاء العرب فخلعوه على جميع البلدان التى احتلوها
بعد أن حرفوه وجعلوه « أندلس » •

ومن المؤرخين من يقول ان اقطاعية اسبانيا الجنوبية كلها ، التى
كانت تسمى فى العهد الرومانى اقطاعية بيتيك Betique قد سميت
بـ « فندالسيا » Vandalci عند مرور الفنداليين من أسبانيا الجنوبية
أثناء هجرتهم الى أفريقيا الشمالية • ولكن هذا الزعم الأخير لم تؤيده
الوثائق ••

وهما يكن من أمر هذا الاسم فان كلمة الأندلس قد استعملها
المؤرخون العرب والجغرافيون بسرعة وتقبلوها بسهولة وكانت تدل
بادئ ذى بدء على أسبانيا كلها ثم أخذت تقتصر على المنطقة التى احتلها
المسلمون من الأرض الاسبانية •• وتسمى مقاطعات اشبيلية وقرطبة
وغرناطة حتى اليوم باسم « الأندلس » •

كم من رحلات قبلنا استشرفت الى الأندلس .. رحل اليها ناس عاديون ورحل اليها مشهورون ورحل اليها الشعر والفن .. ورحل اليها زرياب المغنى الذى شكل نهضة غنائية بها امتد أثرها الى الغرب حيث تأثرت بها موسيقاه وشعره الغنائى معا .. وبالطبع أثرت نهضة زرياب الغنائية فى الشعر الأندلسى تأثيرا يعتبر نقلة فى تاريخه وفى تاريخ الشعر العربى بعامة . فقد كانت هذه النهضة التى ازدهرت عليها الأغنية الشعبية ، وراء ابتداع الموشحات والأزجال التى تعتبر الأغنية الشعبية منبعها لهما . وزرياب هو الذى زاد فى الأندلس على أوتار العود وترا خامسا . وكانت أربعة قبل عهده ، وهو الذى اخترع مضارب العود من قوادم النسر .

وأعطت هذه الحياة الطروب للشعر : الموشحات – ابتدعها عبادة ابن ماء السماء القزاز – والأزجال . ابتكر الرجل الزجل أبو بكر بن قزمان وهما أندلسيان ..

وأعطت للنثر : طوق الحمامة فى الألفة والآلاف وهو الاسم بالكامل وهو ثلاثون بابا .. ويتناول هذا الكتاب الرائع فلسفة الحب معتمدا الى حد كبير على التجربة والملاحظة والتحليل النفسى واستخلاص النتائج . ولعله أول بحث فى العربية من نوعه .

ومن الطريف أن مؤلفه ، فقيه !! وهو الامام على بن حزم الذى أفرد له العالم الاسبانى أسبن بلاثيوس كتابا تناول فيه حياته وكتابه الجامع « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » ويعتبره بلاثيوس ، مفكرا ، وعالما لاهوتيا ، ومؤرخا ناقدا للاديان والمدارس الفلسفية الدينية . كما يعتبره الأستاذ نكل Nikl (أديبا وشاعرا ، وفقيها ، ومؤرخا سياسيا ، وعالما أخلاقيا) .

كان عطاء الأندلس فى الأدب العربى ، عقدا فريدا .

وكما صبت الرحلة من كل لون فى الأندلس ، نبعث من الأندلس الرحلة ولكن الى مكان غريب .. وأنا أعنى هنا رسالة (التوابع والزوابع) التى يحكى فيها ابن شهيد رحلة له فى عالم الجن ، التقى فيه بشياطين الشعراء وناقشهم .

وان كان النقد الأدبى لا يرى ابن شهيد فى رسالته متأثرا بالمقامة الابليسية لبديع الزمان الهمذانى ، كما يلمح الشبه بينهما وبين رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى الذى يقول بعض المؤرخين أنه كان مولعا به

وأنة عارض رسالة الغفران برسائلته (التوابع والزوابع) التي أورد ابن بسام في الذخيرة أقساما كثيرة منها ٠٠ هذا حين يقول المستشرق بروكلمان انها صنفّت قبل رسالة الغفران بعشرين سنة ٠ ويرى بطرس البستاني الذي نشرها في بيروت عام ١٩٥٣ أنها لم تتقدم رسالة الغفران بأكثر من تسع سنوات وليس هناك ما يدل على أن أبا العلاء قد اطلع عليها ٠

ومما يذكر أن الأندلس كان موئل اليهود وجنتهم في العهد الاسلامي ومنهم من بلغ الوزارة كما يقول الدكتور حسين مؤنس في كتابه (فجر الأندلس) بل (أن حركة بعث اللغة العبرية والأدب العبري بدأت في أسبانيا ٠ نشأت ونمت بين أظهر المسلمين وتحت أعينهم ، بل كان بعض علماء المسلمين يعينون اليهود على انشاء نحو لغتهم) ٠

كل هذا لمع في ذهني وتجمع ونحن على أبواب رحلة الأندلس ٠٠٠ كنت أعرف الأندلس بعقلي فلم تبق الا رؤية العين ٠٠٠

بدأت الرحلة في الثامنة والنصف صباحا وقرأنا آيات من القرآن الكريم ٠

السيارة مكيفة ٠٠٠ كراسيها كراسي طيارة من القطيفة الزرقاء الجميلة لبست رؤوسها تلبينات بيضاء شفافة أنيقة ٠٠٠ السائق في خريف العمر وقور صامت متزن الحركة ٠٠٠ كانت السيارة بفضل خبرته تسبح في نعومة ٠٠٠

الدليل : سيدة تتكلم الانجليزية والفرنسية بوضوح فضلا عن الاسبانية بالطبع ٠٠٠ علمها واسع بتاريخ بلادها وأسلوبها لا يخلو من لمسات أدبية لطيفة وفكاهة ٠٠٠ وعندما تحدثت عن العمارة في بلادها وكيف يقف القديم الى جوار الوسيط والحديث قالت :

We only need candles in this procession

سألنا من أين ؟ فقلنا من مصر فقالت في أدبه جم : من بلد التاريخ والقدم والآثار ٠٠٠ والمصريون المحدثون يجيدون اللغات ٠٠٠ فشكرناها على تحيتها الرقيقة وشكرناها على رفقتها العلمية التي توضح الرؤية أو تزيدها وضوحا ٠٠٠

السيارة تسير بنا في طريق عريض طويل لم نحس فيه على امتداده

بمطلب واحد أو حفر وأخاديد • المزروعات على الجانبين تخف وتكثف حسب طبيعة المكان ...

الأنهار متواضعة ضحلة لا تقاس بالنيل • ربما كانت لهذا السبب تتوارى منا دون سائر أفراد الرحلة فلم تلفت نظرنا كغيرها من المعالم الاسبانية •

في منتصف الطريق نزلنا في Small Inn على حد تعبير الدليل وتوقعنا أن يكون كما يشير اسمه مطعما ريفيا فاذا به مطعم أثيق فخم تترامى حديقته حتى شاطئ البحر ومع هذا به حمام سباحة كبير جميل • والموائد به أضطف كثير منها في التراس المطل على الحديقة غير قاعة ضخمة امتلأت بالموائد في الداخل • والطعام توالى صحافه حارة نزلت من على النار منذ أن وآن وحين تبدل الأطباق تأتي ساخنة بالبخار ! • دليل استعداد ضخم • المفارش والأدوات موحدة لطيفة أنيقة •

هل هذا كله مجرد Inn ؟

أكملنا رحلتنا الى بلنسية بعد أن صافحنا بالعين على البعد كثيرا من القلاع العربية القديمة وصافحنا بالأذن كثيرا من الأسماء العربية التي تؤيد ما جاء في كتاب الدكتور حسين مؤنس (رحلة الأندلس) • هذه « بلنسية » التي وصفها وأفاض ابن الأبار شعرا ونثرا ، وبكاها أبو المطرف ابن عديرة ولكن الحديد كان أصدق أنباء من القصيد فسقطت بلنسية وغادرها أميرها أبو جميل زيان الى الجزيرة • جزيرة شقر • بعد أن أسلمها الى الملك خايمي الفاتح • كما غادرها وزيرها وأديبها ابن الأبار مع أهله الى تونس •

نزلنا بلنسية في فندق اكسلسيور • الوثارة والفخامة والخدم والحشم والطعام كأنه قصر من قصور ألف ليلة وليلة بخيالاتها وتهاويلها • وبالطبع لم نقصده باختيارنا ولكن الرحلة رتبته لنا شركة مارسانس الاسبانية السياحية • تتسلم الفوج السياحي في برشلونة وتطوف به الأندلس حتى يصل مدريد دون أن يتكلف حتى حمل حقائبه • ولكن يتكلف اشتراك الرحلة طبعا • والرحلة الى الأندلس نوعان : سريعة في عشر أيام وبطيئة في خمسة عشر يوما • وقد اخترنا الأولى •

بلنسية :

الميناء الثانى والمدينة الثالثة فى اسبانيا . وهى مدينة أندلسية قديمة ، على الشاطئ الغربى لاسبانيا وعلى بعد ٢٠٠ ميل جنوب غرب برشلونة . والمدينة الى الداخل بثلاثة أميال ، ولكن الميناء يقع عند مصب نهر توريا (Turia) .

والجو هناك معتدل ، والمطر السنوى قليل ولم تسقط الثلوج الا مرتين خلال القرن الماضى .

وقد أسس العرب فى بلنسية نظاما عظيما للرى لم يتغير حتى الآن ، ونفتح بوابات الرى بجرس اشارة من المدينة ، ويحكم المخالفون للقانون أمام محكمة فى يوم الخميس من كل أسبوع . وقد أدى ذلك الى أن صارت بلنسية أخصب رقعة فى اسبانيا كلها . ويمكن زراعتها ٣ - ٤ مرات فى السنة . وتصدر بلنسية اللوز والبرتقال والليمون والتين والبلح والبطيخ وقصب السكر . وتشتهر المدينة بالتوت الأحمر والحريير الطبيعى ، وينمو على الساحل أفخر أنواع الأرز فى العالم .

وعلى الرغم من المباني الحديثة ، تتميز المدينة بطابع عربى قوى من غرتها الى أخصص قدمها . وتجذب الاحتفالات فى يوليو وأغسطس ملايين السياح .

« عن دائرة المعارف الأمريكية »

وضعنا حقائبنا ونزلنا نتجول فى البلد حتى يحين موعد العشاء . . . وإذا بها ليست مجرد مدينة أو عاصمة اقليم ، فطنطا عاصمة اقليم من أكبر وأغنى محافظات الدلتا أخصب منطقة فى الدنيا لا فى مصر وحدها . وليس بطنطا فندق أو مطعم أو شارع أو مقهى ، لا أقول ، فخم أو ضخم أو رفيع المستوى بل مجرد مقبول معقول . . . ليس فى طنطا شيء عليه القيمة فما بالك بسائر مدننا والمراكز فى الدلتا والصعيد ؟

كل هذا ثقل على صدرى وأنا أرى بلنسية واسعة متوسعة غنية مترفة فى المباني والمتاجر والمطاعم والمناجم . . . عشرات من الفنادق السياحية الفخمة التى تعدل ان لم تتفوق على سميراميس وشبرد وهيلتون وشيراتون . . . أقسم بسيئاء وعودتها اليها ان فى ميدان واحد فى مدينة بلنسية ست بنوك من أكبر وأفخم ما رأيت من البنوك من جنسيات مختلفة ولا يكاد ينتقل الانسان الى شارع حتى تتكرر الظاهرة . . . عشرات البنوك فى بلنسية

وعشرات البنوك في برشلونة قبلها ٠٠ ان البنوك عملها (المال) ٠٠ اذن تستطيع أن تقدر دورة المال المتدفق في أسبانيا ، ان مصر من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ليس بها أكثر من خمسة بنوك وهنا لا تقوى الكلمات على التعليق من حزنها والا سقطت جثة هامدة مقطوعة الأنفاس .

أثناء الرحلة قالت السيدة الدليل أن تعداد السكان في اسبانيا ثلاثون مليون نسمة وأن عدد السياح الذين يزورون أسبانيا كل عام ٣٣ مليوناً ! فلو قدرنا أن كل سائح يصرف مائة دولار فقط فمعنى هذا أن دخل أسبانيا سنوياً من السياحة ثلاثة آلاف ومائتا مليون دولار سنوياً !!! وليس بأسبانيا واحد على مائة مما بمصر من آثار !!

ان آثار أسبانيا عصر واحد هو العصر الوسيط ، أما مصر فحضارتها عمر الانسان قديمة ومتوسطة وحديثة وهى متصلة الحلقات ومصر بها من الحضارة ، مقدسات الأديان ٠٠ أن الطريق الذى قطعه مريم تحمل المسيح والأماكن التى وقفت بها واستظلت لو استظلت سياحياً كم من الملايين تفد إلينا من الغرب ومصر فيها من المزارات والآثار الإسلامية ما يجذب قلوب الملايين من الشرق ٠٠ ولكننا بدلاً من أن نفتتح عيوننا ، هللنا عندما جاءنا ١٠٠ مليون جنيه فى سنة من السياحة ٠٠ طنطننت الصحافة المصرية واستنفدت ما تملك من مداد أحمر فى كتابة مانشيتات الكسب الكبير !!!

اننا فى أشد الحاجة الى الاقتصاد فى الكلام حتى نرى الأشياء فى حجمها الطبيعي لتتحدد خطوتنا القادمة فى ضوء الصدق لا المبالغة والهدر والهدر والخدر والسذاجة الجاهلة .

إذا أردنا نقلة كبيرة يفيق عليها ضعفنا واقتصادنا وتدب فيه الحياة فتعم الصحوة كل شيء ٠٠ إذا أردنا هذا جادين فلنحدث انقلاباً فى سياستنا السياحية أكبر كثيراً من شركة مصر للسياحة التى تنفر المصريين أنفسهم من السياحة الداخلية فما بالك بالأجانب ؟ .

ان مصر أغنى بلد فى الدنيا بالمعالم السياحية وتستطيع لو أخلصت الجهود والنيات أن تكون مصر أغنى بلد بالمال فى العالم كله من السياحة وحدها .

يقول الدكتور محمود كامل مستشار السياحة بالأهم المتحدة استناداً الى البيان الخاص بالسياسة الاقتصادية الجديدة للدولة ونصيب السياحة

العالمية نحو البحر الأبيض (ومصر دون باقى دول منطقة البحر الأبيض المتوسط بل دون باقى قطاع الشرق الأوسط من هذه المنطقة تنفرد أنها تستأثر بنماذج متكاملة من المغريات السياحية الجاذبة كلها ، طبقا لأحدث البحوث الاحصائية السياحية المستندة الى دراسات علمية للسوق السياحية والمتوقعات المنتظرة لهذه السوق) .

الأهرام العدد ٧٣/٨/١٨

وفى هذا المقال يشير الدكتور محمود كامل الى دراسة (دوفير) لعلم الأنماط التى تشمل المصادر والأنشطة السياحية وهى الدراسة التى قدمها الى مؤتمر « الجمعية الدولية لخبراء السياحة العلميين » الذى دعا فى آخر عام ١٩٧٣ لدراسة « طرق الأبحاث السياحية وتطبيقها على البلاد والمناطق النامية » يقول الدكتور محمود كامل : (لم يتردد « دوفير » عند بحث المغريات الجاذبة التاريخية بمنطقة البحر الأبيض المتوسط فى أن يضع مصر على رأس دول المنطقة السياحية قبل اليونان والأراضى المقدسة وتركيا ومدن الفن الايطالية « فلورانس وروما و نابلى » ويؤيده فى هذا العلامة السويسرى « كرايف » فى بحثه عن مساهمة السياحة فى تنمية البلاد النامية) .

ويقول المقال ان (أحدث صيغة اعلامية سياحية فى تونس والجزائر قد ركزت على « السياحة الصحراوية » و « سياحة الواحات » باعتبارهما مخرجين من اطار السياحة التقليدية) .

وبعد لقد انتقلت أسبانيا من حضيض التخلف والفقر والحروب الأهلية الى قمة الغنى والثروة فى أقل من نصف قرن ، كنا نحسب ونقرأ أنها تعاني من الديكتاتورية وقيودها . . وكنا نحسب أننا فيه سعداء نسبيا فاذا بنا فى هذا النصف قرن التعساء وحدنا . . الأشقياء المحزونون . . اذا بنا وحدنا الفقراء الجهلاء المهمومون . . نحن وحدنا البسطاء البلهاء النائمون السادرون فى الأحلام .



٧٣/٧/٢٢

بلنسية (المدينة)

طافت بنا السيارة معالم المدينة وأسواقها ونزلنا عند : محكمة الشعب . . وهى عبارة عن كنيسة كانت فى الأصل مسجدا وكان فى حكم

العرب تعتقد المحكمة الزراعية خارجه فيأتى الفلاحون من القرى والأقاليم المجاورة يعرضون شكاويهم وموضوعها دائما الرى والأرض وكل ما يتعلق بالزراعة ٠٠ وقد اختار لها العرب يوم الخميس باعتباره نهاية الأسبوع . والجمعة للصلاة والعطلة الأسبوعية فلا يجوز فيها عمل .

وظل هذا التقليد متبعاً حتى بعد أن رحل العرب عن الأندلس والآن ينظر اليه على أنه ظاهرة اسبانية تنفرد بها دون سائر بلاد أوروبا . وقد سجل الفن هذه المحكمة فى لوحة كبيرة بالألوان .

والكنيسة أى المسجد سابقا الأعمدة بنيت على شكل جذع النخلة والسقف قنوات ومنحنيات بارزة على شكل سعف النخيل فكان البهو غابة نخيل حجرية ٠٠

وفى القاعة السفلى باب حديد ضيق لا يستطيع أن يمر منه أكثر من واحد فاذا مر وجنح الى اليسار ورفع رأسه الى أعلى رأى المئذنة ، التى هى اليوم برج الكنيسة فى استدارتها الحلزونية عبارة عن ثقب رأسى صاعده فى جوف المئذنة .

أمام المحكمة ، السوق . تقوم النساء بالبيع فيه حتى الجزارة ! وطبعا معظم العملاء من النساء أيضا . والى جانب السوق كنيسة يعلوها طائر . وهنا تقول الأسطورة ان هذا الطائر يراقب ، داخل السوق النساء المغرقات بالثرثرة والغيبة .

البرلمان : وهو مبنى عربى الطراز سقوفه منقوشة ومحلة بالذهب وعلى الجدران لوحات زيتية كبيرة منها واحدة تمثل طفلا جىء به الى الحاكم فلما مثل بين يديه أطرق مرتجفا ٠٠ وهنا لم ينس الفنان تجعيدات السجادة التى تركتها مشية الغلام المتعثر من الخوف ٠٠ ملاحظات دقيقة فتحت عيني عليها ابتنى فينان ٠٠ كما لاحظت حنان فى صورة «الراهب» للفنان جويا Goya الوجه ذى الأنياب ففسرته بسرعة بأنه يمثل الشيطان يصاحب الانسان حتى اللحظة الأخيرة وهو فى الصورة يغرى الراهب الغارب بعدم الاعتراف ٠٠ قد رسم (جويا) من خلال هذا الراهب صورتين للفراق ٠٠ الفراق الحى حين خلف هذا الرجل ملكه وزوجته ووالاده ليعتزل العالم ويتربص ، والفراق الأخير وهو على فراش الموت .

الكاتيدراثية :

الحرب والانسان : أهم ما فى الكاتيدراثية حجرة بها تمثال المسيح من الذهب الخالص المرصع بالماس والأحجار الكريمة داخل محفة من الذهب والأعمدة من الذهب واطار القاعدة النقش به على هيئة ملائكة تبدو متشابهة وهى مختلفة الملامح والتعبير وهذا كله من حصيلة تبرعات الشعب الأسباني شكرا لله على انتهاء الحرب الأهلية التى استنفدت قوى وثروة أسبانيا ..

كثيرا ما يساق الانسان الى الحرب مكرها ..

وأثناء الطواف بهذا كله نوه الدليل بفضل العرب على الرى فى أسبانيا وعلى البناء والفن ..

تلف الاسبان المحدثين نزعة أنصاف اليوم وليدة وعى علمى وسياحى أو لعله تكفير عن تعصب طويل فقد قوة الابصار واقتقد البصيرة فلم يميز بين النفيس الذى يستحق الحفاظ عليه ولو انتفاعا به لا حبا فيه ، وبين الرخيص الذى يجوز التخلص منه بالمحو والازالة .

هل نزعة الانصاف هذه علامة وثوق بالنفس على أثر الاستقلال والغنى ؟ هل هى ارتفاع الى مستوى الموضوعية العلمية والتاريخية ؟ هل هى هذا كله ؟ ربما .

على أى حال هذه النزعة تجسدت فى اقامتهم تمثالا للفيلسوف العربى ابن رشد فى قرطبة على مقربة من الجامع الكبير ..

وعندما مر الدليل بسلسلة من البنوك علق عليها مستشهدا بتعريف انجليزى للبنك بأنه :

Umbrella protects you when the sun is
shining and disappears when it is raining.

وشروق الشمس فى العبارة يرمز الى الغنى حين يرمز المطر الى الاعسار والغمم المادى . فالبنك يعطى الغنى قروضا لمشروعات كسب جديد .. ولكنه لا يعطى الفقير لانه لا يضمه ..

ومر بنا الدليل على شارع عبارة عن سلسلة من المحلات الضخمة للحلوى ووقف عند احدها لنلقى نظرة عليه على سبيل المثال فاذا بصاحب المحل يقدم لنا كيسين كبيرين من الحلوى قام الدليل بتقديمها لينا ..

حركة مدروسة ومرتبة ومدفوعة وموضوعة ضمن برنامج الرحلة من قبل ولكنها مثلت كأنها تلقائية ، اظهارا أو تظاهرا بالكرم .. كرم أهل البلد اذكاء .. كل شيء هنا مدروس .

وفي الرحلة معنا رجل ينزل فنادق الدرجة الأولى الممتازة حين ينزل باقى أفراد الرحلة فنادق الدرجة الأولى فحسب وعرفت فيما بعد أنه جزائري ولكن أمريكي .. وفي الرحلة رجال ونساء طاعنون في السن من أمريكا وكوبا والبرازيل .. ودلالة هذا ايمان العالم المتحضر على مختلف المستويات بالرحلة والسفر والسياحة .

قصر الحمراء وجنة العريف

٧٣/٧/٢٢

في الطريق الى الكانتية Alcaté

أخذنا السيارة من بلنسية في طريقنا الى الكانتية ٠٠ وفي الطريق الجبلي كانت هناك صخرة ضخمة كأنها انتزعت نفسها من الجبل انتزاعا لتطل على البحر ٠٠ هذه صخرة « نيفاتش » ٠ تقول السيدة الدليل أن هذه الصخرة بيعت أول مرة ببضعة آلاف من الجنيهات ثم بيعت مرة ثانية بأضعاف ذلك المبلغ ثم بيعت أخيرا لأحد البنوك الموجودة في بلنسية بمبلغ سبعين مليون بيزتا ليتخذ منها مصيفا كمشروع استثماري ٠٠ وهكذا تملأ الأرض ماديا ومعنويا عندما يقبل أهلها عليها ٠

وفي الطريق الى كورنيثا رأينا الجبل مدرجات زراعية كأنه مسرح زراعي ٠ ورأينا سلسلة ايتانا وشاطئها الصخري الصغير الفقير فخلقوا من هذا العيب حسنة بأن حولوه الى مصيف للكتاب والفنانين يقضون أجازاتهم فيه وكأنه قصد أو قصدوا أن يكون مصيفا هادئا ٠٠

وفي الطريق مررنا بقرية صغيرة هي قرية « بني ضورم » وكان تعدادها ثلاثة آلاف نسمة ٠ تقول السيدة الدليل انها تمر عليها بحكم عملها مرتين في الأسبوع وما من مرة مرت بها الا رأت شيئا جديدا أضيف اليها وتقول ان تعدادها الآن أصبح تسعين ألفا وأن عدد زوارها يبلغ نصف مليون ٠

ونظرت الى القرية (سابقا) فاذا بها الآن آلاف من العمارات وناطحات السحاب وآلاف من السيارات وعدد كبير جدا من فنادق الدرجة الأولى بل الفاخرة يفضل الوعى السياحي والعمراني وتمنيت أن تأتى الى هذا المكان شركة مصر للسياحة التي لم تعرف في العام الماضي كيف تنظم رحلة الى مرسى مطروح وجمعت اشتراكات خيالية بدعوى انزال المشتركين في فندق ريم فاذا به دون الحضيض من حيث النظافة والمعاملة ٠٠

وفى الطريق مررنا بقرية « بياخيوسا » وكانت عبارة عن مصانع الشيكولاتة فإذا بالقرية الصغيرة تسوى بيوتها المتواضعة لتقوم مكانها ناطحات سحاب .

ومن برشلونة الى الأندلس شرق وجنوب أسبانيا ظاهرة لفتت نظر السياح خاصة نحن أبناء النيل وهى أن أنهار أسبانيا فى الصيف تجف تماما حتى غدا بعضها جزءا من الطريق ، والبعض الآخر جزءا من الحقول على جانبيه . ورأيت نهرا طريفا يجرى الماء فى نصفه والنصف الآخر مزروع . وتعليل هذه الظاهرة أنها تعتمد على الأمطار . . . وعندما تسحب زراعة ما تأتى به الأمطار ، تترك هذه الأنهار جافة تنتظر جود السماء .



Alcante الكانتية

ميناء جميل . . مدينة صناعية . . مطار مهم . . قلعة على جبل بنيكانتينا Benicantinya . . شوارع واسعة . . ميادين جميلة لا سيما ميدان النخيل . . محلات حافلة . . غابة من ناطحات السحاب وبيوت قديمة فلتت من الاعدام بمعجزة وان كان الزحف الحديث وراءها بالمرصاد . .

هذه هى مقاطعة Alcante التى يبلغ تعدادها ٦ ملايين نسمة . وفى Alcante نزلنا فندق Leuka نسبة الى شاعر الأسبان العظيم . .

الفندق جديد . . وجدنا فى حجرتينا غير الحمام النظيف اللامع اضافات جديدة . . زرار تضغط عليه فتضى لوحة على الباب من الخارج على يسار الداخل تقول (ممنوع الازعاج) وهنا لا يطرق عليك الباب أحد لآى سبب .

والدولاب اذا فتحتة أضاء بالكهرباء من الداخل واذا أغلقته انطفأ . والا جوار الدولاب نلاجة رفها العلوى لحفظ السوائل الساخنة ! وباقى الرفوف لحفظ الثلجات . . وفى بابها ألوان من الشيكولاتة والمأكولات حتى لا تكلف نفسك الطلب . . ولو أن بالحجرة تليفوناً يلبي فى الحال وحتى لا تنتظر بل تمد يدك فتأخذ ما تشتهي . . فقط تتذكر الحساب متمتعاً بالائتمان والثقة .

وفى الحمام شرائط من الورق المجهزة تجهيزا خاصا بحيث اذا مرت بها على حداثك جعلته نظيفا لامعا . .

وفى أسبانيا غجر gipsis أسبانيون يعيشون فى كهوف فى جبال « مرسيه » . والكهف ليس دليل فقر فبعض هذه الكهوف يتكون من ثمانى حجرات ، ويملك صاحبه سيارة وسيارتين ويستضىء بالكهرباء . وبعض هذه الكهوف تصل اليها المياه .

وقد زرنا فى الطريق كهفا متواضعا بعد أن مرت بنا السيارة على كهف يبدو لناظره فيلا لولا أن سقوفها أقباء وطلاؤها أبيض . . الكهف المتواضع لأرملة عجوز . ودخلناه فاذا بقبو السقف يجعله رطباً لطيف الحرارة . . والكهف به ثلاث حجرات نوم وحجرة بها أرائك وحجرة بها مخزون الطعام وحفريات وقاعات مربعة صغيرة ولكن الكهف كله نظيف نظافة مذهلة . . وصاحبه على رقة حالها قد ملأته بأشغال اليد وتحف الفخار والنحاس والأشغال اليدوية . .

ومن الطريف أن صورة عبد الوهاب ورجاء فى فيلم الوردة البيضاء معلقة على الجدار وحولها اطار من شغل الابرة . . . ولا أدري كيف أتت السيدة بها وسألتها طامعة فى قصة طريفة ولكن نظراتها تاهت ولم تتذكر الا انها اشترتها . . .

ثم زادت دهشتى عندما خرجنا من الكوخ لنجد على يميننا مكانا واسعا لبيع الفخار المدهون فاذا بى أجدرمسييس وعربته الحربية ! وأجده مرة أخرى مصورا على حوض زهور مستطيل .

والجبسس اذا سألت أحدهم عن جنسيته لا يقول أنه أسباني أو ينتسب الى مدينة من أسبانيا بل يقول : جبسى اعتزازا بأصله الذى انحدر منه وهو درس ينقص الكثيرين . . ومن الغريب أن منهم بالاقليمية اذا انتسبنا الى مصر !

والجبسس تجار مهرة يتنقلون من بلد الى بلد ويحبون الصناعات المعدنية وهم موهوبون فى الغناء والرقص . . .

ومنهم من وصل الى الجامعة . وفى سنة ١٩٧٢ كان الكتاب المختار لتمثيل أسبانيا من تأليف « جبسى » .

والجبسس ذو أخلاقيات . . . قد توجد بينهم سرقات ولكن أصحابها دعتهم اليها ، الحاجة لا الشر .

وهم يخلصون بعضهم لبعض فلا يعرف الحسد طريقه الى قلوبهم .



الفلمنكو

عندما سقطت غرناطة فى يد « فرناندو وايزابيلا » أراد المسلمون من عامة الناس أن يواصلوا الحياة فى الأندلس فاشترطوا عليهم أن يتركوا الاسلام الى المسيحية فرفض الكثيرون وقد عز عليهم ، ولأدوا بالجبـال ٠٠٠ وكان الجبس يحبون المسلمين ويعاونونهم فخرجوا وراءهم ٠٠ جبا وفرقا ٠٠ فقد خافوا الاضطهاد بحكم هذه العلاقة .

كما رفض اليهود أيضا أن يتحولوا عن دينهم فخرجوا فارين الى الجبال ٠٠٠ جبال سيرا نيفادا ٠٠٠

وجمع بين القوم الثلاثة ، الألم والقهر والشتات فعاشوا معا وكان يطلق عليهم اسم « فلمنكو » ٠٠٠ ومن هنا كان طابع الفلمنكو ، حتى اذا غنوا ، الحزن والشجن . على أنهم يحبون الرقص والغناء والجيتار ٠٠٠

ولقد جاءت كلمة فلمنكو من لفظة « فلا » الاسبانية أى فلاح و « منكوس » أى مئاث .

فلمنكو مئاث الفلاحين الذين هاموا فى سيرا نيفادا هربا من بطش الغالب .

مرسيه

بلد المرسى أبى العباس ومن هنا نسمى فى مصر (مرسى) وأصحاب هذا الاسم يسمون ولدهم (عباس) . فى الغالب . وان كان اسم (مرسى) لا يعجب أستاذنا الدكتور أحمد أمين فقد سمعته رحمه الله فى حديث له عن دلالة الأسماء على أصحابها يقول : عندما أسمع اسم (شوقي) أحس أن صاحبه لابد أن يكون فنانا أو شاعرا . أما (مرسى) فلا يمكن أن يكون صاحبه الا « حلاقا » ٠٠ ويضحك ٠٠

رحم الله عالمنا (أحمد أمين) فمع ما فى الأسماء من دلالات وإيقاعات تريح أو تنفر فان المسألة حظوظ فأصحابها لم يؤخذ رأيهم فيها بل خلعت عليهم ساعة الميلاد .

٧٣/٧/٢٤

غرناطة

مدخلها القريب جبال على الجانبين تكاد تلامس بالأيدي لو كانت تملك الأيدي ثم تنفتح على المروج الخضراء والذهبية . . . ومع هذا

سر غرناطة

يعتقد ساكنو غرناطة أن أى انسان لم ير غرناطة وقصر الحمراء لم ير شيئاً . أما ديماس فقد قال ان الله قد خلق الحمراء وغرناطة حتى يسكن اليهما اذا ما مل بيته . أما الشعراء فقد اصطلمحوا فيما بينهم على تسمية غرناطة ، لؤلؤة الأندلس ، والأرض التى لثمتها الشمس .

ولا شك أن قصر الحمراء هو أشهر مثل قائم للعمارة الاسلامية فى أوربا ، كما هو رمز للمجد الضائع والازدهار الخابى .

الا أن القصر مر بفترات عصيبة كان فيها ملجأ للمشردين والفجر وكان لهذا أثره فى كثير من غرفه وأروقته التى حال فيها اللون وانطمست المعالم . واليوم يرى الزائر حديقة القصر العريق الطراز ، والقلعة (الكابازا - Alcabaza) ثم جنة العريف وهى حدائق رائعة ، ثم هناك صحن الأسوار (بأسوده) الرخامية السوداء ، (وصحن ميرتل - Myrtle) الى جانب الحمامات الداخلية ، للرجال والنساء والأطفال وهى تركية النظام .

يقول كيرت هيلشر . ان الموسيقى هى اللغة الوحيدة القادرة على وصف هذا الجمال ، الذى يبدو كأن قوس قزح قد سقط من السماء وانتشر فى المكان .

Wonders of the world

byronald goock

من كتاب « عجائب الدنيا »

سرنا فى مرتفعات كثيرة كانت نزيد أحيانا على ألف متر فوق سطح
البحسّر . . .

دخلنا غرناطة . . نزلنا فى فندق لوس أنجلوس . كانت حجرتنا
تطلان على الحديقة وحمام السباحة ، الفندق أنشأه أمريكان فى غرناطة
وحاولوا أن يكون على الطراز العربى فكان (مسخا) لا هو حديث ولا هو
عربى الطراز .

وصحبنا الدليل فى أول الطواف الى الكاتدرائية . . بناء فخم
شامخ مثقل بالذهب كأنه يتحدى الجمال والفن فى قصر الحمراء ، بالثراء
والبدخ .

ويعد هذا ، عجز .

وخرجنا من الكاتدرائية غير مقتنعين بالشكل نحن الذين نؤمن بعيسى
إيماننا بالأنبياء وكتبهم . . .

أمام الكاتدرائية ميسدان به تمثال كبير يمثل كولومبس يستأذن
فرناند فى الخروج لاكتشاف العالم الجديد .
ثم ذهبنا الى قصر الحمراء .

ويرجع الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق أن الاحمرار فى الاسم
من لون التربة هناك بسبب كثرة اكسيد الحديد بها (ولما كان ملاط
أبنيتها قد اتخذ من هذه التربة فقد غلب عليه اللون الأحمر الذى أطلقه
العرب على هذه البقعة) .

غابات الأشجار السامقة والباسقة على الجانبين . . . الأتوبيسات
السياحية بضخامتها كانت تبدو فى مدخله كأنها لعب أطفال تتحرك فى
هذا المكان الذى يقف فيه كل شيء فارها يصافح السماء . . .

القصر بزخارفه ورفارفه يحتوى زائره خاصة اذا كان يشاهده لأول
مرة It is the waw كما يسمى الأمريكان الشيء المذهل الروعة
الذى يطلق آهة البهر اذ تقع عليه العين . . .

لأن الحجر وأنصاع الرخام وصنع منهما الفنان دانتيل دقيقة رقيقة
وحنيات . . . الخطوط تستقيم وتستدير فى لين وسهولة كلين العيش
فى القصر . . والمقرنص من وراء دنتلا الحجر ، صفوف وراء صفوف ،
وطبقة تعلو طبقة . . . كذخائر القصر فى الداخل ، ذخائر الفن فى
خارجة . . على الجدران نممة وترصيع وألوان صيغت كلها فى أناقة
ولطف تعبير كان بنائه موسيقى أو جواهرجى .

هذه النقوش الدقيقة والكثيرة والمتنوعة من عمل الفن الشاعر ،
والفراغ الآمن ، والغنى الأمل والحياة المتذوقة فى استمتاع وفرحة .

ويلمح المستشرق غارسيا غومس ، قصر الحمراء فى الشعر العربى
الأندلسى فهو يشبه (قالييته) وعناية أصحابه الشديدة بالشكل حتى
ليبدو بعد تقطير صوره ومعانيه فى أنابيق بلاغية ، مثقلا (بالزخارف
الشعرية الأربسكية التى تشبه أن تكون « قصور حمراء » لفظية) .

سأترك تفاصيل وصف القصر بقاعاته وحجراته وساحاته للدكتور
محمد عبد العزيز مرزوق فى عدد (قصر الحمراء) من السلسلة الثقافية ،
كما فصله وأوفى الأستاذ عبد الله عنان فى كتابه الكبير (الآثار الأندلسية
الباقية) ، حتى لا تفوتنى متابعة الرحلة فنحن الآن فى طريقنا الى الجنة .
(جنة العريف) . . .

وكان أصحاب قصر الحمراء لم يكتفوا بحدائقه وخمائله فاستحدثوا
على مقربة منه (جنة العريف) أو جنة الانسان فى أى مكان .

أشجار الجازورين كأنها صفوف الجنود اصطفت على الجانبين .
الطرقات المرصوفة صاعدة فى عملية تهيئة للدخول . . . سلالم الميساء
والشلالات الصغيرة المتلاحقة . . . العبير الناعم والهمس الناعم حتى الصمت
فى هذا المكان نغم وحده . . .

إذا اشرب الوجه ليجمع المكان كله فى نظرة ، راعه ما بين أشجار
الحور والسبأ . . . انهما متداخلان فى زجراج من الخضرة والصفاء .
حوار بين زهو الخضرة وصفاء الأزرق على شعاع من نور .

كل شئ فى هذا المكان وراء قصة . . . وعنده قصة يرويها . . .
أحداث كبيرة وأعمار كثيرة دخلت فى نسيج هذه الجنة . . .
ودخلناها . . .

وكالمؤمنين سبحنا وصلينا

وكالمودعين سمعنا أغنية المياه للزهر والشجر .

الماء عنصر زخرفى كبير فى تشكيل هذه الجنة وتنعيم الاحساس
بها . . قنوات وشلالات ونافورات تتعانق خيوطها كأقواس النصر المنصوبة
لزفة العرس أو موكب ملك . . . لابد أن يكون هذا فالصفوف الخلفية

من الشجر تطل برؤوسها كما يفعل الناس فى الزفة ٠٠٠ كل يريد أن يجتلى وجه العروس أو يظفر بلمحة ٠٠ شجرة واحدة فى آخر الحديقة كانت تقف وحدها كأنها الديدبان الحارس ٠

فن تشكيلي مادته الماء والشجر ٠

بوابات من الأشجار الكاسية ٠

كل شىء فى هذا المكان صفان ٠٠ وكل الأحبة اتنين اتنين كما يقول بيرم ٠٠ هنا (كانت) زرابى مبثوثة ونمارق مصفوفة ليكون الانسان أدنى الى الطبيعة ٠ يكون معها فى صحبة ٠٠ شجرتان فى وسط البركة متعانقتان فى حركة باليه ٠٠٠ كل شىء فى الحديقة يرقص لا الكاستيناس وحدها ٠

لو دقت فى كل شىء فى غرناطة لوجدت رسم رمانة ٠٠ الرمانة شعار غرناطة ٠

أخرجت التفاحة آدم من الجنة ٠

وأخرجت (الرمانة) العرب من غرناطة ٠٠٠ وأسبانيا كلها ٠٠٠ والحقيقة أنها ليست التفاحة أو الرمانة ولكن الانسان فى المرتين أتبع هواه ولم يعرف كيف يصون النعمة ويرعاها ٠٠٠

ولكننى لم أبك مع الباكين ٠٠٠

لم أبك فالذى ضاع فى الأندلس ، الملوك ٠

ملوك العرب وملوك الاسبان على السواء ٠

ضاع بنو الأحمر كما ضاع فرناندو وايزابيلا ٠

وبقى قصر الحمراء على الرغم من المحو والتخريب فى بعض أجزائه ٠٠

وبقيت جنة العريف ٠

ضاع الملك وبقي الفن وهو الأغلى والأعلى والأكرم ٠

مهما بلغ الملوك حتى ولو عدلوا ٠٠٠ ولو عفوا لا يبقى منهم ان بقى شىء ، الا سطرر فى كتب التاريخ حين يبقى علم العالم ، وفن الرسم والمثال والشاعر نراثا تعيش عليه الأهم وتستمد منه معنى بقائها ٠٠٠

اذن علام يبكى الباكون ؟ على الأشخاص الذين لم يبكوا على أنفسهم

وعلى أمتهم ٠٠٠ على الافراد الذين يدل وجودهم لو بقوا على معنى نحاربه هو الاستعمار ؟

ان العرب موجودون فنيا في الأندلس حيث كانوا ولهذا لم أبك على الخروج المادى وانما بكيت على توقيت هذا الخروج ٠٠ فلو تأخر سقوط غرناطة كما يقول الدكتور حسين مؤنس سنة واحدة لانتشر الاسلام فى العالم الجديد بالاكشاف والتعمير وحق الاستيطان الأول فى أرض فراغ ليست ملكا لأحد ٠٠ لو حدث هذا لما استطاع أن يخرجهم أحد حتى ولو عاودهم داؤهم القديم : الاختلاف والشقاق والتناحر ٠٠٠ كان الاسلام سيكسب وطننا جديدا ٠٠٠ وطننا دائما ليس له صاحب قديم يطالب به مهما طال الأمد ٠٠٠

هنا علامة تاريخ ونقطة تحول كان يمكن أن تضيف الى حياتنا :
دينا وأمة ٠

لو حدث هذا لتغير موقف أمريكا اليوم ٠٠ موقفها الذى يقف وراءه ويصنعه يهود أمريكا لا يهود اسرائيل ٠

اشبيلية أو لؤلؤة الأندلس

المدينة الرابعة فى أسبانيا ، وهى الوسط الفنى والتعليمى والأدبى والعلمى والاسم الاسبانى لها هو (سفيلا - Sevilla) . وتقع اشبيلية على نهر (Guadalquivir) أى الوادى الكبير) وهى على بعد حوالى ٥٥ ميلا الى الداخل من مصب النهر على خليج (قادس - Gadiz) وهى مشهورة باسم لؤلؤة الأندلس ٠

وتشتهر اشبيلية بطابعها العربى ، فالشوارع ضيقة وغير ممهدة تمهيدا كاملا ٠ ففي الأعياد تمتلئ الشوارع براقصات أسبانيات فى الزى المشهور ٠ وهناك أربع أوبرات عالمية مأخوذة عن موسيقى اشبيلية وهى : « حلاق اشبيلية » ، و « كارمن » لبيزيت ، و « زواج فيجارو » لموتزارت و « دون جيوفانى » ٠

واشبيلية تفخر بقصرها (Alcazar) الذى بنى العرب فى عهد الملك أبو يعقوب عام ١١٨١ ، وأضيفت اضافات فى عهد Charles I, sabella Henry II Pedro Cruel وآخرين ٠ وكانت رائدة

اشبيلية من أكبر الكاتدرائيات في العالم . بدأ بناؤها عام ١٩٠٤
على الطراز القوطي وأكملت بعد ٢٠٠ عام . والجيرالد Giralda
كانت مثذنة لجامع اسلامي قبل أن تتحول الى برج الجرس الذهبي .

استولى المسلمون عليها في عام ٧١٢ م وظلت عربية حتى أخذها
Fernandi III of castile في ١٢٤٨ وانتعشت بعد رسو كولومبس
فيها بعد رحلته الأولى للعالم الجديد .

وتصدر : النبيذ ، البرتقال ، الزيتون ، الزيت ، الطباقي ، الأواني ،
الفلين ، الزئبق ، الشيكولاتة ، الحرير ، الصوف .

عن دائرة المعارف الأمريكية

قصة شارل الخامس المدجنين

٧٣/٧/٢٤

فى الطريق الى اشبيلية

الدليل فى حاجة الى من يدله ٠٠٠ دليلنا احتار ٠٠ نام فى السيارة
ونام عن واجبه ٠٠٠ أيقظه أحمد فضحك الركاب ٠٠٠ سرعان ما قارن
المسافرون بين ضعفه الضعيف وقوة سلفه السيدة الين ٠٠ كانت معلوماتها
غزيرة يرفدها اطلاع واسع ونفس حساسة أعطت الشرح لمسات انسانية
وتعبيرات أدبية ٠٠٠

فى الطريق مررنا بمدن أندلسية تقليدية ٠٠٠ البيوت البيضاء
المتشابهة ٠٠ الشوارع الضيقة المبلطة ٠٠٠

الطريق الى اشبيلية واد خصب ٠٠٠ الجبال ترى من بعيد وحين
تقترب وتسير سيارتنا منها بين صفيين فانها خصبة هى الأخرى خضراء
السفوح ٠٠٠

ودخلنا اشبيلية مساء فى الثامنة وعشر دقائق ٠٠٠ المدخل جديد
أى عمارات حديثة رأيت ثلاث نافورات فى ميدان واحد ٠٠٠ وتذكرت
نافورة ميدان التحرير بالقاهرة التى أخذت أجازة طويلة ٠٠

الشوارع واسعة كأنها بحر تسير فيه بواخر لا سيارات ٠

فى اشبيلية ثالث كاتدرائية فى العالم (الأولى فى الفاتيكان والثانية
« سان باول » فى انجلترا) هذا معقول ولكن أن يوضع صليب فى كل
ركن من الجامعة فشىء غير عادى ٠٠ انه لون من رد الفعل القوى الذى
يؤكد به صاحبه نفسه لنفسه بمناسبة وبغير مناسبة ٠ ان المسيحية عمار
فى القلب وقرار أكبر كثيرا من الطقوس ٠

وزرنا فى اشبيلية كنيسة (ماكرينا)انها ثانى كنيسة فيها Caravan
وهو مربع كبير عليه تماثيل : قيصر الرومان الذى سمع وشاية يهوذا وحكم
على المسيح ٠ وتمثال زوجته تشفق عليه من هذا الذنب الكبير وما يشبه

« طشتا » وأبريقا يمسك بهما خادم ليغسل لقيصر يديه من الائم ٠٠
وكهنة فى أوضاع شتى ٠ ويرفع الناس هذا على رؤوسهم تبركا وينهبون
به فى أسبوع الآلام الى الكاتدرائية ٠ وفى هذا الأسبوع يعذب الناس
أنفسهم تكفيرا عما لاقاه المسيح من محن ٠٠٠ تماما كما يفعل الشيعة
خاصة فى العراق اذا حلت عاشوراء تكفيرا عما لاقاه الحسين فى كربلاء ٠٠
الانسان هو الانسان ٠٠٠

وفى ٢٥/٧/٧٣ كان عيد قديس اشبيليه أى أجازة فى المدينة ٠٠
جميع المحال التجارية مغلقة ٠ زرنا مباني البلدية وكان فى الأصل قصرا
من قصور الملكية الاسبانية ٠٠٠ الحقيقة أنه قصر على شكل نصف دائرة
فى ميدان عبارة عن أكبر دائرة رأيتها ٠٠ القصر فى الحقيقة يشغل ثلثي
الدائرة والباقي حدائق وفى الوسط الميدان ٠٠٠ منظر غريب حقيقة ٠٠٠
وفى اشبيليه زرنا الكاتدرائية ٠٠ كانت كالعادة ، مسجدا لم يبق
منه الا المئذنة ٠



وفى الكاتدرائية وجدنا تابوتا من الرخام تحمله تماثيل أربعة يمثل
الرجال يحملون كرسثوف كولومبس اشارة الى دفنه فى هذا المكان ولكن
الدليل نفسه يعتقد أن هذا اشارة تخليد أكثر منها حقيقة ٠٠ فى جنوة
أيضا بايطاليا تمثال كبير لكرستوف كولومبس فى ميدان المحطة ٠

وروى لنا الدليل الاسباني أن التلفزيون عندهم طرح مسابقة ٠٠
موضوع من الموضوعات يتقدم كل من آنس فى نفسه كفاءة فيه ليرد على
أسئلة المشاهدين مقابل مكافأة كبيرة ٠٠ وعندما طرح موضوع كرسثوف
كولومبس بناء على رغبة الجمهور تقدم أستاذ جامعى متخصص وأجاب
باستفاضة وعلم عن جميع الأسئلة ٠٠٠ ثم سأله سائل عن جثمان كرسثوف
كولومبس فقال الأستاذ : قد يكون فى أمريكا ٠٠ قد يكون فى الهند ٠٠
قد يكون فى ايطاليا ٠٠ قد يكون فى فرنسا أو أسبانيا اشارة الى أنه
غير معروف على وجه التحقيق ٠

والكاتدرائية فى اشبيليه كسائر الكاتدرائيات الاسبانية فى الزخارف
الذهبية والفخامة المقصودة ولكن المساجد أكثر بساطة وسماحة لانها
موصلة بالسماء ، مفتوحة على النور ٠٠ ان المسلم صلته مباشرة بالله ٠٠
لهذا لا يلجأ المسجد الى الذهب الكثير والتهاويل لانه لا يريد أن يضع
رجل الدين فى مقام السدانة والكهانة والوساطة بين الله والناس ٠٠٠

رجل الدين فى الاسلام ورجل الشارع أكرمهما عند الله أتقاهما فلا يملك أحدهما دون الآخر أن يبارك التيجان أو يوزع صكوك الغفران .

ان ايمان الشرق العميق بالدين كما يقول توفيق الحكيم يمثله شهداء المسيحية أو أصحاب بدر ٠٠٠ وحين تسلم الغرب من الشرق الأديان ، (ألبسها أردية موشاة بالذهب ، ووضع على رؤوسها التيجان المرصعة بالماس ، وأقبضها صولجانات الجاه والسلطان والجبروت الأرضى ! ان الكنيسة فى أوروبا كانت - فى يوم ما - أعظم مؤسسة مالية ، وان نظامها الرأسمالى لادق نظام ٠ وأن ثروتها الطائلة لتسند ظهر أقوى البيوت العالمية ، وتقوضها اذا شاءت فى طرفة عين ، فأين ذهبت كلمة المسيح ؟) . ونساءل كاتبنا مرة أخرى :

(وكلما همت روح الانسان بالتحليق نحو الأعلى كبلتها أكاذيب الانسان وأنزلتها الى التراب ٠٠ كل شقاء الانسانية أنها لا تستطيع أن تترك شيئاً عظيماً ذا قداسة ، بغير أن تلبسه ثياباً مبتذلة مضحكة ، من حقها وزيفها وغرورها ! ولماذا أراد الناس أن يجعلوا (الله) فى حاجة الى السجاجيد الفارسية تفرش بها بيوته ؟ والسيدة فى حاجة الى (النذور) والنحف والشمع ، كأنها لا تستطيع النوم فى الظلام ؟ ثم ذلك (القمم) الفضى فى الكنيسة وتلك الاشارات والعلامات ؟ لماذا كل هذا ؟) .

وفى اشبيلية زرنا قصر شارل الخامس . لقد طلب من رجاله قصراً صورة من قصر الحمراء فى غرناطة ليكون قصراً لحكمه فلم يجدوا أمامهم الا بقايا المسلمين فى أسبانيا « المدجنين » (١) أو أولئك الذين رحلوا الى المغرب ٠٠ ان اليد العربية مدربة على هذا الطراز من البناء ٠٠

ومن الطريف أن البنائين زينوا الجدران بالآيات القرآنية وبالرموز الاسلامية ٠٠ ماذا ٠٠ هذا هو أسلوبهم فى البناء ٠٠٠

وأعجب شارل الخامس بالقصر وطلب أن يبنوا له فوقه طابقاً يكون له داراً ٠٠ ووعد رجاله أن يبنوا له خيراً من القصر العربى ٠٠

وبنى الاسبان هذه المرة ٠٠٠ بنوا طابقاً فوق القصر فكان الطابق رقعة فى الثوب الفاخر الجميل ٠٠٠ لا أقول هذا بعصبية دين أو جنس

(١) ٧٠٪ من العرب رحلوا الى المغرب والباقيون اعتنقوا المسيحية ذريعة للبقاء خوفاً من الضياع فى أوطانهم الأصلية ، اد بعد عيدهم بها فائقطع جذرهم فيها .

ولكن الدليل الاسباني نفسه قال بالنص (خير للمرء أن يضع راحة كفه فوق مستوى عينيه حتى لا يرى الدور الأعلى أن القبح المجسم) . . .

وقصر شارل الخامس باق بألوانه كما هي لم يتغير لون كما حدث في قصر الحمراء والمسألة لا تحتاج الى تعليل فهو لم يتعرض مثله للمحو والاثبات وان كان الدليل يعلل هذا بأن الفجر مروا بغرناطة وأتى عليهم الليل وهم أمام قصر الحمراء ذلك البناء الكبير المهجور في تقديرهم فدخلوا ليبيتوا فيه ليلتهم وإذا به يعجبهم فقرروا الإقامة فيه وظلوا أعواما حتى انبهرت السلطة وأخرجتهم ولكن بعد أن عاثوا فيه فسادا . . . ويبدو أن قصة الفجر هذه نكتة ساذجة يتوارى وراءها خجل الاسبان المحدثين مما فعله تعصب أسلافهم . . . فلو أن هناك تقديرا للقيم لأحيط القصر بحراس حتى لا يقتحمه أحد . . . وهل مثل هذا تظل السلطة أعواما لا تحس شيئا مما يدور فيه ؟ إذا صدق قول الدليل فهو ادانة مرتين .

ومن الطريف أن شارل الخامس بعد أن سكن الطابق العلوى أو الطابق الاسباني أمر أن تفتح له أربع شرفات تطل على القاعة العربية البناء والطراز والنقوش ، وتحيط بها حتى لا تغيب عنه في مكان من الطابق الأعلى ، وكانت عينه لا تمل النظر اليها . . .

وقد سكن هذا القصر ملوك أسبانيا على التعاقب بل سكنه الجنرال فرانكو في الأربعينات .

وفي اشبيلية « المدينة القديمة » نهر الوادى الكبير . . . زفاره لا تطاق . . . ركود . . . كوبرى هزيل متواضع يفصل بين المدينة الجديدة والمدينة القديمة ذات الشوارع الضيقة والحارات والبيوت المتواضعة والزحام وعربات اليد تبيع السلع كالمأكولات ، والأصوات العالية ، وحلوى المولد تباع فى كل مكان إذا استثنينا (العروسة) . . . ومع هذا فالمقاهى والكازينوهات منشورة على طول الشاطئ والأنوار والموسيقى وجموع الناس تشارك فى هذا كله . . . وبالقرب من اشبيلية Seville تربى ثيران المصارعة فى أراضي نهر الوادى الكبير المنخفضة .

هذه اشبيلية بلدة المعتضد بن عباد وابنه المعتمد حين كانت مركز الشعر والشعراء الذين كانوا يلوذون بأشبيلية بعد أن استولى النورمان على صقلية ، وجمال التخريب فى القيروان ، لاذ بمدينة ابن عباد ، ابن حمديس والصقل والحصرى فنهض الشعر بها نهضة أجرتة على كل نسان حتى لئرى (غسالة) تجيز شطرا من الشعر للمعتمد . وكان قد

سال وزيره ابن عمار أن يجيز الشطر فارتج عليه ٠٠٠ وبأدبرت الغسالة لتنقذه فأعجب بها المعتمد وتزوجها وهي اعتماد الريميكية المشهورة التي تمننت في قصره لو عجنت الطين برجليها كما كانت تصنع قديما ! فنثر لها كافورا وعنبيرا كثيرا ، وصنع لها منهما ما صبت نفسها اليه !

يا لسخرية القدر ٠٠ فالمدينة التي شهدت قصة الحب الشاعرة بين المعتمد واعتماد ، هي نفسها المدينة التي شهت بعد زوال ملك العرب محاكم التفتيش الدامية ورأت أول رئيس لها « توماس دى توركيمادا » Tomas de Torquemada . يتسبب في احراق ستة آلاف كتاب في يوم واحد لانه في نظره مريب أو مؤيد للالحاد . وخلال الثمانية عشر عاما التي كان فيها رئيسا للقضاة حوكم أمامه أكثر من مائة ألف . كما تقول دوروثي لودر مؤلفة كتاب « أسبانيا شعبها وأرضها » .

بقدر ما أساء هذا المتعصب الى المسيحية بما فيها من سلامة ووداعة ، بقدر ما أضاف (باخ) بأنغامه ثراء الى المسيحية بما ترجم عنها . وهذا هو الفرق بين احتراف الدين وتقى الفن ٠٠

٧٣/٧/٢٦

قرطبة

الطريق اليها الوادي الكبير ٠٠ أفسحت الجبال المكان للحقول فلم نعد نراها ٠٠ ولكنها استقبلتنا في قرطبة ٠٠ كانت واقفة وراء المدينة ٠٠ طالما وقفت وراءها ٠٠ لم تتخل عنها الا عام ١٢٣٦ م ٠٠ ولم تكن الجبال وحدها التي تخلت عن قرطبة بل تخلى عنها قبل هذا حكامها المفروض أنهم حمايتها ، بقرنين من الزمان ٠٠ صرعوها يوم تصارعوا ٠٠ ضاعت وضاعوا ٠٠ وكم يروى كتاب (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس) من مأس و لو أنهم كانوا يعرفون الاسلام حقيقة لكان لهم شأن آخر .

القلب المسلم يحس بحنان نحو قرطبة فهي المدينة الوحيدة في الأندلس وفي أسبانيا التي بقي فيها اجماع لا يزال يقاوم المحو والابادة وعوامل الفناء ٠٠ بنوا فيه عدة كنائس بل بنوا فيه كاتدرائية ثم ظل بعد هذا كله مسجدا ٠٠

لم أبك في قرطبة على المسجد فالاعتداء عليه بهذه الصورة ، بلا شك

شوه جماله وحجب الكثير من أنواره فقد حالوا بينه وبين السماء بالأحجار الصماء ، ولكنه بعد هذا كله أثبت قوته وأظهر شخصيته حتى ليترك المشاهد على اختلاف عقيدته ، ما عداه ويتجه إليه هو . . وهذا ضمان ببقائه ولو بدافع السياحة لا الفن .

فى قرطبة يحس المسلم أن له قرابة فى المدينة القديمة سيلتقى بها عندما يزور جامع قرطبة ولعل الجامع أيضا يحس هذا الاحساس .
حديقة المسجد الحالية كانت (ميمضة) وبزج الكاتدرائية كان مثذنة .

فى الجامع من الأعمدة ١٠٨٣ مختلفة الأشكال ولكن البناء العربى استطاع أن يوحد بينها فى الطول . مزاىكو المحراب لآلاء يكاد يضىء ولو لم تمسسه نار .

قبة المحراب فيها ارتفاع ووقار العالى . « ان المحراب أنبل مكان فى المسجد كما يقول صاحب كتاب (تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس) » .
لقد حافظ الخلفاء جميعا على صيانتة أو زيادته أو عمارته كما يحافظون على الصلاة لم يختص به واحد دون الآخر وكأنه الخيط الجامع الذى يربط بينهم أو بين عهودهم وكان احساسا دفيننا كان يعدتهم أنه حياتهم بعد الحياة وتاريخهم بعد التاريخ . .

بناء عبد الرحمن الداخل ولم يتمه فآتمه ابنه هشام وتعاقب عليه بالاضافة والتجميل عبد الرحمن الأوسط وبنوه ثم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر الذى أنفق عليه ١٦١٠٠٠ ألف دينار . .

وحين كتب سريو (تاريخ العرب) ذكر أن أعمدة مسجد قرطبة كانت من الرخام مكسوة بالذهب واللازورد وأن أبوابه الواحد والعشرين كسيت بالنحاس الأصفر البراق أما الباب الأوسط منها فكان مرصعا بصفائح من الذهب تعلوه ثلاث كرات مذهبة تعلوها رمانة من الذهب .

يقول كتاب (قرطبة فى التاريخ الاسلامى) ان ممرا به كسيت حوائطه بالفسيفساء كما كانت تجرى فيه الفضة ، وأن منبره كان مصنوعا من العاج ونفيس الأخشاب . وكان يتألف من ست وثلاثين ألف حشوة سموت بمسامير من الذهب والفضة كما كانت بعض هذه الحشوات محلاة بالأحجار النفيسة .

يقول كتاب قرطبة أن مسجدها العظيم (كان ينار فى الليل

بسبعمائة وأربعة آلاف من المصاييح ، ويستنفد في كل سنة أربعة وعشرين ألف رطل من الزيت ، وعشرين ومائة رطل من العنبر والنس (العود) .

أما مصباح المحراب فكان مصنوعا من الذهب الخالص ، ويقال انه كان بالمسجد تنور من نحاس أصفر لألف مصباح .

فإذا غربت الشمس بدأت في المسجد حركة المساء . . موكب الرجال الثلاثمائة القائمين على خدمة المسجد يوقدون البخور من العنبر والعود ، ويعسدون الزيت والعطر لاضاءة عشرة آلاف فتيل للقناديل ويسرى في المسجد وما حوله نفح البخور . ويتلأأ فيه النور . . ويستريح في مثواه مروان بن محمد ، ويفقر للزمان هزيمته في موقعة الزاب ما دام الأمويون عادوا فصار لهم في الغرب خلافة زاهية تضاهي خلافة غرماثة العباسيين في الشرق . . والاسلام بين الخلافتين ممعن في التحليل بجناحين من سلطان .

حتى كانت سنة ٦٣٤ هـ - ١٢٢٦ م

سقطت قرطبة .

لان الخلافة قبلها كانت دالت . . وزالت أيامها .

وتحول المسجد دون أن يحول .

تغير الزمان وأغار . . تبدل الملوك والعهود .

شيء واحد لم يتغير وظل وجودا في الوجود .

انه اسم الجامع العظيم . . « مسجد قرطبة » .

حتى حين بنى عبد الرحمن الناصر (الثالث مسجد الزهراء كان

يسمى في الجمع والأعياد الى : « مسجد قرطبة » .

وتنفتح أسبانيا الحديثة على السياحة وتنتشر فيها العمارات الشاهقة المزودة بكل الوسائل الحديثة في البناء ولكن السياح يسعون كعبر الرحمن الناصر ، الى « مسجد قرطبة » .

يذهب المال وتذهب الدول والعروش . . ويموت الملك ويظل الفن . . في دنيانا . .

هو وحده الباقي كلمة خضراء نستوعب رؤى عصر من العصور للكون بصورة مصفاة منماة . .

مسجد قرطبة تحس أن بانيه بوضاً قبل أن ينظم الأحجار فى جدار .

انه مترع بالقيمة روى من السكينة حتى ليشيع السلام فى القلب وهو الذى يحمل آثار الاعتداءات عليه كما كان المصريون القدماء يسمون أوزوريس أمير السلام ، وهو الذى قطعه سييت اربا ، وأكثر من مرة .

مسجد قرطبة له فى كل زاوية وكل ساعة رؤية جديدة . ان الفن المعماري فى تشكيل الفراغ . فن تنظيم الفراغ وهو فن يبدو للعين العادية ثابتا جامدا ولكنه فن متحرك بحركة المشاهد فهو يتقابل ويتقاطع وتداخل فيه القبوات والبواكى وتشكل الأعمدة من زوايا الرؤية المختلفة غاية معمارية .

وغير المسجد ما زالت أسبانيا اليوم تحتفظ بتحف فنية نادرة من نراث ذلك العصر مما أورده الأستاذ عبد الله عنان فى كتابيه : « نهاية الأندلس » و « الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال » .

بل ان أسبانيا تحتفظ اليوم ببقية من براعة تلك العصور فى صناعاتها المختلفة خاصة اليدوية ، التى تقع فى أسر الزخرف الاسلامى مما يبهى جيرانها من الشعوب الأوروبية .

ما زلنا فى المسجد وعند موضع الكاتدرائية من الجامع يقول الدليل: لهذا المكان كان قبلا المعبد الرومانى . أتى المسلمون فأقاموا عليه مسجدا . ثم أتى المسيحيون فبنوا فوقه كنيسة ومن يدرى متى وكيف يكون التغير القادم بعد مباراة البنج بنج يشير الى مباراة البنج بنج بين أمريكا والصين التى كانت فاتحة تلاق بينهما .

سكان قرطبة ثلث ما كانوا عليه .

فى العهد الاسلامى كان المسيحيون والمسلمون يعيشون مع اليهود فى سلام . فعلى مقربة من جامع قرطبة يقوم حى اليهود وفيه الآن تمثال ابن ميمون . ويسكنه اليوم ، الاسبان بالطبع .

وبعد حى اليهود ، شاهدنا « دوارا » أندلسيا . حجرات كثيرة تسكن كلا منها ، أسرة ولكن المدخل جميل فقد كسيت جدرانها من الأرض الى السقف بأصص الزهور .

فى عودتنا من زيارة الجامع ، رأينا تمثال ابن رشد . . . لقد إفاقوا . . .

الحرارة فى قرطبة خانقة فقد بلغت ٤٨ درجة . كان الأجانب من رفقاء الرحلة يسمون الشارع « فرنا » ولكنها على كل حال حرارة بلا ذباب وقد نسيت أن أسأل الاسبان عن سر اختفاء الذباب عندهم مع حرارة جوههم .

ولكن لم أنس الصورة الأولى لقرطبة . ان قرطبة اليوم تعلو وجهها مسحة من حزن نبيل فلا هى تزهو بأثوابها الزاهية أقصد متنزهاتها ولا هى تبعث الأنغام ولا هى تدل بالأبهة .

وتذكرت لجوء اردنيو الرابع الى الخليفة الحكم حين وفد عليه فى عشرين رجلا من وجوه أصحابه عام ١٩٦٢ وراعهما ما فى قصر قرطبة حين دخلوه ثم راعهم بعده قصر الزهراء الذى استدعاهم اليه الحكم بعد يومين . تذكرت الحكم وهو جالس فوق سرير . . . واردونيو يسعى اليه . . . للمثول بين يديه مما يصفه بتفصيل الأستاذ عبد الله عنان فى كتابه (دولة الاسلام فى الأندلس) (فلما وصل المجلس الخلافى كشف رأسه وخلع برنسه . . ولما دنا من سرير الحكم سجد أمامه ثم قبل يده . ثم ارتد راجعا الى كرسى من الديباج المثقل بالذهب) .

وتذكرت ضاحيتها الجميلة « الزهراء » وليالى شاعرتها « ولادة » وفارسها وشاعرها « ابن زيدون » وتلميذتها مهجة القرطبية ، وحفصة بنت الحاج الركونية ، وعائشة بنت أحمد القرطبية . وكان جميعا كما جاء فى نفح الطيب (موصوفات بالجمال والظرف ، الا عائشة فقد استغنت بالفهم والأدب والفصاحة) .

وتذكرت (مكتبة قرطبة) أو مكتبة الحكم المستنصر ذات المائتى ألف مجلد جمعها صاحبها من أفريقية وفارس وسائر البلدان . . لان الحكم كان حاكما وعالما حتى قالوا أنه قلما يوجد كتاب فى مكتبته الا كان له نظر فيه وتعليق عليه . . يكتب عن المؤلف وعن مولده ووفاته ويأتى بفرائب لا توجد الا عنده . وكان يجمع فى داره المهرة فى صناعة النسخ والضبط والاجادة فى التجليد ويغمرهم بالمال فكانت داره أشبه بمجمع علمى .

كان ياما كان . .

ومكتبة قرطبة ذكرتني بمكتبة أخرى مكتبة طليطلة التى قال عنها « فيادرو » فى الجزء الثانى من كتابه أن بها آثارا عظيمة تدل على ما كان للعرب من التقدم فى فن الموسيقى . . وأن (هناك جزءا من المخطوطات

فى الموسيقى عليه بعض ملاحظات بخط ألفونس العاشر ، الذى كانت كل معلوماته وتربيته العقلية مكتسبة من قراءة الكتب العربية) .

نعم فقد أقبل الاسبانيون عندما كانت قرطبة عاصمة الملك العربى ، على تعلم اللغة العربية حتى هال أسقفها الفارو Alvaro الأمر فكتب يشكو أنه لا يجد بين الألوف من أبناء طاقته من يستطيع أن يكتب رسالة باللاتينية المقبولة بينما يتقن الكثيرون العربية وينظمون فيها الأشعار بمهارة لا تقاربها مهارة العرب أنفسهم !! . وياقوت فى (معجم البلدان) يروى أنه سمع من كثيرين (أن أهل شلب يقل بينهم من لا يقول شعرا حتى الفلاح منهم إذا مر به أحد وسأله عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحه عليه) . ويقول د . أحمد ضيف أنهم كانوا ينقشون الشعر على جدران المساكن وأبنية الحكومة واتصل الشعر بالحوادث العامة والاجتماعية ، وكان من وسائل الرقى ، وكان من دواعى السلم والحرب ، وفك أسر المسجونين ، والغفو عن المجرمين) .

كل شئ وصفوه شعرا : القصور والحدائق ومجالس الغناء ومناعم الزينة وصفوا النفوس واختلاجاتها وصفوا الكنائس والأديرة . . لم يدعوا شيئا لم يصفوه حتى كادوا أن يتكلموا شعرا .

كان ياما كان . .

ولعل طريقة تعليم العربية فى الأندلس سبب من أسباب ازدهارها . فقد تحدث ابن خلدون فى مقدمته فى الفصل الثلاثين عن (تعليم الولدان واختلاف أنصار المذاهب الاسلامية فى طرقه) مشيرا الى طرق التعليم فى بلاد المغرب وفى بلاد الأندلس . وقارن بين مختلف هذه الطرق ومن هذا الفصل تتبين أنهم كانوا يعلمون العربية وأدبها من شعر وترسل مع القرآن الكريم . جنبا الى جنب على خلاف أهل المغرب والمشاركة الذين كانوا يبدأون بتعليم القرآن الكريم دون سائر العلوم .

وقد دخلت الألفاظ العربية فى اللغة الاسبانية وتداخلت وكيفتها نكييفا كبيرا فى زمن شارل الأصلى . . حتى ترجم قسيس من أهل اسبيليه فى القرن التاسع ، التوراة لتلاميذه ، الى اللغة العربية .

وقد دامت هذه الحال زمنا طويلا فى قرطبة وطليطلة حتى أن القسس ، لضيعة اللاتينية ، اضطروا الى ترجمة كتبت الكنيسة الى اللغة العربية . وبقي ذلك الى أواخر القرن الحادى عشر . . أى بعد أن استولى الفونس السادس على طليطلة عام ١٠٨٥ م .

والاسبان اليوم يقولون عن القنطرة Alcantarrilla وعن القناة Cantilla
بل أن عاصمتهم مدريد تتألف كما يقول الدكتور مكى في كتابه (مدريد
العربية) من (لفظ عربى خالص « مجرى » أضيفت اليه مقطع نهائى من
اللاتينية الدارجة (- يط) الذى يدل على التكرير) فمعنى الكلمة اذن
« المدينة التى تكثر فيها المجارى أى القنوات الجوفية التى كانت تحمل
الماء الى سكان المدينة ويوتها وحدائقها »

كان الفنان في «جوبا» أكبر من الملك «قردناند» السابع

٧٣/٧/٢٧.

مدريد

في التاسعة صباحا تحركت السيارة من قرطبة في طريقها الى مدريد . في مدريد حديقة جميلة عليها تمثال للأديب الاسباني «سرفانتس» يل تمثال «لدون كيشوت» بطل قصته المشهورة . بل ان صحراء المانشا الجرداء خلقت منها أسبانيا معلما سياحيا باعتبارها طريق دون كيشوت لما بها من طواحين الهواء .

هذا هو مكان الأدب في أسبانيا . . .

وفي مدريد زرنا القصر الملكي ويطلقون عليه لفظ Alcazar وهو كما يقول الدكتور مكى ، (تحريف لكلمة « القصر » العربية) . وهو يطل من الناحية الغربية على سهل منبسط فسيح يمتد بين القصر ونهر المانشانارس ، ويعتبر اليوم من مناظر مدريد ، ويطلق عليه الآن اسم « مرج العربى » قصر به ٢١٠٠ حجرة أعلن الدليل في بداية المطاف أنه «سيقودنا الى ٤٢ حجرة فقط فيها الكفاية لنا ، وله .

هذا القصر بناه البوليتركان ولم يشأ فرانكو أن ينزل فيه . . . مصلحة أسبانيا أن يصير متحفا . . . وباسم أسبانيا تستعمل منه ثلاث حجرات فقط فى المناسبات الكبرى : حجرة العرش ، حجرة السفراء لاستقبالهم حاليا ، حجرة الطعام فى الولائم الرسمية لرؤساء الدول :

ما عدا هذا مضروب حوله كوردون حتى لا تمسه يد . . . العيين وحدها كانت تلمس وتنفض الى بعيد .

سجاد القصر فى مواضع سير المشاهدين غطى بسجاد حديث حتى لا تطأ قدم . الستائر مغلقة بالنابلون حتى لا تتأثر باللمس .

على الأقمشة أو التلوين المعرض منها للمس في مداخل الحجرات
زجاج حفظا لها • مصلى القصر لم تمس منذ سنة ١٩٣١ •

فى القصر حجرة للساعات وفى القصر ساعة تقيد النظر يدعوها
الدليل Wow • وهى الكلمة التى يطلقها الأمريكون عند البهر الشديد •
وفى القصر أثاث ورياش ونجف « ملوكى » •••

لقد قامت فى أسبانيا ثورة أهلية دامت أربع سنوات بين فرانكو
والشيوعيين ولم يمس أحد الجانبين القصر وذخائره ونفائسه ••• الكل
احترم ملكية البلد له — اذا استثنينا حجرة البيانو فقد استطاع شقى
أن يتسلق النافذة ويحدث خدوشا فى السقف •

لم أبك فى غرناطة حين رأيت قصر الحمراء ••
ولكنى بكيت فى مدريد حين رأيت القصر الملكى الذى صار متحفا
كانه صيغ من أحداق •• متحفا يدر الملايين على أسبانيا ••
هنا فقط بكيت على قصر عابدين ورأس التين ••

متحف الفن فى مدريد :

وهو متحف جامع فهو يضم مع الفن الاسباني قسما للفن الايطالى
وقسما للفن الفرنسى وهكذا ••• طبعاً الدليل دخل بنا القسم الاسباني
واستهله بأعمال الفنان الاسباني (بلاثكا) •

(بلاثكا) كان « انسانا » •• يتجلى هذا فى لوحته (النصر) فقد
صور بريشته نصر أسبانيا وكيف سلم العدو ، المفتاح ، فاذا بالمنتصر
يأخذه فى رحمة لا شماتة •••

فى المتحف الاسباني رأيت قاعة كبيرة ليس فيها الا لوحة واحدة
••• هى لوحة La Meninas أى البنت ••• وأمام اللوحة مرآة بزواوية
معينة لتجسيد اللوحة •• وعندما تشاهد اللوحة من خلال المرآة يخيل
اليك أنها تتحرك ••• تنهض •

ان اللوحة من خلال المرآة خير منها على الطبيعة ••
على أن لوحة (الغزل) بدون مرآة تكاد العين ترى دوران العجلة •

وبلاثكا كان يجب مدرجات اللون الواحد • فلوحته (الأميرة)
تستطيع أن تسميها Red in different tones على أنى أريد هنا خاصة
أن أقف عند لوحته التى تصور كيف وقف الله وراء المسيح فى محنته ...
لا أريد أن تتخيل صورة (الله) بل رسمه ولكنى أريد أن أشير الى حرية
الفنان فى التعبير رساما أو كاتباً حتى مع الله فى قدس جلاله فما بالك
بما هو دون الاله بل دون الناس •

وبعد (بلاثكا) انتقلنا الى قسم الفنان جويا من المعرض •

الجدران مبطنة بالقطيفة الحمراء كخلفية للصورة ...

صور (جويا) بشاعة الحرب فى لوحة تمثل رجلا يأكد ابنه والدم
يقطر من فمه رمزا لقسوة الانسان على أخيه الانسان بل قسوته على نفسه
وهل الولد الا النفس النفيسة ؟

صور (جويا) بشاعة الحرب فى لوحة تمثل رجلا يأكل ابنه والدم

أما لوحة (الدين) فقد رسم فيها موكبا دينيا وفيه انسان يعزف
وآخر يلهو ، ولاهون كثيرون مشغولون بتوافه الأشياء ...

كان (جويا) يعيش فى عهد ملك أسبانيا شارل الرابع ... ولما
جاء فرناند السابع وكان جويا يكرهه ... وأراد الملك أن يعلن سطوته
ويعرف جويا أنه الأمر النهى فطلب اليه أن يرسمه فوافق جويا وهو
يخفى ابتسامة ساخرة • نعم كان الفنان فى (جويا) أكبر من الملك فى
(فرناند) السابع فقد رسمه حقا كما أراد ولكنه جعل امضاءه بالمقلوب
بحيث يعطى قارئ الاهضاء ظهره للملك المرسوم ... والى الأبد !! •
وفى بروتوكول الملوك تقضى (الجلالة) أن يترك المرء (حضرة) الملك
وهو يسير الى الوراء ... وجهة كولائه للملك الذى لا يرى - أو المفروض -
ظهرا أبدا ...

وهكذا سخر (جويا) من الملك ومن احترامه المرسوم وبروتوكوله
الموضوع والمصنوع ••

٧٣/٧/٢٨

مدريد

نصب الشهداء :

فيل زيارتنا للاسكوريال زرنا (نصب الشهداء) فهو فى الطريق اليه بينهما خمسة عشر كيلو مترا ٠٠

ونصب الشهداء بناء ضخم نحت فى الجبل عمقه ثلاثمائة متر وارتفاعه ٤٥ مترا ٠ أما الصليب فقد أقيم فوق قمة الجبل نفسه وارتفاعها ١٥٠ مترا فإذا عرفنا أن الصليب ارتفاعه أو طوله ١٥٠ مترا فوق القمة ، نبين لنا أن ارتفاعه عن سطح الأرض ٣٠٠ متر ٠

كل هذا منحوت فى الجبل وما زال الجبل يطل على المبنى ويكتنفه من الخارج ٠٠٠

أما الداخل فكالعادة كاندراية يفضى اليها باب ضخم والممر طويل على جانبيه التماثيل الضخمة البرونزية منها تمثال المسيح يضاء بالكهرباء ٠

الاسكوريال

قصر الاسكوريال بينه وبين مدريد ٥٢ كيلو مترا ٠٠٠ الدعاية عنه طنانة أكبر منه بكثير ٠٠٠ لا شئ فيه يشبه أبهة القصور ٠٠٠ انه أشبه بشكنات الجنود ٠٠٠ شكله تماما كقشلاق عابدين ٠

أحجاره صماء عيبة لا تقول شيئا ٠٠٠ أقباؤه غيبة مظلمة ٠٠٠

الاسكوريال

هذا البناء الضخم فى حرمة الجبال الجرانيتية « سيارا دى جودا راما » Sierra de Guadarrama وبني فى حكم فيليب الثانى ٠ وقد أخذ هذا البناء ٣٠ عاما لإنشائه بتكاليف ٥٧٠ر٢٦٠هـ دوكانس (العملة فى هذا العصر) ٠

بهذا القصر : ١٦ فناء و ٢٦٧٣ نافذة و ١٢٠٠ باب و ٨٦ مجموعة

من السلالم و ٨٨ نافورة وممرات مجموع طولها ١٠٠ ميل وهو قصر من طراز معروف باسم «Estilo Herreresca» طراز هيريرا . وجوان دى هيريرا (حوالى ١٥٣٠ - ١٥٩٧) كان مهندس فيليب الثانى الذى أكمل عمله أستاذه «Juan Bautista de Toledo» الذى بدأه فى ١٥٦٣ .

Wonders of the Roland Gooch

عن كتاب

وكم تبلغ ثمن تذكرة الشركة السياحية التى أخذتنا اليه أو ورطتنا فى رحلته ؟ ٣٥٠ Pizetta أى ما يعادل أربعة جنيهات مصرية للفرد الواحد !! وعرفت على الطبيعة معنى عبارة (التميز من الغيظ) حتى الأولاد كانوا يبرطمون متاففين ٠٠٠ وتساءلنا أكثر من مرة كيف يتكلف السائح هذا المبلغ لمشاهدة هذه الكتابة ثم تجعل مصر رسم المتحف ٣٥٠ قرشا !! أهو الجهل بما يجرى فى الخارج ؟ أم الجهل بقيمة ما فى الداخل ؟ بقيمة المتحف .

وسألت أكثر من مرة عن (المكتبة) مكتبة الاسكوريال هدفى من الرحلة فاذا بالدليل مرة يقول ليس هناك وقت للمكتبة !! كان الشركة أو المشتركين فى الرحلة لهم عمل آخر ٠٠٠ ومرة يقول أن تذكرة الرحلة تتضمن المكتبة وباقى القصر ولكن للمشاركين عن يوم كامل ويدفعون ٥٥٠ بزتا أى ما يعادل سبعة جنيهات مصرية ٠٠ ومرة يقول أنها مغلقة !!

ودخلنا قصر الاسكوريال حيث لم يبق غيره ٠٠ حتى الأثاث كرسى هنا وكرسى هناك ٠٠٠ ليس به شئ يمت الى القصر بصلة الا اللوحات المعلقة على الجدران والتى استغرقت احداها ستة عشر عاما من عمر الفنان ليرسمها . لقد كتب القوم تاريخهم بالريشة والألوان ٠٠٠

كتب تاريخ اليونان ، الشاعر ٠٠٠

وكتب تاريخ أوروبا ، الرسام ٠٠٠

وكتب تاريخ مصر ، الفن التشكيلي ٠٠٠

واستوقفتنى طويلا لوحة المعركة التى دارت بين العرب والاسبان ٠٠٠ هذه اللوحة وحدها تشغل جدارا كاملا طوله نحو مائة متر !! وعلى الجدار الصغير لوحة المعركة التى دارت فى البحر ٠٠٠

اذن لم يسلم العرب الأندلس تسليما بل خاضوا دونها المعارك فى البحر والبحر ٠٠

وفى الاسكوريال نزلنا سلالم وراء سلالم ٠٠ سلالم ضيقة مظلمة
حتى تخيلت أننا غصنا فى باطن الأرض وأخيرا انتهينا الى قاعة مستديرة
كسيت جدرانها بالرغوف ٠٠٠ رفوف مرصوص فوقها توابيت الملوك
والمملكات ٠٠ فقط اللائى أنجبين ملوكا ٠٠ ومع هذا وضعن فى رفوف
متتالية وحدهن ٠٠٠ أى أن قاعة التوابيت الاسبانية فيها (حريم) ٠٠
واحدة فقط شدت عن القاعدة وأصرت ، فى حياتها بالطبع ، أن يكون
تابوتها بين توابيت الرجال ٠٠٠ هى الملكة اليزابيث الاسبانية .

ومن الطريف أن بعض التوابيت ليس عليها أسماء ٠٠ انها محجوزة
للأحياء من الأسرة المالكة .

التوابيت قوائمها القصيرة على شكل قدم الأسد بأظافره ٠٠ وعلى
القاعة قبة لونها أسود محلى بزخارف من الذهب ٠٠٠ والشموع مضاءة ٠٠٠
أى أن المقبرة فيها من معانى القوة : المال ومخالب الأسد ولكن هذا كله
لم يغير من الأمر شيئا ٠٠٠ ما زالوا أمواتا تحجب عنهم التوابيت كل
شيء ٠٠٠ ذكرنى هذا بال Cemetairo فى جنوة وهى مدينة الأموات ٠٠
زرنها يوم اثنين أى عقب زيارة الأحد فالزهور ما زالت رفاة لم يلحقها
الذبول والشموع على القبور ما زالت مضيئة لم تنطفئ كشموع تحتها ٠٠
فى مقابر جنوة الرخام يتضوأ فى الشمس والفوانيس الجميلة على القبور ،
والأزهار لها تجويف محسوب فهى على قبر ألوانها مبتهجة كأنها لا تعلم
شيئا عن طبيعة المكان الذى تمرح فيه على خيوط الشعاع ولكن ال
Cemetairo برخامه وفوانيسه وشموعه وزهوره لا يرد للروح .

مهما جمل الانسان الموت وفخم القبر فالموت كريحه بغيض ٠٠
والانسان يكره الموت ويفزع منه ولكنه يتفنن فى بناء القبر ٠٠ هو هو
آخر تكريم للأحياء ؟

وفى نهاية الطواف أو المطاف رأينا حجرة الملك فيليب الثانى ٠٠
على البلاط ! سرير يقف هزيلا مفردا وسط حجرة صغيرة بلاط ، ملك أراد
أن يكون فيها متواضعا بلا جلالة أو بلاط ٠٠٠

بقي أن أقول انى مع الرؤى اكتسبت عدة كلمات أسبانية حرصت
على حفظها كبصيص لحياة كل يوم أثناء الرحلة :

صباح الخير Buenos dias سلاما Adios

ماء Agua fria السوق Mercado

Plaza ميدان بكم Quanto

Via طريق أقل Menos

Muchas gracias شكرا جزيلا وحدة العملة الاسبانية Pezeta

Por favor من فضلك رجل Hombre

ينطق فى الاسبانية خاء وحرف Mujer امرأة

وقفنا أمامها لحظات .. عيوننا لمستها .. طغنا بها .. سلمنا ..
همل الشوق وتكلمنا ..

٧٣/٧/٢٩

من مدريد الى باريس

أخذنا قطار ال Talgo (مع تفخيم التاء قليلا) فى الثامنة صباحا ..
ركبناه قبل الموعد بنصف ساعة .. وقبل أن يلحقنا ملل الانتظار انبعثت
من القطار موسيقى جميلة هادئة .. ثم رحبت أصوات نسائية مختارة ،
بالاسبانية والانجليزية والفرنسية والألمانية بالمسافرين وتمنت لهم رحلة
سعيدة وطمانتهم بأنها ستعلن عن المحطات التى يقف فيها القطار ، فى
حينها ..

الموسيقى تعزف بين الحين والحين فتزيد جمال المناظر الطبيعية
جمالا وعمقا ..

قبيل San sebastian وهو مصيف كبراء أسبانيا ويصل رجل الحدود
الاسبانى وعلم على جوازات السفر بالخروج ..

فى تمام الساعة الثانية والرابع بعد الظهر وصلنا محطة (اندايا)
Indaya مع تفخم الدال نوعا .. وهى آخر بلدة على الحدود بين
أسبانيا وفرنسا وتنطق بالفرنسية Hendaya .

مررنا أمام رجال الجمارك ورجال الجوازات فى دقائق .. لم يحاول
أحد أن يستوقفنا أو يلتفت مجرد التفاتة الى الحقائق .. واتجهنا الى
القطار الواقف على الرصيف المقابل .. وهو القطار الفرنسى الذاهب الى
باريس ..

رحلة - ٦٥

بدأ القطار يتحرك فى تمام الساعة الثانية والنصف . لاحظنا فى المحطة العمال يفسلون القطارات الواقفة فى الخارج . أحدهم يمس فرشاة ذات يد طويلة فى اناء واسع به ذوب الصابون والآخر فى أعقابهم أداة رش يفسل الصابون بالماء . هذا من الخارج ومعناه أنهم بالداخل أشد عناية .

سار القطار بطيئا أول الأمر حتى شككنا فى أننا أخذنا القطار الصحيح أى السريع . وظل الحال على هذا البطء ساعة تقريبا بعدها أخذ القطار يمرق كلمج البرق . أثبت لنا أنه السريع .

رأينا السين فى أول مرة فى ثلث المسافة تقريبا . سارت معنا شمس الغروب مسافة ربع ساعة قبل محطة تورز التى وقف بها القطار فى الثامنة والنصف مساء .

وصلنا باريس فى تمام العاشرة والنصف . لم يتأخر القطار دقيقة عن مواعده لفت أنظارنا أننا ركبنا ونزلنا ولم نر عامل التذاكر أو الحقيقة أننا رأينا ولكنه لم يدخل ديواننا (الباب مفتوح) ولم يطلب الينا شيئا . ربما لانهم يعرفون أن هذه المسألة تمت فى قطار أسبانيا ، بالشكل الوظيفى التقليدى لقد وقف عامل التذاكر الاسباني طويلا أمام نصف تذكرة أحمد وطلب جواز السفر ليطابق السن وهو ما لم يحدث فى سائر البلاد الأوروبية التى زرتها والتى مررت بها وخاصة إنجلترا فان عامل التذاكر الانجليزى فى قطار لندن لم يلتفت مجرد التفاتة الى تذكرة أحمد بل علم تذاكرنا الخمس . ومع كل تذكرة يقول شكرا Thank you بالكلمة الانجليزية وفى أدب جم حتى ابتسم الأولاد وقالوا أما كان يكفى أن يقول (شكرا) مرة واحدة حين يرد التذاكر ؟ ثم علام يشكرنا بكل هذا الأدب المفرط ؟ اننا لم نسده اليه معروفا . واجبت أن نبرز تذاكرنا عند رؤيته . وواجهه أن يعلمها ولكنه الخلق الانجليزى وفن كسب قلوب الناس .

نعود الى باريس . الحياة فى أوربا بعامة سهلة . رقد رأيت فى إيطاليا التصويرير الفوتوغرافى فى أماكن كثيرة يدخل الانسان ويصور نفسه بالضبط ، فى دقيقة ويأخذ صورته ويخرج ! انه المحرص على الوقت والمحرص على راحة الانسان وتيسير الحياة على من يعيشها .

مدينة النور :

على جانبي نهر السين ، فى الجزء الشمالى الأوسط من فرنسا ، تقع باريس وهى تعتبر المركز التجارى والمالى والسياسى فى فرنسا . على أن معظم المنتجات الثقيلة والرئيسية للبلاد تصنع فى مصانع تقوم فى أطراف المدينة وخارجها . وتحتل المدينة واحدا وأربعين ميلا مربعا وتعتبر من أكثر المدن ازدهاما بالسكان فى العالم .

ويقع قصر اللوفر على الضفة اليمنى من النهر ، وتقع الأكاديمية الأهلية للموسيقى شمالا ، وهى الأوبرا . وقريبا منها تقع كنيسة المدلين . وهناك أيضا فى مبدان الكونكورد ، وكانت توجد المقصلة التى أعدم بها ملك وملكة فرنسا أثناء الثورة .

أما الآن فان الميدان يزدان بالمسلة المصرية . ويواجه قوس النصر ، الكونكورد على امتداد شارع الشانزيليزيه الشهير .

ومن أشهر أحياء الضفة اليمنى حى مونمارتر حيث الطرق المتوية والبيوت ذات الطابع المعين ، ويمكن رؤيته من كنيسة القلب المقدس (ساكر كير) التى تقع على ربوة خضراء جميلة .

أما أقدم أجزاء الضفة اليسرى للنهر فهو الحى اللاتينى حيث تقع السوربون وهى جزء من جامعة باريس . . . على هذه الضفة أيضا يقع واحد من أشهر معالم باريس ، برج ايفل بل هو رمزها الشهير .

انها باريس عاصمة الثقافة والجاذبية والجمال . . مدينة النور .

« دائرة المعارف الأمريكية »

٧٣/٧/٣٠

باريس

اليوم رأيت مصر بعد شوق ٢٢ يوما . . فى ميدان الأوبرا سألنا شرطى الميدان عن ميدان الكونكورد حيث تقف المسلة المصرية سامخة . . ذهبنا اليها أول شيء كمن يسعى الى قريب له فى بلد غريب . . وقفنا أمامها لحظات . . نعم هى . . المسلة المصرية . . عيوننا لمستها . . درنا حولها . . طفنا بها . . سلمنا وحيينا . . فى هذه اللحظة كنا نتمنى أن يرانا الناس كل الناس ويعرفوا أننا مصريون . . أننا أصحابها . . ليت

الفرنسيين كلهم يروننا في هذه اللحظة ليعاملونا معاملة الضيف العظيم ..
أقصد ضيف ابن ناس .

ميدان الكونكورد فسيح .. ليت العمر في مثل فسحته .. وسطه
المسلة المصرية رفعوها على قاعدة عالية فكانت بطولها الصاعد صلة بين
السماء والأرض ، كما هي صلة بين مصر والعالم المتمدين ..

إذا وقفت عندها ترى على دوران الميدان متحف اللوفر وعلى بعد
قليل قوس النصر .. وعلى مد البصر برج ايفل ونهر السين .. ان ميدان
الكونكورد أو ميدان المسلة هو كل شيء بالنسبة الى السائح وخاصة اذا
كان مصرياً ..

سرنا على وعد صامت معها بالعودة ليلا ونهارا ما امتدت اقامتنا في
باريس .. من أجلها حجزنا فندقا آخر قريبا منها في نصف المسافة
بينها وبين ميدان الأوبرا .. الفندق أغلى من الفندق الأول وأقل جمالا
ومظهرا ولكن يكفيننا انه يديننا منها ثم هو يمكننا من مشاهدة أهم المعالم
السياحية لباريس ومتاجرها وأضوائها .. ان الشركات السياحية الداخلية
تجعل رسم زيارة كل معلم من هذه ثلاثين فرنكا للشخص !! وقد تورطنا
ما فيه الكفاية في مدريد .. فلنستفد من هذه التجربة في باريس .

رأينا اليوم فيما رأينا محل (لافاييت) .. انه مدينة داخل المدينة .
المثرو في فرنسا يسير في أنفاق تحت الأرض ويعبر نهر السين !!
أحلم بأنفاق تحت الأرض في القاهرة تستوعب خطوط مواصلاتها كلها
ليعود الى العاصمة الجميلة والجليلة هدوؤها ورقتها ودمايتها الأولى ..
عندما تسير المواصلات في الأنفاق ويسير الناس على كبارى المشاة تصفو
القاهرة وتهدأ بالأمن من الزحام الذي ينقل عليها .. يعود اليها وجهها
الجميل غير مكدود .. الوجه الرائق المعبر القسمات لان عالمه مملوء
بالأسرار والرؤى . وقد فسر عام ٨٤ الحلم فانشاء الأنفاق في القاهرة
على قدم وساق .

٧٣/٧/٣١

وذهبنا الى الشانزليزيه وقوس النصر .. دخلت مبكرة في الشارع
الايمن .. خدعتني خضرته ومجموعة الأشجار الكبيرة في مدخله ثم دخلت
بعد دقائق على اليسار الذي أفضي بي الى شارع الشانزليزيه ولكن في

نهاية حدائقه تفريبا ٠٠ الجسد يد في الشانزليزيه فساتين السهرة
المزركشة والمرصعة ٠٠ سأنظر حتى أرى بداية الشارع لانه الى الآن في
نظري مكرر مع جماله واتساعه ٠٠ ليس في حجم شهرته العريضة ٠٠
أما قوس النصر فعادى جدا اذا قيس بما عندنا من بوابات وأقواس
وروائع ٠

على مسار العصور

٧٣/٨/١

متحف اللوفر

على يسار الداخل قاعة للآثار الرومانية وقاعة للآثار اليونانية ولكنك
بعد أن تصعد السلم تجد القسم المصرى به عدة قاعات للفن الفرعونى
وكذلك الفن القبطى ٠٠ أما الاسلامى فقد كان مغلقا ٠٠

لوحات من عهد الأسرات القديمة ٠٠

قاعة كاملة لتمثال أبى الهول ٠٠

معبد صغير مغلف بالزجاج يضاء بالكهرباء ٠٠

نسيت أن أقول أن فى مدخل القسم المصرى منضدة عليها كتب عن
الفن المصرى منها كتاب عن (مصر فى الانجيل) ٠٠

فى القسم المصرى فاترينة زجاجية ضخمة فيها كسر أحجار من
مصطفية من عهد الملك أوناس ٠

فى الحائط بيوت زجاجية مبطنة ومضاءة ٠٠ وبعد هذا كله قطعة ٠٠
نثارة من تمثال صغير للنيل فى التحاريق ٠٠

جدار كامل عرضه ثلاثة أمتار وارتفاعه عشرة أمتار لأجل جزء من
باب طوله ٧٥ × ٥٠ سم ٠

ركن بارز لأسرة مصرية قديمة غير معروفة على التحديد ، مكونة من
زوجين وطفل ٠٠ التمثال نفسه أصله غير معروف ٠٠

الأعمدة على قواعد واسعة ٠٠ وعلى مسافات بعيدة تسمح بتركيز

الرؤية ٠٠ كل تمثال صغير له تجويف بعيد في الحائط مبنى على الطريقة الفرعونية ٠

الكاتب المصرى وضع فى فترينة من الزجاج على قاعدة عالية وسط قاعة كبيرة على مسافات مقدرة ٠٠ وأمامه أريكة من القטיפئة الحمراء ٠٠ دعوة للناس الى تأمله مسافة طويلة وفى راحة ، تسمح بتذوقه ٠٠ وأسرع الناس استجابة لهذه الدعوة ، المصورون الذين وقفوا أمامه يصورونه من زواياه كلها ٠٠

فى متحف اللوفر من مصر لوحة قاع الماء وما فيه من ضفادع وتماسيح ٠

وقطع الفخار فى فترينات كبيرة ذات رفوف ٠٠ كل رف كبير لايزيد ما يعرض عليه من ثلاث قطع ٠٠ أسفل الرف الأعلى به تجويف فلورسنت يسقط الضوء على الرف الأسفل ٠٠

تمثال من خشب Hapy D. Jefai أفردت له قاعة كاملة ٠٠

وهناك تماثيل جنائزية من الخشب ٠

وسلاسل وأطباق من المعدن ٠

وصندوق له غطاء بمجرى الذى يظن الكثيرون أن غطاء المجرى من فنون الأثاث الحديث ٠

أما ايزيس فقد وفقت فى كل جلال مصر فى قاعة عالية ارتفاعها ٢٥ مترا ٠٠ متفردة وحدها ٠٠ الجرانيت فى التمثال العظيم شفى وتشنى ٠٠

فى متحف اللوفر تمثال يجلس فى هيئة من يقرأ التشهد ٠٠ الحركة نفسها لليدين على الفخذين ! ٠٠

أوان زجاجية من العصر القديم ومكحلات زجاجية ٠٠ بورترية قماش ٠٠ مقص ٠٠ حمالة حرارة ٠٠ مبخرة ٠٠ ملعقة ٠٠ الكاويلا ٠٠ الهارب ٠٠ زهر الطاوله ٠٠ شفشق الزجاج ٠٠ الرسم على الزجاج ٠٠

كل هذا عرض فى أجمل صورة وراء خلفية من القטיפئة الداكنة ومرايا لعكس النقوش الداخلية وأنوار ٠٠

فن العرض والايحاء وإبراز الأهمية والتجميل بالنور والتعميق بالظل ٠٠

فى متحف اللوفر من مصر نماذج من الحفر على الخشب فى وحدات
•• بروضات لها محابس على درجتين للاحكام •• أدوات الزينة من ملاقط
ومراود •• مجوهرات من الذهب المصفور وعقود من الأحجار الكريمة ••
فى متحف اللوفر قاعة لاختاتون ••

تمثال الرأس على قاعدة وتحتها أرضية الفراشات •• وحول الكل
سور زجاج ••

هل نفرح ؟

هل نحزن ؟

ومشيت فى الزحام •• مرهقة من الزحام وسعيدة بالزحام ••
وحاولت الاقتراب من الناس أكثر لأقرأ الوجوه •• أليس هذا كله
ملكى أنا ؟

حين يتعائق الأدب مع الرسم
حين يستكين التعبير فى العيون
حين يسوى الخوف والرجاء بين البشر

لوحات اللوفر

قاعات فى اللوفر للوحات كبار الرسامين .. لوحة تصور هياج
البحر الموت فى الأعماق يجمع ، بعد تفرق ، الزنجى على الأبيض ، وعند
تحطيم المركب ، وفى الفزع الأسود نبدو من بعيد ، فى اللوحة ، طرف
المنارة .. أمل .

وفى اللوفر لوحة تصور دخول نابليون روسيا .. كان منتصب
القامة على ظهر حصان فى عجرة لا تخفى وتحت سنابكه ، سنابك الحصان ،
الجثث المدفونة فى الثلج ماتت معها آمالها وأحلام الشباب ، بعد أن
دفعت نمن المجد الزائف أو الغرور الأحقق ..

يتمتع المنتصر بمجد الحروب ويتجرع المغلوب علقمها .. وفى الحالىن
تدفع الشعوب وحدها الثمن ..

أجمل من لوحة القائد ، لوحة الأمل .. الخوف والرجاء الذى يسوى
بين البشر ..

وفى قاعة فيكتور هوجو تحولت لوحات القلم الى لوحات للريشة ..
عناق الأدب والرسم ..

الموناليزا أو الوجه الودود الذى تتجه نظرتة اليك فى أى زاوية
تقف فيها قريباً منها .. تنظر اليك وحدها .. لا تغتر فهي تعطى هذا
المعنى لكل من رآها .. لكل الواقفين معك بلا تفرقة .. هذا سرها .

لوحة الموت للفنان Girodet Irioso

وفىها يتشبث الرجل بالحياة .. أقدامه تغرس فى حجر الأرض
ويده تتعلق بيد زوجته .. والزوجة والهة والأولاد فزعون والرضيع يبكى
بالدموع ..

القسم الايطالى Anne Louis 1967 1842 le deluge

وفى القسم الايطالى من متحف اللوفر لوحات الفنان Van Dyck صورة تعبيرها كله مكنون فى العين • انه فنان العيون • • يتجلى هذا فى صور (شارل الأول) ملك انجلترا وصورة (الرجل والطفل) •
والفنان جورج Georges de la Tour 1593 - 1652 فى لوحته Saint Josep charpentier أجمل ما فيها انعكاس حصى الشمعة على الوجه والكفين والرداء • •

وفى متحف اللوفر . الجزء الخاص بقصر اللوفر • • استوقفتنا القاعة الطويلة المبطنه بالقطيفة الزرقاء والتي خفتم فيها الأنوار خفوتا تاما لتضىء فى الفانريينات الزجاجية على الجانبين مبرزة نفائس القصر من حلى وساعات وأدوات •

وفى متحف اللوفر مما يلى السلم مطعم Self service حتى يستطيع الزائر أن يقضى يوما كاملا •

لقد ذهبنا اليه فى الصباح والمطر يهطل بلا انقطاع وحسبنا أنفسنا وحدنا لقصر اقامتنا فى باريس مما يجعل لكل دقيقة من الوقت قيمة مهما كانت أحوال الطبيعة • • ولكننا عند باب المتحف انتظرنا طويلا فى طابور طويل ودخلنا والطابور لا ينفض • • هنا الفن للناس خبزهم والمتحف قبلتهم • • لا مخزن آثار •

المتحف المصرى فى باريس :

على طريق الشانزليزيه يقف المتحف المصرى المخصص لحقبة واحدة ، معادلا فى الأهمية لمتحف اللوفر ويزيد • • ان رسم الدخول لمتحف اللوفر ٣ فرنكات ورسم دخول متحف مصر قبل الأهرام ٤ فرنكات !

خصصنا له يوما • • على يسار الداخل ركن للمعاطف تقف فيه سيدة فرنسية نظرت الى نظرة خاصة فقلت لها فى زهو نشوان : أنا مصرية • • وعلى الفور قالت : Quelle Formidable

تطرب النساء لمرجهن بالجمال أو يفرهن الثناء كما يقول شوقى ولكن لا يسعدنى شئ كنسبتي الى اللون المصرى والشكل المصرى وأهم من هذا الجواهر المصرى • • أى القلب المصرى بعطائه وذخره •

دخلنا المتحف .. السقف زجاج مغلف من أعلى بالشاش فتحات
رفيعة بين الزجاج تكيف هواء .. سقف تحت السقف للاضاءة .. الجدران
مبطنة بالأصفر فى لون الرمال لتكون خلفية للأوانى البنية اللون .. عمود
ضخم فوق بيت زجاج مربع الشكل من أجل قدر صغير ..
انسا فى المتحف فى الفترة بين ٤٠٠٠ و ٣١٠٠ قبل بناء الأهرام
ماذا نرى ؟

أسورة من الديوريت مستديرة فى اتقان عجيب .
عقد من اللؤلؤ Perlén en cornaline فى لون العقيق
برتقالى وياقونى وأزرق وأبيض .
الرسم على حجر الشيشست (لوحة الكلاب ولوحة الثور) .
فازات فخار محلاة بالنعاس الأصفر ..
صقل ورسم ..
عقود من الودع وعقود من الأحجار الكريمة .. خيط انتظمت فيه
الحبات ..

تشكيل العاج ونقشه وتشكيل العقيق ..
أمشاط .. أطباق مرسومة من الداخل .. لا تنسوا التاريخ اننا
قبل بناء الأهرام بين ٤٠٠٠ و ٣١٠٠ سنة .
مراكب من الخشب .. خطاف من المعدن لتعليق الطعم عند الصيد .
قارورة العطر الدقيقة الرقيقة ..
تشكيل أسنان التمساح .. الاناء وغطاؤه مخرم كما نصنع
بالقلل ..
زخرفة الأوانى بتنوع التشكيل فى الجسم نفسه أو باضافات أو
بالرسم .

الاناء فى هذه الفترة بيضاوى ومستدير .. طويل وانسيابى ان
كثرة التنوع فى الشكل بله الموضوع تعنى كما يقول الصغير أحمد أن
هناك لغة للتخاطب والاتقان والتنفيذ .. ان هناك الاصطلاحات الفنية
والتصميم والتخطيط .

مسمار الكوارتز (الكاويلا) •

فازة للورد ••

قدور لها سبابيك مخرمة كالثقله للحماية والنظافة ••

السكاكين والمقصات والملاقط •

أدوات مصنوعة من النحاس والعظم ••

ابر خياطة •

نسيج Aiguilles قماش النيل - أدوات القش ، منجل الحصاد

• من الصوان Elements de faucile en silex •

مشط محلى بغزالة متقنة - دبوس شعر محلى بعصفورة صغيرة

(رفه حضارى) •

ثلاثة رؤوس وعصفوران على قاعدة واحدة •• صغيرى أحمد يقول

فى نفاذ أن هذا رمز الى وحدة الوجود فى رأيهم •• فالعصفور كالانسان

منبثق عن القوة الأعظم ••

لوحة أوزوريس وعهدها ٢٢٠٠ - ٢٨٠٠ قبل الأهرام بنقوشها

وكتاباتها وتلوينها •• فى هذا العهد السحيق عرفت مصر الكتابة والتلوين

والنقش ••

هذا المتحف وفى فرنسا يقول ان حضارة مصر أقدم من الهرم بأربعة

آلاف سنة ! ولكن المتحف يعنى أن حضارة مصر أبعد من هذا بكير •

فمقننيات هذا المتحف تعنى كما يقول ولدى أحمد انه سبقتها عملية تحضير

طويلة ••

وعندما يريد الطيبون أن يفتخروا بمصر يقولون ان عمر حضارتها

خمسة آلاف سنة ! وآخرون يقولون ربما على استحياء سبعة آلاف سنة

وهم لا يكادون يصدقون أنفسهم ويحسبون ، وسامعوه لا يقولون عنهم ،

حساب المبالغة فى هذا الرقم من باب الوطنية ولو عرفوا وعرف الناس

لقفز الرقم الى أربعة أضعافه فان العمر الحضارى لمصر لا يقل عن ثلاثين

الف سنة •

قوس النصر

أراد نابليون الأول بعد أن أحرز انتصاراته الباهرة أن يبنى رمزا لها فكلف المثال الفرنسي شالجران أن يصمم بناء هائلا يستوحى رسمه من الآثار الرومانية القديمة . ولكن نابليون لم يقدر له أن يرى حلمه « حقيقة » فتداعت امبراطوريته بعد هزائمه المتوالية .

وقد بدأ العمل في القوس سنة ١٨١١ . واستكمل بناءه الملك لويس فيليب .

ويقع القوس في وسط باريس في ميدان « ليتوال » L'Etoile ويبلغ ارتفاعه ١٦٠ قدما ، وعرضه ١٤٧ قدما وعمقه ٧٢ قدما . وتلتقى عنده أهم ثمانية شوارع على شكل نجمة . ويؤدي اليه شارع الشانزليزيه .

وقد حفرت عليه أسماء ٧٢ معركة و ٢٨٦ قائدا من قواد الجيش العظام .

وفي ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٠ دفن تحته رفات جندي فرنسي مجهول فأصبح (مقر الجندي المجهول) . ومن أجل هذا ، وليس لتخليد امبراطور سابق ، غدا قوس النصر أثرا من آثار فرنسا القومية .

برج ايفل

برج ايفل أو (سيدة باريس) كما اعتاد الفرنسيون أن يطلقوا على البرج الذي صممه المهندس ايفل وافتتح في المعرض العالمي في باريس سنة ١٨٩٩ .

وقد بنى البرج ليكون رمزا لهذا المعرض وان كان الزمن لم يفقده ، على الرغم من مرور المناسبة – جاذبيته الفريدة ودلالته الصناعية .

أما المهندس المصمم ألكسندر جوستاف ايفل فقد عرف عنه ، تفوقه في التصميمات الحديدية . . وان كانت شهرته لم ندع الا بعد تصميمه البرج .

بدأ بناؤه سنة ١٨٨٦ . وأساسه من الحجر يبلغ ٢٨٠ قدما مربعا . وبرج ايفل أقدامه الأربعة مغروسة في الأرض حتى عمق ٤٥ قدما و ٣٠ قدما .

برج ايفل Tourefele

أمامه حديقة جميلة وتصعد فيه مركبة كهربائية حتى منتصفه أى الدور الأول ثم تصعد حتى الدور الثانى والثالث حيث يرى الصاعد باريس من نقطة عالية أو على أعلى نقطة فى المدينة . .

البرج عمل هندسى باق . . ويقال ان مهندس صمم كوبرى (أبو العلا) فى مصر . وبعد أن أتمه اكتشف خطأه الفادح فالكوبرى ثابت لا يفتح للمراكب . . وعند هذا هم المهندس الشاب بالانتحار لفشله ولكن رئيسه هدأ من روعه وشجعه . . ودرس أكثر وتعلم أكثر وعمل أكثر حتى اقترن اسمه ببرج فرنسا .

ان صحت هذه القصة فهى أحسن ما فى البرج ، فى نظرى على الأقل . ان البرج نفسه تركيبات متشابهة من الحديد يرى المرء صوراً منها فى المحطات الكبرى كمحطة فيكتوريا مثلاً بانجلترا هذه هى النظرة الظاهرة ولكن البرج قطعاً فيه فن هندسى يعرفه أهل الهندسة والا لما استحق البقاء بله الخلود . .

وقد تضاربت الأقوال والآراء حول برج ايفل فهناك من يرى أنه رمز للصحو الفرنسية بعد هزيمة فرنسا فى الحرب ، ودليل على التقدم الصناعى . . بينما يرى فيه الأدباء والفنانون الفرنسيون حينذاك « الهرم الضعيف المخيف » أو « مدخنة باريس القبيحة » .

على أية حال ، أصبح برج ايفل جزءاً حيوياً من باريس حتى لتقول القصة المشهورة أن رجلاً لا يطيق برج ايفل كان يصعد إليه كل يوم مضطراً لأنه المكان الوحيد فى باريس الذى يستطيع أن يتفادى رؤية البرج منه .

حتى مونمارتر

٧٣/٨/٣

طريق صاعد . . جبل عال من السلالم . . صعدنا عشرات الدرجات ثم توقفنا . . قابلت سيدة فى خريف العمر تلهت من النزول ! سألتها ألا يوجد هنا طريق آخر الى مونمارتر ؟ وكأنها كانت تنتظر السؤال فتدافعت الكلمات اللاهثة تدلنى على انعطافة فى الطريق أستدير معها أينما استدارت حتى أصلي الى هذا المونمارتر متفادية سلالم Everest

وصلنا وتشهدنا ٠٠ تقف على قمة الجبل كنيسة Sacre Coeur
بأبراجها جبلا آخر أو قمة أخرى ٠٠ أمامنا حديقة مدرجة يبدو أنها كانت
سفح الجبل ثم لمست يد الانسان ٠٠ الحديقة خضراء زاهية مسورة من
أعلى ٠٠ وفي كل دور منها كراسي مننورة يجلس عليها الناس وما أكثرهم ٠٠
وجلسنا معهم ٠٠ الهواء ينعش النفس ٠٠ باريس تبدو من هذا المكان
مدينة قديمة ٠٠ هذا المنظر هو الرسامين يرسمونه كما يراه كل منهم
من زاويته الخاصة ويلونه من داخل نفسه ثم ينزل أدراجه أو أدراج
الحديقة يبيعه في شوارع الحي التي تبدو على البعد أثرية رفيعة ثم
لا يزيد لها القرب انساها يذكر .

نزلنا الحي ٠٠ الزحام يفرض على السائر أو الزائر الجسدي أن
يشق طريقه بصعوبة ٠٠ الناس والبضائع والمقاهي والمطاعم ٠٠ الجميع
على الأرصفة ٠٠ الحي متواضع في كل شيء كأن لم تبلغه أخبار المدنية
الحديثة وهو جزء من بلد الموضة لعل سره في القدم والغربة والطرافة
وكلها رأس مال ٠٠ انه على كل حال راض عن نفسه فيما يبدو ٠٠ بل
لعله مزهو يسعى اليه الناس ولا يسعى هو اليهم ٠٠ وبلدية باريس تسلم
له بهذا فهي لا تهتمه لتقيم عمارات حديثة أو علب كبريت حجرية ٠٠ انه
حي الفنانين والفن من طبعه الشمم والكبرياء ٠٠ قد لا يكون الأكثر ثراء
ولكنه الأغنى ٠٠

كان حي مونمارتر آخر سياحتنا في فرنسا فقد سافرنا في صبيحة
اليوم التالي الى لندن ٠٠

أشياء نعلم بها .. يعرضها التلفزيون الانجليزى

٧٣/٨/٤

وقف القطار الفرنسى فى محطة Boulouge Ferry Boat
بعد أن مررنا بالطبع مع المسافرين بمكتب جوازات الحدود .. والتي
يسمونها Boat كانت فى نظرنا باخرة جميلة مريحة .. بها صالون :
صالون كبير لغير المدخنين وصالون للمدخنين .. مطعم كبير وبوفيه
أنيق Freeshop ..

حملتنا الباخرة أو ال Ferry Boat واسمها Sea Link
الى انجلترا .. نزلنا انجلترا .. لم نحس بالجمرك .. أستطيع أن أقول
انه غير موجود .. لعلهم اكتفوا بالاجراءات المهذبة التى تمت على الباخرة ..
أخذنا القطار الانجليزى الى محطة فيكتوريا .. جاء عامل التذاكر ..
قال لنا شكرا بعدد التذاكر أى خمس مرات ! أسلوب مهذب ترك فى
نفوسنا أطييب الانطباعات منذ البداية ..

القطار يخترق الريف الانجليزى الجميل الهادئ .. البيوت ذات
الطراز الواحد كأنها فيلم كرتون .. السقف التقليدى والمدخنة .. أجمل
ما فى البيت الانجليزى حديقته .. صغيرة ولكنها جميلة .. انها قطعة
منه لا غنى عنها .. فى بعض البيوت لا تزيد الحديقة عن حجم حجرة من
الحجرات ولكن هذا الصغر نفسه يؤكد عقيدة الجمال فى نفوس الانجليز
.. لابد من حديقة مهما كانت المساحة صغيرة والبيت متواضعا ! .. انها
أدل على الشعب الانجليزى وعلى أصحابها من حديقة غناء تحيط بقصر
كبير لان هذه صنعها المكان والمال واستكمال المظهر والترف ولكن تلك
صنعتها نفس تؤمن بالأرض والزهرة واللون الأخضر وروح النبات ..

وصلنا الى محطة فيكتوريا .. عربات صغيرة لحمل أمتعة المسافرين
.. بلا مقابل طبعا .. مكتب فى المحطة يرشد الى الفنادق .. طابور خارج
المحطة لركوب التاكسيات ولكنه طابور لا ينقل على أحد لان أنواع

التاكسيات تتلاحق سراحا فى طاير هى الأخرى ٠٠ والتاكسى الانجليزى
كبير به كرسىيان فى مواجهة الأريكة الكبيرة ٠٠ حملنا السائق الى حيث
نريد ولم يعترض على العدد كما فعل السائق الفرنسى فى الصباح حيث
رفض أن نركب نحن الخمسة مما اضطرنا أن نستدعى تاكسيا آخر ٠٠
وذهبنا الى المحطة فى سيارتين ٠٠

الفندق الذى دلنا عليه أصدقائنا فندق Astour cour الفندق
فى شارع Hallam street أفخر ما نزلناه من فنادق ٠٠ طلبنا حجرتين
فاذا بهما شقتان مفروشتان كل منها تضم صالونا وحماما ٠٠ وتليفزيونا
(عند الأولاد) ومطبخا وتليفونا ٠

كسيت الأرض بساط فيروزى جميل وصفه أحمد بأنه جزء من
البحر ٠٠ لعله يقصد بحر مطروح فهو وحده الحافل بكنوز الفيروز ٠

كل شىء جميل أنيق ٠٠ أحسنا احساس البيت بعد غيبة طويلة
عن بيتنا فى القاهرة ٠٠ صنعنا الشاي بأيدينا لأول مرة فى الرحلة شربناه
حول التليفزيون أسرة ٠٠

فى التليفزيون الانجليزى برامج يفوق بعضها بعضا ٠٠ برنامج
(هذه هى الحياة) يتقصى متاعب الناس ويحققها ويشهر بالمخطئ من
المراقق العامة والخاصة ٠٠ أنه عين ساهرة على مصالح المواطنين ٠٠

برنامج دينى بلا خطايات ٠٠ هادى متفتح مقنع ٠٠ كان الموضوع
هو المسيح حقيقة أم خيال ؟ وهل الكنيسة بداية مملكته ؟ وهل الكنيسة
لها دور فى المجتمع ؟ طرح البرنامج هذه الأسئلة بلا عقد ولا خوف ٠

برنامج فكاهى نابض سريع بلا ترخص أو اسفاف ٠٠

برنامج يسخر من فهم بعض النساء قضية تحرير المرأة ٠٠

شدنا التليفزيون اليه ونحن الغرباء خمس ساعات لم تتخللها رقصة
واحدة ٠

والحرية التى يتمتع بها الانجليز ، يتمتع بها الأجانب ، فى بلادهم ،
بلاد الانجليز لا بلاد الأجانب ٠ رأيت فى Humanity اثنين ملونين يخطبان
٠٠ وقفنا طويلا نستمتع اليهما ٠٠ كلاهما كان يتدفق كأنه يقترب من
بحر العذاب الذى عاشته أفريقيا واسيا من استعمار الأوربيين ٠٠ كلاهما
كان يذكر أوروبا بأن كل ما تنعم به معصور من دم الافريقيين والآسيويين

٠٠ ودموعهم وبترو لهم وخيراتهم وأنهارهم وقنواتهم وكل ما عندهم ٠٠
اختطفته أوروبا نهبا ٠٠ وسلبته تجبرا ٠٠ سرقة في غفلتهم ٠٠

الحقيقة كان الانجليز يسمعون هذا في رحابة صدر ٠٠ وحدث أن
احتد أحد الواقفين ولكنه ما لبث أن اقتنع بل أعلن تأييده للخطيب ! ٠٠
اننى لم أنس اسنعمار انجلترا لمصر ولكنى رأيت اليوم ما كنت أسمع
به وهو أن الانجليز في بلادهم عنوان الديمقراطية وحرية الرأى ٠٠

وحين عدت الى الفندق كان التليفزيون الانجليزى يعلن عن برنامج
يدعو الشباب الى نقد الحكومة وإبداء رأيهم فيها !! ٠٠
ان انجلترا تسمح رأى أبنائها ورأى الغرباء ٠٠ وأحسست بطول
الطريق الذى علينا أن نقطعه .

٧٣/٨/٥

متحف الشمع Madame Taussaud

فى ميدان بيكاديللى بلندن ، المصريون كثيرون ٠٠ أينما سرت تسمع
صوتا يقول لك « حمد الله على السلامة » أى عرفتك ٠٠ أنا مصرى مثلك
ويضحك وتضحك أنت ٠٠ انه لقاء الغريب للغريب أو القريب للقريب .
لا يسعد الانسان فى الغربة مثل أن يصادف وجه وطنه فى أبنائه أو لغته
أو أثر منه ٠٠

فى متحف الشمع الذى تسبقه شهرته بدقة التجسيم لا يزال
المشاهدون يخطئون فى التماثيل فيحسبونها بشرا ثم يضحكون من أنفسهم
مع الناس ٠٠ ومن الطريف أن أحمد كما يقول وقف أمام أحد الناس
يتفرج عليه باعتباره تمثالا من شدة التشابه بين الناس وتماثيل متحف
الشمع ٠٠ ولا أدري ان كان هذا تخالفا منه أو ظرفا أو خيالا ٠٠

الحقيقة أن متحف الشمع لم يخطئ الفنان فى تشكيله ، التجاعيد
الدقيقة وألوان بياض العين وبقع الجلد وثنياته وعقل الأصابع والنظرة
والحركة ولأزمة الشخصية ٠٠

وقد متحف الشمع قاعة المشهورين من مغنين ورياضيين وممنين من
أصحاب الشهرة العالمية الواسعة ويخفت الضوء حولهم ليسقط دفعة واحدة

فى فنون العرض مع الاستعانة بخلفية من الصوت اذا كان مغنيا أو من أصحاب الأصوات كالمذيعين ..

ومن الغريب أن قاعة المشهورين ليس بين أصحابها المختلفى الجشسيات مصرى واحد !!

يبدو أن متحف الشمع كجائزة نوبل ، يقطع مصر !
وفى متحف الشمع قاعة الملوك والرؤساء .. وفى هذه القاعة أيضا ليس لمصر فيها الا تمثال جمال عبد الناصر .. لعله التمثال الوحيد فى المتحف الذى لا يلتبس فيه على المشاهد الحقيقة . بالتمثيل فليس فيه من النبض ودقة التشابه ما فى التماثيل الأخرى .. وليس فيه الوسامة وقراءة الطول وعرض الكتفين وبريق العينين ونفاذهما .. كل هذه الصفات افقدها التمثال أو حجبها الفنان كأنه شكله من خلال الرؤية السياسية له ..

لكأن الرجل مريض تخفى ملابسه هزالا لا يخفى .. ليس هذا جمال عبد الناصر حتى فى أيامه الأخيرة .. وأقرأ التاريخ تحت التمثال فاذا به سنة ١٩٦٥ أى قبل النكسة وعذابها وجروحها .

فهل يعرف الفن ، أيضا ، التعصب ؟

وفى متحف الشمع قاعة يسمونها قاعة الفزع .. وفى السلم الموصل اليها ، سلم جانبي من الطريف أن ورقة معلقة عليه تقول (اذا كنت تريد أن تهرب من الرعب فاخرج سريعا من هذا الباب) . ومن الطريف أيضا أو من الغريب أنه لم يخرج أحد .. هل غدا الانسان ساديا ؟ أم هو فضوله الغريزى ؟ حتى فى مقام الفزع !!

قاعة الفزع صورة حية لباستيال انجلترا أو باستيل البشرية عامة فهناك تماثيل للمجرمين وزناناتهم .. المجرمين والسفاحين والقتلة .. مشاهد كاملة تقول ان الجناة عتاة ، والقضاة قساة أيضا .. كلاهما وسيلته أو هوايته المفضلة ، الشنق والسحق والقتل والمقصلة والمطحنة .. حقا المطحنة وقد رأيناها بتروسها فى قاعة الفزع فحين أقول المقصلة والمطحنة ليس هذا من أسلوب (الاتباع) المعروف عند اللغويين ..

ان قاعة الفزع أو السجن بظلامه وقتامه فيه تماثيل هؤلاء السادة : ملك يقتل طفلين بريئين بالمخدرات خنقا ليحول دون ورائتهما للعرش !

ومملكة تقتل بنت عمها وتقف على رأسها المتدلى تنتظر سيف الجلاذ لتتأكد من نفاذ حكمها الكريم ! ..

وامرأة تجد أعصابا تشهر السكين تذبح زوجها ..

بقدر سمو الانسان وفنه .. بقدر قسوته وفظاظته .. كل هذه الأحداث جرت فى انجلترا التى ترفع تمثالا للانسانية

ومثل هذه الأحداث جرت فى باستيل فرنسا وفى كل دولة أخرى .. انها طبيعة الانسان الذى يكشف عن غرائزه عند الاختبار ، بعد كل آلاف السنين التى قطعها فى محاولة التهذيب لكى يبدو مترفقا متأنقا Gentleman

وفى قاعة الفزع شاهدا نابليون فى حجرة حقيرة على فراش الموت وأمامه ولنجتون قاهره فى واترلو يزوره أو بتأكد من موته لا أدرى فالقائد عادة يموت عقب هزيمته حتى وان تأخر اعلان الوفاة أعواما ..

وخرجنا من قاعة الفزع فى متحف الشمع لنشهد تمثيلا بالشمع أيضا لمعركة الطرف الأغر خدم مع الشمع الصوت والأضواء بالوانها ودرجاتها فكنا نسمع طلقات المدافع وأصوات ضحايا يسقطون ثم تسلط الأضواء على أرض المعركة فنشاهد الجرحى تشخب دماؤهم .. تماثيلهم طبعاً .. لقد كانت معركة الطرف الأغر ككل معركة فى تاريخ الحروب (قاعة فزع) .

ومن الغريب أن متحف الشمع الانجليزى يسلسل قاعاته بالداخل والمستائر بحيث يرى الانسان الطرائف فى أول الزيارة ثم ينتهى بقاعة الفزع ومعركة الطرف الأغر .. ولكى يمسح أثرهما أعلد فى آخر الجولة عرضا كبيرا للعب مختلفة لاجتذاب الأطفال والكبار فى الحديقة .

ولعب تذكرنا بالسفيرة عزيزة فهى تعتمد على الصندوق السحري غير أنه فى متحف الشمع يدار بالأزرار والكهرباء ووسائل العلم الأخرى .. فلعبة سباق السيارات يجلس أمامها اللاعب ويحرك السيارات بديريكسيون فى يقظة شديدة لانه اذا تصادمت سيارتان تقف ، وتخرج لوحة مضيئة مكتوبا عليها « قف » ويضطر لاستئناف اللعب أن يدفع مرة أخرى .. وهذه اللعبة تعلم الحساسية المرفهة فى القيادة ..

ولعبة كرة القدم .

ولعب الحظ ومنها لعبة عبارة عن أقراص فيها فجوات .. الأقراص

نحرك ببطء ٠٠ يسقط اللاعب عملة النقود المعدنية على القرص فاا أذاحت جزءا من نقود نحتها فان هذا الجزء يسقط بدوره من فتحة فيلتقطه اللاعب ولكن الذى يحدث أنه لا يحدث الا نادرا أن تسقط للاعب عملة أو أكثر ٠٠ ان الذى يشده فقط هو الأمل أو الطمع فى الكسب لان الأقراص محملة بنقود اللاعبين ويخيل للاعب الطارىء أن عملته ستسقط ما قبلها فتملا حيبه هو !! ان اللعبة مصممة بحيث يكسب أصحابها فى النهاية ٠٠ ولكنى أرى أن اللاعبين يكسبون أكثر لو استفادوا المعنى المخبىء ٠٠ ان القمار محصلته فى النهاية ضياع ما فى اليد على التأكيد لا أخذ ما فى أيدي الآخرين بالوهم الكاذب .

مدينة الظلال .. والخضرة .. والرأى

٧٣/٨/٨

لندن

أول ما يلفت النظر فى لندن ، وفى الحقيقة قبل لندن
منذ بدأ القطار رحلته من مدينة الحدود أو ميناء Folkstone

لندن

مركز عالمى للمال ، وقلعة للصناعة ، وعاصمة لبريطانية . كما
تعتبر من أكبر الموانئ البحرية .
ولندن ثلاثة أجزاء :

مدينة لندن - مقاطعة لندن - لندن الكبرى . والأخيرة تعتبر أكبر
مدينة فى العالم . ومركز لندن هو شيرنج كروس ينتهى فى الشمال
بميدان الطرف الأغر وحيث يوجد التمثال الشامخ لنيلسون بطل المعارك
البحرية .

ولا شك أن وجود لندن على نهر التيمس له الأثر الأكبر فى
ازدهارها . وأبلغ دليل على هذا الازدهار هو وجود واحد من أكبر وأعظم
بنوك العالم وهو بنك انجلترا . وبجانبه توجد البورصة الى جانب (لويدين)
أكبر وأشهر شركة تأمين عالمية .

وشرق المدينة على نهر النيمس ، يرتفع برج لندن حيث كان قديما
سجنا مركزيا وأصبح الآن متحفا .

وعلى النهر أيضا يقوم البرلمان وكنيسة حى وستمنستر .

أما طريق المول Mall فيؤدى الى قصر بكنجهام الملكى ، ويحيط
به من ناحية هايدبارك ، حيث يتجمع الناس عند القوس الرخامى (ماريل
أرش) ويستمعون الى الخطباء من كل لون وفى أى موضوع .

ومن أشهر معالم لندن أيضا كاتدرائية سانت بول ، وحى (سوهو)
فى الطرف الغربى ، والمتحف البريطانى .

(دائرة المعارف الأمريكية)

٠٠ البيت الانجليزى وأنا مضطرة هنا أن أصفه من الخارج فأنا لم أعاصر
أسرة انجليزية بعد ٠٠ البيت الانجليزى يمتاز بسطحه التقليدى المثلث
الشكل الذى ينشق عن مدخنة أو مدخنتين ٠٠ وليس للبيت الانجليزى
شرفات ويبدو أنه يعتمد هذا حتى لا تمتلىء بماء المطر الذى يبدو انه
انجليزى الجنسية فقلما يمر يوم على لندن بدون مطر ٠٠ وقد ألفوه كأنه
أحد أفراد الأسرة فهم يذهبون الى أعمالهم بل الى نزعاتهم فى صحبته ٠٠
معاطف المطر يلبسونها فى الصيف ٠٠ واذا أخلف المطر مواعده وطلعت
الشمس أو طالعته الشمس ابتهجوا ٠٠ حقيقة نستطيع أن نقرأ البشر
فى الوجوه ، وتزدحم الشوارع فحرام أن يضيعوا الجو المشمس ليقبعوا
فى الحجرات والا فما الفرق بين الصحو والغيم ، والهواء المنعش الذى
يكاد يطفئ هو الآخر من الفرحة ، وبين البرد ؟ أنا هنا أتكلم عن الصيف
فى لندن وعن أغسطس بالتحديد ٠٠

ومن لازمات البيت الانجليزى دواسة نابئة فى عتبة الباب تتلقى
عن البيت التنظيف دائما ، الهادى دائما ، ما علق بالأحذية من ماء الشارع
(هذه الدواسة النابئة فى مدخل الأتوبيس وسائر المحلات والمباني) .

والحقيقة التى قلت أنها من لازمات البيت الانجليزى فى الريف قد
لا تتوافر فى زحمة المدينة ولكن يقوم بدلا منها أحواض الزهور فى النوافذ
والنى يسمونها window Box .

على كل حال الحدائق العامة فى لندن من ضخامة المساحة كأن
كلا منها مدينة الظلال والخضرة ٠٠ يخيل الى أن حدائق لندن لو وزعت
على سكانها الملايين الشمانية لظفر كل منهم بحديقة جميلة تكفى للاطاحة
بينه ٠٠ لقد مشينا فى Hyde park حتى كلت أقدامنا دون أن نبلغ
نبايتها بل دون أن نقطع منها شيئا يذكر ٠٠ ان خريطة لندن كخريطة
باريس وسائر العواصم الكبرى اذا استثنينا القاهرة ، تتناثر فيها
المربعات والدوائر الخضراء بحيث لو جمعت معا لشغلت ربع الخريطة على
الأقل ٠٠ أما القاهرة فقد تم وأد جزيرتى الروضة والزمالك وذبحت حديقة
الآزبكية ويفكر أعداء الخضرة فى التهام أراضى الهرم الخضراء وتحويلها
الى مساكن ٠٠ بل لقد عز عليهم يوما ، ولم يستحووا ، أن تبقى القاهرة

حديقة واحدة فوجدوا فى أنفسهم ، ولا أدرى كيف الجراءة أن ينادوا
بتحويل حديقة الأسماك الى مدينة للملاهي !! علاجا للجبلالية فجاء الرد .
صفعة من خارج مصر اذ تبرع انسان ليبي بثلاثين ألفا من الجنيهات لتقوية
الجبلالية وحمايتها من التهدم .

وفى لندن رأيت نهر ال Thames ولا أدرى لماذا يحلو لنا أن
نكتبه التايمز . . اهتمامى الأول فى كل بلد أن أرى الأنهار . . من أجل
النيل بلا شك . . انى أراه فى البعد فى أنهار الناس . . بالشكل أو
المقارنة .

التيتمز أكبر من النيل الصغير ولكنه ليس كالنيل الكبير . قلت
للسيدة (الدليل) انى كتبت كتابا عن النيل فقالت لابد أن يكون كتابا
كبيرا جدا بل كتابا . . وكانت تحية للنيل أسعدتنى لولا أن السيدة
الانجليزية أردفت هذا بقولها : النيل الآن فى مشكلة . . لقد حجب السد
غناه وغازاته وجماله أليس كذلك ؟

تماثيل الأسود على التيمز ، السين . . كالنيل . . هل هناك علاقة ؟

فى لندن تمثال عال لأمير البحر نلسن طوله ١٦٢ قدما على قاعدة
ارتفاعها ١٧ قدما . . انه تكريم الأبطال الذين كتب على أيديهم النصر
لأمتهم . .

بل فى لندن تمثال لابراهيم لنكولن . . انه تقدير البطولة أيا كانت
وكانت جنسيتها . .

وعلى نهر التيمز يطل البرلمان الانجليزى . . بناء كبير باذخ ولكن
عظمته الحقيقية فى القيم التى يضمها هذا البناء . . قيم الديمقراطية الحقّة
وحرية الرأى والمعارضة الرشيدة ومعانى الأمن والسلامة .

ومن تقاليد البرلمان الانجليزى أنه يضع خطا أمام مكان الخطابة
لا يتجاوزه الخطيب والا تعرض للاخراج حين ينبهه رئيس المجلس أن يلزم
مكانه . . وهكذا يقوم الأمر على ضبط النفس والحركة لا الانفعال والصياح
. . قيمة .

السيدة الدليل كانت دمثة رقيقة اللفنة والاشارة تعطى الركاب
وتصطنع الأخذ منهم وتشكر بالطبع . . كم مرة شكرت الركاب على . .
على الرجوع الى السيارة !

وعندما وصلت السيارة السياحية Westminster Abby قالت
السيدة : You are all welcomed in the house of God

انها الكنيسة الانجيلية وعمرها ٦٠٠ سنة وهى فى الوقت نفسه
مقبرة العظماء ٠٠ ففيها الراحلون من أعضاء الأسرة المالكة وفيها العظماء
من نوابغ الشعب كتابا وشعراء وموسيقين ومغنين ٠٠

وقفنا أمام قبر كيتس وشلى كما وقفنا أمام قبر وتمثال جورج
فردريك صاندل وهو موسيقى ألماني عاش طويلا فى انجلترا ! ان الفن
عز الانسان فى كل مكان ٠٠ قد يختلف من الأمم الساسة والقادة ثم يظل
الفن بعيدا عن الحرب ٠٠ رقيقا على العداوة ٠٠ يعظمه الكل بلا خلاف
بينهم ٠٠ ومع هذا فان اعزاز انجلترا لجورج فردريك رفعها فى عيني
أكثر ٠٠ انه عزفان بالجميل لفنان اختارها وطننا ثانيا .

فى وستمنستر تواييت الأسرة المالكة تستند الى تماثيل للأسد وعلى
غطاء كثير من التواييت سيوف ٠٠ ولكن هذا كله لم ينازل الموت ولم
يبطل عمله ٠٠ حتى أسد خمارويه وهو حي لم يرد عنه الموت ولو أن
المؤرخين يعتذرون عنه بأنه كان غير موجود فى تلك اللحظة وأن أعداء
خمارويه الذين ناشوه بسيوفهم ما كانوا يجرؤون لو كان أسده فى رفقته
كعادته ٠٠

تواييت الأسرة المالكة تزحم وستمنستر ان لم تحدد الأسرة المالكة
التسل فلن يجد مسيحي مكانا للصلاة عندما تتحول الكنيسة الى قراة ٠٠
لقد بنى خوفو الهرم حقيقة وهو وحده أكبر من مقبرة العظماء مجتمعين ٠٠
وتبعه خفرع ومنقرع ولكن المصريين بعد هذا كفوا عن بناء الأهرامات بل
تعمدوا فى عهد الأسرة الخامسة أن تكون مقابرهم متواضعة رافعين شعار
أفضلية العمل الطيب ٠٠ ويؤكد هذا الفرق الهائل بين أهرام « خوفو »
و « أوناس » .

وهناك قبر شارل الأول ملك انجلترا وفى قبالبته فى الشارع نفسه
قبر كرومول الذى أعدمه ٠٠ الموت وحده هو الذى يجمع الأعداء .

ويدور هذا الخاطر فيما يبدو فى رأس السيدة الدليل فتقول :
Perhaps at midnight they have a word with each other
سخريه من الخصومات والصراعات الطاحنة ٠٠

وإرج لندن لا يحمل اسم مدينته وكفى كسائر أبراج المدن ولكنه

يحفظ ثروتها أيضا ففي برج لندن جواهر التاج البريطاني .. هذه الجواهر ليست ملك فرد ولو كان صاحب الجلالة ولكنها ملك لندن أي ملك إنجلترا ..

لقد تخطوا مرحلة عبادة الأفراد .

والانجليز أصحاب تقاليد فتغير الحرس الذي يجعلونه معلما سياحيا حتى لتسمى اليه كل صباح تسعون سيارة سياحية غير الأفراد ، الطريق اليه شارع يسمى Mall في لون الطوب الأحمر على جانبيه فوانيس أرضية تضاء بالغاز الى يومنا هذا عمدا وممنوع على السيارات خاصة وعامة أن تقف به .. فقط سيارات أعضاء الأسرة المالكة أو زائريها .. وجنود الحرس على رؤوسهم خوذات طويلة عالية من الفرو الأسود تكبس على جباههم تخفى حواجبهم تماما وتكاد تنزل على عيونهم .. تقاليد ..

وتغير الحرس معناه فرقة تحل محل فرقة ويتكرر هذا من العاشرة الى الثانية عشرة كل يوم .. وأثناء الساعتين يسير جنديان متجاورين من منتصف القصر الى السور جيئة وذهابا .. ومهما أوتيت من ذكاء لا يمكن أن تفهم معنى لدوخة هذين المسكينين بالذات .. ولكنها .. تقاليد ..

والحرس هنا حرس قصر Buckingham أمام القصر تمثال للملكة فيكتوريا . تمثال يدين تواجه الملكة المشهورة من خلاله ، الشارع الذي يقود الى القصر والذي يسمى .

وتقول السيدة الدليل ان التمثال في أول الأمر كان يواجه القصر فلما جاء ادوارد السابع ابن الملكة فيكتوريا ، وقد تملص من قبضة أمه الحديدية ، أدار التمثال ليكون في وضعه الحالي حتى لا تنفذ أمه من خلال النوافذ أو تدس أنفها من ثقب الباب .

قد تكون نكتة بل هي كذلك ولكنها روح الفكاهة عند الانجليز الذين نتهمهم دائما بالبرود .. والانجليز الذين خالطناهم على الباخرة أو في دعوات عندهم روح الدعابة فهل ظلمناهم ؟ أم لعلها رد فعل هذا (البرود) الذي يتندر منه الناس عليهم .

والعسكري الانجليزى يمشى كأنه ملك يتفقد رعاياه .. والانجليزى عموما معتد بنفسه حتى خادم الفندق الذى نزلنا به حين سبق رزقه وطلب

البتشيش سماه (خدمة) وقال وهو يضع أمامنا مائدة الإفطار :
Leave the service for me in the try وكأنه صاحب حق لا رجاء ..
قالها وخرج وأغلق خلفه الباب .

ماذا أقول عن لندن .. لم يبق الا أتوبيسها .. أنوبيس لندن أحمر
من دورين إما خارج لندن فلها أتوبيس أخضر .. ويبدو أن حكاية الدورين
تعجب أوربا هذه الأيام فقطار إيطاليا من دورين أيضا

وفى لندن فندق هيلتون أمامه حديقة وسط الشارع وحديقة واسعة
على اليسار وميدان حديقة وحمام يلقط الحب ولكن هيلثون القاهرة يطل
على رب الحدائق والخصب كله .. يطل على النيل .

٧٣/٨/٨

من لندن إلى فرنسا

اقتلعتنا أنفسنا من لندن اقتلاعا فقد أحببناها جميعا انها أكثر
برودة من باريس وأقل اشراقا ومع هذا أحسسنا فيها بدقيء البيت وأنس
المكان والهدوء والدعة والرغد والسهولة .. فيها وجدنا طرف الخيط منذ
اللحظة الأولى .. وفيها حققنا رغبات كثيرة قد تبدو ترفا ولكن الكثير منها
تدعو اليه ضرورات الحياة الحاضرة توفيرا للوقت والجهد .

مر الوقت من محطة فيكتوريا الى الحدود عند Folkstone (ساعة
ونصف ساعة) كأنه نوان .. كان القطار والمناظر على جانبيه والبيوت
التقليدية تصلنا بانجلترا فلما وقف القطار ثم تحرك متجها الى الباخرة
خلفنا انجلترا غير زاهدين ..

هرولنا الى الباخرة .. كانت اجراءات الخروج من انجلترا والدخول
الى فرنسا للمرة الثالثة غاية في السهولة على غير ما قدرنا .

فى الباخرة تناولنا غداءنا متأخرا بالطبع ولكن الرحلة فيها رحية
حتى أننا لم نشعر بالوقت مرة أخرى .

نزلنا من الباخرة وكان علينا أن نستقل القطار الفرنسى الذهاب
الى باريس .. ولم تكن الأماكن محجوزة ورغم أن التذاكر فى انجلترا
مفتوحة الى لوجانو بسويسرا ولكن حجز الأماكن بالأرقام مقصور بالطبع
على انجلترا باعتبارها بدء الحجز .. وعندما لا تكون الأماكن محجوزة فان

الركاب يمارسون لعبة الكراسى الموسيقية وتغدو المسألة سباقا ..

حنيف

دخلنا فندق امبسادور . فى كل حجرة انجيل واعلان شركة Omega للساعات : صابونة صغيرة فى علبة مكتوب عليها « أوميجا » وفى حجرة الأولاد ثلاث قطع من الشيكولاتة مكتوب عليها « أوميجا » !!

فى صالون الفندق ساعة تشير الى الوقت فى جميع بلاد العالم فى وقت واحد ألستا فى بلد الساعات ؟

حضر صديقنا للسلام علينا فى الفندق .. سلم علينا سلاما غاليا يليق بصديق حميم بعد غيبة طويلة ..

الفندق يطل على البحيرة .. وقد نزلنا من الغروب نسير على الشاطئ وكالعادة الأشجار والأزهار والبواخر المضياء بالكهرباء لرحلات البحيرة والمحلات الكبيرة والمطاعم والفنادق والنافورات ..

عدنا من نزهتنا السريعة من أجل برنامج التليفزيون السويسرى عن مصر .. كان المندوب السويسرى يجرى الحديث مع المهندس الفنان حسن فتحى لهذا كانت تتخلل البرنامج الذى دار بالفرنسية ، كلمات عربية . كما تخلله موسيقى وأغان مصرية .. البرنامج كان يشدنا اليه الغربة والشوق ولكننا كنا نتمنى أن نرى عن مصر أفضل من هذا وأكثر تركيزا وأبعد رؤية طبعاً ليس ذنب الفنان المصرى حسن فتحى ولكن أصحاب البرنامج كان فى تخطيطهم نقط بعينها .

على الشاطئ الآخر من البحيرة (رأينا) جراج السيارات تحت الماء أى تحت سطح البحيرة وفوق قاعها أى أن الجراج بين طبقتين من الماء أو هو نفسه طبقتان من الأرض !! كيف ؟ « شفتوا » ماء البحيرة فى هذا الموضع ثم بنوا .. طبعاً هذه الجملة معناها فن هندسى كبير لا أعرف بالطبع تفاصيله ولكنى أعرف وأرى أنهم يطوعون كل شئ لارادتهم ، بالعمل لا بالاناشيد الحماسية أو الأشعار .

ركبنا مع صديقنا قارباً فى البحيرة الى الشاطئ الآخر ثم قطعنا على الأقدام مساحات كبيرة متصلة من الخضرة حدائق وراء حدائق وزهور وألوان حسي وصلنا المطعم وقد علق على واجهته لافتة كبيرة تقول (سعيد

الحظ جدا من يكتب له العودة الى هذا المكان مرة ثانية) اغراء ودعاية
الحظ جدا من يكتب له العودة الى هذا المكان مرة ثانية) اغراء ودعاية بفن .

اقتربت الساعة من الواحدة بعد الظهر وفطارنا موعده الثانية
الا ربعا فاستأذنا في لهفة لا تخفى ولكنه ضحك ضحكة معناها لا تخافوا
كل شيء هنا يسم في سرعة وسهولة . . بالنليفون طلب ناكسيين . . بعد
دقائق حضر احدهما . ركبنا وقبل أن نتحرك حضر الثاني . . ركب هو .
ذهبنا الى الفندق . ثم ذهبنا الى المحطة . وجدنا القطار فيها . . ركبنا . .
وأخذنا أماكننا في ديوان مستقل وأخذنا نتبادل مع مضيفنا كلمات الشعر
والوداع . ونظرنا الى ساعة المحطة . . كانت الثانية الا ربعا وبضعة ثوان .
فنظرنا نظرة استغراب كيف لم يقم القطار ولكنه ضحك مرة ثانية وقال .
أما لا يزال بضع ثوان لن يتحرك قبلنا . . وفي تمام الساعة الثانية
الا ربعا تحرك القطار ! لم ينعاق بأذياله أحد يخرج نفسه على الرصيف . .
لم يمر من الأبواب أحد في آخر لحظة . . كل شيء هنا محسوب حتى
نصرفات الناس وسلوكهم اليومي .

وتمنيانا . . يا طول ما تمنينا في هذه الرحلة .

عندما نخسر مصر الانسان

قابلت صديقا مصريا فى جنيف .. الحقيقة أنه عثمانى الأصل
مصرى المربى والنشأة والجنسية .. بعد هذا .. ترك مصر أو تركه مصر
منذ اثنى عشر عاما .. الحقيقة أنها ضيعه لتكسبه سويسرا فقد كان
شعلة تتقد بالنشاط والعمل وبالطبع بالنجاح .. أعطى مصر أحلى سنى
عمره وكافح ونجح .. كسب المال ولكنه أنفق الكثير مما كسبه فى وجوه
الخير وفى اسعاد الناس ، ثم جرفه التأميم فرحل وبدأ من جديد فى
سويسرا ومن جديد نجح وأثرى ..

لا ألومه فرأس المال لا يطيق الخوف أو المباغطة ..

حين سلم علينا كانت كل خالجة فيه تهتز .. كل جارحة فيه تشد
على أيدينا وأحسست أنه لا يسلم علينا وحدنا .. اننا فقط نبتة منها ..
لحة واحدة .. وتبقى هى الكل .. وهذا السلام لها من خلالنا .. لقد
شاقته مصر وكان الشوق أقوى من السنين .. كل ما ينتمى إليها يبعث
الحنين ..

ورأيت التمرة ناضجة فدنوت منها أقطفها ..

— مصر بتسلم عليك ..

قلتها له وانتظرت ..

— ان ما فقدته هناك عوضته هنا .. ولكنها هى لا تعوض أبدا مهما
شرق الانسان أو غرب .. مهما طوى الأرض وطوف فى الآفاق .. ان
الانسان يغسل نفسه بالصابون من كل ذكرياته عن مصر حتى يستطيع
أن يعيش فى غيرها الا أشقته المقارنة خاصة فى أوربا حين يتحكم العقل
وحده ولا مكان للغة القلب .. ويستمر :

· وحين أتنقل فى البلاد وراء أعمالى ويحل موعد العودة الى جنيف أجد
نفسى أقول أرجع لمصر حين أقصد جنيف مقر اقامتى العالية .. الرجوع
مقتون فى وجدانى وعلى لساني بمصر حين أتحدث عن غيرها .. انى الى

الآن أحسب مالى بالجنيه المصرى .. أتعامل مع الناس هنا بالفرنك والدولار والاسترليني .. ثم أخلو الى نفسى وأعيد الحساب بالجنيه المصرى .. هواية أرتاح اليها ..

مصر بنت الشمس وأما .. ان المصرى حين يصيف يبحث عن ظل وهواء ولكننا فى أوروبا وفى الصيف نبحث عن شعاع شمس وهذا عامل كبير من عوامل الرحلة الى أسبانيا .. فى شتاء أوروبا فند يقابل الانسان صديقا فى الطريق ويريد أن يكلمه فلا يستطيع .. جمد البرد الكلام على الشقاء لانه ، جمد الأفواه .. أما فى مصر فى ليالى الشتاء بله الصيف كنت أذهب من مصر الجديدة الى الهرم للعشاء والسهر .

قلت له بعد حديثه الحميم عن مصر .. مصر تنتظرك ومصر تعرف أن جهودك اضافة اليها .. وهنا ابتسم فى أدب جم استطاع أن يحجب نورتها وان لم يستطع أن يخفى مرارته وقال :

— لن أنسى مصر أبدا .

وأيقنت أنه لن يعود على الرغم من اقتران لفظ العودة فى أعماقه بمصر — وسكت أنا ولكنه هو استمر فى الفضفضة .. قال : هنا يعمل كل انسان ولا ييقل على غيره حتى ولو بلغ أرذل العمر ولكن مصر بال ٣٧ مليوناً تسبقها سويسرا بالخمسة ملايين نسمة لان الذين يعملون جادين فى مصر ، مليون وهذا المليون اليتيم يحمل الـ ٣٦ مليوناً على كتفه .. فهم عبء عليه .. ان الكثرة العددية تمثل قوة حين تنتج أما حين تتفرج فانها تشكل معضلة يصعب حلها .. يصعب فى كل شئ فى المسكن والمأكول والتعليم والانتقال والعلاج .. يصعب فى كل شئ ..

هنا يعمل الانسان ويحيا لانه يكسب ولانه متحرر من الخوف .. الحرية فى الداخل والخارج مفتاح غنى الشعوب .. حتى دول الاستعمار شرعت تعتنق هذه النظرية فمئذ سنة ١٩٤٥ أخذت تفكر بأسلوب جديد فبدلا من البحث عن بلاد الغير لاستعمارها وفتح أسواق لمنتجاتها .. فكرت فى زيادة الاستهلاك المحلى برفع مستوى المعيشة وزيادة دخل الأفراد .

والسلام ؟

ابن السلام رضى ساجز عن يريد التقدم والازدهار .. المثال من المانيا ،فرنسا بعد حروب ١٨٧٠ ، ١٩١٤ ، ١٩٣٩ .. كان الفرنسى يقول عن الالمانى Sale Bauche وكان الالمانى يقول عن الفرنسى (Femme

وسقطت في الحروب الطاحنة بين الدولتين والأمتين ملايين القتلى ثم تصافيا
وكونا شركة الألزاس واللورين تصافيا حتى غدا الفرنسيون ينسبون أخطاء
الألمان الى النازي في عملية تنقية ومصالحة مع النفس ومع الغير .. ان
القديسين ليسوا رجال الدين ولكن دعاة السلام من رجال السياسة الذين
يحقنون دماء شعوبهم ويردون أموالها عليها فيعم الرخاء .

ولم تخب حماسته بل استمر في تدفقه يقول : ما أحرى الأوطان
أن تسمى أحياء ليكون العالم بلد الجميع .. يقول الانسان أنا عايش في
حي سويسرا أو في حي فرنسا .. ممكن .. أن حي سبيرا أكبر من الأردن
.. هناك شارع في « بازل » أحد جانبيه ألماني أى يدخل في حدود ألمانيا
والآخر فرنسي ووسطه سويسري !

ان سكان جنيف ٣٠٠ ألف لا يزيد السويسريون منهم على ١٢٠ ألفا ..
اذن رخاء سويسرا وراء الجهود الأجنبية والعقول الأجنبية .. وكذلك
اسرائيل صنعتها الخبرات الكنبرة التي عاشت في جميع أنحاء العالم وعرفت
أسرار النجاح والتقدم فطبقتها في دولتها الجديدة .. هذا العامل بالطبع
بعد العامل الأول وهو غفلتنا وجهلنا وخطابيتنا .. ليست ثلاثة ألفاظ
ولكنها رؤوس موضوعات تدخل تحت كل منها تفاصيل كثيرة ..
ومريرة ..

لوجانو

غادرنا جنيف الى لوجانو .. أهم ما فيها القطار المدرج الذي صعدنا
به الجبل في لوجانو .. قطار يقف على سلالم .. يخيل اليك قبل الركوب
أن الجالس فيه سيكون في وضع مائل الى الوراء .. وأنه عندما يبدأ
في الصعود سيزداد هذا الميل حتى يستلقي الراكب على ظهره ولكننا ركبنا
وصعدنا الجبل به وكأننا في خط مستقيم .. لا ميل ولا استلقاء بل أمن
وراحة ونعيم ومباهج .. شيء رائع حقا أن ترى القطار يصعد بك ويمعن
في الصعود وكأنك في طائرة بلا خوف .. طائرة تسير على الأرض ..
تسير في البداية بمحاذاة البيوت ثم تعلو عليها وترى سقوفها .. والبيوت
هذه صفوف فوق صفوف .. وبعد أقل من ثلث ساعة عندما تكون في
طريقك الى القمة ، تبدو لعينك بيوت الصف الأول كأنها لعب أطفال وتنظر
من نافذة القطار الى أسفل فاذا الكبارى تحتك كوبرى فوق كوبرى
والسيارات تمرح فوقها في حجم سيارات الأطفال دليل البعد .

القطار يصعد والعين تكتشف سر الجبل وتتوغل فيه . . . مداخل
وعخارج وأنفاق تدخل وتخرج منها القطارات . . . غابات من الأشجار أنبتها
في الصخر الصلب المطر . . . الماء سر هذه الحياة الخضراء التي ترف في
السفوح أوراقا وأغصانا . . . وتتدخل يد الانسان في بقعة أو أخرى ولكن
شخصية الطبيعة هي الغالبة في الجبال . . . ثلوج على القمم ، ونهيرات من
فضة سائلة على السفوح ، وبحيرات في الوديان ، وقنوات فلم يبق على
الانسان في هذه البقعة من الأرض الا أن يبني ويعمر فيبنى . . . وجمل ما بناه
فالشرفات زهور ، والميادين حدائق ، والتأفورات شلالات من النور . . .

وقطار الجبل أو القطار المدرج يقطع الطريق الى القمة على مرحلتين
فالخط ينتهي في نصف المسافة ويبدأ خط جديد من النصف الى القمة
يلحق به الراكب عند نقطة المنتصف . . . ومن العجيب أن القطارين : الصاعد
من أسفل والهابط من أعلى يصلان الى نقطة المنتصف في وقت واحد . . .
في ثانية واحدة !!

ومن أعلى القمة بدت مدينة لوجانو الجميلة أشد روعة . . . عالما آخر
في عين أبناء الوادي . . . عالم الجبل . . . هذه مدينة جبلية ، ومدن سويسرا
كلها مدن جبلية كما رأيت بعد . . . ولكن فتنها أعطت (للجبلية) معنى
آخر فكل شيء في هذه المدينة ناعم مصقول مغسول ، أنيق ، رفاف مدينة
جميلة كأنها انبثقت من بين الشجر والمياه والجبال فالكل يحوطها في
حنان وروعة . . . وفي المساء يتلألأ الجبل بأنواره كأنه جبل الأولمب يقيم
الزيينات للشعراء والخالدين الصاعدين فيه . . .

كل شيء في مدينة . . . « لوجانو » صاعد نازل مع السفوح والقمم . . .
حتى الشمس التي تؤثر الشرق حيث تطلع كانت معنا في لوجانو فترة
وجودنا فيها كأنها قادمة من مصر هي الأخرى .

وبمناسبة الشمس تعتبر لوجانو أشد بلاد سويسرا بل بلاد أوربا
تمتعا بها . . . وإعلانات سويسرا السياحية تذكر فيما تعدد من محاسن ان
الشمس تطلع في « لوجانو » ٥٤٩ ساعة في السنة على حين تطلع في
باريس ٣٢٩ ساعة ، وفي برلين ٢٤٦ ساعة ، وفي لندن ٢٣٣ ساعة !!
وساعات الشمس في السنة كما يقولون ٢٢٤٨ ساعة .

كل هذا الزهو بخمسمائة ساعة أي أقل من ٢٥ ٪ من ساعات
الشمس . . . والذين تغدق عليهم الشمس بلا حساب لا يستغلون طاقتها
في العالم ، ولا يستفيدون منها في سياحة ولا يشيرون اليها في اعلان .

لقد قضينا فى لوجانو ثلاثة أيام سافرنا بعدها الى زيوريخ ونحن
نحمل أنفسنا حملا على مغادرتها ٠٠٠ كل شىء فيها يستبقيك مدة أكثر ٠٠٠
معاملة أصحاب الفنادق المهدبة (والسويسريون مشهورون (بالفندقة))
بكل أبعاد هذه الكلمة ٠٠ والنظافة المطلقة حتى لم يقع نظرنا مرة واحدة
على ورقة ملقاة فى شارع ٠٠ صناديق النظافة المعدنية - لا الزباله -
منتشرة فى كل مكان وعلى مسافات قريبة تجعل أى انسان أن يلقى شيئا
على الأرض وينال من نظافة المدينة وهى احدى قيمها الكبرى ٠٠ حتى قمة
الجبل الذى صعدناه بها صندوقان للنظافة ٠٠ القمة البعيدة عن الأعين
والنقد حرصوا على شفافيتها ٠٠ ان خير النظافة ما كان طبعاً لا تطبعاً ٠٠
تناولنا الغداء مرة فى مطعم وهو محل تجارى كبير من خمسة طوابق
خصص الدور الرابع منه ليكون مطعماً ومقصفاً على طريقة (اخسلم
نفسك) .

المطعم يحيط به مجرى كهربائى توضع به أولا بأول الأطباق والأكواب
الفارغة ويدار الشريط فتتحرك الأدوات وتذهب الى مكان الغسيل ،
وتتخلص الموائد على الفور من كل مستعمل لتستقبل جديداً ٠٠ حياة
ميسرة هادئة .

وقد لاحظت هذا الهدوء فى المواصلات العامة ٠٠٠ الأتوبيس محطاته
ظليلة بها كنب للجلوس والشارع أمامها مخطط بعلامة واضحة ومكتوب
على أرضه أمام المحطة . والصعود من باب والنزول من آخر . والكمسارى
جالس فى مكان خاص به عند باب الصعود . يتقدم اليه الراكب ويشترى
تذكرته قبل أن يدخل فلا صياح من الكمسارى ولا تزويغ من الركاب .
كل انسان يعرف واجبه .

وفى محطات السكة الحديد خزائن للأمتعة بأرقام يحفظ المسافر
فيها أمتعته مقابل مبلغ زهيد من المال ٠٠ يفتح الخزانة رقم كذا ويضع
حقائبه ثم يقفل بابها ويضع القرنك المطلوب فى مكانه من الباب ويدير
المفتاح فتقف الخزانة ويأخذ المسافر المفتاح الذى يحمل رقم الخزانة
والذى لا يخرج من الخزانة الا بعد الدفع ٠٠ وبهذا يستطيع الانسان أن
يقضى مصالحه فى المدينة متحفظاً من أحماله حتى يحل موعد القطار فيفتح
الخزانة ويأخذ متاعه ويترك فيها المفتاح كما كان ٠٠ وبالطبع لا خوف
من نسيان المفتاح مع مسافر لانه ما دامت مفتوحة فلا يمكن اخراج المفتاح
الا بالنقود كما أشرت ٠٠

وفى المحطة أقراص دائرية أتوماتيكية تضغط على زرار النور ،
وتضغط على زرار آخر فيدور القرص (يمكن ادارته بالتحريك) فيلف من
الداخل شريط به موعد القطار الذى ستركبه فأمام رقمه موعد تحركه
وموعد وصوله وهكذا .

محطات الترام نفسها معلق بها قائمه بمواعيد وصول الترام الواحد
بعد الآخر ، الهدوء هناك شئ غال يحرض القوم عليه . فالكراسى بعجلات
حتى لا تحدث صوتا فى تحريكها . . السلاله مكسوة والا ثبتوا فى الوسط
كاوتشوك حتى لا يسمع للصعود أو النزول صوت . النوافذ مغطاة على
الشوارع التى بها حركة مرور يصنع لها أربع ضلقات من الزجاج لتعجب
الصوت حجباً يكاد يكون تاماً . . المصاعد فى المحلات التجارية ، كل دور
تسمع فى ميكروفون المصعد صوتاً هادئاً مريحاً يعلن رقم الدور
ومحتوياته . .

والأمانة فى هذه البلاد قيمة كبرى فقد رأيت فى جنيف أتوبيساً
وضع فى المحطات التى يمر بها صناديق لقطع التذاكر . يتقدم الراكب
الواقف على المحطة ويضغط على زر بعد أن يضع قيمة التذكرة فى الثقب
الخاص بها - فى الصندوق ثلاثة ثقوب تقابل الفئات الثلاث للتذاكر حسب
طول المسافات - فتطلع التذكرة . وعندما يحضر الأتوبيس يضغط الراكب
على زرار فى الباب فيفتح ويركب ومثل هذا فى النزول . .

والأتوبيس ليس به كمسرى يلهث وراء الركاب ويحاصرهم وليس
به مفتش . ضمير الراكب هو الذى يحكم المسألة كلها . . وهكذا تربى
الشعوب بلا مخابرات أو قتل الثقة أو اشاعة الخوف فى النفوس .

المباني القائمة تنصب فى الطريق الذى تقوم فيه سقفا على أعمدة
بشكل مهذب لا يشوه الطريق ولا يعوق حركة المرور . . أى تقييم ممرا
للمارة تضيئه بالكهرباء ليلاً وهذا الممر المسقف أو السقف الحافظ لحماية
الحياة أيضاً . .

الفنادق كل فندق يعطيك بطاقة (كارتا) عليها اسمه وعليه خريطة
المدينة وشوارعها موضحاً عليها بالاسم موقع الفندق من المدينة والشوارع
التي تؤدى اليه .

محلات الجزارة تعد اللحوم اعدادا كاملا حتى البفتيك نحفظه قطعاً
منبلة جاهزة وست البيت تختار العدد المطلوب لأسرتها وما عليها الا أن
تضعها على النار بضع دقائق .

ان معدل السن، عندهم أعلى منا بكثير . . . لنوعية الغذاء ونوعية
الحياة أيضا .

كيف غاب عن الكبار .. مالمحه الطفل فى لحظة

زيوريخ

توجهنا الى محطة (لوجانو) لنأخذ القطار الى زيوريخ . وحدث أن تأخر القطار عن مواعده . ولكن المحطة لم تترك المسافرين يتخبطون فكانت تعلن فى الميكروفون كل دقائق أن القطار تأخر مدة كذا سيتأخر كذا دقيقة أخرى ...

وصل القطار ، بدأ يتحرك ثم انطلق مسرعا كأنه يعوض التأخير وعلى كل حال وصل زيوريخ فى الموعد بالضبط .

أحسنا فى اتجاه القطار الى الشمال أننا نرتفع فقد بدأنا نطل على أسطح العمارات العالية ونشرف على المدينة تحتنا مربعات ودوائر خضراء زاهية . والبيوت صاعدة ونازلة ولكنها كلها ذات طابع واحد فى البناء . . . السقوف المنحدرة حتى العمارات العالية قليل منها مسطح السقف .

أن تكون مدينة ذات طابع واحد ، شئ له معناه الكبير . فالطابع المميز وراءه شخصية واضحة وجدت طريقها . . . اننا حين نتأمل بيوتنا حتى الجديد . . . بيوت القادرين الذين يتعمدون طرازا معينا ، نجدها أنماطا متعددة فبيت على الطراز الفرعونى ، وبيت على الطراز العربى ، وبيت على الطراز الأوروبى . . .

وبالطبع أزيأونا كذلك وأساليب عيشنا أيضا ! بل أن البيت الواحد يجمع أكثر من أسلوب ، وأكثر من زى ، وأكثر من عقلية ، وفقا لنوعية التعليم !

أمامنا شوط طويل لنقطعه .

القطار فى طريقه الى زيوريخ يشق الجبال يدخل نفقا ويخرج من آخر . . . هذه الأنفاق كالعذول تحجب وجه الجميل . ان طريق القطار

خارج الأنفاق رائع حقا ٠٠٠ أينما أرسلت بصرك مسرح جميل للرؤية والخيال معا ٠٠٠ حواليك ومن فوقك ومن تحتك ٠٠٠ على الجانبين الجبال بغاباتها والقمم الثلجية التي تلمع فى ضوء الشمس وبعضها بدأ يسلسل الماء خيوطا براقة من الفضة تنحدر فى قنوات رفيعة على السفوح ، وبعضها يوجد به دفقا يهدر مع شدة المنحدر شلالات متدافعة لا تهدأ الا عند القاع حيث تتجمع نهيرات أو بحيرات من الماء العذب تكثف عليها الزراعة وتخضر الحياة وسط الصخور .

ومن فوق ، السحاب يتوج القمم كعروس ، أو يبدو للعين على شكل جبال أخرى بيضاء لتنسجم مع المنظر العام ٠٠ يبدو أن كل شىء فى سويسرا يأخذ شكلا مخروطيا ٠٠٠

والكبارى اياها ٠٠٠ فى بعض المناطق كان قطارنا يسير فى الدور الخامس أو السادس من الكبارى !! قطار معلق تبدو معه المدينة كما تبدو من الطائرة فى أول صعودها ٠٠٠

وصلنا فى المساء ٠٠٠ لم يكن أمامنا الا أن ننزل فندقا قريبا من المحطة ٠٠٠ وقد وجدناه أمامنا ٠٠٠ وكنا من الارهاق بالدرجة التى لم نر منه الا وظيفته أى مجرد فندق ٠٠ ولكن أحمد ولدى الصغير رفض أن يدخله وكاد أن يبكى فسألناه السبب فأشار الى مكان فى بهو الاستقبال واذا بنا نرى نجمة اسرائيل ٠٠٠

كيف غاب عنا جميعا ، نحن الكبار ، ما لمحہ الطفل فى لحظة ؟
يحميه لمصر ولى .

ومن جديد حملنا أمتعتنا وخرجنا منه لنبحث عن فندق آخر ٠٠٠

وفى زيوريخ اتصلنا تليفونيا بالصدیق الدكتور المهندس محمد عبده ابراهيم وهو يسكن فى ضاحية من ضواحي زيوريخ ٠٠ فى التاسعة مساء جاءنا فى الفندق ولحقت به سيدة سويسرية كريمة صديقة أسرة بالنسبة له وصديقة لمصر وهى تلميذته بمعهد الذى فتحه لتعليم اللغة العربية . جاءت السيدة أو جاء بها الدكتور الصدیق لتسمع مزيدا منى عن شخصية مصر وكانت قرأت كتابى (شخصية مصر) مع الدكتور عبده الذى كان يترجم لها مضمونه ، وركزت على نقط معينة استوقفتها فى الكتاب منها :

● عطاء مصر لليهودية التى أخذت عن مصر كثيرا مما جاء فى العهد القديم .

● جهود مصر فى نشر المسيحية فى أوروبا .

ان الدكتور عبده ابراهيم بعيد عن مصر حتى الآن خمسة عشر عاما .
وبكل الحنين فى غربته الطويلة وغربتنا القصيرة كان حديثنا عنها تلك
الليلة .

رأيت فى سويسرا المرأة « كمسارية » و « عسكرى مرور » و « سائحة
تاكسى » دون أن تثير فضول أحد غيرنا . ولكن المرأة الأوروبية ليست جميلة
كما كنا نتصور قبل أن نراها . انها عادية جدا وأحيانا أقل من عادية . . .
لانى بنت مصر أخجل أن أقول أن المصرية أجمل وأعذب وأكثر أنوثة . . .
آه لو استطاعت المصرية أن تتخلص من البدانة . . . حتى الذوق لاحظت
أن الأوروبية كثيرا ما يكون الحذاء لونا ، والحقيبة لونا آخر ، وهو ما لاتفعله
الآنيقات . . . وشئ آخر تفقده الأوروبية : الملاساة التى تعرض عليها المصريات
ان الغابات فى أوروبا أنواع كثيرة .

ميلانو

من زيوريخ سافرنا الى ميلانو . قطارنا هذه المرة لا يرتقى الجبل
ولكنه يمرق فى سهل لمبارديا . بيوت الفلاحين عندنا تتجمع وتتضام كأنها
خائفة ضعيفة تستمد القوة من التجمع ، والقدرة من التكتاف .

كاتدرائية ميلانو

تعتبر كاتدرائية ميلانو مثالا للعمارة القوطية وهى الثانية فى
الضخامة بعد كاتدرائية القديس بيتر فى روما . وتعطى كاتدرائية ميلانو
انطبعا بتداخل أنماط العمارة والتشكيل فيها . ولعل ذلك يرجع الى
تاريخ انشائها حيث اكتمل بناؤها عبر ستة قرون منذ أن أهر بانשאها
دون ميلانو « جيوفانى جاليازو فيسكونتى » . فقد اختار عدة مهندسين
معماريين ايطاليين . . ولكنه ضم اليهم مستشارين من الفرنسيين والألمان . .
ونتيجة لهذا أكثر الخلاف حول الأسلوب والطريقة . ولم يكتمل بناء
القبة الا بعد ١٥٠ سنة . وبعد ستين عاما كانت الأرضية الرخامية ومكان
التمهيد قد اكتملتا .

وفى أعلى الأبراج يوجد ٢٣٠٠ تمثال للقديسين . وللكاتدرائية أعلى
برج فى العالم يليها برج كنيسة (أولم) .

ولقد انتهى البناء فى كاتدرائية ميلانو بعد ٥٧٩ سنة من العمل .
وهنا ظهر ، كما يقول أرنست « فون هيسيو اريچ » بيت الله الذى يفوق
جماله ما عداه من أشياء فى ميلانو .

عن كتاب (عجائب العالم) Wonders of the world

لؤلفه : رولاند جوك Roland Goock

ولكن بيوت الفلاحين فى سهل لمبارديا متناثرة على مسافات بعيدة
... وهى بسيطة متواضعة ولكنها مطلية وبها ألوان زاهية ... ليست
بائسة كبيوت قريتنا ترابية اللون ...

ولم أر على طول مسيرة القطار فى سهل لمبارديا الا فلاحا واحدا
يحادث صبيا فلم يكن يمسك فأسا أو يعزق أرضا فالزراعة هناك آلية
تقوم على (الميكنة) .

وصلنا « ميلانو » ونزلنا بفندق فلوريدا ... ليس فندقا فخما
بل متوسطا ولكنه آية فى النظافة والشفافية ... كل شئ مرسوم رسما
فيه ذوق فنان .

بعد الظهر زرنا كنيسة ال « دومو » الشهيرة التى استغرق بناؤها
٤٠٠ سنة أربعمئة سنة من عمر الانسان بعد أن عرف أشكالا وألوانا
من الآلة ... وهنا نلمح عظمة الحضارة المصرية القديمة التى بلغت
ما بلغته بأبسط الوسائل ...

منذ أعوام زار زوجي وحده ميلانو .. وحين حدثني فى إحدى
رسائله عن هذه الكنيسة ظننت أنه يقصد أنها بنيت منذ ٤٠٠ سنة فلما
رأيتها تأكد لى ما يعنيه تماما ... الأبواب تماثيل صفوفها صفوفها ... كل
مربع من الباب فيه مجموعة من التماثيل البارزة تروى قصة معينة من
قصص التاريخ المسيحى .. الأبواب تماثيل ، والجدران تماثيل من
الأرض الى آخر ارتفاعها الشاهق وفى أعلى البناء تمثال كبير للعذراء من
الذهب الخالص اذا رأيته من بعيد والشمس طالعة ، راعك التمثال
وانكسارات الضوء الصادرة منه ومن الشمس معا ..

والكنيسة تشغل مربعا كبيرا فى ميدان كبير واسع يملؤه الحمام
الذى يتخاطر فى اطمئنان وفى أمان .. ان الدين فى كل مكان حرم
وسلام ..

وفى ميلانو زرنا قصر الحاكم القديم Castelo Ceforsa كاستلو سفورصا وهو مفتوح للزيارة بالمجان ٠٠٠ وهو قصر جدرانته صماء ٠٠٠ وعلى جانبيه بناءان ضخمان اسطوانيان يشيعان الرهبة ٠ ولم نتمكن من زيارته بالداخل لاننا وصلنا بعد الميعاد المحدد للزيارة خطأ ٠

بعد هذا ذهبنا خطأ لزيارة الجالرى وهو سوق المدينة واحد معالمها ٠ والجالرى أى السوق المسقوف ٠ والايطاليون يقيسون عظمة مدينة من المدن بالجالرى فيها ٠ وقد حرص أهل ميلانو تمشيا مع هذا المقياس أن يكون جالرى ميلانو أعظم جالرى فى ايطاليا كلها ٠٠٠ وسقف جالرى ميلانو من البللور وهو فى الوسط فوق الفسقية الموزايكو الجميلة على شكل قبة باذخة ٠٠ وفى الممرات على شكل نصف اسطوانة ٠

وفى جالرى ميلانو مكتبة من خمسة طوابق ٠٠ وأحد ممرات الجالرى يقضى الى ميدان واسع به دار أوبرا ميلانو ٠٠٠ والأوبرا فن الايطاليين ولعبتهم ٠٠٠

فينيسيا

الساعة التاسعة صباحا ٠٠٠ بعد ربع ساعة سيتحرك قطارنا الى فينيسيا التى يتغنى كل من رآها بجمالها ٠٠٠

نحن الآن فى بادوفا Badova المحطة السابقة لفينيسيا ٠٠٠ اننا الآن على بعد ثلث ساعة من المدينة العائمة ٠٠٠ مدينة الجندول ٠٠٠

شينسيا

كتب عن فينيسيا أكثر من أى مدينة أخرى فى العالم ٠ وهى مدينة أنشئت على ١١٧ جزيرة ٠ وكانت فى القرن الخامس عشر ، قلب العالم التجارى وأكبر الموانئ البحرية ، وان كانت أهميتها بدأت تتناقص بعد اكتشاف البرتغال ، طريق رأس الرجاء الصالح ٠

وتضم مدينة فينيسيا ١٥٠ قنالا و ٤٠٠ جسر ، وقصورا زينت بالذهب النفيس والأحجار الكريمة ٠٠٠ قصورا بنيت بيد أعظم المهندسين فى ذلك العصر فيرنويس وتيننتوريتو ، وتييتان ، وجيورجيون ٠

وتستمد المدينة جاذبيتها من الجندول الشهير وكنيسة وميسدان سان ماركو . ولكن على الرغم من جمالها فلا التاريخ ولا الطبيعة ينكران حقيقة مؤلة وهى أن مدينة فينسيا تموت على الرغم من الجهود التى يبذلها العالم للحيلولة دون ذلك فان البحر يبتلع منها مليمترات كل سنة .

التفاهم حتى الآن صعب علينا فى ايطاليا . فالإيطاليون الا ما ندر لا يعرفون الفرنسية أو الانجليزية . . . وهما اللغتان اللتان يمكننا التوصل بهما فى الخطاب فى أوروبا . . . ولهذا تسود الاشارة لغة بيننا وبين القوم فى الفنادق أو المطاعم . وقد بدأنا نلتقط كلمات قليلة مثل « جراتسيا » أى شكرا ، « بريه جو » أى العفو ، « اكوافرسكو » أى كوب ماء ، « أكواكلودو » أى كوب ماء بارد ، « أكوامترال » أى كوب ماء معدنى ، وطبعاً « مكروني » أى مكرونة .

نحن الآن فى محطة فينيسيا مستر Venezia Mestre وهى كمحطة سيدى جابر بالنسبة للاسكندرية .

وصلنا الآن فينسيا أو مدينة البندقية . . . قصور منظومة على بحر الادرياتيک . . . وقصور أخرى تفصل بينها شوارع مائية أو برمائية . و « البر » هنا معناه كوبرى نصف دائرى أو نصف اسطوانى يصل شارعين . وهذه الشوارع المائية تسير فيها وتقل الناس ، تاكسيات مائية وأتوبيسات مائية أى الفابوراطا Vabouratta بلغة الايطاليين .

ركبنا الفابوراطا فى القنال . . . وبعد قليل خرج بنا فى عرض بحر الادرياتيک الى الليدو . وهو شاطئ سمعنا به كثيرا وقيل لنا أنه شاطئ عالمى . ووصلنا شاطئ الليدو فاذا به ساحله حصى صغيرة ومياهه عادية وان امتاز بالهدوء وصف القصور المبنية عليه . ولكنه بعد هذا لا يقاس بشاطئ مرسى مطروح فى جمال الالوان وصفائها فى بحره وسمائه . . . ولا يقاس به فى نعومة رمله وبياضه . . . من لنا بخير فى الدعاية يعرف الدنيا بمواهب الطبيعة المصرية فى مصايفها ومشاتها .

فى اليوم التالى خرجنا وفى نيتنا أن نذهب الى سارن ماكو وهو معلم من معالم المدينة فقابلنا على بعد أمتار من الفندق الدكتور القط وأولاده على مقهى . ما أجمل ن يلتقى مصرى بمصرى فى الغربة . . . تهللنا جميعا للقاء نحن وهم . وجلسنا قليلا ثم قمنا على أن نلتقى فى سان ماركو .

سان ماركو شئ رائع حقا بكنيسته الباذخة . . . بميدانه الفسيح . . .

بمحلانه التجارية التى يخلب الباب النساء بمجوهراتها وأزيائها ومناعمها
Good loser هناك حيث يعمل الهواة حسابهم أن يكون الراغب

دخلنا الكنيسة وعلى بابها يقف رجلان يمنعان أى سيدة عارية الذراعين
من الدخول • وهو تقليد يلتقى فيه الغرب بالشرق • انها حرمة الكنيسة
أما ما عدا هذا فكل شئ عار حتى العواطف عارية مكتسوفة فى الطرقات
العامة فقد تعودنا أن نرى الأحضان والقبلات فى زحام المركبات والسيارات
العامة والشوارع والمطاعم وكل مكان ••• وكم تأذينا بهذه المناظر فى
البداية ثم ألفناها •••

نعود الى الكنيسة من الداخل ••• قباب عالية كالمساجد الكبيرة غير
أن قباب الكنيسة تغطيها الرسوم الملونة للقديسين وتكاد تغطيها أيضا
تماثيلهم •• لم يعرف المسجد التمثال أو الصورة فقد تحرج المسلمون
منهما • ولهذا تختلف قباب المساجد عن قباب الكنائس • فالمساجد يقوم
فنها على الحفر والنقش والتطعيم بينما يقوم الفن المسيحى على الرسم
والنحت •

واجهته الكنيسة من الخارج وسورها وجدرانها مغطاة بالتماثيل ،
فوق بابها أربعة خيول بالحجم الطبيعى ••• وقصر الحاكم الذى يطل
كالكنيسة على الميدان تماثيل فى تماثيل • والمباني التى تحيط بالميدان
بواك فوقها بواك فوقها تماثيل •• كل شئ فى فينيسيا تماثيل ورسوم
حتى ليخيل للرائى أن القوم يأكلون ويشربون وينامون وهم يرسمون
وينحتون ••

الايطاليون ينادون على بضائعهم وهم جشعون محتالون • وفى
الشوارع كثير من الأفاقين •• ومن العجيب أن المحلات الكبيرة التى لها
فى كل بلد تقاليد تجارية وسمعة تحرس عليها من حيث الأمانة والمعاملة
وجودة الصنف •• كل هذا لا تعرفه محلات إيطاليا الكبيرة أو الصغيرة
على السواء •

رأيت مصنعا للمورانو يتبعه محل فخم للعرض يتكون من طابقين
كبيرين •• والمصنع بمعرضه الزاخر جبار ضخمة •• وقفنا أمام فاعة
من الأوبال الأخضر وبالطبع لم نفكر لحظة فى شرائها •• فما كادوا
يلتقطون اعجابنا بها حتى التفوا حولنا يزيفوننا لنا فى حركات بهلوانية
وكلهم يتكلمون فى نفس واحد • ويلحون فى بيعها لنا • وعبتا نؤكد لهم
علم استعدادنا للشراء وأخيرا لجأنا الى اختراع أسباب ، على فرض أننا

مشترون ، كالخوف عليها من الكسر أو التجمك مثلا . فاذا بهم وبسرعة يحلون المشكلة فالكسر يمكن تفاديه بلفها بطريقة معينة في صندوق كبير ثم التأمين عليها . ومن الطريف أننا رأينا الفائزة في آخر أبهاء الطابق العلوى وتركناها وانصرفنا عن الموضوع ثم بهيئنا للنزول والخروج فاذا بنا في الطابق السفلى وتقريبا عند الباب ، نجد الفائزة !! ونجدهم يعاودون من جديد عملية عرضها علينا واغرائنا بها . واذا بهم يخفضون سعرها الى النصف تماما . وعندما استنفدوا وسائلهم لجأوا الى ابنتنا التى لمحوا اعجابها بالفائزة ، أن تتوسل اليها أن نشتريها !! وكانت النتيجة الطبيعية أن نفرنا منهم ومن الفائزة معا وخرجنا مهرولين نلتمس النجاة من هذا الأخطبوط . . .

وفي اليوم التالى عندما طفنا بمحلات المدينة وجدنا كثيرا من معروضات هذا المصنع بثلاث الثمن المعروضة به في مصنع المورانو وفهمنا السر في تخفيض الفائزة الى النصف .

ولكن قد يسهل اللعب بالسعر في فائزة مثلا يعتمد المصنع على قلة المعروض منها في المحلات الخارجية بأوصافها نفسها ولكن ما تفسير لعب مصنع كبير بأسعار العقود والطاقائق التى تباع في كل مكان حتى على الرصيف ، وفي الأكشاك ويسهل على الانسان من أول نظرة اكتشاف أمره .

اننا ننتهم أنفسنا كثيرا وننمى عيوب بلادنا . هذه فينيسيا المزدودة من أحلى مدن أوربا . . . فيها الحوارى الضيقة التى لا تتسع لأكثر من اثنين يسيران جنباً الى جنب حتى كنا نسير مع أولادنا ، فيها ، طابورا !! وبعض الشوارع ملقى فيها الورق بل البصق والمخاط ! وهنا وهناك يتجول الشحاذون .

وفي فينيسيا عندما يقدمون كشف حساب في المطاعم تجد في هذه القائمة مبلغا كبيرا مقابل المكان أى مقابل تشرفك بالجلوس في المطعم . وهذا طبعاً غير مبلغ آخر مقابل الخدمة ومبلغ ثالث للبلدية ثم الطعام . . . قطعة اللحم ثمن ، وقطعة بطاطس بجانبها ثمن آخر ، ونصف ورقة خس ثمن . . . ولست أدري لماذا تركوا كوب الماء بلا ثمن . . .

ان قضاء الحاجة في إيطاليا بثمن . فمن يدخل دورة المياه عليه أن يدفع ما يعادل ثلاثة قروش !

اتفق معى ابنى على أن نخصص له في فينيسيا ، جنيتها ليشتري

ما يروقه بنفسه ٠ واشترى فى اليوم الأول لعبة (سيارة) ب ٨٠٠ ليرة ٠٠
وفى اليوم الثانى أراد شراء سيارة أخرى فعمد الى التلميح سائلا :

— فاضل من الجنيه بتاعى كام ؟

قلنا له : ٢٠٠٠ ليرة ٠٠

فقال فى خفة دم مصرية :

— لا ٠٠ يبقى الباقي أدخل به التواليت ٠٠

وظاهرة أخرى يراها ويحسها الغريب أكثر ٠٠٠ أعنى (الاضراب)
وبشكل واسع ٠ لنا صديق من أصل عثمانى عاش طويلا فى مصر ٠
ويقبع الآن فى ايطاليا ٠ يقول صديقنا معللا : السبب الرئيسى للاضرابات
هو (منع الطلاق) ٠ طغت المرأة الايطالية الآمنة فلم يجد الرجل الايطالى
متنفسا الا فى الاضراب يثبت فيه ، وبه ، شخصيته ٠

ان صديقنا فى تعليله فيه (حجة) من مصر الضاحكة والا لماذا
لا توجد هذه الظاهرة بصورتها الحاضرة ، فى غير ايطاليا من بلاد
أوربا ؟

الباحرة تدنو من جنوا ٠٠ بيوت نازلة فى البحر وبيوت طالعة على
سفح الجبل ٠٠٠ وبيوت تتربع على القمة وتطل من فوق على البحر والناس
٠٠٠ منظر جديد على العين المصرية ٠

جنوه :

من الغريب أن أهم معالم جنوه السياحية ، الموت لا الحياة ٠٠

أهم معالم جنوه ال Cemertairo أى مدينة الموتى بها ٠٠ المقابر
٠٠ قرافة جنوه ٠٠ لكان موتاهم كلهم أبرار فهذه القرافة جنة بما فيها
من زهور وشموع وهدوء ونظافة ٠٠ كان اليوم « الاثنين » أى عقب الأحد
وزيارته فالزهور ما زالت رفاقة لم تذبل والشموع مضيئة ٠٠ الشواهد
متجاورة فى رقة وجمال ليس بينها مكان يسمح بالجلوس والنوم والطبخ
والتخمة ثم التبول ٠٠

وعلى كل شاهد تاريخ الميلاد والوفاة وقلما نكتب نحن تاريخ الميلاد
على الشواهد مع أن اخفاء العمر بعد الموت لا قيمة له فلو فرضنا أنه

يكسب شبابا أو ايعاء بالشباب فى الحياة فبعد الموت كل شىء ضياع .
وهناك أهرامات صغيرة أى توابيت كبيرة وتماثيل تغطيها وتحيط
بها السقوف والجدران ولكن قبور الشواهد أرق وأقرب الى السماء .
قبل أن أغادر ايطاليا أسجل لها أروع ما رأيته عينى فيها .. صورة
الفنان « مايكل أنجلو » على ورق النقد .. الفن هو الرمز الحقيقى للبلد ..
أى بلد ..

مرة أخرى زرنا ايطاليا فى طريقنا الى سويسرا ...

تركنا الباخرة ثم أخذنا القطار من جنوه الى (ميلانو) .

بدأ القطار يسير فى نفق مظلم دقائق خلناها ساعات من الظلام
الحالك ... ثم خرج القطار الى النور ليدخل فى النفق من جديد ..
وتكرر هذا أكثر من مرة وأخيرا اعتدل .

لم نقرأ أو ننام كمعادة المسافرين فى القطار ... فى السفر تغلو
الدقائق فنملؤها رؤية أو عملا ... وتغدوا الحواس عيوننا فنرى أكثر ...
رأينا نحن أبناء الوادى ، الجبال عالية تغطيها الزروع وتصعد فيها البيوت
وترتفع على قممها العمارات أيضا ...

منظر غريب ... أليس كذلك !

البيوت الصغيرة تكسوها الخضرة فتبدو من بعيد كأنها لعب أطفال .
متناثرة .

قطارنا هذه المرة لا يرتقى الجبل ولكنه يمرق فى سهل لومبارديا .
لقد بدأنا نبنى فوق المقطم ونزرع الحدائق الصغيرة ومع هذا يبدو
المنظر جديدا كل الجدة ... طريقنا كل الطرافة شد انتباهنا ما ظل موجودا
فلم نحول عيوننا عن النافذة الا عندما دخل القطار سهل لمبارديا . وهو
صورة من الدلتا وعندنا الأصل فالنوم حلال ولو كان نعاسا متقطعا .

بيوت الفلاحين المتناثرة فى سهل لمبارديا على مسافات بعيدة ،
بسيطة متواضعة ولكنها مطلية وفيها ألوان زاهية ليست بائسة كبيوت
أعزاء علينا ، ترابية اللون .

بدأ القطار T.E.E. الذى أقلنا من فينسيا يتحرك من مدينة
(كومو) . وهى البلدة التى تمثل الحدود بين ايطاليا وسويسرا ...

القطار ينطلق . . . الجبال على جانبيه شاهقة خضراء أعلى كثيرا . . . كثيرا جدا من جبال ايطاليا . ومن حين الى آخر تتسع المسافة بين القطار والجبال وكأنها أفسحت له أو كأنها تدعو المشاهد أن يراها على بعد لتحلو الرؤية . كانت رائعة حقا تبدو للعين لأول وهلة وكأنها تصعد الى السماء والبيوت والعمارات فى أثرها تصعد معها . بعض البيوت تلهت فتستقر على السفح والبعض تمعن فى الصعود وتجد فيه والبعض يستقر على القمة .

هذه سويسرا . . الشوارع نظيفة كأنها مغسولة لساعتها . وقد بدأت لافتات الاعلانات تكتب بالألمانية .

أخذنا القطار الى جنيف . شعرنا من حركة القطار أننا نهبط فالقطار يسير فى سهل نسبيا اذا قيس بالطريق الى زيوريخ من لوجانو . فى بعض المناظر بالطبع كان قطارا - معلقا وطبعيا الأنفاق اياها - ملاحظة كنا نشم فى النفق الطويل رائحة عطنة نحاول التخلص منها بغلق النوافذ . وصل القطار الى (لوزان) وهى مدينة كبيرة فعماراتها أطول قامة .

وفى لوزان غير القطار اتجاهه وسار فى اتجاه مضاد ليشق طريقه الى جنيف . المدن كالأشخاص (روح) أو (ربح) كما يقول العامة . ولم تكن جنيف بالنسبة اليها على الأقل أخف المدن روحا أو ريحا ولكن الشيء الرائع الذى لاحظته عيني أننى لم أر فى سويسرا أو فى غيرها من البلاد الأوروبية المتحضرة اسم أو رسم حاكم - ما عدا أسبانيا - ان رؤساء البلاد الديمقراطية يحتفظون بصورهم لأنفسهم فلا يقحمها أحد على حياة الناس أو المدن كما تفعل محافظة الجيزة مع كل حاكم بل أن المؤلف جدا فى هذه البلاد التى تعيش حياتها لأنفسها ، أن يصعد رئيس الجمهورية ، الالتزام فلا يحس به أحد واذا حس به لا يغير من جلسته اذا كانت تريحه . . . هنا لا تقوم الدنيا أو تقعد لفرد كسائر الناس .

نتلهف الى الرجوع الى مصر . . نجرى هنا وهناك بين شركات الطيران وشركات الملاحة . الباقرة التى كنا نؤمل الرجوع فيها تخاطبنا مع ادارتها بالبرق . جميع الأماكن مشغولة . على أن فكرة الطائرة افتقد معها الأمان . كل شيء بيد الله ولكن فكرة أن نركب كلنا طائرة تهربنى . نحن قلقون . . ضاع اليوم فى اتصالات . ولم نجد طرف الخيط بعد . . ذهبنا الى شركة البواخر . استعرضنا جميع البواخر المسافرة الى الاسكندرية وتاريخ قيامها ووصولها فكان موعدها كلها أوائل أغسطس .

لم تبق أمامنا الا باخرة تركية من جنوا ١٧ يولية ونبلغنا الاسكندرية ٢١ يولية وصباحا أيضا فهي تعطينا عشرة أيام أكثر في مصر ٠٠٠ ولم نتردد - طلبنا من موظفة الشركة الاتصال بالادارة للحجز . فطلبت السيدة أن نعاود الاتصال بها بعد ساعة يتم فيها الاتصال بالادارة في جنيف وبازل مقر ادارة الادرياتيک ثم الاتصال بين بازل وجنوا ثم الرد على جنيف .

عشنا هذه الساعة دقيقة دقيقة عدنا بعدها الى الشركة فاقبلت السيدة علينا بوجه باسم يبشر بوجود أناکن ٠٠ وقد صدق الحدس .

أروى هذه التفاصيل لأسجل أن شركة الادرياتيک التي قامت بكل هذه الاتصالات لا مصلحة لها في الموضوع فالباخرة التي نسعى الى العودة بها غير تابعة لها ٠٠ بل أكثر من هذا رفضت شركة الادرياتيکا أن تتقاضى أجرا عن المكالمات الخارجية لاتمام الحجز !!

کم من أمثلة لحسن المعاملة في البلاد التي تحترم الانسان ٠٠٠ ذهبنا الى شركة كوك وهي على الضفة الأخرى فاستبدلنا تذاكر السفر الى روما . وتم الاستبدال سريعا سهلا . اذ ردوا ثمن التذاكر كاملة أولا ثم استخرجوا في دقائق تذاكر جديدة الى جنوا . نحن الآن في طريقنا الى ميلانو . دخل القطار معنا من محطة لا أذكرها شخص ايطالي . بعد أن أخذ كرسيه بدأنا بالحديث ثم انطلق ٠٠ فيه فرنسية واضحة فقال انه يحب الحرب ويكره اليهود لأن غناهم من دم الشعوب التي يستنزفونها في كل مكان يحلو به . ثم سأل :

- ما أخبار الحرب ؟ فقلنا خيرا .

قال : ما تظنون ؟ قلنا : المهم المعركة الأخيرة . من يضحك أخيرا يضحك كثيرا . فأمن على قولنا في حماس شكرناه عليه مبتسمين والجرح في قلوبنا ، يبکی ٠٠٠

وبعد قليل دخل عامل التذاكر . واذا نظر الينا ، سلم علينا سلاما حميما !!

وكتمنا دهشتنا . الحكاية أن أمه جزائرية ٠٠ ولهذا يحب الشرق والعرب . صدف اجتمعت فبددت غربتنا قليلا .

الرحلة على وشك الانتهاء فأننا سنبیت ليلتنا في ميلانو ، لناخذ القطار في منتصف الثامنة الى جنوا حيث نأخذ الباخرة الى الاسكندرية ٠٠٠

راى الأولاد كثيرا من البلاد ومن ألوان الحضارة ومن ألوان الجمال
رأوا طرائف كثيرة ومناج ولكنهم لم ينسوا مصر ٠٠٠ لم يمض يوم واحد
دون أن يذكروها ودون أن تعارفوا فى حب بينها وبين غيرها ٠٠٠ وأحيانا
ينفعلون فى المقارنة بصورة تبعث على الابتسام ٠٠٠ وما كاد الأسبوع
الثانى ينصرم حتى بدأوا (يزنوا) ويتلهفون على العودة .

معنا فى جمرك جنوه مسافر سورى فى طريقه معنا الى الباخرة
التركية وأخذ ينقد ولكننا عندما صعدنا الباخرة . واستقر بنا المقام فى
الكبنتين المحجوزتين لنا ، وجدناهما مستوى عاليا فى كل شىء ، الأثاث
والنظافة والذوق وهما متقابلتان بينهما ممر صغير له باب قفل عزل
الكبنتين عزلا تاما هذا البساب يفتح على صالة فخمة مستديرة زينت
بأحواض الزهر وعلى اليمين قاعة الطعام الفسيحة فاذا صعدت بضع
درجات وجدت قاعة استقبال (صالونا) وفوقهما قاعات أخرى احداها
للموسيقى .

واذا حل موعد الطعام خيل اليك من تعدد ألوانه وطيبها ووفرتها
أنك ضيف السلطان أى الباب العالى شخصيا .

وكثيرا ما تساءلنا فى دهشة بل فى حيرة . أننا وسائر ركاب الدرجة
الأولى نعامل باحترام شسديد ونكرم اكراما بالغا حين لا يحظى ركاب
الدرجات الأخرى بشىء ٠٠٠٠ مع أن الفرق بين تذكرة الفرد فى الدرجة
الأولى والدرجات الأخرى لا يبلغ عشرين جنيها !

٦٩/٧/١٨

رست الباخرة اليوم على نابولى بايطاليا . نزل كثير من الركاب
للتجول فى المدينة واذا بأولادى يلحون فى العودة الى الباخرة ثم اتضح
أنهم كانوا خائفين أن تبجر وتتركنا ٠٠ يا لسذاجتهم . حتى بعد أن
رجعنا عبثا تقنعهم أن الباخرة لها موعد قيام تتأكد عنده من عودة ركابها
جميعا .

الساعة السادسة مساء . بدأت الباخرة قبل دقائق تستعد الاستعداد
للتقليدى للابحار ٠٠٠ وجرى الأولاد الى الشرفة ليروا الباخرة . تحرك
الكوبرى الذى يتصل بها بممر (معبد) متحرك وتقدم القارب (اللنش)
الذى سيخرج الباخرة واتصلت حباله بها ٠٠٠ وأخذت تبعد عن شاطئ
نابولى والقارب يحذوها .

كانت فى البداية ترجع الى الوراء حتى اعتدلت مقدمتها تماما كما
تفعل السيارة عند خروجها من موقفها ...

وأطلقت الباخرة صفارتها التقليدية وأرخت الجبال للقارب • اذن
بدأت رحلة الاسكندرية وا فرحتاه ..
بعد ساعتين مرت بين ايطاليا وصقلية •

العشاء فى الباخرة الساعة الثامنة • ومن مائدة الطعام رأينا على
البعد ، من زجاج النافذة باخرة ... فكأنها صورة فى اطار ... ثم شرعت
الشمس فى المغيب ... وسكب الشفق ألوانه على البحر فامتزجت زرقته
بالوان الطيف امتزاجا رائعا فى منظر بديع كالتقاء الأحبة وقد بل الشوق
صداه وبلغ مناه •

من الأشياء المهيبة البحر ... البحر والجبل والليل • هنا أعماق
وأنعاد ورؤى •

حين تنزع القصبة من مغرسها ، تصير شجابه ترسل النغم شجيا كقطرات الدموع

رحلة العودة أقصر أياما من رحلة الذهاب وهو ما نتمناه فقد
شفنا الشوق الى مصر .. عندما مرت الباخرة أمام جزيرة صقلية هز
قلوبنا بحار جلس ومنظاره غلى عينيه يحاول رؤية الجزيرة لعل له بيتا
فيها أو حبيب روح .. يبدو أنه رأى حبه فقد أخذ يلوح بغطاة فى يده ..
يد متشنجة تجمعت فيها مشاعر انسان مغترب بحنانه وحنينه كان له
الله .. انى أحس عذابه وأنا وسط أسرتى حولى زوجى وأولادى ولكن مصر
فى القلب وجود بلا حدود .. انها الأهل والولد والزمان والمكان وبعد
هذا كله يظل منها فى القلب معنى غير محدود يهفو اليه القلب حتى عندما
يكون فيها ويحيله الغياب قطعة من العذاب فى البعد والفراق .

نقترب الآن من المساء الشمس لم تغرب بعد ولكنها بدأت بالوانها
تذوب فى الأفق .. وقفنا نشاهد الغروب .. احمر قرص الشمس ..
الهلال الوليد فى السماء قوس رفيع أبيض وقرص الشمس يغطس شيئا
فشيئا فى الماء حتى لم يبق منه فوق سطح البحر غير هلال .. هلال أحمر
فى الماء ، وهلال أبيض فى السماء .

ازاى ازاى ازاى أوصف لك يا حبيبى ازاى

قبل ما أحبك كنت ازاى يا حبيبى

كنت ولا امبارح فاكراه

ولا عندى بكره أستناه

ولا حتى يومى عايشاه

يا حبيبى

أم كلثوم .. صوت البشائر .. مصر .

النوم فى هذه الليلة نعمة لانه سيختزل المدة الباقية على الاسكندرية
التى تستقبل باخرتنا فى الصباح .. ابنتى تعدو متجهة الى فى وجهها
فرحة تهلل .. الآن رأيت الراديو الترانزستور فى يدها .. انها تقول.

انها بدأت تسمع اذاعة مصر بوضوح .. اقتربت الاسكندرية ويرانا راكب انجليزى ويفهم من بريق العيون وضم الآذان للراديو ، ما يدور بيننا فيلتفت الى ويقول كمن يهنئ : Home at last ما أحلى العودة الى الوطن بعد الغياب على أمل ، أو بعد يأس كما يقول شوقي ، سواء ..

ما دمت لقيتكَ يا وطنى كأنى قد لقيت بك الشبابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى عليه أقابل الحتم المجابا
أدير اليك قبل البيت وجهى اذا فئت الشهادة والمتابا
وأدرت وجهى وقلبى نحو منازل تبدو من بعيد ومآذن ومداخل ..
نعم انها مصر .. انها الاسكندرية .

وقيل الثغر فاتأت فآرست فكانت من ثراك الطهر قابا
كانت بينى وبين هذه الأبيات علاقة خاصة منذ كنت تلميذة بالمدرسة الثانوية وحفظت غيرها وغيرها .. وأخيرا التقيت بها هى على سطح الباخرة لأستقبل معها وأستقبل بها الاسكندرية .

كانت فرحتنا كبيرة متوهجة ولكنى فى غمرة الفرحة لاحت منى التفاتة الى طاقم الباخرة .. هؤلاء البحارة وجميع العاملين على السفينة لم تلمع وجوههم ولم تبرق عيونهم مثلنا .. لم تعكس قسماتهم أى تعبير جديد ..

ان الاسكندرية التى تهز وجداننا الآن مجرد ميناء فى طريق الباخرة كالموانى السابقة .. ليس لهم أحد فى الاسكندرية .. ان البحر متعة اذا كانت الرحلة فيه أياما معدودة تدنو بالمسافر . كل يوم ، من اللقاء الحبيب . ولكن هذه المتعة تفقد نكهتها ومذاقها اذا انقلبت حرفة .. روتين .. متى يرتوى هؤلاء الظماء بالعودة الى أوطانهم وأحبائهم .

الاسكندرية الجميلة بهوائها وهواها لم تبل الشوق كله .. انه نداء القاهرة .

سلامات - ازيك سلامات .. كلمة تعود القلب أن يتمتم بها كلما صافح وجه النيل بعد غياب ..

انتهت الرحلة .. بل بدأت الرحلة فالرحلات تبدأ من حيث تنهى .. ان السفر لا يخلو من قلق وخوف غامض وارهاق أيضا .. وتأتى العودة فتغسل هذا كله وتصفو الرؤية ويبدأ السفر فى الخيال فيطوف

الانسان من جديد الأماكن والبلاد ويحكىها ويستوعب المشاهد والرؤى ومن ورائه الذاكرة « تستف » الذكريات ..

وبدا أولادى يتذكرون ويقارنون .

— ايه يعنى جنيف . القاهرة أجمل منها مائة مرة حتى مع قذارة بعض الشوارع واهمال بعض الأحياء .

— ايه يعنى البحيرات .. النيل أحسن مائة مرة .

— ايه يعنى زيورخ .. ايه يعنى كذا .. وعلق الأولاد على ايه يعنى .

ولكن حنان أكبرهم كانت تكسر حدة المقارنة بقولها :

— تمنيت لو طالت وقفتنا عند الكنيسة ميلانو ال «دومو» فما ينفق الانسان فيه ٤٠٠ سنة من عمره ، لا تحيط به زيارة قصيرة أو نظرة عابرة .

وحمدت الله أنهم لم يتمردوا على بلدهم كالكثيرين .. على ألا يبغسوا الناس أشياءهم وعزز والدهم باعتباره رأى كثيرا من عواصم أوروبا ، ثقتهم بعاصمتهم وقال :

— ان القاهرة من العواصم العالمية المعدودة .. ليس فى العالم أكثر من بضع مدن فى مثل اتساع القاهرة وتعداد سكانها . لندن مثلا ، موسكو ، باريس ، برلين .

وردت ابنتى فينان : حتى بغض النظر عن الحجم والاتساع والتعداد .. الخ ، القاهرة فيها ميزة عزيزة .. الواحد يحس معها كأنها تفتح له ذراعيها وتقول أهلا .. تعال .. متهلة .. القاهرة كأن على كل شجرة فيها ابتسامة تودع المسافر وتستقبل القادم .. لها شوق اذا غاب الساكن اليها والساكن فيها .. ولها فرحة اذا عاد ..

عذبة القاهرة خاصة فى الجزيرة حيث تصعد المئذنة كدعاء مؤمن الى السماء ، وتشمخ المسلة كمجد الفراعين .

بلد المجد وبلد الوجد عاصمتنا القاهرة .

فى حبيبتنا القاهرة رقة وصفاء من أثر التاريخ الطويل فى الحضارة .

ان عطاء مصر فى الأدب الرسمى هو الذى سجل وضمنه أصحابه
بطون الكتب ولكن القريحة القاهرية خلقت وابتدعت .

الرجل العادى فى الحرفة البسيطة فيه لمحية وخفة روح تجعل
الحلاق ، يكتب على (دكانه) « نحن نقص » ، والساعاتى يشير الى بضاعته
بالآية (ان الساعة آتية لا ريب فيها) ووكيل المحطة الذى علق على مكتبه
لافتة بالآية (هو الحق الوكيل) .

وليس هذا بالسهل فى باب لطف المشاعر أو ظرف الروح . فقد
روى الشيخ على الليثى عن الخديو اسماعيل أنه رأى يوما لافتة وكيل
المحطة « هو على الحق الوكيل » فزر ما بين حاجبيه ثم صاح : هو .
الحق الوكيل ثم استدرك ظانا أنه فطن الى الصواب : هو الحق الوكيل .
ولم ينفذ الى الآية العربية أو اللمحة المصرية .

ليست المسألة جدراننا و تعداد السكان .
انها « روح المكان » .

تعيشى يا مصر .

فى أعلى الجبل دعوت لك . وفى سهل الوادى صليت من أجلك .
فى البحر رأيتك اسكندرية واسماعيليه وبور سعيد وسويس وغردقة
وبرئيس .

وفى البر رأيتك دلتا والصعيد .

رأيتك فى آثار الناس أقدم من القدم وأطول من الزمان .

ورأيتك فى أوطان الحضارة الحديثة دمعة فى عينى تأسى ولا تياس ،
وأمنية فى خاطرى تطوى الليل وتتعبج الفجر . وقد طلع الفجر وانجاب
الظلام عن وجهك الجميل النبيل ، يا أم الحضارة يا أم التاريخ يا أم النيل
يا أمى يا مصر .

ان الحياة هناك بمبتكرات العلم أسهل وأنعم ولكنك عندى كنت
وما زلت وستظلين الأعلى والأحلى أيضا . ولن يتأثر زهى بك وفخرى
بالانتساب اليك ولو طاف بى الحور جنة رضوان . ليت نصيبى من
الجنة يكون على ضفافك يا نيل .

لقد علوت الجبال فى سويسرا وجبت السهول فى ايطاليا. ولكن
جنات الدلتا لم تكن عن عيني نغييب ..

وقفت أمام آثار اليونان والرومان والعرب فى الأندلس ولكن شريط
المجد من سقارة الى (أبو سمبل) ما كان ينتهى الا ليبدأ من جديد ..
وحسبني الرءوف فى أوروبا وأنا فى الصعيد ..

شاهدت الأنهار .. السين فى فرنسا ، والتميز فى انجلترا ،
والوادي الكبير فى أسبانيا فكان أكبرها كفرع الزمالك الذى نسميه
« النيل الصغير » أو « البحر الصغير » .. أما النيل الكبير .. البحر
الكبير عند جزيرة الذهب فليس له ضريب .. ووجدتني فى كل مكان
أقول بغير حروف :

« أنت أنت مصر » ..

حتى حين يتسع الفرق المادى بينك وبين أوروبا لا أتمنى العيش فى
غيرك أو الانتساب اليه فوجه الأم وان شاه ، أجمل الوجوه وأنت أسمى
الجميلة الرءوف ..

كل سبق يحزره غيرك ، وكل تقدم لم تبلغه ظروفك لا يبعدنى عنك
بل يدنينى منك أكثر لانه يزيد اهتمامى بك واشتغالى .. كيف أنقل اليك
الجديد والتقدم والعلم كيف ؟ عندك كنوز الطبيعة وعندك كنوز التاريخ
وعندك الوادى وعندك الصحراء .. عندك المادة وعندك فيوض الروح ..
أنت وادى النيل وأنت وادى الدين ليس ماضيك وحده هو الذى يأمر
القلب المصرى ولكنك أنت كلك لانك مصر بما لك وما عليك .. ولا عليك
ولكن علينا وحدنا يقع الذنب حين لا نعى عنك الدرس ، أو نصون لك
الحق أو نحفظ لك الجميل ..

العيب ليس فيك ولكن العيب فينا لاننا كالوارث الأبله لا يعرف قيمة
ما تركه له أبوه ..

أرأيت كيف تمتزجين بالدم فى العروق فالقلب ينبض لك والعقل
يفكر فيك واللسان يترطب بذكرك فلا يملك المصرى الجواب فى أى مكان
حل به الا أن يقول : أنت أنت مصر فى حين كائين القصبة حين تنزع
عن مقرسها فتصير شبابة ترسم النغم ، شجيا ، كقطرات الدموع ..

وتتملك المغامرة ، الشباب ... والمرارة الكهول ، فيبتعدون طلبا

للرزق أو الراحة فما يكادون ينفضون عنهم غبار السفر حتى يحنون
إليك .. ويلج بهم الحنين فيغدو شوقا متقددا ، ودموعا ، على سماع
الأغاني ، ومفارقة متصلة .. ثم ينسون سقاءهم القديم .. وفي سهمه
يشتمون :

تعيشي يا مصر .. وفي لهفة يقولون .. أنت أنت مصر ..

یسیا

فى جامعة ليبيا

نختلف ليبيا عن سائر الرحلات فرحلتى اليها كانت اقامة امتدت عامين ولهذا سوف تطول الكتابة عنها وسوف تتخذ أشكالا مختلفة . .
وسوف يدور حوار وسوف تسترسل معان وأفكار وسوف وسوف . .
الأحداث . . سوف تجنح كتابتى فى بعض المواضع الى أسلوب اليوميات . .
وسوف يدور حوار وسوف تسترسل معان وأفكار وسوف وسوف . .
أنهما عامان من العمر . . وانها تجربتى الأولى فى الاغتراب .

تختلف ليبيا عن سائر الرحلات فقد سبق ذهابى اليها ظرف معين .
كانت ابنتى الكبيرة فى الثانوية العامة وكانت لا تتجاوز الخامسة عشرة
من عمرها . . وفى مصر نحيط الثانوية العامة بجو من الرهبة يلف البيوت
والمدارس معا . وأحسست بصغيرتى مضطربة قلقة . وكان فى ذلك
الوقت مؤتمر للأدباء العرب انعقد فى القاهرة . ولما كان ضيوف مصر
ضيوفى ، فقد استقبلت الأدباء من مختلف البلاد العربية ، فى دارى بعد
ختام المؤتمر .

ومرت أسابيع وأنا خالية الذهن تماما من السفر بل العمل بالخارج
وإذا ببرقية تصلنى من جامعة ليبيا تدعونى الى العمل بها .

استبعدت الفكرة وقررت الاعتذار . . وفى جمع من الأصدقاء طاف
الحديث بالحديث الجديد فقال أحدهم : فرصة حنان من السما اذ أنها
تتخلص من مخاوف المجموع التى تنيرها ليلا ونهارا . . فإذا حصلت على
مجموع كلية العلوم التى تريدها والتى تشترط أن يكون عاليا ، فأنعم
به وان لم تحصل فسوف تستطيع دخول كلية العلوم بطرابلس ثم تنتقل
الى علوم القاهرة بلا قيد أو شرط .

أمامى اختيار صعب : بيتى بكل ما يعنيه . . ومستقبل ابنتى .
أو نفسى وابنتى . وبدون تردد قدمت ابنتى على نفسى .

ان حنان تستحق منى التضحية وبهذا الحجم لا ، لأنها ابنتى فحسب
ولكن لصفاتها الذاتية فهي عطف مضحية فى حدود امكاناتها الطفلة

تقدم كل فرد فى الأسرة على نفسها . . . خدوم بلا حدود . . . كلها حنان
كاسمها . . .

حنان تستحق منى الكثير والبذل لها يسعدنى .

من أجل حنان قررت أن أسافر للعمل فى ليبيا لأجتاز بها عتبة
ال ثانوية العامة ودخول كلية العلوم .

ذهبت الى وزارة الداخلية لاستخراج تصريح العمل . . . كنت فى
طريقى اليها صامتة - تائهة تحت وطأة الشعور الثقيل بالاغتراب
المقبل . . . بدأ التمزق النفسى القاسى .

بدأت قدماى تشدانى الى الشارع لأتملى القاهرة فبعد أيام ستكون
القاهرة منى بعيدة حبيبتى القاهرة . . . ما من مدينة مصريه (توحشنى)
مثلا والمدن كلها منى منذ خططت مصر ، المدينة منذ ألوف السنين .

ذهبت الى ليبيا فاستقبلتنى صحافتها استقبالا كريما . . . وكتبت
أحدى الصحف مقالا بمساحة صفحة كاملة بمائشيت عريض : الدكتوراة
نعمات أحمد فؤاد أم حنان وفينان .

ذهبنا للقاء العميد . . . رجب بنا ترحيبا . . . قال انه تعلم فى مصر
وأحسست أنى أطول قامة . . .

قال انه يحب مصر وتمتعت بغير حروف : لست بأول . . . أحبها من
الشرق والغرب عدد نجوم السماء . . . عدد الرمل والحصى والتراب .

قال : أنه قرأ ، لى قلت فى سرى : السطور منها نبعت ، وفيها
صبت ، ومنها معى خرجت واليها ، بى ، تعود .

وانتقل العميد الى نقطة تعامل . . . قال ان الكلية تخير الأستاذ القادم
بين صرف سبعمائة جنيه للتأثيث أو استحضار غرف جديدة من ايطاليا
وفرشها له واخترت الحل الثانى . . .

كنت بكبرياء مصر فى داخلى ، أختار المظهر الحضارى لا النقود .
وعلمت بعد هذا أن الكثيرين من مختلف الجنسيات يختارون أن يفرشوا
بأنفسهم أثاثا محدودا بسيطا مستعملا حتى لا تتكون خسارة فى بيعه
عند انتهاء العقد .

ولكن هذا الحساب كان غير وارد عندى بل انى استأجرت لسكنى

دورا فى فيلا فى منطقة الحدائق بطرابلس وعندما فرشت لى الكلية الغرف.
الثلاث الجديدة ، اشتريت غرفة نوم جديدة لأطفالى فصار عندى أربع غرف
هؤثلة أثاثا جديدا واشتريت سجاجيد وستائر للنوافذ ونجفا وكنت قد
حملت معى من مصر تحفنا مصرية من خان الحليلى ومناضد صغيرة على
الطراز الاسلامى لمحة من مصر .

وصار بيتى كريم المظهر مشرفا كأنى مقيمه . وزارنى الوزير المفوض .
فى السفارة المصرية فقال : أتمنى أن أستقبل ضيوف السفارة فى هذا
البيت فهو فى الطابع والاسلوب ، أكثر مصرية .

وبدأت الدراسة .. كان جدولى الأساسى لطلبة الليسانس وسرعان
ما التقوا بى وتعلقوا .. ويبدو أن العميد والادارة أحسوا بهذا وحمدوه
فما كان يمضى على انتظام الدراسة ثلاثة شهور حتى حلت أجازة عيد
الفطر فأخذ الأساتذة المغتربون تصريحات السفر من العميد ليحجزوا
أماكنهم فى الطائرات وتأخر تصريحى . فقابلت العميد فقال لا يريد أن
يصرح لى .. ودارت الأرض بى . قلت ولكن الأسانذة جميعا يحملون
تصريحات .. قال أعرف هذا ولكنك أنت بالذات لا أريد أن أصرح لك
بالسفر .. وحاولت بصعوبة حبس دموى كصوتى . قال الرجل :
ليس عبثا لك ولكن فرط تمسك بك .. لست أدرى لماذا أخشى ألا تعودى
الينا .. ولكنى وعدته أن أعود . ولما استوثق من كلمتى صرح لى ولكنه
عاد فى اليوم الثانى وأرسل فى طلبى . فذهبت اليه وإذا به يعطينى
اسورة ذهبية لزوجته طالبا منى اصلاحها فى القاهرة قائلا انه اشتراها
من القاهرة .

وفهمت انها وسيلة للاستيقان من العودة ..

أخذت الاسورة ووعدته باصلاحها وارجاعها .. ولم يكن بها
ما يستعصى على الاصلاح فى ليبيا ولكنها رباط .

سافرت فى العيد بعد أن كنت ينست وداريت يأسى وصبرى وألمى
عن أطفالى بل حاولت غمرهم بالهدايا والحلوى بل صنعت لهم كعكا
ونقشته بأسلوب أمى وجدتى ولم أكن فعلت هذا من قبل .. أردت أن
أشعرهم وأشعر نفسى قبلهم بمصر شكلا ومعنى وعادة وروحا وتقاليدها .

ومن الطريف أن الأديب الليبى الاستاذ المصراتى زارنا ليخفف
غريبتنا وليؤدى واجب الصداقة لأسرتى فى القاهرة فقدمنا له الكعك
فعجب من صنعه ومذاقه وأكل منه بشهية أسعدتنا .

أمضينا العيد في القاهرة وبالطبع اصباحنا الاسورة ووضعناها في
علبة مطعمة بالصدف مما تجيد نممته وزخرفته مصر ٠٠ وعدت الى ليبيا
وتأثر العميد تأثرا بالغا من العودة واللفتة وعاد يكرر من جديد أنه تعلم
في مصر وأنه يحب مصر وأنه يحتفظ لمصر بأغلى المشاعر ٠٠

ومر على الدراسة شهران آخران وأرادت الكلية أن تعقد ندوات خارج
الدراسة يتحدث في كل ندوة أستاذ على التوالي ووضعوا اسمي
للندوة الاولى ٠

ودعا العميد والوكيل كبار الشخصيات من خارج الجامعة للاستماع
وتحدثت عن الأدب في المغرب العربي تونس وليبيا والجزائر والمغرب ٠٠
كان حديثا صافيا حفل بالمقارنات بين المشرق والمغرب في البدايات
والوسائل والموضوع والاسلوب والعوامل والملابس والظروف وامتد
الحديث ساعتين وكان العميد والوكيل كلاهما مزهوا أمام ضيوفه كأنى
أخته أو ابنته ٠

وبعد الحديث أخذنى العميد الى مكتبه ومعنا ضيوفه حيث اتصل
الحديث والتكريم ٠

وبعدها طلب رئيس تحرير كبرى الصحف الليبية أن أكتب بها
المقال الرئيسى يوميا ولما كان ممنوعا أن يشتغل أستاذ الجامعة بأى عمل
خارجها فقد اعتبرت هذا مخرجا ولكن العميد أمام اصرار رئيس التحرير
كتب لى استثناء أى تصريح بالكتابة فكنت أكتب يوميا مقالا فى الصفحة
الاولى ومربعا أدبيا فى الصفحة الثانية وتوالى طلب المجلات الليبية فكتبت
فى مجلة الرواد وكتبت فى مجلة المرأة ٠

كما طلب وزير البترول الى وكيل الكلية أن أدرس لابنته وهنا اعتذرت
اعتذارا حاسما فظن الوكيل أن الأمر يتعلق بتقليد الجامعة وعدم اشتغال
الأستاذ بأى عمل فى الخارج ولكنى أفهمه بوضوح أنى لا أنتقل الى بيت
وزير أو أى انسان كائنا من كان ولكن ابنة الوزير هى التى تأتى الى بيتى
إذا رغبت فى مساعدتى العلمية لها ٠ وقد كان ٠

وبعد هذه المحاضرة ازداد رصيدى المعنوى فى الجامعة وخارجها ٠

وفى العام التالى أرادت الكلية أن تعقد مثل هذه الندوات فإذا
بالأساتذة المنظمين يتعمدون اغفال اسمى وقد صرح بهذا أحدهم وهو من
قطر شقيق وقال بصريح العبارة ما معناه بلهجته الخاصة التى تقتبسها
المسرحية المصرية للاطراف :

ها قد أخذنا درساً لن ندعك تفتحين موسم المحاضرات ولن ندعك
تستولين دوننا على كل الاهتمامات ..

وإبتسمت . انه ثناء معكوف .

حدث هذا كله سنة ١٩٦٨ .. العام الأول لي في ليبيا

وكان مساء ..

صحويت من نومي فزعة على ألم لم يلبث أن أعقبه دفقة من الدم تخرج
من فمي وفزع أولادي ممي وجرى الصغار هنا وهناك وكانت الفيلا نائمة
الا الشقة التي يسكنها انجليز عندهم حفلة ومدعوون . طرق أطفالى الباب
عليهم فهبوا لنجدتى حملونى فى سيارتهم الى المستشفى الليبى وانتظروا
حتى تلقائى الأطباء .. وهو عمل لا تصفه الكلمات لأن فى ليبيا ليس هناك
شئ اسمه تاكسى يستدعى فى النهار فما بالناس فى ساعة متأخرة من
الليل .. كان من الممكن أن أنزف وسط أطفال يدركون جيداً على حداثة
سنهم أننا غرباء عن وطننا وأهلنا وأنى فى ذلك الوقت بالنسبة اليهم أم
وطن وأب وأهل كان ابنى فى السابعة من عمره وإبتنى الصغيرة فى
الحادية عشرة والكبيرة فى السادسة عشرة .

أخذ الجيران الانجليز الطفلين الصغيرين وتولوا تهديتهم آفا أختهما
فقدت تجاوزت سنهما السادسة عشرة وكبرت فجاء وطالت قامتها الى
مستوى الحدث . صحبتنى الى المستشفى وتماسكت لا أقول تحلت بالهدوء
بل أقول أنزل عليها ربي السكينة وهى بطبيعتها رقيقة المسامح . حنون
تنوهم من حنانها من لا شئ .. لا أنسى أنها فى طفولتها لاحظت عليها
مدىستها الاطراق مع الضعف الصبحى بعد تورد ونشاط لاحظته المدرسة
أحسسته قبلها بقلب الأم وبدأت أطوف على الأطباء . فاذا بالكل يجمع على
خلوها من أى مرض عضوى .

جمعتها فى حضنى وسألتها : ما بها ؟ فانفجرت فى البكاء وجن قلبى
الذى تعلق بشفتيها :

— قولى

— خيفة تموتى

وأدركت أوهامها وأدركت أنه عمق حبها لى وشدة نعلقها بلغا حد
الوهم . والحب ان زاد عن حده ، ترهق النفس الأوهام وأفهمتها هذا

لا فارتاحت وسكن وجيبها وبدأت أدارى عاطفتى نحوها حتى ترى
الحياة الأخرى وحاولت أخلق اهتمامات لها وصداقات صغيرة بين
تأ في الدراسة .

هذا موضوع آخر ولكنه نعيم لخطوط الحدث .. الذى واجهته وأكبر
ى فكرتى عنها حتى تلك اللحظة أنها أشدهم حاجة الى فحين أقول
كبرت فجأة فان التعبير لم أخلقه بل خلقتة اللحظة أنها أشدهم حاجة
حين أقول أنها كبرت فجأة فان التعبير لم أخلقه بل خلقتة اللحظة فعلا

عرفت بعدئذ أن الأطباء قرروا نقل دم لى ووضعى تحت العناية المركزة
بن أنه الخطر معلق ٢٤ ساعة وعرفت طفلى هذا فظلت الليل كله
ل بين غرفتى وحجرة الطبيب نسأله عن شىء تتلهف على أمل ومضت
عات كالدهور وكتب الله لى الحياة وبدأت الصغيرة التى كبرت فى سواد
تتصل بوالدها فى القاهرة ومتلها فعلى صديق حميم للأسرة هو
سى الدكتور على كامل وكان أستاذا مصريا بجامعة ليبيا . وحضر
ى على عجل .. كان متهدما وهو الذى كان يباهى بالشباب متفكها
د ، وجادا كالمفك .

ولم تكن أسرتى وحدها هى التى اهتزت لمرضى بل أحسست الألم
ماركة والمحبة من المصريين جميعا فى ليبيا ومن الليبيين أيضا أدباء
فنيين وكبار أهل البلد وطلبتى وأولياء أمورهم كان عميد كلية المعلمين
بلس الاستاذ أمين الحافى يأتى يوميا الى المستشفى ومعه وكيل الكلية .
ى الأساتذة من مختلف الجنسيات .

أما المصريون فقد اعتبرنى كل منهم مسئوليتة الخاصة . لم يغيب
منهم أحد مرة فتحت عينى فى الصباح فوجدت فى مدخل حجرتى
أنا كبيرا لا أعرفه يقرأ لى القرآن فى تبلى وهممة . ثم انصرف .

زارتنى يوميا سيدة مصرية متواضعة لا أعرفها وأخذت تمسح شعرى
ما وتدعو لى دون أن تذكر اسمها .

كان أحد المستشارين المصريين فى ليبيا يرسل زوجته كل يوم
من الى جانب سربرى من الصباح الباكر حتى الظهيرة .

لقد تجمع طلبة كلية المعلمين فى فناء المستشفى وأصروا على أخذ دم
لى . وأفهمهم الأطباء أن الدم لا يؤخذ الا من فصيلة مائله وأنه يح

هكذا قد تم نقل الدم لى ولكن أحدهم قال انه سوف لا يبرح المستشفى
الا اذا أخذوا لى دما ، منه ولو يريقونه بعد هذا المهم يشعر أنه أعطانى
من نفسه وبكىت . . بكيت كثيرا من التأثير .

وجاء أحدهم وكانت له عين واحدة وليست سليمة وجلس الى جوار
سريرى وأخذ يبكى منتحبا وعبثا حاولت تهدئته فلم يكف عن البكاء الا عندما
بكيت أنا .

وأحببت ليبيا أكثر وارتبطت بطلبتي أعمق وأعمق فوق ما كان بينى
وبينهم من وثاق وأعماق .

ولم أجد تعبيرا أوفى وأقدر على رد الجميل الا تمسكى بوضع الاءتحانات
وأنا فى سرير المرض . أنا وحدى التى أعرف استعدادهم وحجم تحصيلهم
فى كل مادة من مواد الأدب فلا أتركهم لأستاذ يحتكم معذورا الى المنهج وحده
دون سائر الاعتبارات .

وكما أصررت على وضع الامتحان تمسكت بالتصحيح وتم هذا كله
فيما بنى المستشفى وبيتى هناك فى طرابلس .

وكان حادث مرضى هذا كافيا للاعتذار لليبيا وعودتى الى مصر ولكننى
بعد الاجازة الدراسية قررت العودة عاما آخر تعبيرا عن الشكر أعود بعده الى
مصر أو أودع بعده ليبيا لا بسبب المرض ولكن فى كامل صحتى اختيارا
للعودة واشارا لمعنى غال أحرص عليه .

فى نهاية العام الثانى لى فى ليبيا قدمت خطاب استقالة واعتذار الى
العميد على الرغم من أن مدة عقدى مع الجامعة أربع سنوات . . ووسط
محاولات لاهثة من مختلف الجنسيات للبقاء استنفادا للعقود أو تجديدا
لها . . وحاول العميد فى مودة صادقة ورجاء ملح أن يشينى عن الاستقالة . .
وبكل الود تمسكت بها . . رفع الأمر الى مدير الجامعة الذى استدعانى
بدوره محاولا صرفى عن الاستقالة ولكننى شكرت واعتذرت .

وفى يوم جاءنى أثناء المحاضرة موظف فى الادارة يقول ان السفير
المصرى على التليفون .

حدد لى سفير مصر موعدا فى السفارة لمقابلته . . وذهبت فى الموعد
وفاتحنى فى موضوع الاستقالة ونهى الى أن الجامعة لجأت اليه ليحاول
التأثير على كان بادى الغبطة والزهو وان حاول اخفاء مشاعره .

قلت له : ما الذى يسعدك سفيرا لمصر ، أكثر أن ترجوك الجامعة فى

استبقاء أستاذ مصرى أم نطلب اليك استبعاده ؟ .. ان البعض سامحهم
الله يحسبون المصرى منهافتا ، من خصائصه على المال يسعى اليه فى أى مكان
ويرضى من أجله بأى وضع .. فدع مصرى يقول : لا ولتأت « لا » على لسان
المرأة المصرية .

وانفجرت أساريه وتهلل وجهه ووافقنى .

ونزلت القوائم فى الجامعة فاذا بأسماء كثيرة من مختلف الجنسيات
أمامها عبارة استغنت عنه .. أنهت الجامعة عقده .

حين كتب أمام اسمى : بكل أسف اعتذرت عن الاستمرار .

بل أقامت ليبيا الرسمية والسعيدة حفل تكريم لى فى فندق
جراند أوتيل دعت اليه أساتذة الجامعة فى طرابلس
وبنى غازى والكتاب والصحفيين والوزراء وكبار الشخصيات وبعض
السيدات الليبيات المشتغلين بالتعليم أو بالخدمات الاجتماعية .

ومن الطريف أن بعض الليبيين بصراحة الليبى وتلقائته قال :

فى هذه الحفلة : لم أصدق حين بلغتنى الدعوة الى هذا الحفل حتى
جئت وها أنا ذا أشاهد بعينى تكريم السيدة المصرية الدكتورة نعام مع
أن الأستاذ فريد أبو حديد مك فى ليبيا اثنى عشر عاما ثم عاد فلم نقم
له حفل تكريم .

وابتسمت بين مشاعر مختلفة كانت نموذج فى نفسى ليتهم أقاموا
حفل تكريم قبل للأديب المصرى (فريد أبو حديد) فهو أستاذ بالقراءة
أه أحد جيل العمالقة الذين نالت من أدبهم قبل أن يصير لى قلم .

ان التكريم ، فى الحقيقة لمصر ، قبل الأسماء جميعا .

وحان يوم السفر فأوقدت الحكومة مندوبا يودعنى فى الميناء

ورأيت الأرض المصرية قبل أن تتحرك الباخرة فقد كانت الباخرة
مصرية بل اسمها (الباخرة مصر) ..

وعدت ولم تنقطع صلتى بليبيا فأهلها وطلابها لم تنقطع عنى رسائلهم
وزياراتهم معا .. كان طلابى عندما يحضر أحدهم الى القاهرة يسعى من
توه الى بيتى .. قال أحدهم مرة : هذا البيت فى شعورى هو السفارة
الليبىة التى نقوم على بعد أمتار منه .. هذا البيت سفارتى ووجهتى .

ومرة زارني انسان شيخ لا أعرفه وقال أنه والد الطالب محمد الذي درست له في ليبيا .

وكتب لي مرة أحد طلابي بعد عودتي بعدة شهور يحكي لي نزاعا حدث بينه وبين زميل له كان طالبا عندي متله فكتبت للأنين معا وأصلحت بالرسائل بينهما .

وكتب لي طالب ألم به طائف من مرض هل يذهب الى العلاج في الخارج أم أرى رأيا معيناً . وكم من قضايا طرحها طلابي الليبيون في رسائلهم لي بعد عودتي الى مصر فأعششها معهم وأناقشهم فيهم وأشارهم الحل . . وتلغى السطور . المسافات . وأدرس في مصر وأحاضر وأكتب ويزداد رصيدي من القلوب والعقول وهو حظ عظيم دونه الثروات والعروض ولا تسرح ليبيا ذاكرني بأهلها وأيامي بها .

ويزورني كبير ليبي ويودع عندي أمانة ثمينة يغالي بها . . لا يسألني عنها صكاً . . ولا تزال عندي الى اليوم . . وكلما فاتحته في شأنها في احدي زياراته للقاهرة ، قال : لقد اخترت لها المكان الأمين وكفى . ويأسرني هذا كله . . وتختلف السياسات وتشتد الأزمات أو تنفرج ولكن ليبيا الأرض والانسان لا ينزعها من نفسى خلاقات أو سمحبات أو عرض يزول .

١٩٦٩/٩/١

صحونا من نومنا على لهجة غريبة في الاذاعة الليبية وأنصتنا جيذا . . انها الثورة .

لقد وضع الجيش يده على السلطة . . وأسلم زمام الأمر اليه سريعا . وبدأت البيانات الثورية تتوالى ومنها حظر التجول . . ومنها وهو الأهم قفل المطارات وموانئ ومنافذ ليبيا الى أجل غير مسمى .

لقد تم العزل .

أصبحت مصر أبعد بعدا .

صار أحبائنا في جانب ونحن في جانب وزاد حرماننا وعذابنا عذابا . . كل اتصال بمصر موقوف . . لم تعد نسمة تهب علينا من مصر في خطاب أو تليفون ومع هذا تفكيرى كله كان في قلقهم لا قلقي . . كيف

وصلت الأخبار اليهم ؟ وما وقعها عليهم ؟ صار همى سماع اذاعة الشرق الأوسط .. وعلى التحديد ، نشرة الأخبار لاتبين طريقة وصول الأخبار اليهم . كانت المحطة تذيع الأحداث فى غير مبالغة بل هادئة تطمئن .. وحمدت الله .

وحمدت الله مرة ثانية لأنى قدمت أوراق حنان قبل قيام الثورة وحظر التجول .

فينان وأحمد الى جانبى مشغولان بلعبة الشطرنج .. وأحمد الله فى سرى لانشغالهما باللعبة عن القلق والتفكير .. والتفتت الى الصغيرة بوجهها الحمرى الجميل تقول :

— انها تجربة عشتها .. لم أشهد فى حياتى ثورة ولم يكن لى علم بها كيف تتطور فيها الأحداث .. ها قد شهدت ثورة من الثورات .. ان وصف الصحف لا يحضر الى الذهن صورة كاملة .. متلا ثورة السودان .. كانت بالنسبة الى البعد مجرد خبر فى الصحف .. أما الآن فاننا نعيش الأحداث نفسها .

ان نظرة متأملة على الشرق الأوسط تكشف بوضوح زعامة مصر للمنطقة حتى فى الثورات .. فجميع الثورات العسكرية قامت بعد ثورة مصر سنة ١٩٥٢ العراق .. السودان .. الجزائر وأخيرا ليبيا . حتى الأناشيد الحماسية التى نتخلل البيانات الثورية من مصر .. وأناشيد مصر .

١٩٦٩/٩/١٢

جرس التليفون يدق .. من يكون ؟ لقد طالت عزلتنا .. من يكون المتحدث ؟ لقد حاولنا الاتصال بعاصمتنا القاهرة مرتين فكان الجواب استحالة الاتصال ورضنا بالبأس أو تجرعناه .

رفعت السماعة ولشدة فرحتى .. أنها القاهرة . وبعد قليل سمعت زوجى وابنتى وأكدا لنا قدومهما بمجرد فتح المطار ..

كان حديثهما أول حديث مصرى الى طرابلس كما عرفت فيما بعد ثم عادا فاتصلا مرة أخرى مؤكدين قدومهما يوم ٩/١٦ .

١٩٦٩/٩/١٦

ذهبت مع الطفلين الى المطار •

وصلت الطائرة المصرية وتعلقت عيسوننا بكل قادم ولكن الركاب جميعا خرجوا من المطار •• ووصلت الطائرة المصرية الثانية وتعلقت عيسوننا من جديد بكل قادم وسألت من قلقي كل من يمر بنا هل هناك مسافرون آخرون ؟ وكمن من أسئلة لا معنى لها حتى لم يبق بالمطار أحد غير الموظفين العاديين •

ذهبت الى مكتب شركة الطيران العربية بالمطار وطلبت كشفوف المسافرين بالطائرتين قرأت الأسماء مرة بعد مرة ••

لم يبق الا أن نعود أدراجنا الى المنزل فى قلق عاصف • وما كدت أصل حتى هممت بالخروج سعيا الى مكتب التلغراف فناداني طفلاى •• القاهرة على الخط •• وبلعت ريقا جف فى حلقي وجفت معه شفئى •

وما كدت أسمع زوجى وابنتى حتى انفجرت فى البكاء •

لقد تأخر مجيئهما لأن الدادة ألغيت تأشيرتها الممنوحة لها من السفارة الليبية أو أصبحت غير ذات موضوع ••

١٩٦٩/٩/١٨

اقتربت من الموقد لأشعل شمعتة فانطفأت • أشعلها مرة ثانية ثم انطفأت وتقدمت الى الموقد لأشعلها للمرة الثالثة والاخيرة فقد ضقت به وكانت هى الأخيرة فقد هب الموقد فى هبة مروعة •

صرخت من الفزع وصرخت صغرتى فزعة معى •

كان الجو صلبا وكان ثوبى بلا أكمام فاحترق ذراعى مع وجهى وتساقطت رموشى ولسعت النار رقبتى وصدرى •

نادت ابنتى جارتى الممرضة الانجليزية فحملتنى الى اسعاف المستشفى حيث أسعفت وأعطوني حقنة مسكنة ورجعت الى بيتى • وخف الينا مصرى صديق هو الدكتور على كامل وزوجته وفى الحال ذهبا الى الطبيب المصرى الدكتور الباز فأحضراه ••

ونظّر الجميع الى والاسى والأسف على وجوههم فانا لم يدض على خروجى
من المستشفى فى حادث النزيف المعوى غير ثلاثة شهور .

واقترب منى الدكتور البيار وطلب الى ألا أستعمل الأدوية التى حملتها
من المستشفى وكتب لى أدوية جديدة وحقنا أيضا .

وأخبرنى الدكتور البيار أن حروقى سنورم فلا داعى للانزعاج فإن
الحالة بمضاعفاتها ستزول بأذن الله . وقال بلهجته المتمكنة :

— ستنسى يوما هذا الحريق .

ولكنى لا أحسب أنى سأنساه ..

لا أحسب أنى سأنسى فزعى وفزع ابنتى الصغيرة التى كانت تبكى
منفطرة وأسألها مذهولة :

— أنا احترقت ؟

فتقول فى براءة والبول يلف وجهها : أبوه يا ماما .. روحى
المستشفى .

• معلىش

معلىش يا حبيبتي الصغيرة .. الحمد لله .

أقولها الآن وحتى فى ذلك اليوم العصيب قلنها .. قلت الحمد لله
فلطف بى الله .

١٩٦٩/٩/٢٥

اليوم موعد قدوم زوجى وابنتى من القاهرة . لقد أكدا هذا فى
(التليفون) يوما بعد يوم ولكنى من وهمى لا أصدق . لا أصدق حتى
أراهما بعينى .

ومرة أخرى ذهبت ومعى الطفلان الى المطار ..

ربطت كفى ولبست ثيابا تغطى الحروق تماما .. واحتسنت على
الحواجب والرموش التى سرقتها النار بالكحل المصرى والظلال فبدت عيناى
مصريتين .

لقد فابلنى أفراد من معارونا مصادفة فى هذا اليوم فذهلوا من الدهشة كيف عدت سريعا الى ما كنت عليه .

وفى المطار وضعت شالا حريريا على ذراعى ويدي اليمنى وقلت فى نفسى ألوح بهما عندما أراهما بيدي اليسرى . وفى زحمة الاستقبال سوف نفوتهن ملاحظة الحقيقة .

وجلسنا فى المطار وأسأل عن موعد قدوم الطائرة أقصد الموعد التقليدى لشهرة الطائرة المصرية فى ليبيا بالتأخر عن الميعاد فقايل يقول تصل فى التاسعة وقايل يقول فى العاشرة .

وفى الثامنة وخمس وعشرين دقيقة وصلت طائرة أحسست نحوها احساسا خاصا مع أن المحيطين بى من المنتظرين كانوا يخلعون عليها جنسيات مختلفة الا الجنسية المصرية . . . وتقدمت من باب الدخول المعهود ففتحت ذيل الطائرة بألوانه الثلاثة . . . ونهللت . . . انها الطيران العربية أى الطائرة المصرية . . . ووفعت وأطلت لهفتى تتفرس القادمين . . . وفى تقديرى أنى سأقف ربع ساعة على الأقل حتى يهل هلالهما لأن اجراءات الجمرى فى المبنى الآخر طويلة كما جربتها فاذا بى بعد نصف دقيقة أراهما يمرقان من الباب .

وفى طريقنا الى البيت لاحظت ابنتى التى أخذت مكانها الى جوارى برباط يندى فقالت حبيبتي فى نبرة عميقة تشع حنانا وحبا . .

سلامتك . . مال ايدك ؟

فقلت لها فولا مبهما لونا من الهروب حتى لا أزعجها .

كان زوجى يجلس فى المقعد الأمامى للسيارة الى جوار صاحبها الذى جاملنا بانتظارهم فلم يلحظ شيئا . . . ولكننا ما كدنا نغادر السيارة حتى قال : ما هذا ؟ ماذا حدث ؟

— شىء بسيط والحمد لله .

ولكن عندما دخلنا ، ألحا فى السؤال حتى عرفا كل شىء . . كانت عيونهما تقطر أسى ولكنى أضعت الموضوع بالسؤال عن مصر ومن فى مصر وأخبار مصر .

١٩٦٩/١٠/١٧

اليوم موعد عودة زوجي الى القاهرة • اشتقنا القاهرة • متى يا الهى
أجد نفسي فى بيتى متى أعود الى دارى وحديقة دارى والشجرة الصديقة
التي ترسل أطفالها أى أغصانها تلعب مع الهواء فى شرفتنا الكبيرة • متى
أعود الى بيتى التي تضج فيه الحياة فالتليفون لا يكف عن النداء ، وجرس
الباب لا يكف عن الرنين ، ألو المشاغل الحلوة ، والضيوف والمكتبة والموسيقى
ويتهادى فى هذه اللحظات صوت أم كلثوم شجيا نديا :

— كفايه بأه تعذيب وشقا • • دموع فى فراق ودموع فى لقاء •
هل هى صدفة ؟

١٩٧٠/٢/١٧

صبراته

مدينة ليبية على البحر أسسها الرومان فى ليبيا قديما • بينها وبين
حدود تونس عشرون كيلومترا تقريبا • بينها وبين منطقة سكننا تسعون
كيلومترا •

كان النهار صحوا والجو دافئا والسماء صافية والشمس مائة
وممتعة •

كنا نسير وراء سيارة أسرة مصرية صديقة حتى لا نخطئ الطريق •
وصلنا صبراته ووقفت السيارات أمام المتحف هناك ودخلنا المتحف
رفوف من الزجاج عليها سدرات أنسياء أو نارات فخار أو قدور وآنية
فخار وتذكرت الإعجاز الذى تضعه متاحفنا مكدسا فى زهو ساذج أو
غافل •

تذكرت الترصيع والنكفيت والحفر والنحج وتذكرت روائع المتحف
المصرى والقبطى والاسلامى

تذكرت سقارة وادفو والاقصر وأسوان وأبو سمبل وصلى قلبى صلاة
لم يسمعها أحد الا صاحبها • • كنت مع ذكر الله فى لحظة صمت • •
ويسألنى أولادى والمحيطون بى أسئلة مختلفة ولكنى لم أكن معهم كنت

فى متحف آخر على بعد ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف كيلومتر ٠٠ كنت أراها النيل
يندفق وفى قلبى كنت أرى مصر فان كل شىء تراه عيسى فى غيرها يزيدنى
احساسا بها وحبا فيها ٠

لم أفتح عينى على صبرانه الا بعد أن غادرنا المتحف ٠ رأيت صبراته
على البحر ٠ بقايا مدينة قديمة ولكن الأعمدة الكثيرة ومباني المسرح
وبقايا ساحة المحكمة كلها كانت نحدث بأن هذا المكان كان مدينة كاملة
أو مستكملة ٠

١٩٧٠/٣/٣١

تفضل صديق لىبى فدعانا الى مشاهدة بعض معالم طرابلس ٠ ذهبنا
الى عين زاره ثم الى تاجوره ٠ المنطقتان متشابهتان ٠ أرض رملية حمراء
مزروعة أرض تصعد فيها السيارات وتنحدر ديزت عينى فى عين زاره عيننا
كبريتية يتصاعد منها البخار أو يتطاير بخارها مع الماء المتصاعد ولكن العين
يذهب عطاؤها فى الأرض كلها نافورة للتسلية ٠ حتى النافورة حولها
أناس يشاهدونها أما هذه فتقف فى المكان كالمهجورة لا تحظى بلفتته
أو انتباه ؟

وفى تاجورة عين أخرى يحيط بها سور متواضع منخفض ٠ وتذكرت
عيون مصر الكبريتية انها قياسا ، أحسن حظا ٠ كم فى ليبيا من كنوز
الطبيعة وأهلها عنها ، ساهون ٠

وفى تاجورة وما بعدها كان سور قاعدة الويلس الامريكية بأسلاكه
الشائكة أو منارات الزجاج عليه ٠ وشكله الرهيب يمتد على طول الطريق
وكأنه يتحدى مشاعرنا ٠

كنا اذا بعدنا فى منعطف أو طريق جانبى اذا به أمامنا من جديد كأنه
يتعقبنا ٠٠

كان اليوم عيد جلاء القوات البريطانية عن قاعدة طبرق ٠ وقتئذ قلت
فى ابتهاج صامتة : متى يخرج هؤلاء أيضا ؟ الى منى ترزا شعوبنا بالقواعد
وأصحابها ؟

من هذه القاعدة خرجت الطائرات المغيرة على مصرنا سنة ١٩٦٧ وفى
هذه القاعدة البغيضة تمرن اليهود وتدربوا على ما فعلوه بنا ٠ لن
نسى ٠

لقد رأينا أشياء طيبة في ليبيا ولكن أحسن ما رأيته هو خروج الانجليز منها وانى لمنتظرة خروج الأمريكان فى يونيه ٠٠ انى من أعماقى أحمد الله من أجل ليبيا ٠٠ أحمدته من أجل غاليننا مصر حى لا يحترق بها أعداؤها أو أعوانهم ويتهدد وجودهم ، سلامها وسلامتها ٠

مولد أديبة :

نظرت الى طابلى فى ايمان بها وقد لاحت فى خاطرى ، فكرة أكبر منها كثيرا ٠٠٠

- ما رأيك يا فيسان ٠٠ فى أن نكتبى ؟
- أكتب ؟ أكتب ٠٠ ماذا تقصدين يا أمى ؟
- تكتبين وتنشرين ٠٠ انك أديبة ألا تعرفين ؟
- ولمعت عينها وكأنها وجدت طرف الخيط الذى نبحث عنه ٠
- أمى ٠٠ حقا أنا أكتب وأنشر ؟ ٠٠ أصدفينى الخبر ٠
- وصمنت لحظة وقالت كمن يؤكد الخبر ؟
- طيب عن أى شىء أكتب ؟
- اكتبى مثلا ٠ تحت عنوان مذكرات طالبة ٠
- لا ٠٠ ان الطالبة عالمها محدود ٠٠ أكتب مذكرات فتاة عصرية ٠
- أخشى أن تفسر كلمة عصرية فى بلد محافظ كليبيا نفسيرا غير بسيط ٠

- اكتبى مذكرات فتاة فحسب ٠
- أريد أن أوقع كتابى باسم نفرنينى ٠٠ ذلك الاسم المصرى الجميل الرقيق الذى يفعل فعل السحر فى أوروبا ٠
- لماذا لم يظفوا على منذ مولدى ، اسم نفرتيتى ؟

وهنا استنكرت حنان فى الحديث وقالت : لماذا لم تظفوا على اسم (تاي) أو (مريت) أو نفرتارى ؟ كيف غابت عنكم هذه الأسماء الجميلة المصرية الصميمة ٠

.. ولكننا احترنا ، لكما ، اسمين معبرين جميلين .. حسان ..
فينان .

– ولكن نفرتينى – ناي – مريت أبعد مدى .

الى هذا العمق بلغ جبهما لأمهما مصر .. مصريتان رواهما النيل
وأمسكت فينان أو نفرتينى كما اختارت لنفسها ، بالقلم وأخذت
نكتب . وفى أقل من ساعة كتبت صغيرتى حلفتين ، صغيرتين بالطبع – من
مذكراتها فى سلاسة ويسر وبلاغ .. وكانت احدهما تحليلاً لكتاب
(يا ابن آدم) للكاتب الميجرى « ميخائيل نعيمة » .
كانت هناك بضعة أخطاء نحوية . وفينان لا تحب النحو
ولا نستطيعه .

أصلحت لها الأخطاء ولكنى لم أمس التعبير وأسلوب الصياغة لأنها
لا تحتاج شيئاً .

ولاعتبار آخر هو تأكيد بحقتها فى نفسها .

لقد سلمت من تعثر أو تردد أو قلق المحاولة الأولى لقد كتبت
الصغيرة ذات الحادية عشرة فى رسوخ قدم واقتدار .

لك الحمد ياربى .

اليوم ولدت لى أدبية .. أقول لى ؟ ولدت لمصر المنجبة .. هى التى
صنعتها على عينها .. أقلتها وروتها ، ونمتها ، ونفحتها بأكسير عشرات
القرون الحضارية .. ان وراء فينان ألوف السنين من التعمق الحضارى
والحس الحضارى .

ولدت لمصر ، أدبية .

وقد ظهر أول مقال لها فى ١٧/٤/١٩٧٠ فى (جريدة الثورة) وهى
الجريدة الأولى فى ليبيا وفى عدد الجمعة وهو عدد خاص تدخر له المقالات
المتأزة !! مقال فينان فى أعلى الصفحة الأدبية داخل مربع كبير واسمها
داخل مستطيل متشابك كزخرفة بمسقطيل آخر .

ونظرت الى التوقيع المستعار (نفرتيتى) وسرحت قليلاً . لقد نمئت
كما عرفت لو أنها وقعت باسمها الحقيقى ليراه أستاذها بالمدرسة .. أستاذ
اللغة العربية .. لم تفكر فى القراء الجدد .. كل ما يهمها أستاذ اللغة

العربية بالمدرسه • انها طفله لاتزال على الرعم من بصجها الباكر ••
عندما رأت فينان الصفحة رعدت عيناها •• كادت تطير من الفرح •
لقد فعلت أنا ، هذا ، قبلها •• وهل هذا قليل ؟ ما أكبر نعمتك يا الهى ••
وبعد قليل وصلت حنان من الكلية وأطلعناها على الصحيفة فتهللت
وكادت تقفز من الفرح والتفتت الى أختها الصغيرة وقالت فى براءة الملائكة
وطيبة القديسين :

— أنا فخور بك •• فخور أن لى أختا أدبية واحتضنتها وقبلتها ••
كم تأسرونا حنان بطيبتها ونفائها وطهر قلبها ••

لم تعرف العيرة الفليدية بين الاخوه فلوب ابنائى •• لم أسمع من
أطفالي يوما ، كلمة « اسمعنى » •• لم ينفس أحدهم على أخيه ، شبيثا
مهما كان •

وظل فيان بسب الحادية عشره ، يسب كل يوم عمودا •
ودات يوم كنت أجلس فى عرفة الاساندة فى الجامعة فادا بهم يتحدثون
متسائلين فى دهشة واعجاب معا : من تكون صاحبة العمود الجديد ؟ ويرد
أحدهم :

— أرجح أن تكون مصرية من نوقيعها •• من يوقع باسم نفرتيتى
غير مصرية ؟

— ويتقافز قلبى من الفرح وأسنبج لنفسى عذرا فى الاسنماع بل
استرقاق السمع لأنى لا أريد الاشنراك الصريح فى الحديث حتى لا تنم على
أمومتى •• وجاهدت طويلا ولكنى مالبست أن قلت فى زهو الأمومة :
انها ابنتى •

من الطريف أن الصحيفة كافأها عن كل يوم عشره جنيهات وفرحت
الطفلة بحفنة من نقود نوضع فى يدها دفعة واحدة ولكنى قلت لها ••
احتفظى بهذا المبلاد الثانى •• بهذه الذكرى الغالية طول عمرك ؟

- وكيف يا أمى ؟

— جسميها فى شئ لا يبلى •• اشترى لك بها شيئا ذهبيا حى ولو لم
تلبسيه بصفة دائمة ولكنه يظل عندك تجسيدا لهذه السعادة •
وقد كان

وأختارت طفلتى عدة لعب ذهبية وحليات نجمعها سلسلة واحدة
لا تزال تحتفظ بها وتعز بها وأنا أكثر اعتزازا .

ذكريات عن ليبيا

١٩٧٠/٣/٤

اليوم أول يوم دراسى بعد عطلة نصف السنة فى كلية طرابلس
مدرسة فينان وأحمد . وفى الساعة الثانية بعد الظهر عاد ولداى .

قالت فينان وكان أحمد قد دخل حجرته ليتخفف من الكتب التى
زادت عن حقيقته .

— ما أحسن وأجمل خبر يمكن أن تسمعيه وتشتهى أن تسمعيه ؟
قلت لها بلا تردد

— انتقل أحمد الى السنة الرابعة .

— قالت نعم ولكن انتظرى لاتظهرى فرحتك الآن لنحتفظ له هو
بدور البشير .

وسيطرت بالكاد على فرحتى من أن تنتطلق . ودخل أحمد حجرتى
وزف الى نفسه النبأ . تهللت وزغردت عيناي وقلبى معا . . لولا الزكام
فى ذلك لعانفته وقبلته كله كله .

لم يبنى على انتهاء العام الدراسى غير ابريل ومايو ولكن المدرسة
بنظامها الانجليزى لا تتقيد بالزمن . فالطالب اذا ساءت مستواه ، الفرقه
الأعلى ، نقله اليها . . وقد كان . نقل أحمد الى السنة الرابعة . .

أمنية وحلم لى حتى يستطيع أن يلتحق عند عودتنا الى مصر بالسنة
الخامسة الابتدائية سيرا فى طريقه المرسوم باذن الله .

لقد كان أحمد عند مجيئنا الى طرابلس منقولا فى مصر من السنة
الثانية الى السنة الثالثة . وفى طرابلس دخل الفرنسييسكان سنة ثالثة .
ولما كانت مدرسة الفرنسييسكان ليس بها فصل رابع ، فقله ألحقناه بكلية
طرابلس . وكان نبوغ فينان فيها قد مهد له الطريق الذى كان ، قبله ،

شائكا .. ولكن كلية طرابلس بالنعرة الانجليزية لا يمكن أن تقبل طالبا محولا من مدرسة أخرى فى الفصل نفسه بل لابد أن تنزله فصلا باعتبار التعليم فيها أعلى مستوى ووفقا لنظامها الذى يأخذ بالسن فمن دون التاسعة يدخل سنة ثالثة . وكان أحمد فى مستهل العام الدراسى (أكتوبر ١٩٦٩) . دون التاسعة كان على التحديد نهائى سنوات ونصفا .

لم يكن أمامنا الا التقبل فليس فى طرابلس مدرسة انجليزية غيرها . ولكنى كنت واثقة فى الله أن أحمد سيتثبت وجوده وسيقرض نفسه بنفسه .

ومضى شهر وشهران وثالث وجاء فبراير الذى يتم أحمد فى ٢٦ منه . التاسعة وهنا أخذ الأمل يخيلنى بالحاح . وبدأت أفكر فى وسيلة أتوفق بها الى كلية طرابلس لنقل أحمد لاعتزامى العودة الى مصر وحاجتى الى مستند رسمى يشفع له فى دخول السنة الخامسة بمدرسة بورسعيد . بالقاهرة .

وبينما أنا فى التفكير اذ ربى فى التدبير كمايقول أهلنا فى الريف وفى أول يوم بعد عطلة نصف السنة يخرج أحمد صباحا فى السنة الثالثة، وعاد الى لفرحتى فى السنة الرابعة .. شكرا لله .

استلم أحمد كتبا جديد كبيرة ولكنه لم يتهيبها بل أقبل عليها فى زهو النجاح وحماسة الفرحة بتعرف عليها ويقرأ فيها مستكشفا .

١٩٧٠/٤/٩

اليوم « أبيض » فى كتاب أم كلثوم وأستعين على العمل بالراديو الى جانبى . أسمعته من آن الى آن من محطات مختلفة .. سمعت من محطة تونس أواخر حفلة حضرها رئيس الوزراء فيها واذا بالسلام القومى عندهم نشيد ! حماة الحمى .. النشيد المصرى ! وبين تونس ومصر ، فى ذلك ، جفوة سياسية ان لم يكن أكثر .. ولكن المنطقة كلها فى الفن وخاصة الموسيقى والغناء وجهتها مصر .. وواجهتها فى ليبيا . السلام القومى نشيد (الله أكبر) .

كنت فى رحلة مع طلبة الجامعة الليبية فاذا غناء الطلبة أناشيد

مصر .. أحيانا يوجهونها الى ليبيا وكثيرا ينشدونها كما هي . ويبتسم
قلبي وهم يقولون فى انسابى مع طبيعة الشيد :

– مصر يا أم البلاد ...

انها مصر .

١٩٧٠/٤/٢١

سمعت ممن كانوا بليبيا سنة ١٩٤٧ أن اللغة السائدة فى ذلك
الوقت كانت الايطالية وكانت اللغة العربية تائها فى زحام اللغات الأجنبية
المتصارعة على الأرض الليبية حتى أنه فى الأيام المطرة كانت اللافتات التى
تنبت فى الشوارع تقول :

بى سوى .. لما مبلوله الأرض مالمسه !

أى تمهل فالأرض ملساء من البلبل .

بماذا نفسر هذا ؟ هل نقول الاستعمار ؟ نعم الاستعمار .

ولكن مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر تعاني من الاحتلال
الانجليزى وفى سنة ١٩٤٧ . لم تكن قد تخلصت منه ، بعد .. ولكن
اللغة العربية فيها كانت آمنة قوية ، لها كتاب وكتب ودواوين وأسفار .

لقد حفظت مصر اللغة العربية على مسيرة التاريخ وسير الأحداث
بل هى التى أنقذتها من الضياع والهوان .. واضطلع أزهرها بهذا الدور
الخطير وحده .

ان اللغة مقوم من مقومات الأمة . والدين مقوم من مقوماتها ..
وحفظ مصر لهذين ، دور حضارى بعيد المدى .

وهذا دور مصر على مسرح التاريخ والأحداث ولم تختف الأضواء عن
قسماتها أبدا .

زيادة

زارنا الصديق الأديب الليبى الأستاذ / مصطفى على المصراتى .
ووجدناها مناسبة ، أسأله عن حقيقة تاريخية تضاربت فيها الأقوال وهى
قصة الشهيد « عمر المختار » مع الإيطاليين هل شنتوه ؟ أو ألغوا به من

شاهق بعد أن أركبوه طائرة وهي القول السائد حتى قال به شوقي في قصيدته التي رثى بها عمر المختار وقال به المغفور له الأستاذ / البشري في قطوفه أو في رسالته الساخرة الى جرازياتي .

وقال الأستاذ / المصراتي :

— قصة الطائرة أشاعها وأذاعها الوطنيون للاثارة السياسية لاثارة شعور الانسان العربى والانسان فى كل مكان ضد الايطاليين المستعمرين . ولكن الذى حدث أنهم حاكموه محاكمة صورية سريعة ثم أودعوه السجن يوما وليلة اجتمع به أثناءها جرازياتي على انفراد ولوح له بالوعد والوعيد فلم يشنه عن عزمه ويقول الأستاذ المصراتي محقا .

— هذه هى البطولة والخلود .. لقد كان وحده لايسمعه أحد ولا يحرسه شهود مواطنون له .. فلم يستعطف ولم يساوم ولم يتزحزح شعره عن موقفه .. وان حواراه مع جرازياتي ليكتب بمداد من نور ليضى طريق الأجيال القادمة وطريق الحرية فى كل مكان .

ولكن جرازياتي لم يحترم ترفعه ولم يحترم صموده وشجاعته ولم يحترم شيخوخة ذات التسعين عاما .. ولو كان عنده ، لا أقول خلق ، بل حس سياسى لفعل .. ولو تظاهرا بالعفو والرحمة .

ولكن جرازياتي أمر بشنق عمر المختار وشنق على الفور ولكنه لم يمت روحا ومعنى ولم تمت المقاومة بل مات الاستعمار الايطالى ولحق به الاستعمار الانجليزى والأمريكى وخرجت ايطاليا من ليبيا وتفوضت القواعد فى طرابلس .

١٩٧٠/٤/٢٣

دعانا شاعر ليبي (الأستاذ على صدقي عبد القادر) الى حفل زفاف ابنه أو دعنا السادة حرمة فقد وجهت الدعوة فى بطاقة الدعوة باسمها . وذهبنا الى فندق ليبيا بلاسى حيث مكان الاحتفال .. كان من الواضح أن الحفلة خاصة بالسيدات . ذهبنا فى الموعد استقبلتنا أم العروس هاهى سيدة فى وجهها سماحة وطيبة وحولها أو جالسات على مقربة منها كوكبة من السيدات يبدو أنهن أقارب الأسرة .

كتمنا دهشتنا عندما وجدنا السيدات مغطيات بالذهب تلبس كل واحدة منهن كردانا من عشرين دورا إلى رقبتهما ويصل حتى أسفل البطن ويمتد عرضا من الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر ٠٠ كل هذا ذهب فى ذهب وعلى رأس كل منهن عصابة عريضة من الذهب والأذرع مغطاة بالذهب اذ تلاصقت الأساور والتحمت على أذرعهن ٠٠ وفى كل أصبع خاتم أى فى كل يد خمسة خواتم ٠٠ كبق تطبيق كل منهن حمل هذا كله لا أدرى ٠٠ هل هو التحدث بنعمة الله وإعلان الغنى ولكن الغنى قد يستعلن فى حجر كريم فريد ٠ وانتظرنا بشوق وصول العروس لنرى الزفة على الطريقة الليبية ٠

ووصلت العروس ودخلت كأنها إحدى المدعوات لولا ثوبها الأبيض الجميل وطرحتها البيضاء وكان يصحبها إلى المكان أخوها الصغير ٠٠ هو فقط الذى سمح له بالدخول لصغر سنه ٠٠ فبيت الحريم يحرم على الرجال الدخول ولو كان العريس الذى لا يكمل معنى الفرح والزفة إلا به ٠٠ عند العروس على الأقل ٠

وحاولت بعض الحاضرات أن يزغردن ولكن الزغايرد كانت مقطوعة لا تطرب ولا جلجلة فيها كأنها صيحات أطفال ٠

ونظرت إلى حنان وفينان وقالت عيناها الكثير ٠ وفهمت ما قالت العيون ٠ أين الزفة المصرية بحلاها ورواها ؟ ٠٠ أين جلجلة الفرح والزغايرد الحلوة الرنانة ٠٠ أين الشموع ؟ أين كل الذى يعطى الفرح اسمه وجماله ؟

ليس نقدا لفرح أحتفى بنا أصحابه ولكنه توارد خواطر يدفع نفسه دون أن يحجب عنا جمال العروس ٠ والعروس فى الفرح بهجة ٠

تونس

تونس

ذهبنا اليها بالباخرة من طرابلس - ليبيا . كانت الأولى التى يسافر الأولاد فيها فما كدنا نصعد ظهر الباخرة حتى بدأت حركة - الاسكتشاف من الفرسان الثلاثة لمسوا المكان بعيونهم وأيديهم معا .

بدأ ميناء سوسة التونسى يبدو للعين . . . وشيئا فشيئا تقترب المباني وتكبر أى تقترب الباخرة من الشواطىء . وأعلنت الباخرة عن رحلة الى القيروان فكنا أسرع الركاب الى الاشتراك فيها .

ركبنا السيارة من ميناء سوسة وقطعنا بها ستين كيلو مترا لنصل الى المدينة القيروان وهى من المدن الدينية المشهورة .

وفى القيروان رأينا متحف السجاد ، وجامع أبى زمعه البلوى الذى استشهد فى فتح مصر أى الحرب مع الرومان فى مصر وزرنا ضريحه . . . وقرأنا له الفاتحة .

من الطريف أن أعضاء الرحلة من الأجانب خلعوا تعاليم مثلنا وتهيأوا لدخول الضريح كما فعلنا ولكن القائمين عليه من التونسيين منعوهم وظهر على بعضهم شوق الدخول والاستطلاع كل ممنوع ممنوع . . . وزرنا سوق للمدينة وهو لمحة من خان الخليلى من حيث المعروضات مع فاروق الكيف والحجم .

وأجمل وأجل ما رأينا فى مدينة القيروان مسجدها الكبير . . . مسجد القيروان أى مسجد عقبة بن نافع العائد الذى اقترن بشمال أفريقيا . . . وأحسست أن التاريخ زار هذا المكان ومكث فيه شهورا وأعواما بعد أن لبث فى مصر ألوا من السنين شهد فيها تشييد الأهرام ونحت « أبو الهول » ونقش المعابد والمسلات ، ورفع المآدب والقباب أيضا .

وتونس شوارعها نظيفة ولغتها الدارجة كمثيلتها فى ليبيا . والمرأة التونسية ترتدى الفراشية أى الملاءمة البيضاء كالمرأة الليبية غير أنها تطل منها بعينيها اللانثنتين حين تكتفى اللبىبة بعين وتحجب الأخرى .

وفي تونس ظاهرة سرتنا فمع ما بين السياسة في مصر وتونس في عام ١٩٦٩ فان التونسيين كانوا ما يكادون يحسون أننا مصريون حتى تتهلل وجوههم ويرحبون بنا حتى النساء العاملات في متحف السجاد رحبن بنا ترحيبا كريما . . وكل واحدة تتسابق في الرد على اسئلتنا حول صناعة السجاد ، في اسهاب ، لونا من التحية ، أيضا .

وفي السوق وقفنا بمكتبة صاحبها استاذ سابق فما كاد يتعرف علينا حتى سالنا في لهفة عن الحالة في القنسة . . وطمأناه بملء المناس المتوارى وأملنا الآمل فأخذ يؤمن ويدعو الله .

عدنا الى الباخرة . كان البحر هادئا نقشت صفتحه نقشا هندسيا فقد كانت مربعات صغيرة بين خطوط متوازية ومتقاطعة . . وقبيل الغروب رأينا لأول مرة في الرحلة طيورا تحوم فوق الماء . وهي علامة قربنا من الأرض . وهي علامة صادقة فبعد ساعتين رأينا على بعد عند التقاء السماء بالماء جبال تلفها غلالة شفافة من السحاب الأبيض لم يلبث الأصيل أن أشاء فيهسا ألوان الشفق . . هذه الألوان التي سكبها في سحاء على وجه البحر فتورد . وتفضضت أطراف الموج في ناحية وتذهب في ناحية أخرى وكأن الموجات في مباراة مع حسناوات الباخرة . . فقد وجه الينا القبطان اليوم دعوة للعشاء توديعا للركاب فارتدت كل سيدة أجمل أثوابها لكان البحر في حفلة هو الآخر أقامها له الأصيل الجميل .

وجرت مسابقة لأجمل ثوب . . لأفكر في دخول مسابقات أزياء بالطبع ولكنهم أعطوا كل ثوب رقما . في السفر أحرص وأولادى على ارتداء كل ماهو مصرى وفي العشاء الباخرة كنت ارتدى ثوبا من أثواب خان الخليلي وشتته أتأمل مصرية مدربة على النممة والتفويف . . وما ان خرجت به من باب حجرتى حتى كثر التفات السيدات الاجنبيات من حولى .

وزعت الأرقام على الراكبين أو اللابسين وقيدت الأرقام وأمام كل رقم اسم الذى وجاء دورى وسجلت أمام رقمى وكان رقم (٥) اسم الزى لأن لجنة التحكيم ، أجنبية .

وبدأت الحفلة وأعلنت لجنة التحكيم وكان قد خرجت للمداوله ، ثم عادت ، النتيجة وكان الفائز بالجائزة الأولى ثوب (مصر) . . ثوبى

النداء مضر وحدة فيه غمر كانت الجائزة شئمة جميلة مصنوعة في
اليونان .

انها ذكرى لطيفة واستهلال طريف للرحلة .

وانتهت الحفلتان حفلة الباخرة وحفلة البحر الذي بدأ في منتصف
الليل رهيبا لا يبدد رهبته الا أنوار متناثرة . بدأت تظهر من بعيد .
ونور منارة يومض على البعد .

لقد شارفت الرحلة نهاية مسيرتها .

طیبه

فى مصر

رحلة المجد ٠٠ رحلة الأقصى

١٩٧٤/٩/٢

نحرك القطار فى تمام الساعة مساء ٠٠ غادر القاهرة فى طريقه الى الصعيد ديار المجد وديار الوجد ٠٠ وكلما أوغل فى سيره ، أسدل الليل أستاره فلم تعد الرؤية متميزة ٠٠ الوادى فى غيبة الشمس متشابه فخلدنا الى السكون ولكننى نحو العاشرة ، دون أن أنظر الى ساعتى فى حينها خرجت من غرفتى بالقطار الى الممر الضيق لعلى أرى (مغاغة) بلدتى الأولى ٠٠ وما هى الا دقائق حتى لمحت اللافتة العريضة تؤكد أن احساسى كان صادقا ٠ انها (مغاغة) مر بها القطار مسرعا كأنه طيف أو كأنها حلم ٠٠ ومع هذا رأيتها ٠٠ القديم الذى بيننا أخصب اللحظات ٠٠ رأيتها المحطة هى هى لم يتغير فيها شئ ٠٠ الشجرة نفسها واقفة لم تمل وقفتها تلك كأنها تنتظر المجهول ٠٠ يراها الشوق فهى نحيلة ٠٠ المحطة هى هى ٠٠ حجرة الناظر بطلائها القديم ٠٠ البوابة التى كنت انتظر عندها طفلة مرور القطار لتفتح حتى أعبرها فى طريقى الى المدرسة التى تقع على الجانب الآخر ٠٠ البوابة هذه المرة تنتظر مرورى أنا لتفتح ويعبرها أطفال آخرون فى سن أولادى ٠٠ انه موكب الأجيال ٠

ورأى أطفالى انفعالاتى الصامتة وجامننى البنات بالتمنى ٠٠ لو أن القطار وقف على مغاغة ! ولكن أحمد الصغير غلبته النكتة المصرية فقال : يبدو أن السائق حماته من مغاغة لهذا ولى مسرعا كمن يهرب بعجلده ٠٠ ماذا يعرف الصغير بعد عن (الحماة) ! ولكن اسرافنا فى التندر منها ، أعداه ٠٠ مسكينة ٠

القطار يتجه الآن الى محطة أسيوط ومن نافذة القطار تتابعت أمامى المناظر القليلة ، بيوت متواضعة تسف التراب أو أكواخ الطين لم يكن شامخا فى كبرياء الا النخيل والنيل ٠٠ وكان الجبل يدنو من القطار

فبحجب عني المشاهد ثم يفسح له فأعود من جديد أتطلع الى المنظر المكرر
ولكنني لا أمله بل أنملاه وأجمعه في قلبي فعلى هذه الأرض ولدت ، كما
ولدت من قبل عليها ، حضارة الاسان .

لا نزال في الليل الذي تولى عن الجبل حجب البلاد والأشياء حجباً
كاملاً اختفت تماماً الاشباح التي كانت تجوس خلال النهار أقصد الاجسام
النحيلة الهزيلة التي تدب أقدامها على الأرض من تحت أسماها . . أين
أضواء المساء ؟ . . أين أفراحه ؟ أين البيوت وثريات الكهرباء ؟ لماذا
قل ننسب الصعيد من النور وهو الذي أرسل النور علوماً وفنونا وفكراً
وحكمة ؟ أكواخ الطين ضاعت معالمها لو صح أن لها معالم . وغرقت في
الظلام والصمت حزينة كاسفة نمرأى منها على البعد أضواء شاحبة
عليلة تنبعث من لمبات الصفيح التي يسمونها هناك (لمبة صاروخ) من
باب انسخيرية فيما أظن . . فالذي يستعمل هذه الوسيلة الكثيفة البدائية
لا يعيش في عصر الصاروخ أو حتى الحمار .

ولفني الصمت أنا الأخرى ولكنه صمت يدوي في داخلي . . حتى
أسيوط تجرعت قراها المرارة وهانت على أصحابها وعلى الحياة الكريمة
الخليقة بالانسان ؟!

ومر أمامي شريط طوله عشرون عاماً ووزنه ملايين الجنيهات . .
ألف ضاعت في الصحراوات والعداوات والصدقات والخزعات من كل
نوع . .

وعيني على قرى أسيوط ، تذكرت بيروت التي رأيتها مرتين : مرة
سنة ١٩٦٠ وكانت فيها لا تزيد عن شارع كلوت بك، في القاهرة ومرة
سنة ١٩٧٣ وهي فيها حافلة بالمتاجر والمنازل والشوارع الحمراء
والصفراء !!

لهفي على أسيوط أفزعها الخلل . . وغيرها أترعها السهر وموسيقى
الجاز . .

لهفتي على الدنيا وأسيوط روعهما السيل وغيرها أترعه الخير
أنفقت مصر أو أهدرته في غفلة من الزمن والعقل . . وفي غفلة أكبر منا
نحن المنكوبين .

ولم أكد أسنقر في القاهرة بعد الرحلة حتى نالت أنباء الطوفان
الذي جرف قرى الدنيا وأسيوط معا لأنها هشة لم يدعمها المال ، أو

العقل ، أو العدل ، أو حب الأوطان ولو على القدر المغسوس في قلبه
الحيوان والطير حين يعشعش على صغاره لا أفرأخ الآخرين .

قرى مهلهلة كضمير مأفون ، منخوبة كتفكير مجنون ، مكروبة
كقلب محزون ، محروبة كصحراء أضناها الظمأ وهي صاحبة النيل
والقنال والمال والأمر أو هكذا كان المقروض ..

لا وقت للتحسر .

من أجل كرامة الحاضر ..

ومن أجل قدسية الماضي .

ومن أجل الانسان المصرى فى الضفة الشرقية من النيل هذه المرة .
ردوا على الصعيد الحياة حقوقا واجبة الاداء لا اعانات ولا مساعدات .
أعيدوا بناء الصعيد فقد بنى مدننا فى الحاضر وتاريخنا فى الماضى .

انه مصر فأبنائؤه من أولئك الذين يزرعون ويصنعون ويبنّون
ويدفعون الضرائب ويدافعون عن الوطن فى الحرب ، ويصنعون الكلمة
فى السلم ويشكلون الحجر ويبعثون الوتر أنغاما فتحلو الحياة بهم ولكن
فى عين الآخرين ..

الأقصر :

وصلها القطار قبيل السادسة .. كانت المدينة نائمة لم تستيقظ
فيها الا المحطة .. وحتى هذه كانت هادئة فلا أصوات صاخبة ولا حركات
عالية أو لاهثة .. حتى الحمال تقدم فى هدوء وتناول الحقائق عند
نزولنا من القطار ووضعها على الرصيف ثم وقف ساكنا وكأنها مساعدة
مجردة .. فطلبنا نحن منه أن يصحبنا الى خارج المحطة حيث الحناطير
ينتظمها صف طويل .. وهنا أيضا لم يلح أحد ولم يفرض نفسه ..
نحن الذين تقدمنا الى أقرب حنطور .. يبدو أن وقار التاريخ فى المدينة
العريقة أعدى كل شيء بالترفع والتعفف ..

وصلنا الى الباخرة ايزيس الراسية على الشاطئ .. من الشرفات
وعلى السطح .. كل شيء فيها يمنح اطلاله على النيل .. انه ملك ..

ملك الملوك فالشاطيء الغربى المتمد أمامنا .. حرم .. ومثوى لسيئى
الأول وتوت عنخ آمون والملكة تيتى ورجال دولتهم .

النيل ساكن الصفحة .. مويجاته ، لولا النهار لقلت انها تسرى
.. الشاطيء الغربى أخضر .. الزرع فيه يعلو مدرجات متقاربة والجبل
وراءه .. الكل تلفه غلالة شفاقة من ضباب الصباح .. البدر ما زال فى
المساء ينتظر طلوع الشمس ليغيب هو ..

مياه النيل بدأت تأخذ لونا ورديا فاتحا .. انها طلائع الشعاع
.. حتى الثرى لونه الاضواء الوردية فتشربت سمرة بحمرة جذابة ..
وبدا الجبل ينضو عنه غلائله فلم يعد جبلا واحدا كما يبدو للعين بل
تلالا متتابعة فيها قمم صغيرة وتجاويف وأخاديد وغضون ينسال عليها
الرمل والشعاع فيلمع جانب ويدكن جانب ثان .. ويؤكد الأخضر على
الشاطيء ، الاصفر وراءه .. وكلما صعدت الشمس فى مرقاها الى
السما ، تبدى المنظر أكثر وازدادت ابتسامته اتساعا ..

بلغت الساعة السابعة فانبعثت من « ايزيس » موسيقى جميلة
ناعمة .. انها بلغتها تقوم « صباح الخير » .

بدأ اليوم وأخذ النشاط يدب فى الباخرة .. وفى الطبيعة أيضا
.. النيل موجاته الوسنانة بعد سهر الوهنانة بعد سفر بدأت تصحو
وتتقافز فى سرعة الموجة تجرى وراء الموجة عاززة تطولها .. اللنشات
الصغيرة بدأت تعبر أمامنا الى الشاطيء الغربى مخلفة فى النهر طرقا كأنها
أصبعا نحيلة خطت فى عسل أبيض سرعان ما يلتحم ويبدو العسل كلا
واحدا .. هكذا النيل مع القوارب التى تمخر فيه .. ولامر ما رمزنا
الى الوجه القبلى (بالنحلة) .

أرى أمامى لنشا صغيرا يقبع فى حضن الشاطيء الغربى وقد تعلق
به فى حب كما يتعلق طفل بصدر أمه ..

حتى القوارب تحب النيل .. تعشقه .

حقيقة ان النيل يصحب مصر من أسوان حتى يصل بها ومعها الى
شاطيء البحر الأبيض بل أن النيل يمتد لا الى جنوب مصر وحدها بل
جنوب السودان .. وقد يتصور انسان أن بوسعه أن يراه فى كل مكان
وفى أى وقت على امتداد هذه المسافة ولكن لا .. ان النيل من الحضور

وغنى الشخصية بحيث يبدو جديدا وفريدا فى كل مكان فهو فى الأقصر
غيره فى القاهرة أو أسوان .. هنا فى الأقصر النيل والصفة الغربية
الخصراء بنخيلها والتلال وراءها والسماء وراء التلال وفوقها ..
« تركيبة » خاصة بالأقصر .. ثم الهدوء الذى يملئ للنفس ، ويخلى بينك
وبين هذه الجنة .. لعلهم ، لهذا ، اختاروا أن يودعوا الراحلين ، الصفة
الغربية كمن يفتح لهم باب الخلد ..

فى الأقصر وفى (ايزيس) أنت والنيل والسماء والصفاف فى
صحبة .. أنت هنا لحن فى السيمفونية الرائعة بضعة من هذا المنظر
الرائع لا يحول بينك وبينه حائل من بعد أو عمل .. عملك هو أن تقرأه
وتغوص فيه .. تصبره ويصيرك .. هنا الكل فى واحد ..

وهذا المنظر من الغنى والوفرة بحيث يندو فى كل جزء من النهار
جديدا مع توزيع الضوء وتركيزه هنا أو هناك .

ايزيس :

كم أنا سعيدة بها .. لقد راقنى الكثير من لفتات السياحة فى
الخارج . ومع كثرة ما رأيت تعطينى ايزيس « جديدا » الحمد لله .

فى السابعة صباحا انبعثت منها موسيقى ناعمة مسعدة هى تعية
للصباح ودعوة للافطار .. من يريد . قائمة الطعام كتب عليها « صباح
الحير » . طعام الافطار كان سخيا متنوعا يلبي سائر الرغبات .. الخدمة
لينة دمتة .. وتذكرت فى بلد المجد « الأقصر » اننى فى رحاب الحضارة
يعة التى بلغ من رقتها وانسانيتها أنها كانت تسمى الخادم :
المجيب » .

الحجرات أجمل ما رأيت فى بواخر حتى الآن وقد ركبت بواخر
شتى من جنسيات مختلفة وعلى أعلى المستويات .. ولكن الحجرات فى
ايزيس أعلى واثارة وأنعم .. الحجرة مزودة بكل ما يتمناه انسان وكأنها
شقة صغيرة فاخرة . وتزيد ايزيس عن البواخر التى ركبتها بما فيها
« اسبريا » أزرار الموسيقى حتى تستطيع أن تتنفس هوسيقى بها تنام
وعليها تصحو .. موسيقى جميلة هادئة كأنها خلفية للوحة التى تعيش
فيها كأحد خطوطها ..

الأقصر حبيبتى .. حضن كبير دافئ يللم حتى غربة الغرباء فما

بالك بأصحابه .. بأبنائه .. هنا يتوضأ الاحساس ليصلى القلب وتبتل
الروح التي علتها شوائب كثيرة من صراعات الكفاح في الحياة .

النوافذ في ايزيس ليست (قمرات) صغيرة وكأنها عيون نظارات
ولكنها بانوراما .. اطار كبير واسع للوحة رائعة . الستارة على نافذة
كابينتى جميلة الالوان كقراصة تستحم فى الضوء ولكنها غريمتى .. اذ
لا أريدها .. لا أريد ذاك الجمال الذى يحجب عنى جمال النيل والنخيل
والأقصر وقلت بغير حروف مع شاعرنا الجارم :

خلوا السجوف تدع مجلى يحياها

وتنشر المسك من أنفاس رياها

من يملأ كوبى بها لاشربها وأغدو كونا وكيانا نفيسا كما شربت
كليوباترة أئمن جوهره بعد أن أذابتها فى كأسها فيما تحكى عنها الروايات
أو الخيالات .

الأخضر أمامى فيما يبدو لى نصف دائرة .. ونحن فى وسط هذه
الدائرة نقطة ولكنها ليست نقطة المركز كما يشاء غرور الانسان أن
يصور نفسه .

الساعة الثانية عشرة .. الجبل مترع فى الضوء فى هيئة رابضة
كصدر أبى الهول .. انه حس الربضة والنبضة والاستشراق .

فى وضوح النهار اتضح شئ جديد فى الجبل .. فى جانبه تجويف
قائم كسور حصن وكأنه بنى بناء مرسوما ..

متعة أن تتلمى النيل بمراكبه ومواكبه .. مراكب الشراع ..
ومواكب الشعاع ..

بين الأقصر ومرسى مطروح

فى هذه اللحظة ملاً عيني ، الأقصر ، وملاً ذاكرتى ، مرسى مطروح
التي غادرتها منذ أيام .. تذكرت فى حضرة النيل وطيبة ، البحر فى
(مطروح) و (عجبة) .

لأن الطريق اليها سلسا ربع الساعة الأولى فى سيارة جيش ذات
السقف الماشى والمقاعد الطويلة المتقابلة .

ولكن سلاسة الطريق واستواءه ، فترة قصيرة أوعر بعدها وأوغل
فى الوعورة حتى كانت السيارة اللورى الغليظة (لعبة فى يديه)
يرفعها فيرتفع تبعا لهذا صياح من فيها أو ينخفض دون أن يبدأ ..

وأخيرا وصلنا بعد ساعة مرت كأنها ساعات .. وما كدت نراها ،
« عجيبة » ، حتى نسينا الطريق بوعورته وعذابه ودخلنا فى عالمها
المسحور .. وكأننا الشاطر حسن الذى يتحدى الصعاب فى أساطيرنا
الشعبية ليفوز فى النهاية بست الحسن والجمال ..

كانت فى عيني وعيون كل من رأوها ست الحسن والجمال ..
رقية أنيقة .. كأنها من نفسها تسكن قصرا يعدون له البحار السبعة
وان كنت لا أدرى سر اصرار أساطيرنا على العدد « ٧ » . لعله المقابل فى
نظرها للسموات السبع الواردة فى كتبنا المقدسة .

أن يكون الصخر شفافا رافا .. عجيبة .

وأن يكون الصخر منقوشا منمنما كالدانتلا ، بحساب دقيق أو
هكذا يبدو للعين ، « عجيبة » .

وأن يكون الصخر ملونا بالضياء .. عجيبة ..

وأن يكون البحر والصخر والسماء فى اجتماع مغلق ، عجيبة .

نغمة عالية « عجيبة » فى لحن رائع يصل بها الى قمة .. ويلفنا
الصمت .

وينهل النغم فى حنان وروعة .

ويشف الانسان كالمكان .

ولكنه يظل صغيرا حيث يتسع الفضاء ويتراعى البحر .. هنا
يغدو الانسان نقطة فى محيط .. هذه حقيقته ..

ومن الغريب أن هذه الحقيقة تغيب فى المدينة .. تغيب عنها ،
وتغيب فيها .

فيصطنع الكبير ويمشى مرحا .. وكأنه يخرق الأرض أو يبلغ
الجبال طولا .. ولعل القرآن اختار (بعد) الطول فى المقارنة ليكشف
عن مدى ضعف الانسان فالانسان من الجبل فى قياس الحجم ذرة .

فما بالك بالمقارنة في الأبعاد الأخرى كالثبوت والرسوخ والعمر
الزمني ومقاومة الأيام ؟ فالجبل لا يمرض ولا يهرم ولا يشيخ ولا يهدده
شبح الموت ..

وبعد هذا ومع هذا يتكبر الانسان ..

ليته يتذكر في هذه اللحظة « عجيبة » التي طفنا بها ..

انها للعيون صلاة ..

وعدنا الى مطروح والجمال فيها يروع ويأسر ولكن « عجيبة »
لا تنسى فجماها له طابع متفرد وفريد .. وفي طريق العودة عرجنا
على « الابيض » .. حيث يجود البحر بنحو كيلو متر مربع من الصفاء
واللازور والشفاف ..

حيث ينعم البحر بالأمان والسلام فلا يخشاه حتى قليل السباحة ..
انه كالأستاذ الكبير يحنو على الضعيف ويبارك القوى والكل منه
في حمى أمين ..

وكانت أشدنا شعورا بالجمال في « عجيبة » والابيض ومطروح ،
فتاة ألمانية تنزل ضيفة على أسرة مصرية صديقة .. تقول الفتاة انها
لفت العالم ورأت شواطئه .. الكثير منها ولكنها لم تر في حياتها
كشواطئنا ..

كم هي جميلة مصر لو وجدت من يجلو جمالها ويصون نعمته ..
جمال في الشمال خلفته منذ قليل عند البحر ..

وجمال في الجنوب أسعى اليه في رحاب النيل .. في رحاب
طيبة أقدم وأغنى مدينة أثرية فيما يعلم العلم حتى الآن ..

في الأقصر .. زرنا معبد الكرنك من آثار الدولة الحديثة وهو
يجمع معبد آمون وبتاح ومننتو .. يمر الداخل الى معبد الكرنك بين صقين
من تماثيل .. طريق الكباش وكأنها الحرس .. ويتكرر هذا في
الداخل ان المكان يسيطر عليه روح البلاط ..

وفي القديم كان هذا المعبد بالتشريفاتية أقصد طرق الكباش ،
يمتد من شاطئ النيل غير أن الجزء الممتد من النيل الى بداية المعبد
الحالي هدم أو تهدم ..

أعمدة الكرنك تصعد الى السماء وتمعن فى الصعود ..

غابة من الحجر تتخللها السماء المصرية لتحدد خطوطها أكثر وتلون
جوانبها بالظل والشعاع ..

مسلتا رع كأنهما صلاتان ترفعهما الأرض الى السماء .

تمثال توت عنخ آمون بصباه الباكر .. عيناه لا تزالان تشعان
أو هكذا تبدو العينان ..

وأكبر من هذا كله وأقيم معانى الطهارة والتجويد والصبر ففى
المعبد المصرى البحيرة المقدسة التى ترمز الى انبثاق الحياة من الماء للتطهير
والاغتسال الشامل لا الأطراف فقط .. غسل الجسم وغسل القلب .
ليملأه طموحا .

وفى المعبد المصرى زجاجات العطور من رفة الحضارة وكم من
بلاد ، فى المقابل ، فى ذلك الوقت حتى فى أوربا ، كانت تهيم فى
الادغال والظلام ..

وفى المعبد المصرى ، البهو المفتوح حتى لا يدخل بهو الأعمدة
المفضى الى قدس الأقداس ، عامة الناس خوفا أن يكون بينهم من لم يغتسل
أو من أكل بصلا ..

فى المعبد المصرى الاحتفال بالميلاد والاحتفال بتجديد الحياة .

فى المعبد المصرى حجرة الرصد .. لقد نظروا الى السماء كيف
رفعت ، ونظروا نظرة فى النجوم من غير سقم واهتدوا بها فى ظلمات
البر والبحر .

وفى المعبد المصرى مقياس للنيل ..

وفى المعبد المصرى التكامل والتطابق الممثل فى رسم العين فى
بروفيل الوجه كاملة والصدر كاملا حتى يحيا صاحبها كاملا فى العالم
الآخر .. ولهذا حين يرسم المصرى عدوه يرسمه ناقصا مبتورا ليحرمه
الخلود .. من غير سباب وألفاظ عارية .. حتى الهجاء ريشة وفكرة .

كان المعبد المصرى للالهة والملوك ولكنه يسجل الحياة اليومية
المصرية لأصحابها ولشعبهم .. حتى الألعاب الشعبية التى تعرفها الازقة
والحارات مسجلة عليه .

هنا التاريخ بلا حدود .. التاريخ يغلف المكان بنفاسة القدم ..
انه مذاق خاص لا تعرفه بلاد كثيرة أكثر منا مالا ولكنها تعرف ان مال
الدنيا لا يشتري العراقة ..

هنا أحداث التاريخ المجسمة تملأ المكان .. وكان الكثرة أورثتنا
الزهد في النفائس فتركناها على الأرض وهي السنون والماضي والذكرى
والكفاح الطويل والمرير .. وهي الفن والحضارة .. ولو ظفر متحف الموفر
أو لندن مرة أخرى بحجر من الأحجار الملقاة على الأرض بلا حساب ،
لحوطه بالزجاج وشده به انتباه المشاهدين ..

لقد رأيت طريق كياش آخر خارج المعبد في أحد شوارع الأقصر
وعلى جانبيه البيوت .. ماذا كان مكان هذه البيوت ؟ حتى الماعز رأيتها
تعلو الأحجار الأثرية ؟

ويستغل هذا باعة الآثار المقلدة بايهام الأجانب انها اصيلة وتأكيدها
لهذا يلفونها ويتظاهرون ببيعها في الخفاء .. !! ماذا يعنى هذا ؟ كذب
ساذج أو صدق رخيص فالذى يبيع تاريخه انما يبيع وطنه ونفسه ..

منذ لحظات كان على باب المعبد رجل عجوز ينفخ في الناي وانبعث
الشعبي وكان التاريخ هو الذى يمسك الناي الحزين

المعبد والمسجد

معبد الأقصر :

وهو معبد آخر لآمون وزوجته موت وابنه خنسو .. ثالوث
آخر بعد أوزوريس وايزيس وحورس ..

وفى المعبد تمثال لرمسيس الثانى وشاعره بنتاؤر الذى سجل
انتصاراته على أعمدة معبد آمون .. كم سجل الشعر والشاعر ..

وفى معبد آمون مسلة لرمسيس هي اخت لمسلة الكونكوردي بل أعلى
قامة .. لعل محمد على لم يلحظ هذا الفرق حين أهدي المسلة الى فيليب
ملك فرنسا ..

وفي معبد آمون تعانق البردي واللوتس. رمز اتحاد الشمال والجنوب .

لقد رمزوا أيضا الى مصر العليا بالنحلة .

ورمزوا الى مصر السفلى بنبات السوت والوزان متعانقان .

كل شيء فى مصر دافئ حتى الرموز .

لقد حاول البطالة أن يضيفوا الى معبد آمون فتقامت الأعمدة كأنها خدم للأعمدة الكبيرة .

وفي معبد الأقصر ، مسجد « أبو الحجاج » ، ولأمر ما شيد مقام لأبى الحجاج ومسجده على ركن من فناء معبد الأقصر أو طيبة .

وكانت (طيبة) تحتفل بعيد الاله آمون السنوى حيث كانت تخرج السفن من المعبد ، وهى تحمل تماثيل الاله المقدسة ، ورموزه الخفية ، فتجرى فى مياه البحيرة المقدسة يحيط بها كهنة الاله ، وحملة المشاعل والبخور وهم ينشدون أغانيهم . ويرأس المهرجان الملك كما يقول الأستاذ محرم كمال . وكان ملك مصر يصاحب الاله آمون وزوجته موت وابنه خنسو فى رحلتهم على النيل . والشعب من حولهم قد امتلأ حماسة وحمية يتהלل فرحا . والنبلاء يعتلون عرباتهم والجنود تتتابع صفوفهم وتتوالى ، والاعلام والبنود عسكرية ودينية ، ترتفع وتساوج على حين يرقص الزوج فيصدر عن النواقيس الصغيرة المعلقة الى رقابهم رنين جلجلة خفيفة . ويزيد المنظر عجبا ما يقوم به المهرجون واللاعبون من حركات القفز والنط متفقة ومنسجمة مع أصوات الجلاجل المقدسة التى تحركها الكاهنات فى أيديهن .

وهكذا يتحرك الموكب بطيئا متمهلا يغمره فيض من البهجة والسرور حتى يصل الى ضواحي معبد الأقصر ثم تشق القوارب الصغيرة المقدسة طريقها داخل المعبد فتقدم لها القرايين العظيمة . ويدخل الملك الى الهيكل فيطلق البخور .

ثم يعود الموكب بنظامه السابق فى طريق العودة الى أن يصل الكرنك . .

وقد سجل معبد الأقصر هذا كله على جدرانها بالرسوم والنقوش . .

ومن يراها اليوم ثم يشاهد مهرجان أبى الحجاج لا يعز عليه أن يلمح التشابه العجيب بين المهرجانيين جملة وتفصيلا .

وليس الغريب كما يقول الأستاذ محرم كمال هو وجود مسجد لسيدى يوسف أبى الحجاج بالأقصر ولكن الغريب أن يبنى هذا المسجد على ركن عال من معبد الاله آمون بالأقصر . وأن يضم هذا المسجد الى أجزائه ساحة يوضع فيها قارب أبى الحجاج أو سفينته ، وأن يكون حلول سيدى أبى الحجاج بمعبد آمون الذى انتزعه منه قد جعله خليفة له يرث عنه ما له من صفات وما اشتهر به من مناقب وما عليه من واجبات ، وما له من حقوق وعادات . وكما كان الاله آمون فى زمن الفراعنة يخرج فى احتفال مهيب من معبده مرة فى العام فى سفينته المقدسة يطوف أرجاء مدينته التى يتولاها بحمايته ورعايته ، فان « سيدى أبا الحجاج » يخرج هو أيضا مرة فى كل عام فى اليوم الرابع عشر من شهر شعبان المكرم فيطوف فى مدينته المحبوبة (الأقصر) فى احتفال يتضمن أكبر عيد محلي يقام فى هذه البلدة . ليطوف مهرجان أبى الحجاج يحمل السمات نفسها القديمة . المظاهر نفسها . الطابع نفسه . المكان نفسه . . . التفاصيل نفسها .

فاذا حل الموكب أخرج القارب « ذا الألوان » ثم وضع على عربة ذات أربع عجلات . . وقد غطى هذا كله بقماش ملون هو الذى كان يغطى مقبرة أبى الحجاج أما الأقمشة التى تغطى المقابر الخمس الباقية فانها تفرش على ظهور خمسة جمال تكون قد اتخذت زخرفها وازينت . . أما من يمتطى ظهور هذه الجمال فهم أعضاء أسرة الحجاجية .

هكذا يكتمل الجمع عند المسلة التى تقوم أمام معبد الأقصر أى عند ميدان الساحة وفقا للتقاليد ، ويتكون الجمع من اثنين من ضباط البوليس وعشرة من رجال السوارى وخمسين من جنود المشاة . يلى ذلك الجمال الخمسة مزدانة بأجمل زخرف وزينة قد غطيت ظهورها بالأقمشة الملونة التى كانت تغطى قبور الأولياء ، ثم هى تحرك رؤوسها مزهوة فتدق الأجراس الصغيرة المشدودة اليها وتنتبه رؤوسها بريش جميل علق عليها . . على حين يهلل الرجال الذين امتطوا ظهور الجمال مكبرين بلا اله الا الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، ويرتفع صوت مؤذن المسجد داعيا الناس الى الصلاة على النبى ، وحمد الله والثناء عليه .

ويتلو ذلك مشايخ الطرق وأعضاء أسرة أبى الحجاج وقد حمل كل فريق منهم علما ذا ألوان متعددة وكلهم ينشدون أناشيدهم فى الاشادة

يذكر أبى الحجاج ومسجده ٠٠ وفى وسط حلبة الأناشيد والتصفيق
والتهليل والتكبير واطلاق البنادق يتقدم قارب لولى فى هدوء وتمهل تحيط
به الأعلام ٠ ويجتاز هذا الجمع الحاشد الذى يبلغ منه الفرح مبلغا يفوق
حد الوصف حتى لتراه يندفع الى القارب يحاول لمسه للتبرك به
وبقداسته ٠

وهكذا ينقدم الموكب ويسير متسلا تارة ومتوقفا تارة أخرى ٠٠
يعترضه فريق من الناس من حين الى حين وهم يرقصون أو يذكرون
الله ٠٠ ثم هو يتوقف عند كل مقام لولى من الأولياء ليقرا الناس
القاتحة ويشنوا على الله وعلى وليهم أبى الحجاج الذى يزور زملاءه الأولياء ٠

بهذا وصف كتاب (آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية)
موكب أبى الحجاج ٠ ومن الوصف تلمح عيوننا : القارب - معبد
الأقصر - الجنود - الأعلام - الأناشيد - الشعب المبهيج - التبرك
بالقارب حتى الأجراس الصغيرة بلغت سمع مصر الحديثة على بعد الزمن
وطول الأحقاب ٠٠ الزمن العداء الذى لحقت به خطى موكب آمون
التمهلة ٠٠ لم يخلفها بل واكبته الى مصر الحديثة فقارب الحجاج يتقدم
(فى هدوء وتمهل) تماما كما كان يفعل قارب آمون ٠

أعياد ومراسم تمتد عبر الزمن من مصر القديمة لتتواصل مع
أعياد مصر الحديثة التى تبدو امتدادا لها وتتخذ فى الحديث كما اتخذت
فى القديم ، النيل وشواطئه وسفنه ، مسرحا لها ومجالا ٠

والنيل فى الصعيد شعبى ٠٠ الذى يتمتع به هو الشعب الحقيقى
الذى صحبه وتعامل معه منذ القدم ٠٠ الفلاحون الذين تطل بيوتهم
عليه أقصد أكوأهم الطميمة المتواضعة القصيرة القامة ٠

هنا الانسان والحيوان والمكان فى صحبة يتبناها النهر ٠ فامارة
ملأت جرتها صاعدة ٠٠ وبقرة نازلة فيه تغمر نفسها بمائه فلا يظهر
منها غير رأسها أو جزؤها الأعلى فيما يبدو لنا من بعيد ٠٠ وجزر تتوسطه
وجزر أخرى جانبية كأنها فى طريقها الى الشاطئ ٠٠ ومراكب شراعية
تتهادى فيه وزوارق بخارية أسرع مشية وأعلى صوتا ٠٠ وبواخر مثل
ايزيس التى نستقلها عبره ٠

كم ألوف السنين يشهد هو هذا المنظر يروح ويأتى غيره ويظل
هو الباقي ٠٠ كم وسع صدره من أسرار ورؤى ولا ييوح ٠٠ له حكمة

علمها أبا الهول فوعى عنه الدرس .. ومن هنا آمن مثله بالصمت
ففى ظله يختزن الصامت الكثير فينير أصحاب الكلام ويحير ألبابهم .

فى الطريق الى ابيدوس

الباخرة (ايزيس) فى طريقها الى نجع حمادى .. نسمع على
البعد الأطفال على الضفتين يصيحون ويلوحون .. لعلها فرحة حقيقية
أو هز الرتابة على الأقل .

الساعة تقترب من الواحدة بعد الظهر .. ايزيس نمر الآن بالمنحنى
الكبير الذى تقع عليه اسنا ونجع حمادى .. الجزر ومجموعات النخيل
نتتالى .. ها نحن نقرب من كوبرى نجع حمادى .. رسونا عليه .
مرسياه حديقة غناء تتدرج هابطة الى الشاطئ ..

بننا فى نجع حمادى لنصحو فى صبيحة اليوم التالى على حركة
فى الباخرة .. انها تستعد للابحار .. بدأت تتحرك فى طريقها الى
ابيدوس ..

النخل على الضفتين ولود .. ما أكثر ما رأيت العين نخلة متفرعة
كانها أم تفرد ذراعيها ليتعلق بهما صغارها .. وحين اقتربنا من قنا
كانت المراكب ملأى بالفخار .. القرى بيوتها الطميية نزحف الى الشاطئ
تتجمع عنده .. تطل عليه .. تشرب من النهر بجرارها وعيونها ..
جزر فى النهر .. وايزيس وقوارب وضايف خضر هى أيضا تيل
أخضر .. أليست منه ؟

بعض الأجانب من الجالسين على السطح لبسوا جاكثات وبعضهم
جلس فى الشمس .

نمر فى العاشرة والثلاث تحت كوبرى قنا .

كل هذا الجمال يسعى اليه الأجانب من جميع أنحاء الدنيا ولا نعى
به نحن ولا أقول نحتشبه له ..

جمال لا تغنى عنه القاهرة بعد أن حجب صفاءها الزحام والدخان
والضجيج والكد والسباق ..

معبد ابيدوس :

حرم مقدس فى مصر القديمة حيث دفن أوزيريس . والمعبد قائم
فى مدينة البلينا أو العرابة المدفونة التى ، كما يقول أستاذنا العقاد ،
لم تدفن أبدا تحت التراب .

على باب المعبد وقفت سيدة انجليزية فى الثمانين من عمرها هى
« أم سیتی » كما تسمى نفسها أو يسميها أهل البلدة . . . وقد جاءتها
هذه التسمية من ناحيتين أنها تزوجت مصرية وأنجبت منه ولدا أسمته
« سیتی » ولكن الأقوى فى التسمية أنها تقدر معبد ابيدوس الذى
بناه ملك مصر سیتی الأول . . هل تصدق أنها حين تتقدمنا الى داخل
المعبد تخلع نعلها ؟

بنى المعبد سیتی من الأسرة التاسعة عشرة وأكمله ابنه رمسيس
الثانى وأشرف على نقوشه وزينته . وبمناسبة النقوش والزينة أسجل
أن زائر المعابد نادرا ما يجد جثة طفل اللهم الا البنات وغزالتها فى المتحف
البريطانى .

لقد رأيت على المعابد ما يشير الى أنهم كانوا يتركون الأطفال عرايا
حتى سن الثانية عشرة . . يتركونهم للشمس والهواء . . كان الطفل
فى هذه السن يذهب الى المدرسة عاريا وفى يده زجاجة لبن .

فهل هذا هو السر فى صحة أجسامهم وعقولهم ؟

وتقول أم سیتی أن المعابد المصرية والحضارة المصرية انفردت برسم
النجوم ولم يكن هناك تلسكوب .

فى معبد ابيدوس رأيت الالهة موت ترضع الملك . . كانوا يحيون
حياتهم فى ولاء كامل للحياة .

وفى معبد ابيدوس رأيت المرأة كبيرة الأطباء ورئيسة العمال .

رأيت رمسيس حين كان فى العاشرة من عمره وقد قام والده
سیتی بوضع التاج على جبينه وعدا بالملك . . وان كان رمسيس يعلى
هذا بأن والده كان يشتهي أن (يرى جماله) . .

ولكن الذى رأيته فى معبد ابيدوس ووقفت أمامه طويلا هو أسماء
الملوك من مينا الى سیتی . .

هنا تسجيل للتاريخ والحفاظ عليه .

والتسجيل حاسة تاريخية . انه حفظ الزمن انه لون من وعى
مصر الاجتماعى صاحبه المثل : (التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر) .
انه مثل لا يقوله غير فنان نحات . والتذكر بالتسجيل أو النقش صفة
مصرية ولدت الحاجة الى الكتابة وفى لغتنا اليومية لفظ (قيد) بمعنى
أكتب وأحصر حتى لا يهرب المعنى .

وفى معبد ابيدوس ظاهرة التجويد والصبر . . والبحيرة المقدسة
فى المعابد المصرية ظاهرة أيضا أنه وضوء كامل للجسم كله . .
ليظهر . . غسل للقلب يملؤه طموحا .

وآية الحرص على النظافة . . البهو الخارجى أو الفناء المفتوح للعمامة
ممن يخشى أن تعلق بهم رائحة الأطعمة الدارجة من بصل وسمك
وغيرهما .

على أن البهو المفتوح لا يفصله عن بهو الأعمدة فواصل حقيقية اذا
استثنينا معبد دندرة لأن الرومان اصطنعوا فاصلا حجريا بين الاثنين .

ومعبد دندرة بنى فى ١٨٠ سنة بدأ فى عهد البطالمة وانتهى فى
عهد الرومان . وتستقبل العين منه البوابة الضخمة ذات الجانبيين
الشامخين ينفتح بعدها المكان .

ودندرة اسمها المصرى تنترا وتنتريس حرفت الى دندرة فى العهد
العربى . .

ودندرة معبودتها حتحور الهة الحب والجمال وصاحبة المعبد .
وأعمدة المعبد عليها رأس هاتور أى رمزها . . والمعبد مملوء بالنقوش .
كان يرافقنا رجل يحمل فانوسا ليكشف الرؤية . فى أى نور نقشت
أذن ؟

على أن نقش أعمدة دندرة غارق فى تفاصيل لم يكن النقش المصرى
الخالص يعنى بها . .

والأسقف فى المعبد تزدان بالنجوم والنيل وبالمعبد ٤٢ حجرة تحت
الأرض منقوشة غير الحجرات العليا . يوصل اليها سلم هو فاصل دقيق
ومحير فالدرج يتوالى على مسافة بضعة سنتيمترات ولهذا يربح فى
الصعود والهبوط وعدد درجاته ٣٦٥ درجة اشارة الى عدد أيام السنة
عندهم . .

فى العهد المصرى كانت مصر ٢٨ مقاطعة ولكنها فى العهد البطلمى كانت ٤٢ مقاطعة فهل يطابق عدد الحجرات عدد المقاطعات ؟

يد التخريب تعيث فى بعض أجزاء المعبد الذى سرقت منه لوحات ونفائس . . ولكن القاعدة فى الترميم خوف المحر أو اختفاء المعالم . ولا يلجأ الى الترميم ما دام الأثر قد بقى منه ما يكفى للدلالة عليه .

ومن حجرات معبد دندرة حجرة الميلاد . . ميلاد العمام الجديد
وهى ستقفا الآلهة موت الهة السماء تشغل السقف كله وترسل الأشعة فيه .

وفى حجرة أخرى الآلهة موت ومربع فيه الجنين والرحم والسائل والخلص .

وحجرة أوزوريس وبهذه المناسبة يلاحظ أن الآلهة والملوك لا يتحلون بذقون . . الذقن الآلهى يكون مبروما أما الذقن الملكى فيكون مقوسا .

أما حجرة الرصد فالسقف تبدو فيه الأبراج السماوية ، على أن اللوحة الأصلية قطعت وهى الآن فى اللوفر ، والموجود الآن بديل حديث .
كم لوحات اقتطعت من دندرة . . نوع من المحنة تمر به آثارنا ولكن نفاسة ما بقى فيها عزاء وفيها اثارة أيضا .

ومن رسم دندرة ملك مصر يعلو الأسد . .
وهكذا مصر فى قوتها تفترس الأسد . . وفى ضعفها تفترس الأرض . .

وفى معبد دندرة كليوباترا تقدم القيصر لايزيس راجية أن ينال بركتها . أنها ايزيس التى ركعت لها كليوباترا بعد هذا قائلة :

ايزيس ينبوع الجنان تعطفى
وتلفتى لضراعتى وســـــــــــــــــؤالى
انى وقعت على رحـــــــــابك فارحمى

ذل المسكوك لمجـــــــــدك المتعالى
وشىء تلاحظه العين فى الرسوم المصرية . . أن بزوفيل الوجه أبى جانبه ترسم به العين كاملة حتى تبعث كاملة وكذلك الصدر . ولعل

هذا يفسر تعمدهم رسم أعدائهم مبتورين دعاء عليهم بالحرمات من البعب
والخلود .

انه الايمان بقوة الكلمة وسحرها .

بقى أن أقول أن قرية دندرة بنيت على مرتفع في الرمال بعيدا حتى
لا يضيعوا خيطا من الأرض الزراعية ..

آه لو دروا كيف نذبح الآن الحضرة لنقيم مكانها علب الكبريت اى
العمارات الجديدة !!

الصوت والضوء فى الكرنك

مساء الخميس :

الصوت والضوء فى الكرنك

وسقطت الأضواء على أركان المعبد ولم تخب يوما .. المعبد الذى
فجر انبهار نابليون وهو الفاتح فقال : ان المصريين القدماء لم يكونوا
بشرا مثلنا .. ان الذين بنوا هذا لا بد أن تكون لهم قامات العمالقة .

وجاء بعده شامبليون ليقول كلمة العلم بعد اكتشاف وتحقيق :

ان أعظم كلمة فى أى لغة من لغات العالم هى « طيبة » .

وانبثت الأنوار فى أرجاء المعبد وأضواء الأعمدة .. وعكست
أنسائها على رؤوس النخيل .. فضة سائلة .. وانبعثت أصوات الكهان
عميقة تتخلل الموسيقى .. وأصوات الجموع التى اجتمعت على الشاطئ
تحتفل بالفيضان .. ووسط هذا كله انسابت كالحرير أو النغم الجميل
أصوات العذارى اللائى شفهن الوجد فى أغنيات رقيقة للأحبة .

(كل مياه النيل لا تطفى ظمئى اليك يا حبيبى) .

والحبيب به مثل ما بها من الظلم والليفة . انه يقول :

لا شئ

لا شئ يمكنه أن يحول دونى

والوصول الى محبوبتى على الشاطئ الآخر
لا شئ

حتى التماسيح الراقدة هناك

لا تملك أن تبقينا بعيدا عن بعضنا

سوف أذهب رغم كل شئ

وسوف أسير على الأمواج

بينما يطفو حبها فوق الماء

ليحيل اللوج الى أرض يابسة

وتمتد تحت قدمي

ويستحيل النهر الى بحر غرام

أن تراها

أن تراها قادمة اليك

كل هذا الجمال

فرحة العمر

ولن يأخذها مني شئ

حتى الزمن

لن يأخذ مني فرحة مراها

★ ★ ★

رحلة محفوفة بالمخاطر

انه يتمتم :

قلبي يصل لك يا رع

يا اله الشمس

من أجل أن تكون رحلتي آمنة وسريعة

حتى يمكنني أن أراها

وهي تسير متباطئة على شط النهر

ها هو ذا قد وصل .. وتهلل الجميلة فى فرحة :

معلك هنا فى « ميرتو »

كأننا أصبحنا فى هليوبوليس !
نعود الى حديقة الأشجار
وصحبة الأزهار فى أحضانى
واذا نظرت الى ظل فى البحيرة
والأزهار ملء ذراعى
أراك تأتى على أطراف أصابعك
من خلفى ، لتقبلنى
وينعشك العطر فى شعرى
فاذا أحاطتنى ذراعاك
أشعر وكأننى لست هنا
وكانى أصبحت امرأة فرعون .

أغنية منسوجة من خيوط الشعاع وسمرة النيل وشذى الأزهار
وصفاء البحيرة .. أغنية بلون الفرع دافئة نشوى .. هادئة مقطرة ..
حلوة كالسكر كـم بينها وبين ما نسمع الآن وما سوف نسمع غدا ..
ما زلنا فى عرض الصوت والضوء بالكرنك .. ويرتفع صوت
التاريخ جليلا مهيبا كالأعمدة ، ممتدا كالساحات ، سامقا كالمسلات
ثابتا كالمعابد ، قديما كالزمن على هذه الأرض ، زاخرا كالنيل ..
صوت حاول شوقى أن يحكى عنه بعض معانيه فى أبياته :

وليس الخلد مرتبة تلقى	وتؤخذ من شفاء الجاهلينا
ولكن منتهى هم كبار	إذا فنيت مصادرها بقينا
وأخذك من فم الدنيا ثناء	وتركك فى مسامعها طينا
جلال الملك أيام وتمضى	ولا يمضى جلال الخالدينا
مشت بمنارهم فى الأرض روما	ومن أنوارهم قبست أثينا
فكانوا الشهب حين الأرض ليل	وحيث الناس جد مضللينا
تعالى لله كان السحر فيهم	اليسوا للحجارة منطقينا

نعم ، لقد أنطقوا الحجر وحضروه وثقفوه حين نقشوه وزووه من
المعنى فانتقل من الصخر الى حجر كريم .. محظوظ الحجر المصرى ولم

يرو حجر من احساس غنى بالقيمة مثله ولهذا فهو مليء بالرؤى ، ومشحون
بنبض القلب الذى شكله ونقشه بالنور ..

كم وشوشت مصر الحجر وأترعته أسراراً ومشاعر فكان عملها لونا
من التطعيم الذى تحسبه مقصورا على الصدف والعاج .
وانتهى العرض .. كل شئ يمضى (ولا يمضى جلال الحالدينا) .

الشاطئ الغربى

هناك على الضفة الأخرى من نيل الأقصر حيث يقوم الدير البحرى
أى المعبد الجنائزى لحنشبسوت . انه معبد للحياة لا للموت فيه أسماك
البحر الأحمر على اختلافها وأنواع النباتات مما جلبته بعثة بنت . وفيه
الشجرة السرية .. والحنة فى الميزان . فيه سقف القبو ودقة الأعمدة
فى النقوش والطفل يقطس فى المياه المقدسة وهو ما يقابل التعميد فى
المسيحية فيه النجوم عرف الرسام منطقة تجميع الضوء فيها ..

وفى البر الغربى مقبرة راموزا الوزير الأول لاختاتون .. وعلى
الجدار رأينا الموكب الجنائزى للوزير . متاعه محمول على الأعناق بل
متاع جديد للأخرة .

السيدات والدموع والشعر المنثور .

وفى هذا المعبد تغطى الجدار بالحجر الجبرى ليونته وتشربه للألوان
فيما بغد وسمولة تفريغ ما حول الرسوم ثم طلاؤها بالألوان .

ويحكى المعبد خروج لاختاتون بدينه الجديد من طيبة الى تل العمارنة .

كان كباراء المصريين يتوسلون بالمعابد والنقوش والقرايين للظفر
بحياة أخرى .. وهنا يطل سؤال : ما حيلة الفقراء ممن لا يستطيعون
بناء المعابد ؟ والجواب أنهم يعتقدون أن الملك ملكهم اله وابن الاله وأنه
سيمطيهم مما عنده .. وأنه سيمحيهم ويمنحهم لحياة الثانية ولهذا يبنون
له وهم راضون لانهم انما يبنون ، بمعنى آخر ، لأنفسهم فضلا عن التقرب
وعبادة البطولة .

وفى البر الغربى مقبرة منا MNA وزير تحتمس الثالث ..

مسجلا عليها تلقينة ما يفعل ولا يزال المصريون الى اليوم يقومون بعد
الدفن بعملية تلقين الميت. وهذه الطقوس الجنائزية القديمة من تلقين ..
وأخمسة وأربعين .. لا يعمل بها في غير مصر .

والمقبرة كسائر المقابر مسرح للحياة .. فالطيور والأسماك في
لوحة الصيد .. وهنا نشهد خروج الزوجة مع زوجها في الصيد والوقوف
خلفه وتحويطه بذراعيها لحمايته .. لقد سجلت معايدنا الحب الكبير بين
المرأة والرجل في لمسة اليد واحتواء الذراع .

ان العلاقة بين الرجل والمرأة في الفنون التشكيلية في العالم أعمال
معدودة ولكنها في مصر موضوع كامل غنى مميز ، لقد كرمت مصر المرأة
بالدير البحري ومعبد نفر تارى .

وتأتى ساعة الحساب يزنون القلب بالأعمال ففي الكفة الثانية من
الميزان معات رمز الخير والعدل والحق .. ويسجل الاله تحوت اله
الحكمة .

ان الانسان المصرى القديم يقاس بالقيم .. لقد تركوا نفائسه
ومتاعه وكل ما يحمله معه الى قبره مما تصوره جدران المعابد وقاسوه
ساعة الحساب بالقيم الحقيقية .

وفي مقبرة نخت Naght بالبر الغربى نرى الزرع والحصاد
وعصير النبيذ حتى مصفاة الشاى وجدناها في مقبرة توت عنخ آمون .
وفي وادى الملكات مقبرة تيتى من الأسرة ١٩ - ٢٠ .

ومقبرة الأمير امنحر خبشسف Aimen norghob chef
ابن رمسيس الثالث . ويتجلى في هذه المقبرة زهو الألوان وجمال الوجوه
وصفاؤها من السعادة والرضا ..

ولكن كنوزنا بالبر الغربى نهب مباح حيث الحراسة شبه معدومة
مالذين يخفرون النفائس رجال ضعاف ماديا وبالطبع معنويا فالفقر في
المال فقر في كل شئ كما يقول المازنى .

والأقصر .. طيبة بشرقها ، وغربها أكبر مدينة أثرية في الدنيا ..
حتى ليببدو الأحياء حاشية للموتى يعيشون على تاريخهم .. على آثارهم
.. على التعريف بهم .. على زوارهم .

ورمسيس الثالث آخر الأقوياء . وله بالبر الغربى مدينة هابوحيت

يطالعنا فيها فناء مفتوح ثم آخر وكل منهما فيه جانبان من الأعمدة المربعة عليها تماثيل أوزوريس وجانبان من التماثيل البردية .

أما مقبرة سيى الأول ففى وادى الملوك عمارة منحوتة فى الجبل من عدة طوابق تحت الأرض تصعدنا نازلا عمارة كل شبر فيها منقوش مكتوب ملون ..

ان التصوير بأنواعه أسلوب مصر فى الفن فالآلهة مجسدة ومصورة .. واللغة مجسدة ومصورة والفكر والكتابة .. والفن صور متلاحقة فى غنائية موسيقية هى نوع من الجلال الأنيق هنا فن مصر الذى فيه روح النبات يتراءى للعين فى نبض تيار دافق . ويخرج الحجر عن صمته لينطق ..

حتى الفنون الصغيرة مدرسة الحياة وعنوان جلدها وأنسبها معا واثنتاسها أيضا .. فنون الابرّة والحلى ليست صغيرة مادامت تمارس من أفق الحياة المتطلعة . ولقد كانت المهة الذى نشأت فيه تلك الأعمال الرائعة الكبيرة من مرود الكحل خرج الدير البحرى بأدراك العلاقة بين الأشياء الصغيرة والكبيرة .. لينتهى الى الجليل العميق انه الرباط الجامع يؤلف بين أشنات القلوب ..

هل تمضى هذه الأعمال من أعمال الفن المصرى ؟

لا .. ستبقى لأن البقاء فيها .. توحيه وتحتويه ..

بعض المؤرخين وعلى رأسهم توينبى وشينجلر يرون أن الحضارة المصرية انتهت وانحسرت موجتها وجاء بعدها مده موجات أخرى .

من الشائع أن الموجة والموضة الفنية عمرها سنتان فى رأى تجار الفن على الأقل .. هذه الفنون تعتمد على الطرافة والمفاجأة والاستحداث وهى فنون يجوز أن يقال عنها مضت وانقضت ولكن الفن المصرى يتمتع بنوع من البقاء بما هو متجدد حاضر منتصر على الزمن مستقر فوق الأحداث استقرارا لم يصنعه الحجر والكتلة ولكنه استقرار قار فى نفس الفنان الخالق وفى روح المكان . قد تتفتت الكتلة فى الفن المصرى ويظل عزيزا منيعا متجددا . لقد تهشم أنف أبى الهول وما زال محتفظا بشهادة محضره ، على الوجود الكامل وكان لا مساس . انه فى صمته مكبر لمعانى السكينة والسلام والاستقرار ..

هذه السكينة التى يعشقها الشرق ..

حين كانت أوروبا تتسابق في الفتك من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨ .
كانت الهند تشغل الدنيا ببساطة وسماحة غاندى وشاعرية تاجور .
ان الهند تعرف الثقافة بلفظة « سنسكريت » أى التطهير والتغيير
وايقاد الحماسة والتهذيب وتحقيق الكمال . ان كلمة « اليوجا » معناها
النظام .

اننا اذا نظرنا الى مثال هندي وآخر مصري ، نجد خطأ مشتركاً
هو الاستقرار والسكينة غير أن نظرة التمثال الهندي الى الداخل وكأنه
يريد أن يعرف الكون من خلال نفسه . ولكن نظرة المصري الى الخارج
ليعرف الكون والماوراء .

والنظرة المصرية شغوف بالطبيعة الخارجية تستوعب الحقائق العليا
للمرئيات الخارجية وما وراءها .

روح مصر متعلقة بالمقدس . . بالمحل الأعلى . . لهذا كانت
حضارتها دينية . أما روح الهند فخير ما يمثلها الرقص الهندي الرقص
سدهم فلسفة وديانة ولغة . . ولهذا كان فن الهند كله فنا راقصاً دائم
الحركة في غير اضطراب .

روح زاخر بلا شطآن . .

فن غير خرافي وان كان مغلفاً بوشى الخرافة المزخرف .

بينما أوروبا فن عقلاني يمثله « بوسان » فكل قطعة عنده محسوبة .

الفن الهندي تابع من الغابة والجبل والحية والنار والشجرة بينما
نجد الفن الأغريقي فن مدينة . وحدود المدينة عند الأغريق أن أهلها
جميعاً يغطيهم فنون المسرح وعلوم المنطق والجدل . ونجد عصر النهضة
فى أوروبا ، عنده الشخصية الرئيسية أو الموضوع الرئيسى : « الموديل »
أى الجسم العارى . . وهو نفسه موضوع الأغريق والرومان حتى سيادة
المسيحية .

ولكن الفن الصينى ، الكون ، فيه هو الأساس . . وكذلك الفن
المصرى . . الانسان والحيوان هو الأساس فى الفن المصرى وهو بهذا
فن كوني . .

الصين والهند ومصر نظرتها كونية .

والفن الصينى أيضاً فن اجتماعى وهو شقان يكمل كل منهما الآخر

وان بدأ متناقضا معه شق يدفع الى الالتزام .. الى الحقل والبيت
والمجتمع ويمثله « كونفوشيوس » وشق يدفع الفرد الى الخروج الى
السحب والجبال ومنابع المياه ويمثله « لاوذا » . فالقلب الصينى المتأثر
بالحكيم لاوذا ، تلقاه فى جداول اللاء وسامقات الجبال وهائمات السحب
ومسالك الدروب الطويلة .

النظرة الأوروبية مركزها الانسان ولهذا اهتمت طويلا بالجسم عاريا
ولكن النظرة الشرقية صينية أو مصرية مركزها الكون زهرة ذهبية فى
ردهة أرجوانية من مدينة اليشة .

ولكى تحس الفن الصينى لا بد لك من قدرة سماع حركة الفرشة
على الحرير . وقد يرهق رائيه لرفعة ما فيه من مشاعر الصفاء والرقة .
ومثله فى هذه الخاصية ، الفن المصرى .. حتى ان الاسلام عندما أراد
أن يصنع شيئا فى مصر انتقل الى شئ آخر فما أمامه قمة ليس عليها
زيادة لمستزيد .

فى اسنا .. نفجنا هواها وما نعسنا

كيف ينعس من يرى معبد اسنا وأعمدته مكتبات

وكيف ينعس من يرى معبد اسنا بجماله الأنيس وكبريائه المنيف
وجلاله المتعالى لرفعة فيه وترفع على رفق ورحمة تسرى وتشع من خلاله
فتملا القلة .. قلب رائية بالنور والفرح والعشق والبشر والسهر فالمحة
لا ينام ..

كيف ينعس من يرى معبد اسنا وأعمدته مكتبات مسطورة أو
صحف منشورة .. مكتبات دينية .. انه ايمان مصر بالدين وبالكثابة
معا .. ايمانها بالفنون فقله صورا مليكهم يرقص ممسكا بآلة
السنسستروم لاغرو ان موسقت مصر الأديان السماوية بعد هذا حين
دخلتها وحين دخلت فيها .. فموسيقى مصر الكنيسة (أقدم مدرسة
موسيقية معروفة فى العالم) . بل تكاد تكون أغناها أيضا بما انبثقت
عنه من موسيقى مصر القديمة التى تحمل أسماءها الى اليوم العانا ..

يقول الفيلسوف الاسكندرى فيلو (ان بعض الألحان الشائقة الى
الآن فى الكنيسة المصرية تحمل أسماء بلاد قه اندثرت منذ عهد بعيد ..
فالحن السنجارى نسبة الى بلدة سننجار التى تقع شمال محافظة
الغربية وعرفت منذ أيام رمسيس الثانى . وكانت تحوطها الأديرة فى

العصر القبطى . وكذلك الاتريبي نسبة الى اتريب القديمة بالقرب من
الديرين الأحمر والأبيض بمنطقة أخميم) .

وفى الاسلام وضعت مصر أسس التصوف الاسلامى على يد
ذى النون وهو أول من أنشد شعر الحب الالهى فى سلاسة وعذوبة
نسرى الى النفس فتأسرها حين كان شعر أبى على الروزبادى يشق فهمه
ويتطلب الوقوف على مصطلحات الصوفية لادراكه .

وعلى طريقة ذى النون، فى الحب الالهى سار ووصل ابن الفارض .
وفيه مثله من مصر رقة الاحساس وشغافيته ، وهو بهذه الصفة سلطان
العاشقين . ومصر بهذه الصفة فيه صاحبة فن فى التصوف ورفه
حضارى . ولم يعرف عن غير ابن الفارض أنه احتشد للغناء واللوان
الفن حتى لينشده أشعاره انشادا من ولعه بالنغم والتطريب .

ولم يعرف عن غير ابن الفارض أنه غنثه الجوارى فطرب حتى رقص
على دقات الدفوف وأنات الشبابة .

حتى أسلوبه تابع من مصر . . من مدرسة البهاء زهير ثم مدرسة
الشعب بأزجاله ولغته الجارية .

وأسلوب ابن الفارض فى الشعر اتسم بالرقّة والظرف والصفا .
وحوية العاطفة والومض . وقد شغلت (تائيته) الشراح حتى المخالفين
له فى رأى فكثرت شروحها وتشعبت .

وحب مصر للنغم يفسره دورها الذائع فى عالم القراءات . فن
(ورش) المصرى أخذ علماء المغرب عن تلميذه (أبى يعقوب) الأزرق
ابن عمرو بن يسار المصرى وأخذ الأندلس عن عبد الصمد بن عبد الرحمن
ابن القاسم المصرى .

وفى القراءات موسقت مصر الدين بطبعها الفنان .

كتب الشيخ البشرى مقالا عن « تقاليد مصر فى الفن » جاء فيه
أن متقدمى القراء فى مصر (لا يبدأون قراءتهم الا من البياتى ، وبه
دائما يختمون) . ويعلل هذا بأن (البياتى هو نغمة البلد الاصيل ،
أو هو من أصل النغم التى تتقلب فيها حناجر المصريين . ففى الحق
أن هذه النغمة ، فوق سعة آفاقها ، وتقيلها لكثرة التصرف والتلوين ،
فان المصرى يجد من الاستراحة اليها والأنس بها ، ما لا يجد لكثير) .
وبعد القرآن يأتى الأذان . وعمل مصر فيه يحدث عن التناسق

والهارموني في ذوقها . فان جميع مؤذنى المساجد في القاهرة كانوا كما يروى الشيخ البشرى في كتابه « قطوف » اذا ظهروا المآذن للهِتاف بالأولى أو « الأولى » - ومن أوله الأذان هذه ابتدع بيرم . فيما أرجح ، حين تشرب الروح المصرية ، ألوان الأوله في الغناء - وقفوا وقد ارهفوا آذانهم ، وعلقلوا أنفاسهم في انتظار الأمر الذى يصدر اليهم عن مئذنة الشيخ صالح أبى حديد بالنعمة التى يجرون بها الأهازيج ليلتهم . . فاذا جلجل مؤذن الشيخ صالح بنعمة الرصد مثلا ، أسرع مؤذنو المساجد حوله بالصياح بها ، وأخذوا أخذهم مجاورهم ومن تقع للأسماع أصواتهم ، وهكذا فلا تمضى دقائق الا والقاهرة كلها تجلجل بنعمة الرصد . واذا بدأ بالبىاتى ، أو بالحجاز ، أو بالسيكا ، الخ فهكذا وما شاء الله كان آ

وان دل هذا على شيء فإنه يدل على أن أهل مصر أو سكان القاهرة على الأقل ، أصحاب فن ، وأهل ذوق ، وعشاق تطريب .

حقا (الذوق ما فاتش باب النصر) كما يقول أهلنا في أمثالهم .

حقا (الى عمل مصر كان فى الأصل حلوانى) .

ومن تقاليد مصر فى الفن . . فن الذكر المصرى فقد كانت مصر تجعل له قائدا هو بمثابة ضابط الايقاع . ومن مشاهير المصريين فى هذا الباب السيد على الركبى . (كان اذا جلس أعلام المنشدين لشأنهم نى صدر المجلس ، جعل يدير أساليب التنعيم بالذكر تنغيما فنيا يهيم لأولئك المنشدين أداء مهمتهم على أدق القواعد وأحسن الوجوه . ولقد يصرفهم هو فى فنون النغم ، بتوجيه الذاكرين الى هذه الناحية أو هذه الناحية ، مسرعا مرة ومتمهلا أخرى ، ضابطا الوحدة بنقرة بخانمه الفضى على حق سعوطة النحاسى . فكان بحق أكفأ « مايسترو » رآته العيون فى هذه البلاد) .



ومعبد اسنا منخفض عن سطح المدينة كثيرا . . لأنهم كانوا يضمنون بالأرض الزراعية أن تبنى عليها المدن . . كانوا يعرفون حرمة النبات فلا يثدونها .

وفى اسنا البائعات المتجولات البسيطات من نساء الصعيد يجدن الفرنسية والانجليزية باللقانة ، أو على الأقل بالقدر ، الذى يسع أسماء

معروضاتهن من التيابب والخمر - بضم الخاء - (الطرح) والمناديل
وأسعارها والرد على مساومة الزبائن ..

وكذلك الأطفال من البنات والبنين .

وكذلك الشيوخ .

وتذكرت بعثة (بنت) التى أوفدتها ملكة مصر حتشبسوت وكيف
عاد أفرادها يحملون من أطاف بلاد الصومال ، اللغة أيضا فقد التقطت
البعثة المصرية اللغة الصومالية ..

ان للمصريين ولعا باللغات وقدرة فيها ، منذ القدم .

وعند قناطر « اسنا » مرت باخرتنا « ايزيس » من الهويس .
وهو فتحة كبيرة فى أقصى اليمين من القناطر .. فتحة بعرض الباخرة
فقط وكأنها فصلت عليها تفصيلا . ودخل قائد الباخرة الفتى الأسمر
ذى الجلباب الأبيض والعمامة البيضاء .. دخل الهويس بنعومة فائقة ،
وبقدرة فائقة .. وينحدث طاقم الباخرة عنه أنه أبرع من دخل الهويس .
ويحكون أن ضابطا بحريا أكاديميا أخذ ثلاث ساعات ليدخل بمشقة فى
الهويس الذى دخل منه الرجل الخبير فى دقائق وبشقة !!

دخلت الباخرة الهويس وأغلق خلفها الباب فغدت بين بابين
عريضين .. ثم أخذ رجل فى أعلى القناطر يدير عجلة مثبتة فى القناطر
لترفع الباب أمامنا قليلا تحت سطح النهر حتى يرتفع منسوب الماء فى
الحوض الذى نقف به وترتفع معه باخرتنا حتى يبلغ الماء تحته منسوبه
فى النهر خلف الباب الأمامى . وحينئذ فتتح لها الباب وخرجت من
الهويس ..

نحن الآن فى تمام الساعة الثانية بعد الظهر .. ايزيس تمر ،
ونحن جلوس الى مائدة الغداء ، تحت كوبرى ادفو .

وما أن يهل شهر توت حتى يظل الناس ولدة ثلاثة عشر يوما
يفدون على « ادفو » التى تعيش هذه الآونة من السنة عيد اللقاء المقدس
.. حيث ينظم المصريون القدماء زيارة سنوية تقوم بها (محتور) حاجة
الى رحاب زوجها فى ادفو ، وقد أصبح أمر الزيارة عيداً رسمياً منذ
أيام (تحتمس الثالث) أسموه : « اللقاء الطيب » . وكانوا يحتفلون
به احتفالاً كبيراً . فيخرج كهان ادفو بتمثال معبودهم (حورس -

بحدتي) - وهو غير حورس بن ايزيس وأوزوريس وان كان المصريون مزجوا بينهما في كثير من الأحيان - ليلاقوا زملاءهم من كهان دندرة الذين يحملون تمثال « حتحور » على زوارق النهر ، فإذا استقر الجميع في ادفو ، ظلوا أياما يحتفلون بهذا اللقاء • يقربون القربان وينشدون الأناشيد لاهين فكهنين بالخناء والموسيقى • وكان على كبار الموظفين أن يسهموا في الاحتفال بالعيد وأداء طقوسه ومناسكه • وكان على الأغنياء أن يفتحوا بيوتهم للوافدين ويأوؤهم ويضمخوهم بالطيب ويقدموا اليهم الطعام والهدايا لاسعادهم •• حتى اذا انتهى هذا الحج ، عادوا الى ديارهم راضين موفورين •

ويعود كهان دندرة ، بعد قضاء مناسك الحج ، بتمثال حتحور الى معبدها •

في مصر القديمة كان حورس رمز الحق والجهاد •

وحتحور رمز الجمال والامومة •

ورع أى الشمس •• النور •

وأوزوريس أى النيل •• والخصب •

الدين في مصر القديمة من خلال الملموسات والمراثيات يتخلل هذا فترة تجريد كان فيها اخناتون يناجى الهه قائلا : (أنت في قلبي) •• ألم يقل القرآن الكريم ان الله أقرب الى الانسان من حبل الوريد ؟

لقد قصرت الدولة القديمة حق البعث على الملوك ومن هنا التفابي في بناء الهرم •• لعل الملك الاله في الوقت نفسه ، وجود بالبعث على البناة من شعبه •• ومن هنا أيضا حزن العامة الشديد عند الموت لان الموت نهاية بلا بعث ••

ثم قامت النسوة على الدولة القديمة •• واكتسب سواد الشعب حق البعث كالملوك هنا ظهرت عبارة (لا تغضب الاله الذي في داخلك) وهي تقابل في الاسلام ، الآية الكريمة نفسها (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) •

لم يعد الاله في الخارج فقط بل حل في الداخل •

ان مصر وعاء حضاري صبت فيه أفريقيا وآسيا قديما ثم أوروبا

حديثاً .. ومصر تغترف ما تريد وتترك ما تريد ولكن فى ذاتية متميزة
خلاقة .. بصمتها واضحة على كل شىء .

رسالات السماء لم تهبط عليها فأولى بالأنبياء والرسالات أقوام
فى حاجة إليها ولكن من عرفوا (معات) أى الحق والعدل والخير ..
ومن عرفوا التوحيد وسبحوا للقوى الأعظم ليسوا فى حاجة الى هداية ،
حاجة غبرهم إليها .
لقد اهتموا .

لقد وصلوا واتصلوا ..

وبعد الديانة المصرية القديمة جاءت المسيحية وتحررت من
الاقايمية ، وتجردت من الأشياء .

وجاء الاسلام يردد « الله تعالى » وفى كلمة « تعالى » هذه سهو على
الأشياء وعلو على الصفات ..

أرأيت ؟ لم ينقطع التيار الحضارى عن مصر .. تواكبت على هذه
الأرض ، القيم والمعانى والأديان ..

أقسم الله بالقلم ..
وقدست مصر الكتابة
انها كنانة الله

معبد ادفو

وادفو اسمها المصرى القديم (بجدت) . وفى معبد ادفو
« سبشات » الهة الكتابة وعلى رأسها نجمة .. ان الكتابة من السماء ..
والكتابة نور يهذى كالنجم .. والكتابة مقدسة .

هكذا تقول مصر بغير حروف .

وفى معبد ادفو حيث لا توجد فى المعبد بحيرة مقدسة للتطهر ،
توجد حجرة للتطهر يصب الماء فيها على الملك ، وحجرة أخرى للعطور
.. وفناء حورس والمزاريب فيه .

كم للعين فى معبد ادفو : آثار الراهب ، وحجرة المركب المقدسة،

ومقباس النيل ، والقارورات الزجاجية من المملكة القديمة .

ان معابد البطالمة تقلد تام كامل لمعابد مصر . الالهة كل الهه
مقاطعة ، يحمل على رأسه رمز المقاطعة . ولكن الاله حابى ، اله النيل
له ٤٢ صورة . على كل صورة رمز مقاطعة . وكأن حابى أبو المقاطعات
كلها وصاحبها على السواء .

أما الاله (ست) فقد صوروه على هيئة فرس البحر ورسموا
أرجله اثنتين اثنتين حتى يحرموه الحركة الطليقة أليس عدو «أوزوريس»
رمز الخصب والخير . .

وفى سقف معبد ادفو فتحات لاستقبال الضوء وتشكيله أيضا .
فى معبد ادفو صخرة من الجرانيت جىء بها من أسوان وشكلت
ناووسا . .

فى معبد ادفو ، البهو المفتوح . كل عمود يختلف عما يجاوره
ويمثل العدو أمامه فى الصف المقابل .

والموسيقيون صف أيضا . .

وقد بنى البطالمة أيضا معبد كوم امبو . . وعلى الرغم من هذا
التقرب كله ، قامت الثورات المتصلة ضد البطالمة .

فى معبد ادفو يأخذ الاله سوبك ، اله كوم امبو مكانه على اليمين
. . والى اليسار الاله حوريس .

وفى معبد ادفو ، أدوات التحنيط ، والأنابيب الزجاجية المدرجة ،
والمقص ، والملقاط ، والمشرط ، وسائر الأدوات الطبية .

وفى معبد كوم امبو حجرة لموميات الحيوانات . التماسيح فيه
تكاد تكون حية . . لقد أعزوا الحيوان . .

الحياة اليومية المصرية مصورة ومسجلة على المعابد تسجيلا كاملا
. . بل كل ما يدور بخلدهم حتى أحلام اليقظة . . فمثلا يرسمون
الأسد يأكل ذراع العدو أو يرسمون الأسرى . . نصفهم الأعلى فقط حتى
لا يبعثوا باعتبار الجسم ناقصا .

من أعلى المعبد النيل والنخيل والمدينة والمعبد منظر يسعد العين
حين تطلعه أول مرة .

غادرنا كوم امبو في طريقنا الى أسوان .. الطبيعة واحد يتعدد
.. الأخضر ألوان ومدرجات .. الضفتان تنبادلان الزروع والنخيل ..
الجبل الرملي على اليمين والجبل الأحمر (الحديد) على اليسار ..
الجبلاّن يحتضنان النيل . ويحوطانه خاصة اذا خلا الشاطئان أو أحدهما
من الزرع أو قلت كشافته أو قصرت قامته ..

القطار على الأرض يمزق بسرعة ، ويدخل في الجبل .. أنوبيس
فادم من الاتجاه الآخر .. النيل من كوم امبو الى أسوان ينعرج كثيرا .

اليها .. الى أسوان

بلد السد العالي وبلد العقاد

في القطار وفود مسافرة الى أسوان ولم تكن وحدنا .. كانت جموع
النخيل تبدو لعيني من نافذتي بالقطار الموعود وفودا مسافرة الى أسوان
الا بأسقامت متفرقة قامت على حراسة النعمة المنشورة على بساطنا
الأخضر .. وكان المساء مسافر الى أسوان لتغفو في سكونه بعد كدح
النهار .. كل شيء كان مسافرا معي الى أسوان لبري النيل .. ليري
الآثار .. ليري التاريخ .

وأغفيت حين لفنا الليل وتعذرت الرؤية وظل القطار ساهرا
وحده .. سائرا وحده وكأنه خاطر سار أو خيال سانح أو أمل يومض
في الظلام وفجأة وقف القطار وقفة طالت ونفذت ببصري وفضولي من
زجاج نافذتي فاذا بنا في محطة البلينا واذا ذكرت البلينا ذكرت
(العرابة المدفونة) حيث يقوم معبد أبيدوس وحيث تعيش قصة حية ،
ففي العرابة المدفونة انجليزية نقّدت الآثار الفرعونية وتجيد اللغة
الهيروغليفية قراءة وكتابة وتعيش منذ ثلاثين سنة تتعبد في معبد أبيدوس
وتعبد خاصة أوزوريس وايزيس وتقدم لهما القرابين . وهي اذا دخلت
عليهما للمعبد .. دخلنه حافية القدمين من اجلال .. هذه السيدة يطلقون
عليها هناك اسم (أم سیتی) . نسبة الى سیتی الأول الذي بنى معبد
أبيدوس للاله أوزوريس والالهة ايزيس .. وسیتی الأول والد رمسيس
الناني ..

وتعيش السيدة من مرتب تخصصه لها مصلحة للآثار .

وبعد اغفاءة طويلة فنحت عيني على صباح وردى تكسو غلائله

قامات الأشجار وتتوج شقوقه ذوائب النخيل ٠٠ وكان الشروق يبدعه
سحر الركب فدبت الحركة فى القطار ثم تزايدت حتى إستيقظ النوام
وببادل الصبح ناحية الصباح على موائد الإفطار ٠ وفرغنا وتطلعنا من
جديد فاذا بنا نسير بين جبلين يكادان يطبقان على القطار ومن فيه ٠٠
وأين النيل ٠٠ جبال ورمال قلما تقع العين منها على مظهر حياة ٠٠٠
ويمرق القطار مسافة طويلة حتى نرى العين من بعيد طفلين قاثمين كأنهما
نبتا لساعتهما وسط هذا القفر ليقطعا السكون المريب ويبددا الوحشة
أو امرأتين ضامرتين لوحتهما الشمس بل قددتهما حتى ليخيل للرأى
أنهما آيتان من القبور بعد هجعة طويلة فلو توقف القطار فى هذه
اللحظة لسألناهما سر الغائبين ، وهل مصر مصر كما عرفناها ٠٠ ليطمئن
الفراعين الذين أرادوها خالدة فنزل على حكمهم الزمان ؟ ٠

وبعد (الخطان) و (الأعقاب) ٠٠ وبعد الشوق الى الخضرة
والنيل ٠٠٠ انفرجت الجبال ودخلنا أو دخل بنا القطار فى واد ذى زرع
وسمعت صوتا يهتف « هاهوذا » والتفت الى يميني حيث صدر الصوت
فاذا (النيل) فى هذا المكان أبيض ساكن الصفحة كالمرآة ، هادىء
الأنفاس رقيق الشمائل شأن الكبير الواثق من نفسه ، المستعز بأرضه ،
الساكن فى حوضه المالك ليومه وغده ، لم تزعجه الأنباء عن تغيير مجراه
لأننا حين نفعل سيغير هو بدوره تاريخنا وقيمنا ومفاهيمنا ووجه الحياة
على وإدنا تماما كما فعل فى الماضى ٠٠ ان دوره لم يتغير ٠ هو هو البطل
وراء كل عمل نأنى به ٠٠٠ اننا لكى نغير المجرى كم سهرنا على خدمته
وكم كدحنا لتعميقه ورسم طريقه الجديد ٠٠ أليس معنى التغيير اذن أنه
شغلنا الشاغل كشأنه دائما كشأوه أبدا أليس معنى التغيير أننا نضن
به على البحر ونغالى بكل قطرة فيه ألا تعيش بيننا ويعجرى فينا دما
وحياة وخصبا وغنى ووفرة ؟ ٠

وقبيل أسوان امتلأ الطريق على الجانبين بالصخور الكبيرة كأنها
فيلة قد انفصلت عن الجبل فى تمرد ظاهر ٠٠ ان المصرى جبار اذا نفذت
طاقة احتماله ٠٠ أنه عندئذ لا يقف فى طريقه شئ حتى الجبل ٠٠
صخور ليا طابع ولها قسما ولها شخصية فى جلستها القابعة على حافة
الطريق كالأسود الرابضة تتفرس القطارات ٠٠ والناس ٠٠

« اهرام كله كتوبه » اننا فى أسوان الآن وهذا النداء اللطيف يهتف

به صبي أسمر على صحيفة « الاهرام » ان مواطننا الأسواني يعنى ان العدد
ملء .

ها هي أسوان . . الشاطيء صبغته حمرة الحديد حتى دوائب
النخيل حمراء . قمم الجبال وراء النخيل حمراء . . مدينه مشرقه أسوان
كانها بنت الشمس . . النيل فيها عيره فى أى مدينه مصريه . . هنا
النيل لم يفرغ بعد من معركته مع الصخور . . جنياث كثيرة تعترض
مجراه . . صخور كبيرة سمراء يكاد يكون بعضها على هيئات آدمية حتى
لكان مجموعاتها فرق لجيش محارب ولكن النيل لا يخشى بأسها حتى
مراكبه الصغيرة ذات الشراع تغدو وتروح على مرأى منها . . انها تلهو
فى حمايته وتتخطر فى حماه . .



وأقلتنا سيارة الى الفندق أو الى المدينة السياحية الجديدة مدينة
النيل السياحية فندق هو فيلا أنيقة تناثرت حولها فى الحديقة
أحواض الزهر والأشباك الخشبية الشاعرية . . الفيلا تقوم على ربوة
تطل منها على النيل . . وجبل أحمر يتوهج بالحديد وجبل أصفر لا أدرى
سره والنيل من هذه البقعة والمباني محدقة به والنخيل رانيات اليه ،
حانيات عليه مولعة به أشبه بالخلجان والبحيرات . . فهو يطوق مبنى
ويلتف بالآخر ويدور بشاطئه فى انصاف دوائر ليستقيم من جديد
ويلامس سفح الجبل ويداعب بموجاته أعجاز النخيل . . ان نهرنا الخالد
ذو أفانين . . من حديقة « مدينة النيل » تستطيع أن تتملاه تخلص اليه
كتركت القديمة أما كتركت الجديدة فيخيل اليك أنها أخفت فيه بضاً
وكشفت بضاً كما يقول شوقي عن أنس الوجود . . . على الشاطيء الآخر
النخيل يدعوها الجبل لتصعد ولكنها لا تمضى فى سيرها على السفح
بضعة أمتار حتى تقف زاهدة فى الجبل مشغولة عنه بالنيل . . وعلى
الشاطيء الآخر بين النيل والنخيل والجبل قام مدفن أغاخان الذى شدته
مصر اليها حيا وميتا . . ما أخلق سنوحى بالحب والاشفاق حين شق
عليه النفى خوفا من أن يموت بعيدا عن مصر ويغسل بغير مائها ويدفن
فى غير ترابها .

وفى الحديقة مدرجات فرست وردا يتسابق فى الصعود على ضوء
فوانيس حاله ولمبات ملونة والمكان كله قطعة من الجنة يسود فيها الهدوء

ويرث الورد ويميس النور فيطفو كل شيء ويغدو شفافا كالطهر نبيلًا
كالخير كريما كالنيل .

ورقت أن أزور السد ولم تكن ظهرت آثاره الجانبية بعهد أو
حجبت الرؤية .

السد العالي :

الطريق اليه شريط ناعم صاعد فى الجبال على الجانبين . . جبال
حمراء من كنوز الحديد .

فى طريقنا اليه مسألة صغيرة يبدو أنها تعبت من الوقوف فنامت
. . مسألة ينسبها البعض الى حثشبسوت وينسبها البعض الى رمسيس
الثانى . . هى يكفيها أنها مصرية . . هذه أكبر . .

بعد أن وقفنا بالمسلة فى سلام طائف عدنا الى السيارة وبعد
دقائق من سيرها هتف الدليل اغمضوا أعينكم . . وفتحناها ثانية
بناء على دعوته أيضا فاذا بالمكان صخور أحجاما وألوانا وأشكالا شتى . .
أترانا على سطح القمر ؟

يرافقنا أيضا فى رحلتنا دليل آخر . . انها سمراء مصرية فارعة
تحب التاريخ وتحفظ عهوده كتلميذة نجبية .

نحن الآن أمام السد . شلالات الماء فى اندفاعها تشف وتخف
حتى كأنها شلالات من نور أو بخار أبيض ناصع .

وراء السد ، البحيرة . . والبحيرة معلم سياحى لولا بعوضة الجامبيا
التي تعيش فيها الآن يملى لها ركود الماء فى البحيرة فاذا دبت الحياة
فوقها بالسكنى وجدت الناموسة غذاءها فى دم الانسان وهنا الخطر
الأكبر حيث يمكن أن يموت الملايين بملاريا الجامبيا التي تنتشر عدواها
من انسان الى انسان .

لهذا يجب أن نفكر فى وسيلة عملية تحرك الماء فى البحيرة وتحرك
الطمي الذي ينسب فيها ويخرج بعدها الماء خاليا من الطمي أى من
الخصب .

انقسم الجبل وغدا شطرين بفضل الحديد والنار والعقل ، والارادة

التي صنعت من الحديد والنار والحجر ودرات الرمال عملا كبيرا لو أن الدراسة العلمية تجاوزت الحماسة له إلى الآثار الجانبية وامتدت إلى أبعاد مستقبلية شاملة بالغة الخطورة وهو موضوع كبير .

انحدرت قبل المياه في مجرى القناة الجديدة التي رسمت للنيل ودخلت الاتفاق التي سينفذ منها . وبعد عودتي جرت المياه فيها ولا أزال أذكر هذه اللحظة . وقد رأيت السد بعد هذا كثيرا ولكن الرؤية في ذلك اليوم لها وقع خاص .

هناك في ساحة الاتفاق آلات كثيرة تعمل بالنهار في وهج الشمس وبالليل في ضوء المصابيح . . آلات لها أفواه وآلات لها مقابض وآلات رافعة وآلات . . ضاغطة وكلها كوحوش الأساطير تعمل عملها في نهم . . الحياة في هذا المكان . . رهيبة غالية . . نحسب بالدقائق والثواني . . والناس رسوم متحركة والأصوات أصداء والألفاظ هواء كل شيء يطويه المبني الكبير الذي يسير بالآلة والانسان معا حتى العمال على كثرتهم لم يزاووا غناءهم التفليدي الذي يصحب الأعمال الشاقة ويهونها ان العمل الرهيب في موقع السد لا يترك لهم طاقة لغيره فلا غناء ولا كلام إنما حركة في صمت وكدح في صبر . . وصراع في معركة الحياة كصراع النيل مع القفر أو صراع (أوزوريس) مع (ست) . . صراع في أصرار ولكن هذا كله لم ينس ثلاثة من العمال ذكر ربهم فانسلخوا من الضجة ليقيموا . . الصلاة . . وانسلخت بدوري من الضجة القائمة لأتأملهم وصلى قلبي لهم أولئك المؤمنين بربهم المؤمنين بوطنهم إيماننا يترجمونه أعمالا مجيدة تمكن له في الأرض وتحسب له في التاريخ وهو أغلى ألوان الإيمان . . ان هؤلاء البسطاء أكرم على مصر بما يعطون في صمت . . بما يبدلون من دم القلب وعرق الجبين . . انهم صناع الحياة فيها وان حملت الأعمال في النهاية أسماء غير اسمائهم .

وبعد السد الذي بنته سواعد كبيرة وعقول كثيرة وأموال كثيرة سعيينا إلى سد آخر رفيع شامخ جبار لا يقدر بمال . . سد باذخ من صنع عقل واحد وفرد واحد . . نعم عباس محمود العقاد . . هناك على أبرز مكان من أسوان بين المعالم السياحية للمدينة التي تجمع الماضي والحاضر يقرم ضريح يجمع قيمنا الغالية ولا أدري كيف . . ضريح يحج إليه كل من أقام بأسوان أو حتى ألم بها وسوف يتسع العمران بأسوان ويزداد امتداد وسوف يقام فيها للصناعة صروح . . كنبرة ولكن أعلى صروحها

وأغلى ذخائرهما سيطر عباس محمود العقاد بقدر ما تأصل في نفس الفنان من اعلاء للفكر واجلال للعقل واحتفاء بالقلم وعبادة للفن وتوقير للعلم وولاء للموهبة ووفاء لصاحبها .

سيغير كل شيء في أسوان الحياة والأفكار والمجتمع ومعالم المدينة حتى الجبال ويظل ثابتا كالعهد به عباس محمود العقاد لأنه تاريخ والتاريخ دائم ولأنه فكر والفكر قائم ، ولأنه قلم والقلم سائر ولأنه عصامية من طراز نادر ولأنه موهبة على مستوى رفيع ولأنه جامعة ولأنه شرف لجيله ومفخرة لمصرية لسائر الأجيال .

وبعد طوافي بضريح العقاد زرت بيت العقاد البيت الذي شهد مولد العظيم الذي جاء مع النيل من أسوان لينشرا بين الناس رسائل رحمة تحيي موات الأرض ، والنفوس وتمرع حياة الناس والعقول ثم استقل النيل بالأرض ، ورقى العقاد الى السماء وحسن ما اختار جوارا وطاب رفيقا .

رأيت الحجرة الفسيحة التي كان العقاد يعقد بها ندواته في أسوان عصر الاثنين والجمعة من كل أسبوع ورأيت المقعد الذي كان يجلس عليه والناس من حوله الواقفون يربون أضعافا على الجالسين الى جانبه والجالسين بين يديه . كان العقاد يحل بأسوان فما يكاد الناس يتسامعون بمقدمه حتى تتدفق جموعهم على مجلسه وتهرع وفودهم الى داره فلا يبقى في الطابق السفلي موضع لقدم . أنه ابن أسوان وأبوها فكل من فيها يدعوه « أبويا العباد » .

ورأيت في الطابق العلوي مكتبة العقاد بأسوان . أنها مجرد فرع من مكتبة القاهرة ورائعنى عطس المكاتب من أوراقه المحبرة وأكداس كتبه المروءة والمنتظرة دورها .

ورأيت حجرة العقاد الخاصة وقد ترك فيها كل شيء كما خلفه آخر مرة . ملابس معلقة وعصاه . كل شيء يبدو منتظرا كأنه قادم اليه من القاهرة وما درى أنه سافر منها الى أسوان منذ أمد قريب . . .

والدور العلوي مخصص للعقاد حين كان يسافر الى أسوان وتستطيع ان تكتشف هذا بنفسك فكل شيء مرتفع القامة مثله رفوف الزجاج على الأحواض . ومراياها . الأزرار في الجدران . السماعات (المشاجب)

الأناث ، حتى الأدوات ضخمة غير نظائرها عند الناس .. وابشست من بين دموى .. لقد لحقت عملقته الاشياء التى تنتمى اليه ..

واستوقفنى فى بيت أسوان صور أسوان .. كل معلم من معالم أسوان تضمه لوحة زيتية فالخزان والمقياس وأنس الوجود وجزيرة النباتات .. مهما طاب الجو فالصور تؤكد لك أنك فى أسوان أو تزيد دهشتك أنك فى أسوان .. الى هذا الحد كان « أبويا العباد » متعلقا بمسقط رأسه .. كما كان مسقط رأسه متعلقا به إذا أخذنا بدلالة الصور هنا .. فى كل حجرة صورة للعقاد وفى كل ردهة صورة .. للعقاد .. وكم من صورة رسمها له أو رسمه فيها الفنان صلاح طاهر ، ان مدرسة العقاد فيها الرسام كصلاح طاهر والموسيقى كالشجاعى أليست جامعة ؟

وبين الصور صورة كان العقاد يعتز بها صورة زيتية من رسم صلاح طاهر أيضا انها صورة طفلة نائمة أناملها الصغيرة البضة تمسك أطراف الغطاء ودوائر شعرها المخمل تلقى على وسادتها البيضاء ظلالة رقيقة منها وجهها كله تغسل براءته وطهره بحرا من آثام العالم .. كان العقاد المهيّب يحب الطفولة وكان قلبه قلب طفل فى النقاء والصفاء ..

وقد حكى لى العقاد فى حياته حكاية لها دلالة كبيرة على أعمان .. صاحبها .. روى لى أنه رجع من جنازة ابنة صفيه المازنى وقد اتخذت صرامته قرارا لا يحيد كالعادة وهو الا يتزوج لكى لا يقف هذا الموقف الجريح لكى لا تدفن نفسه نفسه .. لكى لا يوسد الثرى بضعة منه أعز شئ فيه وظل فترة يردد : كيف احتمل المازنى دفن ابنته ؟ كيف وكثيرا ما سئل العقاد عن سر هزوبته فكان يصنع للسائلين الجواب ..

وزارنى رسول من مصلحة الآثار فى منزل العقاد فطلبت له القهوة كائنى فى بيتى ألسنت مصرية .. وكان العقاد قيمة لمصر .. لنا .. اذن هذا البيت بيتى .. بيت كل مصرى .. بيت كل أديب لأنه كما يقول كل أسوانى سمعته بيت .. « أبويا العباد » ..

أستاذنا العقاد يدعونه فى أسوان وأنا معهم : أبويا العباد .. فى المنيا أيضا نعبر عن الاحترام الكبير بلفظة الابوة .. وهكذا أجدنى فى أسوان أدعوه أبويا العباد ، وأدعوه فى القاهرة أستاذنا العقاد .. انه الأب الأستاذ ..

لقد بدأت محافظة أسوان تصحو بعد عشر سنوات وتبنى الضريح

•• لقد رفعت السماء العقاد وتقاعست الأرض فلم يرتفع ضريحه ••
استطاعت السماء أن ترفع العقاد بكل ثقله الفكرى والفنى والأدبى ••
وعجزت الأرض عن أن ترفع الطوب والأحجار ضريحا •

وكم بين القارورة والعطر

وكم بين الدن والسلاف

بين الدن والدنى

ولكنى أرى البناء قائما الآن والعمال يجدون فيه •• رجوت من
سائق السيارة السياحية أن يقف بى أو يقف لى أمام الضريح •• ونزلت
وتقدمت إليه وقرأت الفاتحة فاذا بالعمال يأخذون فى قراءة الفاتحة
وكانت نظراتهم تقول كلاما كثيرا •• تريد أن تقص •• أن تتحدث عن
صاحب الضريح •• لولا أن السيارة السياحية تنتظرنى لطاب لى أن
أستمع إليهم •• أن أستمع عنه ••

وحين وقفنا على شاطئ النيل فى انتظار القوارب لتحملنا الى معبد
فيلة سألنى السائق مغتبطا عن سر نزولى واجلالى لرجلهم العقاد •• وبدأ
هو ومن حوله يقصون فى زهو سيرته والتفاف أسوان حوله ، وفترات
حضوره إليها •• ويصمتون قليلا فأحدث أنا عنه فى القاهرة ••

ويحضر الزورق فتنفض ندوتنا الصغيرة •

أغا خان

أخذنا الزوارق الى ضريح أغا خان •• انه يقوم على ربوة عالية فى
أسوان •• لقد اختار الرجل مدينة الضوء الماسى مشتى له فى الحياة
ومشوى بعد الحياة •• نحن نوقل كما يقول المرحوم فريد أبو حديد
صاعدين فى الربوة •• ما أجمل أسوان من هنا •• لم ير أسوان من
لم يرها من فوق الربوة • كما لم ير القاهرة من لم يرها من ربوة
سقارة •

من على الربوة •• النيل هنا وجه آخر مختلف تماما •• الصخور
فى عرض النهر وعلى جانبيه مجموعات كبيرة •• صخور جرانيتية ضخمة
كانها هياكل حيوانات •• ومجموعة كأنها تماثيل رابضة أو منتصبية ••
ومجموعة كأنها فرقة من الجنود لابسى الخوذات •• وصخرة ضخمة
بارزة فى النهر كأنها أبو الهول غير أن الفنان لم يشكل الرأس بعد ••

النيل في أسوان يبذل جهدا كبيرا ٠٠ انه يمشى مثقلا بالصخور
٠٠ وحين يحطها عنه ، يسبر مرهقا من فرط ما حمل وبذل ٠٠ ولكنه
كالعظيم الراسي يخفى بعبه ويتجمل بالهدوء وينحمل الجهد راضيا لان
فيه سعادته وفيه رسالته ٠

ورست الزوارق على الشاطئ الآخر ٠٠ وأخذنا طريقنا الى ضريح
أغا خان ٠٠ طريق صاعد يستدير حافات ٠٠ وكلما أمعنا في الارتفاع
دار من جديد وكأنه بلا نهاية ٠٠ وصعد معنا بيت أغا خان الى منتصف
الربوة تقريبا حيث وقف وتركنا بصعد وحدنا ٠٠

وتذكرت صعودنا في حي مومارترا في بازييس ٠ وأخيرا وصلنا
فجلسنا حوله ننتظر خروج فوج السياح بداخله واذا بأسوان تبدو من
أعلى الربوة مدينة أسطورية أو موضوعا ملونا للرسام والشاعر ٠٠ النهر
يببدو من أعلى الربوة ، هوى الناس والطبيعة فالجزر الخضراء تتناثر
فيه ٠٠ والجبال بألوانها حمراء وبيضاء تدخل فيه وتخرج منه ٠٠
والصخور الرمادية تشكيلات شتى ٠٠ والقوارب الصغيرة كطيور الماء
٠٠ والبيوت والمآذن والقباب يلتبس كل منها اطلالة على النهر العظيم ٠٠
وعلى عالمه الكبير ٠٠

دخلنا الضريح بعد أن طلب الينا أن نخلع نعالنا على الباب ٠٠

فاعة مستطيلة مفروشة بالسجاد الأحمر وقد غطيت بغطاء من
فماش أبيض يلتقى عنيا وطء الأقدام ٠٠ وهذه القاعة قامت على أعمدة
من الجرانيت ٠٠ يليها الضريح من الرخام الأبيض الناصع البياض ٠
وقد علته النقوش وزينت جوانبه بالآيات القرآنية ٠٠ الضريح يبدو
وكانه عتبة كبيرة من خان الخليلى صيغت من رخام لا من خشب
وأصداف ٠٠

في الضريح دفتر لقيد الأسماء ٠٠ كتبنا أسماءنا وكتبته هذه
العبارة ٠٠

« زيارة تحية لرجل اختار مصر مثوى له وفاء بوفاء ٠٠ »

لاغا خان وصية عاطرة ٠٠ فكل الذى يطلبه من الدنيا صاحب
الملايين أن تضع زوجته على قبره وردة حمراء كل يوم !

هل هى مجرد وردة ؟ أم رمز ؟ ويرجح هذا اختيارها حمراء ٠٠
هل يريد أن يذكر زوجته بحبهما كى لا تنسى ؟

على كل حال لقد أثبتت الأيام أن البيجوم سيده كريمة وفيية .
لا تزال السيدة تضع عليه وله الوردة الحمراء فإذا سافرت عهدت الى
تابع أن يضعها يوميا في الميعاد .

تذهب الملايين وأصحابها وتبقى المعاني الكبيرة . وما أكثر الذين
يعجزون عن فهم هذه المعاني الكبيرة واحتوائها حين تجمعها وتؤديها وردة
صغيرة حمراء .

نزلنا الربوة . . وأخذنا الزوارق الى جزيرة النباتات . وفيها
سرنا بين صفيين من الأشجار الطويلة من النخيل المستجلب من كوبا
وغيرها . . أشجار نجيلية ممسوقة كراقصات الباليه كما تشبهها ابنتي
الصغيرة . .

زهور وطيور وطرقات مرصوفة ونضرة يانعة . كم تستريح العين
الى هذا الجمال الجميل . . ولكن الدليل وهي سمراء مصرية ، طلبت
لينا أن نستقل الزوارق الى حيث ترسو (ايزيس) .

وعدنا الى ايزيس وكانت طيور « أبو قردان » جماعات جماعات
عائدة الى أوكارها ، أشجار الشاطئ . . وكان منظرها من بعيد حين
ألقت نفسها على الأشجار بعد اجهاد الطيران كازهار بيضاء تتوج هام
الشجر . .

كان المساء جميلا نديا غنيا بكل ما يسعد الاحساس والعين والروح .
ينقص أسوان البوليس السياحي فان عدده فيها ووسائله لا يتناسب
مع حجمها السياحي والتاريخي . . لا يتناسب مع قيمتها الحاضرة لا سيما
وأن ظاهرة البقشيش بين الأملف سال امتدت اليها !! هل هي الحاجة
تدفعهم ! ربما وهل نسيت اسنا . . هذه المدينة العريقة وصلنا بمعبد
شارع بدائي . لماذا لا يكون الطريق من الباخرة الى المعبد ممهدا مرصوفا
نظيفا جديدا قديما في آن ؟ أى تكون مساكنه وحوائثه على الجانبين
حديثه العهد بالبناء مصرية الطابع . . وبدلا من أن يلاحق الباعة المتجولون
والأطفال ، السياح ببضاعتهم على أيديهم ، تنظم هذه المعروضات فى
الشارع المؤدى الى المعبد بشكل مهذب يحفظ البضائع ويحفظ قبلها
كرامة أصحابها وكرامتنا معهم ؟

لقد رأيت فى اسنا ما يعرضه هؤلاء ، مصنوعات يدوية جميلة
ودقيقة الصنع كالشيلان المنسوجة على النول ، والقبعات « الكورشيه »

•• وغير هذا بأسعار زهيدة ، يقدر السائح الأجنبي كم تكلف في بلده باعتبارها شغل يد • لماذا لا نشجع هذه الصناعات وننميها ونصدرها دعاية لنا ، وامتصاصا للبطالة والفقر والعراغ فلا تعد الأيدي الصغيرة بحاجة الى طلب البقشيش ؟

لقد أعطت هذه الأرض للإنسان ما لا يقدر بهال فكيف يستجدي فيها أبناؤها المليمات •

أكبر من هذا كثيرا اسنا •• وأعظم من هذا أسوان •• بلد المجد وبلد أبويا العجاذ ••

ماذا تقول رسائل الشوق ؟

نحن في عرض النيل في طريقنا الى معبد فيلة •• وفي عرض النيل أيضا صخور ضخمة كأسود رابضة تحرس التاريخ •• قدم متراسة من الصخور بينها مجموعة شكلتها الطبيعة بصورة لا تشك لحظة أنها تمثال بوذا •• وفي أمريكا شكل الفنان التشكيلي صخور الجرانيت بجبل رشمر Rusmore من سلسلة الجبال السوداء بولاية داكوتا Dakoto وجوها تمل الرؤساء الأربعة الكبار :

واشنطن - جيفرسون - تيودور روزفلت - لنكولن - فأصبحت معلما سياحيا وكانت لا تصاح حتى للتسليق •• كانت كما مهملا •

والغريب أن المثال الفنان صاحب الفكرة Cutzon Borglam جطزون بورجلان استوحى الفكرة من تماثيل قدماء المصريين المنحوتة بالكامل في الجبل على طول شاطئ النيل بل قلدها تقليدا (أنظر كتاب Wonders of The World مؤلفه الألماني Ronald Gooch ترجمة Kate Reddick

عندنا الفنانون التشكيليون يشكون الزمان والمكان فهل يأتون الى دنا يشكلون هذه الصخور ليصنعوا منها جبل رشمر ، ثانيا ؟

وصلنا الى معبد فيلة •• معبد ايزيس الهة السحر أم حورس •

فيه حجرة الميلاد وفيه مقياس النيل ••

العين ترى سور الانقاذ والعمال يروحون ويغدون يرفعون الأحجار •

تجرى فى المعبد عملية شفط الماء ٠٠ وعلى طرف آخر من الجزيرة
عمال آخرون يسوون المكان لاستقبال معبد فيلة ٠٠ معبد ايزيس ٠٠
الحزان القديم لم يبق من فتحانه فوق الماء الا أقواس صغيرة يخرج
منها الماء ٠٠ ثم سور فوقها من البناء القديم ٠٠ انه يبدو الآن وكأنه
كوبرى ٠٠

وفى أسوان شهدت جزيرة فيلة التى ظن قدماء المصريين فى وقت
ما أن منابع النيل أربعة تغذى النهر فى جزيرة فيلة هذه ولعل السر فى
ذلك ان مسألة التننية عند قدماء المصريين (مصر السفلى والعليا
وغيرها ٠٠ قد حدث بالمصريين الى الاعتقاد ان له منابع أربعة (انسان
شمالا واثنان جنوبا) ٠

وكان الفراعنة يتصورون منابع الأربعة فى أربع جرار تهدبها ربة
الشلال (سته) ٠

وكما اتخذ كل معبود ذكر من بين الآلهة المصرية زوجا له ، كذلك
ذكر ٠٠ المصريون للنيل أزواجا منهم :

١ - نخبيت التى كانت تعبد فى الكاب ربة مصر العليا ٠

٢ - نوت

٣ - موت (زوجة آمون) الأب الروحى لفرعنة مصر أيام الأسرة ١٨ ٠

٤ - ايزيس

وكلها تتقارب فى الصفات وتتفق فى الأمومة ٠٠٠
فنخبيت أى (البيضاء) ترى وهى ترضع فرعون من ثديها ٠٠ وموت
كانت أما لهم وتحمل صفة الأمومة ٠

وايزيس كانت اما معروفة كذلك ٠٠

ويبدو أن فكرة تعدد منابع النيل كانت خاصة بهم ٠٠٠

ومنبع فيلة هذا يفصله أرمان على هذا النحو ؟ :

» هناك على حدود بلاد النوبة ، حيث يخترق النيل آخر حواجز
الأحجار الصلبة ، التى تفصله عن مصر ، يقع عدد من الجزر الصخرية
بالقرب من الشلال وعلى احدي هذه الجزر يقوم معبد فيلة الفخم ؛

الذى اشتهر فى العالم بأسره فى العهد الاغريقى بانه أهم معابد ايزيس،
والذى ظل باقيا على حالته تماما حتى عصرنا الحاضر ، ولكنه تعرض
للدمار فى الأيام الأخيرة .

وتقع بالقرب من جزيرة فيلة جزيرة أخرى ، هى بجة الحالية ،
وكانت تعتبر كذلك من الأماكن المقدسة للديانة المصرية . فمن جهة كانت
المكان الذى وطأته مرة أخرى الالهة الوحشية تفنوت من أرض الوطن
واستحالت فيه الى حاتحور الودود وفقا لأسطورتها القديمة . ومن جهة
أخرى كان يوجد فى بجة قبر أوزوريس ، وكان يعتبر فى العهد الاغريقى فى
مقدمة الأماكن المقدسة . ولم يكن فى مصر العليا اذ ذاك قسم أعظم من
أن يقسم الانسان ب « أوزوريس التاوى فى فيلة » . وكان هذا المكان
الذى يضم قبر أوزوريس يسمى « أباتون » ، أى الحرم وذلك لأنه لم
يكن يجوز فى هذا المكان أن يقلق راحة الاله أحد . وكان الطبيعة قد
قدرت أن يكون هذا المكان بالذات معبد أوزوريس ، وذلك لأن المصريين
كانوا يعتقدون أن فى الماء الجارى هنا يوجد أحد الينبوعين اللذين
يتفجر منهما ماء الفيضان جالب الخصب والنماء ، وقد كان يسمى
« ماء بجة النقى » - ولما كان أوزوريس . . يشرف على كل ما يكفل
الخصب ، كان يعتبر أيضا انه هو الفيضان نفسه . وكما كان يقول
كهنة فيلة ، لقد كان أوزوريس « النيل الكبير الذى يخلق الحب بفضل
ما فيه من ماء » ، والذى ينبت الأشجار والأزهار من رشحه (عرقه) .

لهذا كيف أمكن أن يكون لأوزوريس قبر أفضل مما كان له فى
« أباتون » . حيث كان يمكن ان يعود للظهور فى هيئة فيضان جديد
فهو كالنيل « يولد فى حينه وتتجدد أعضاؤه كل عام » . واذا كانت
الأسطورة تذكر انه لم يدفن فى « أباتون » الا جزء من أوزوريس وهو
ساقه اليسرى ، فلم يكن من ذلك بأس ، وذلك لأن الكهنة ظنوا ان هذه
الساق هى أحد ذينكم الينبوعين وتمثلوا كيف ينبثق الماء منها فائرا . .
متفجرا . أما « أباتون » نفسه فقد تمثلوه جبلاية كهف غائر يقر فيه
أوزوريس على هيئة النيل ويحرسه ثعبان .

ولم يكن النيل مادة غنية للأساطير بنفسه فحسب ، بل كان
أيضا وراء أساطيرهم عن غيره من الظاهرات والأشياء . . كان النيل
وراء أساطيرهم عن الشمس والقمر والنجوم والأرض أيضا (١)
ولما ثبت فى نفوسهم ان نيلهم ينبع من اليفنتين (فيلة) راحت

(١) كتاب (النيل فى الادب المصرى) للدكتور نعامات أحمد فؤاد .

فيلة هذه فى التاريخ بفخر عظيم فقد كان يحج اليها الأثوبيون والنوبيون « البليميون » الذين ظلوا على ولائهم لها حتى بعد انتشار المسيحية فى مصر . وظلت فيلة تتمتع بالأسر الروحى الى أن أمر الامبراطور جستنيان بإبصاد المعبد وحبس كهنته ونقل تماثيل الالهة الى القسطنطينية .

أما جزيرة بجه فهمى فى اعتقاد قدماء المصريين أول مكان وطأته حتحور . وأن أوزوريس نائم عند منابع النيل هذه . . والنيل يجرى من بين ساقيه .

وأوزوريس فى مهجعه يمثل عندهم المتبع والكهنة يقولون بحرمنته، فلا يجوز طبل ولا زمر ولا يطؤه أحد والصيد حرام فيه . . وظلال هذا الامساك عن تعاطى الخمر فى الفترة قبل عيد القيامة .

ويقال ان حتحور اغتسلت فى ذلك المكان عندما بكّت .

والنيل عندهم له يوم فى السنة ينام فيه ، والسعيد من يحظى منه برشفة أثناء نومه ففيها روح من قوة ، ونفحة من حياة ، ولمحة من جبروت . . والشقى من دنا من النيل ساعة يقظته . . انه عندئذ يطويه .

كما كان قدماء المصريين يعتقدون هذا ، نرى فى الصعيد المصريين المحدثين يقولون : فلان يمسح للريال بفركة من أصابعه . . وتسألهم كيف ؟ فيقولون عن ايمان انه قد مسه عرق الصبا ، لاعتقادهم انه فى ليلة القدر يقف الماء فى النيل لحظة ، فمن يشرب منه فى هذه اللحظة يمسه عرق الصبا . وهو كما ترى امتداد لاعتقاد مصر القديمة فيه .

تقف اليوم عند هذا المعلم من معالم أسوان لنستكمل الحديث عنها فى الباخرة حتى نصل معا الى المعبد العظيم « أبو سمبل » .

عدنا وأفكارنا الى ايزيس الباخرة . . متعة الرحلة لا يساويها هم البحيرة واذا بنا نرى على الشاطئ المقابل كوخا أحسب أنه خال من الهم . . وهل يعرف صاحبه البسيط شيئا عن بعوضة الجامبيا ؟

أقول كوخا ؟ انه فى الحقيقة صخرة ضخمة يعيش فى جوفها رجل كأنه من أهل الكهف . . الصخرة العجوز مثل صاحبها تعابها المويجات الطفلة فلا تعباً بشقاوتها بل لعلها سعيدة بها من أجل العظيم الخالد الذى يملك الشاطئ . . وصاحب الكوخ يملك قاربا صغيرا يرسو كالصخرة

على الشاطئ .. حين يستأجره الناس ، يمضى صاحبه بهم .. ثم يعود
فيسنده الى الشاطئ ويستند معه .. وهكذا اليوم كله ..

كوخ على النيل وقارب فى مثل هذا الموقع من المدينة العالمية
(أسوان) غنى كبير .. ان الرجل البسيط أغنى من رجل يملك قصرا
وسيارة فى مكان آخر .. ان القرب المجرد من النيل نعمة و ثراء كبير ..

ليس الكوخ وحده .. وراءه حزمة من بيوت صغيرة متواضعة تتملى
النيل فى أمان وفرحة .. عن يمينها ويسارها غابة من النخيل ووراء
جبل أصفر .. آه لو تدرك نفاسة موقعها هذه البيوت المحفوظة على
بواضعها ، لعرفنا أن ترابه يزن مثقاله ذهباً ..

نحن ، ننتظر الغروب .. السماء فيها غمام خفيف مغطى
بالنسمة .. السحاب والشمس من ورائه يشكل منظرا عجبا .. كأن
طاووسا نشر جناحيه .. والجناحان فى صفاء الأزرق غير أن أطراف الريش
مفضضة فى بريق النور الذى ينهل من الشمس الغاربة .. قرص
الشمس يمثل رأس الطاووس الجميل ..

بعد قليل بدأت ألوان الشفق الأحمر والأصفر بمدرجاتهما يتباريان
فى الانعكاس على الأفق الرحيب .. الجبل والنخيل والنيل تشهد المباراة
فى سعادة غامرة لأن النور من كل لون يزيد جمالها تألقا ..

الباخرة أوزوريس قادمة من الشمال أى من الأقصر الى أسوان —
المسائل نسبية — حيث تتأهب لرحلة العودة ..

أطلقت الباخرة أوزوريس من بورى صوتا خاصا .. فتهللت
(ايزيس) وأطلقت من بورى ساريتها ، أصواتا جميلة للتحية .. كأن
الباخرتين بينهما من العنسان ما كان بين ايزيس وأوزوريس فى
الماضى ..

سعادتي مضاعفة بهذه الرحلة من سعادة أولادى بها .. لقد أردت
لهم أن يشاهدوا الآثار ويتربوا فى عزها .. فى عز مصر .. وقد نجحت
أو نجحت الرحلة ..

أدركوا جيدا بالصورة والتشكيل كيف ارتقى وطنهم بوجدان
الإنسان من الغثاثة الى أفق المعنى دون احتقار للجسد أو احتكار
للهاذة ..

لمسوا موهبة وطنهم فى العمارة .. التى شرح أفكاره بها وأودعها
أسرارها وفلسفته .. راوا بأعينهم مصر أمهم بنرجم بالتشكيل عن أعماق
الانسان فى ذرى قلما يترجم عنها الكلام . فالاسلوب ليس الألفاظ
ولكنه نمط فريد وعزيز من الادراك .

أدرك أولادى أن تاريخهم شئ آخر غير ما لقنوه فى المدرسة ..
أعادوا قراءة تاريخهم من خلال الأعمال والدلالات .

لمسوا ادراك الحضارة المصرية نعمة الأسرة فى مثلها الأعلى بيت
وأم وأب وابن .

ايريس - أوزوريس - حورس .

موت - آمون - خنسو .

عرفت مصر الأسرة بمعناها الخاص .

وعرفت مصر الأسرة بمعناها الأشمل والأكبر .

فقد رأى صغارى فى المعبد المصرى ، « حورس » بشارك مع سبت
قاتل أبيه فى رفع رمز الوحدة !!

أمام مصر الأعداء والأصدقاء أسرة .. وهى وحدها الأم والأب .

ان الأسرة بمفهومها المصرى العريق بؤرة حضارية يتشرب المرء فيها
شعورا فويما ومقوما .. رحيمًا ومنعما .

فى الأسرة المصرية التى مثلتها المعابد لمسنا جميعا الوعى الحى
الساخر والعزم اليقظان .. وعى ووعاء يتحول فى عصور الافول الى
محافظة وجمود ورتابة .

لقد ترك أولادى الاهرامات فى الجيزة ليروها فى الأقصر وأسوان
مسلات شامخة .. وهل المسلة الا هرم مرفوع على قاعدة عالية تلملم
أطرافها لترتفع الى السماء ؟

رأى صغارى « أوزوريس » يقبض بيد على السوط ، وباليه الأخرى
على رمز العقل أى القوة والحكمة .. واذا رأوا تعلموا .

رأى أولادى النفس المصرية قد وضعت القلب فى كفة . وفى الكفة
الأخرى علامة الحق معات ورمزها ريشة .. وسألوا فى حيرة لا تخفى

وكثيرا ما تصلنى الأسئلة بهم أكثر .. ان نركز مصر على القلب ووزنه بالريشة اشارة الى رؤية مصر للقلب انه بالصفاء والشفافية يوزن ويقدر لا اللحم والدم .. ألا يذكرنا هذا بالحديث الشريف : (ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) .

وبالآية الكريمة (الا من أنى الله بقلب سليم) لا بنساء الجوامع والصدقة رثاء الناس ورياء السلطان .

نعم القلب يوزن بالريشة فى مصر ..

فليس الدين فرعا من التجارة بل لا بد للمتدين أن ينضو عنه أسمال النفس ، البالية .

رأى أولادى (نفرتيتى) و (نفرتارى) و (موت) فى زهو الجمال فاذا الجمال فى الرأس الرفع فى استقامة وترفع وورع واحتشام .. الشعر يترى كالغيث فى رأس ابيدوس ، أو يتتابع موجات فى رأس المرمر .

حس الزينة والأناقة دون الخضوع لها .

يعرفون من الاسلام الآية (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ويرون من الفن المصرى احتفاله بالزينة تحلو بها الحياة وتبسسم ، وتنعم بها الصرامة وتترقق . ان الفن المصرى صارم الخط ورائع اللطف معا .

والتربية الحقيقية هى اكساب الاولاد عادات فكرية .

ان ما رأوه مقولات ومقالات تشكيلية تحمل رسائل شوق من الماضى الى الحاضر .. وقد قرأ أولادى وتعلموا .. الكثير فى هذه الرحلة وسمعوا الكثير أيضا . سمعوا سائحة فرنسية تقول : (كيف طاوعنا قلبنا حتى ننقل آثار مصر الى متحف اللوفر ؟ انها أجمل وأنفس فى أرضها ..) .

وسائحة بلجيكية همست فى عمق : المستقبل لهذه الأرض حين يزحف الأفول الى أوروبا .. كم حدثونا عن اسرائيل .. الآن عرفت مصر .

وقالت سائحة بلجيكية أخرى : « يقابلنا فى مصر كثيرون فقراء ولكن الفقراء الذين تقابلهم فى الشارع ، والأغنياء الذين تقابلهم فى

الفنادق أو البواخر .. الكل طبيعتهم سهلة ضاحكة ودود .. لقد زرت
روسيا فلم يكلمنى أحد .. لا أذكر أنى سمعت ضحكات .. حتى الألوان
التي يلبسها الناس قاتمة ..

ان العلية وصفاء النفس رزق أيضا وخير كنير ..

ان المصرى الذى يظفر بهذه الرحلة فى حاجة الى عزلة هادئة
ليستعيدها ويعيد ترتيبها فى نفسه .. فى شعوره .. لتصير جزءا من
نسيجه ليترى .



كنت على الباخرة ايزيس مع الناس أى السائحين الأجانب ولكى
فى رحلتى من أسوان الى المعبد العظيم (أبو سمبل) كنت على الباخرة
(الدكة) وحدى مع النيل . فقد كان الفوج السياحي القادم من الغرب
ليسنقل الباخرة معى من أسوان الى المعبد لم يصل القاهرة بعد .
وأبرقت الوزارة الى مركز الآثار بأسوان أن تتحرك الباخرة فى موعدها
المحدد ..

أسبوع وحدى على صفحة النهر أصبحوا فأفتح عيني عليه وأنام على
موعد معه فى الصباح . كانت حجرتي بالباخرة (الدكة) كبيرة تملك
الرؤية من الجانبين وكأنها والنهر فى مستوى واحد .. ففى الصباح
تطل على من النوافذ مويجاته الصابحة كأطفال مدللة تداعب أما عاشقة
أو أطل عليها أنا بعيون جدلانة تقول فى صمت « صباح النيل » ..
صباح الخير كله والنعمة والحياة حياتنا مصريين على طول التاريخ .

انك لا تستطيع أن ترى وجه مصر خالصا صافيا متورا الا من
على الهضبة ، أو على النيل .. هناك تتبدى لك مصر لا تشبع العين من
سناها .. هناك تتجلى لك مصر بامتداداتها التي تستغرف البصر والحس
والقواد جميعا ..

من أعلى الهضبة أو من على النيل تشعر فجأة أنك أغنى انسان فى
الدنيا .. تشعر أنك تملك هذا الوادى الأخضر والرمال الذهبية
والسما المتلهلة المتاللة .. تملك النيل ..

بل ان شعورك بالملكية أقوى من عقد التملك .. ان الوادى بنهره
وخيره وطيروه وسماؤه ونوره وحلاه ، أنت نفسك .. ان المصرى جسما
وروحا وشعورا وسلوكا وأسلوب حياة انما صيغ من هذا الوادى ..

انه عطاء مصر ٠٠ منها خرج ٠٠ منها مادة وثرانا كما يخرج الطفل من بطن أمه فيه من دمها وصفاتها وسماتها .

وما أسعدنى مصرية رأت وجه مصر من القديسين معا ٠٠ رأيته من أعلى الهضبة ورأيته على صفحة النيل ٠٠ رأيته وتمليته ونهلت منه أسبوعين كاملين على النهر أعيش معه فى النهار واسهر معه فى الليل وأنام فيكون آخر وجه تمليته وأصبح فيكون أول وجه رأيته ٠٠ وعلى الرؤية والنهل والتملى ، رجعت وبى ظمأ يجدد هوى العين . وفى قلبى من حبها ، شوق يؤجج شعلة الروح ٠٠

لقد قام الكثيرون برحلات على النيل ولكنى ألاحظ أن المصريين منهم عاشوها فحسب ولكن الأجانب سجلوها . حقا ان أساتذة الجغرافيا عندنا أفاضوا فى الكتابة عن النيل ولكنها الكتابة العلمية المقتنة التى تحجز فيض النفس الفنانة ٠٠ ومن أجل هذا تحيا كتابتهم بين طلابهم وأهل الاختصاص .

ولست أزعم ، ولا أستطيع ، أن رحلتى هذه جامعة ٠٠ انها مجرد رحلة ، للعلم منها الحقائق الواقعية ، وللإنسان منها ما يفيضه هذا النهر من مشاعر وانطباعات . ان قيمتها فى (مصريةتها) فهى رحلة مصرية تبين عن مشاعر المصرى نحو النيل وتعكس صورته فى عينه .

هذا النيل نبت اليه عبر القرون والبلاد كثيرا من الانظار والرحلات والأقلام والفنون ما بين مفتون بكشف مجاهله أو تصوير معالنه أو كناية تاريخه ، أو قصته مع الطبيعة والإنسان . ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ويلكوكس W. willcocks وهيرست H. E. Hurst وألان مورهد Alan Moorehead فى كتابيه (النيل الأبيض) و (النيل الأزرق) ، ولودفيج Emill Ludwig والكسندر موريه Alexandre Moret وشيلو Chélu وفرناند لبرت Fernand Leprette وإليان فنبرت Elian Y. Finbert وشارل بلانك Charles Palanque

هذا غير كتب الرحلات مثل (النيل يمر بيلادى) للكاتبه بلانكايرا فييرا وغير الفصول التى عقدت على (النيل) فى كتب الأنهار وغير الكتب الفنية التى نقلت عن النهر الفنان ما أبدعه ٠٠ من لوحات وروى . وأنا هنا أُلح كتاب The Nile تأليف اليوت اليزيفون Ediot Elisofon المصور العالمى الذى حاضر فى الفن والتصوير فى المتاحف والكلليات فى

جميع أنحاء العالم ، والعضو بكلية علوم الحفائر والأجناس بجامعة هارفارد ومن هنا تتمثل قيمة كتابه الذى يضم ٢٠ صورة ملونة و ١٨٤ لوحة مصورة ، فى قدره كاميرته الخارقة على تعمق المنظر ونشره على عيوننا فى حساسية لا حده لها . فقد صور المؤلف المنابع وتدفقات المياه من زواياها المختلفة ثم تدور الكاميرا القادرة فى جنوب السودان وتمضى مع النيل الأبيض وتصعد فى السودان والنوبة العليا ثم تدخل النوبة السفلى أى النوبة المصرية حتى اذا بلغت أسوان كانت قد سجلت الصورة رقم ١٤٦ وهى لجزيرة فيلة . ثم تنتشر الكاميرا مى (الوادى الأخضر) لتسجل آثار كوم امبو وادفو وطيبة والدير البحرى ودندرة وايبندوس وأبو تيج وبني حسن والفيوم ودهشور وممفيس والجيزة حيث تشمخ الاهرامات الثلاثة وأبو الهول . ثم صور القاهرة الاسلامية والحديثة وقطاعات مختلفة من الوجه البحرى حتى اذا وصلت الاسكندرية جمعت الصورة الاخيرة ، الشجر الجميل ، فى منظر يلفه الليل ويغمره ضوء القمر ، التقط المنظر للاسكندرية من البحر فى الجزء الشرقى من المدينة عند كامب شيزار .

وهكذا يقطع الأجانب آلاف الأميال ، والأيام ، ليصوروا النيل أو يكتبوا عنه ما لم نتكلف مثله نحن أبناء النيل الذى يجرى النيل فى عروقنا دما ويسرى فى قلوبنا هوى وهو فى حاضرنا وماضيها شريان الحياة المصرية الأكبر ومجلاها .

ان قصتى مع النيل أو رحلتى على النيل من أسوان الى معبد (أبو سنبل) وما حول المعبد ، لها حديث طويل .

مع النيل

بدأت الباخرة تتحرك . . تتهاذى ثم تسير فلوحنا لمعبد كلابشة الذى تم نقله على الشاطئ الآخر نقلته وأعادت تركيبه ألمانيا الغربية هدية لمصر . . وعلى جلال فيه وروعة لا أقف بالوصف عنده فقد أفرد له مركز تسجيل الآثار كتابا محلى بالصور والنقوش مزودا بالحقائق التى تغنى طالب المعرفة أو زهو المصرى أو هواة الآثار .

الباخرة تجرى أمام قرية أمشير أول قرية هاجرت وكانت هجرتها سنة ١٩٣٠ عند تعلية خزان أسوان للمرة الثانية .

ان شاطئ النيل النوبي تنتثر عليه النجوع بببوتها البسيطة المتواضعة بيوت سقوفها قباء حتى لا تكون الشمس عمودية عليها بل ننوز الحرارة على الجانبين مائرة بطراز البيوت فى أسوان القديمة .

ولم يكن بعدنا كثيرا عن أسوان حتى رأينا نجع العمدة . وفى هذا النجع كان يقوم معبد (دابود) وقد تم نقله فى صيف ١٩٦٠ ، عند انخفاض المياه الى جزيرة أسوان ولم تتم اقامته بعد .

ومرت الباخرة بقرية دابود ونجع مريس ونجوع فى الشرف والغرب . وقد هاجرت (دابود) فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٦٣ وكانت هجرتها البداية الأولى لعملية التهجير من بلاد النوبة الى كوم امبو حيث الاراضى واسعة وصالحة للزراعة .

ويقول علماء الجغرافية التاريخية ان أول طمى من الحبشة اكتشف فى قرية السبيل يكوم امبو ويرجع تاريخ هذا الطمى الى العصر الحجري القديم الاعلى . ولما كانت بعثة بيل الأمريكية متخصصة فى عصر ما قبل التاريخ فقد اكتشفت فى كوم امبو .٠٠ أصدافا وأشجارا منحجرة وعظاما لحيوانات عرف بها هذا العصر ترجع الى عصور سابقة لعصر ما قبل التاريخ . وقد عثروا على هذه الأشياء فى بحيرة تسربت مياهها على اثر انكسار قديم وكانت قبلا يعيش الناس على ضفافها ويغذى البحيرة مجريان من مياه السيول التى كانت تسقط على جبال البحر الأحمر وقد جف المجريان وأصبح يطلق عليهما الآن .٠٠ وادين .

وفى بلاد النوبة من هذه القرى ٤٥ وحدة تستعد (كوم امبو) لاستقبالها فى بيوت جديدة أوسع وأصح ولكنهم يشقون نفسيا بالهجرة .٠٠ ولو فى بادىء الأمر حتى يتأقلموا ، وتألف نفوسهم الاستيطان . انهم يؤمنون بالنيل .٠٠ يودون قربه .٠٠ يشتهون لو عادوا وأعادوا بناء بيوتهم أقصد أقبيتهم ولو على مسافة بعيدة يلمحون منها النيل لمحا ان فاتتهم الرؤية القريبة .٠٠ ويقدر العارفون بهم رجعة الكبرين منهم بعد استقرار المنسوب الجديد للنيل عند البحيرة الصناعية خلف السد .

الباخرة تمر الآن بنجوع لم يبق منها الا بعض أشجارها . والا بعض قصصها . نسيت سبلة بعض حاجياتها فى عملية التهجير فعادت من (كوم امبو) الى أسوان ومن هناك استقلت قاربا شرعيا الى نجعها وانتظر

القارب فصعدت المرأة فداهمتها الكلاب التي خلفها الناس وحدها في النجع المهجور وكان الجوع قد أصابها بسعاره ٠٠ واذا جاع الكلاب هاجم بعضها بعضا ٠٠ ويبدو ان هذه الخطوة نستقبل وصول السيدة فخطت عند رؤيتها الخطوة الأخرى وراحت ضحيتها المرأة المسكينة التي لم يشعر بها ركاب الزورق الا متأخرا فلما حققوا اليها وجدوها مرقا ٠

الباحرة تمر الآن أمام نجع (دوشي) بعد ان رحل عنه أهله وقد زارت هذا النجع الصحفية الفرنسية مدام (لاکوتير) في أكتوبر (في أكتوبر سنة ١٩٦٠ ٠٠ وجاست بين البيوت فلاحلت ان أهل الدور جلهم من النساء عدا ثلاثة نسوخ أقعدتهم السن فلم يلحقوا بالرجال والشباب الذين يلتمسون الرزق في المدن الكبيرة فسمت كتابها عن بلاد النوبة (بلد بلا رجال) وقد ترجم الى الانجليزية ٠

لا أرى نجوعا بعد بل صخورا معلقة لا يبدو عليها أثر الخوف من هذا الوضع . . وصخورا تبدو من بعيد كمظاهرة من الناس يهتف فيها خطيبها . . تماما اناس يبدو بعضها حاسر الراس والبعض الآخر على رأسه قبعة . اناس فى هياثات سنتى ووقفات . . مختلفة وفقا لاجسام الصخور صغيرها وكبيرها مما ينسب له للعين . وصخورا على شكل نمثال تل روما وصخورا على شكل مؤتمر . وصخورا تشكل سوقا فى النيل له زحام ويدخل فيه الناس بعضهم فى بعض . . هذا جالس وذاك واقف ونائب يلوح بيده .

هاهى نى قرية (دهيت) وقد رحل عنها أهلها مع الراحلين . كان رفيقى فى الرحلة نوبيا فكان وجهه يتهلل كلما رأى باخرة سودانية قادمة ويفف يلوح لها . ان أجمل ما فى الانسان مشاعره . . أشياء لا تكلفه شيئا ولكنها تفعل المعجزات : لفظة . . انيسامة . . كلمة حانية . . لمسة يد . . لمعة عين . . دمة لقاء أو وفاء .

وفى الطريق قابلنا بواخر قادمة من السودان ومن الطريف ان البواخر السودانية تحمل أسماء الأبراج . . عطارد . . المريخ . . الزهرة . . القنبل . . النوبة . . (وكان اسمها الأصلي بريطانيا) . هذا حين تسمى مصر بواخرها التابعة لمصلحة الآثار بأسماء فرعونية أسماء ملوك أو معابد . . فرميسس وهى باخرة مخصصة لكبار الزوار والدكة : باخرتى التى حققت حلما غاليا من أحلامى الكبيرة، والباخرة (شيخ البلد) نسبة الى تمثال شيخ البلد الموجود فى المتحف المصرى .

والعوامات : (جرف حسين) - (ممنون) و (بيت الوالى) والتسمية هنا من عند الاهالى الذين رأوا المعبد على شكل بيت فسموه بيت الوالى وعرف نجعهم أيضا بهذا الاسم : بيت الوالى .

و (زوسر) و (امحتب) - وزير زوسر و (قصر ابريم) .

والجارات : احمس - تحتمس - سيتى - فرطاسى - دندور (اسم معبد فى بلاد النوبة) الدر (نسبة الى معبد الدر) - دابود (نسبة الى معبد دابود) .

الصنادل الآلية : أبو عوده (نسبة الى معبد « أبو عوده » وهى تسمية أطلقها الاهالى أيضا .
كلابشه : (نسبة الى معبد كلابشه) .

الصنادل غير الآلية : التى تجرها الجرارات وهى :

السبوع - (نسبة الى معبد السبوع) ، عمدا (نسبة الى معبد
عمدا) وهناك لنش (أبو سمبل) .

حتى البواخر السياحية سميت مصر منها :

إيزيس - لوتس - ممفيس - نفرتارى - أوناس (اسم ملك من
ملوك الأسرة الخامسة) .

النشآت الطائرة : كليوباترة - نفرتيتى .

(الدكة) باخرتنا تمر الآن أمام قرية (امبركاب) وقرى دابود
ودهميت وامبركاب تقع على ضفتى النيل معا .

لم يبق من العرى الا أسماؤها والصمت المخيم على بيوتها المزوعة
النوافذ لعلها للذكرى بيوت كانت منذ بضع سنين تضج بالحركة فقد
كان أصحابها أهل طرب ومن فيبيوت النجوع مزدانة حتى من خارجها
وبعض زينتها الأطباق الصينى اليابانية يعلقونها على الجدران الخارجية
للمنزل وفتيات الأسرة يملأن الجدران بالرسوم والنقوش . ان الإنسان
المصرى فنان بطبعه لانهجب روحه الشاعرة الفقر أو قسوة الطبيعة
وضمنها عليه . ان هذه النجوع حين كانت أهلة كانت تستمد حاجياتها
الضرورية من زوارق شراعية هى بمثابة حوانيت متنقلة تأتيها من أسوان .
ومع هذا الشظف كانت نفوسهم تتفتح على الفن .

اننا الآن أمام معبد قرطاسى (نقل المعبد فى صيف سنة ١٩٦٠)
ويقع على بعد ٤٥ كيلو مترا تقريبا من خزان أسوان ويعتبر من أجمل
معابد النوبة وبه أربعة أعمدة يتجهان على شكل الزهور أبدع الفنان
نحتها حتى غدت تستوقف كل عين . وكم أثار هذا المعبد الصغير من
اعجاب واهتمام الزوار ورجال الآثار على سواء .

(والى الجنوب من هذا المعبد كما يقول مركز تسجيل الآثار يوجد
عدد من المحاجر التى قطعت منها الأحجار التى استخدمت فى بناء معبد
فيلة وقد وجدت نقوش كبيرة باللغة اليونانية فوق صخور هذه المحاجر
كما توجد مقصورة تسرعى النظر باللوحات المنقوشة على واجهتها)
باخرتنا تسير فوق قلعة رومانية غطتها مياه الفيضان . كم فى
صدرك يائيل من قصص وأشياء .

وفى هذه المنطقة أيضا معاجر للحجر الرملى ومن هذه المعاجر بقى
معبد فيلة فى أسوان الذى سعى فيما بعد باسم (أنس الوجود) .

ومعبد أنس الوجود بنى للاله ايزيس ويرجع تاريخ انشاء جزء
منه الى العصر البطلمى وهو يقوم فى جزيرة فيلة . والمعبد عبارة عن
مجموعة معابد وأقدم جزء فيه يرجع الى عصر الملك (طاهرقا) من ملوك
الأسرة الخامسة والعشرين المصرية النوبية . ويليه فى القدم معبد
(تحنتنبو الأول) من ملوك الأسرة الثلاثين المصرية من العصر المتأخر

أما التسمية (أنس الوجود) فتقف وراءها القصة العربية
(أنس الوجود والورد فى الاكام) التى بنى لها أبوها قصرا منيعا
لم ير منله الراؤن (١) فى جبل الثكل القائم فى وسط بحر الكنوز
(وذلك الجبل لا يقدر على الوصول اليه أحد الا بالمشقة) (٢) ثم تمضى
القصة فى سردها وتمضى باخرتنا فى سيرها بعد ان نلمح وجود قصر
فى البحر يشكل وجه شبه قريب بين معبدنا وبين قصة ألف ليلة وليلة،
يسهل معه تفسير التسمية العربية للمعبد المصرى .

(الدكة) تمر بنا من (باب كلايشة) وهو أضيق مكان فى
المجرى فى بلاد النوبة وكان التفكير فى السد العالى يتجه اليه لاقامة
السد هناك ولكن التفكير انصرف عن هذه المنطقة لبعده المسافة بما يوازى
تقريبا ٥٠ كيلو مترا عن أسوان وصعوبة الانشاء من كافة نواحيه هناك .

كما اتجه التفكير يوما الى مد خط حديدى من أسوان الى مدينة
حلفا ولكن الاسنعمار واعتبارات سياسية أخرى اعترضت طريق
المشروع فتعثر ثم توقف .

وفى هذه المنطقة معبد (طافا) والاسم القديم (نافيس) كما كان
الاسم القديم لكلايشة (تاليس) .

وقد نقلت أحجار معبد طافا الى أسوان ولم يتم تركيبه بعد
وكان هناك معبد اسمه طافا الجنوبى حددت مكانه البعثة التسيكية صيف
سنة ١٩٦٢ ولكن الكشف لم يتيسر للباحثين لأن الطمى فوقه عمقه
سنة أمتار .

(١) ألف ليلة وليلة .

وعند معبد طافا لاحت قبة بيضاء هي قبة الشيخ (بحر) واليه يسمعى النوبيون من كل صنف فى ١٥ شعبان من كل عام فتأتى المراكب عليها جموع الرجال والنساء • يذبحون له الذبائح • ومن الطريف ان زواره يأتى كل منهم بأربعة أحجار يرصها بعضها فوق بعض علامة أو ذكرى كما كان زوار معبد ايزيس فى أبيدوس التى تسمى اليوم (العرابة المدفونة) مركز البلينا محافظة سوهاج يتركون لوحات يسجلون عليها تاريخ الزيارة وغرضها أو الشكر على أمنية تحققت أو رجاء محاب وفى الدولة الحديثة الفرعونية استن المصريون القدماء تقليدا فكان الملك عندما يموت • يزيرون جثمانه أبيدوس ثم يعودون به ليدفنوه فى الأقصر • ويبدو ان قبة الشيخ بحر تمثل اليوم دور أبيدوس فى مصر القديمة •

وفى هذه المنطقة مغارة فى الجبل يخلد اليها المشتغلون بالآثار • ووراء الجبل بقايا دير مسيحي وهو دير صغير غير معروف • نحن الآن نمر بمنطقة كلابشة وهى أخطر منطقة فى الملاحة لامتلاء المجرى بالصخور وأهل كلابشة أكثر الناس اجادة للضرب بالبنادق ووراء هذا قصة فان أسراب الطيور التى تسمى الكركى (ويطلقون عليه الكرك) وهو طائر يشبه البجع وطائر البلسان وتهاجر أسراب هذه الطيور من المناطق الباردة فى أوروبا وروسيا الى المناطق الحارة فتبدأ رحلتها من مناطقها فى الخريف لتصل الى مصر فى الشتاء وتصل منطقة النوبة وخاصة كلابشة ، لتعود فى الصيف الى مواطنها فى الشمال • وكما يلتقط الطائر الحب ، يلتقط أهل كلابشة هذه الطيور برصاص بنادقهم تحية لقاء ويشاركهم فى هذه الهواية أهل امبركاب •

وهناك نوع آخر من الطيور يكثر فى بلاد النوبة فعلى الحدود بين مصر والسودان وهى آخر منطقة النوبة المصرية ، جموع من البط البرى والأوز الذى يطير هنا وهناك على جانبيك اذا قدر لك ان تعبر هذه المنطقة بزورق شراعى • ومن الطريف ان هناك ربوة وديرا مسيحيا يطلقون عليه (قصر الوز) •

واسم (كلابشة) اسم نوبى مصدره الاسم (كلوبجو) ومعنى كلو « حجر » ومعنى (بجو) عريض • فكلو بجو أى الحجارة العريضة ثم حرفت فصارت كلابشة •

ومن الطريف (طريف الرحلة هذه المرة) ان باخرتنا تمر الآن
بمدار السرطان الذى يمر بمنطقة كلابشة . .



نحن فى الطريق الى معبد (بيت الوالى) الذى بناه رمسيس الثانى .
ومعبد بيت الوالى أحد معابد ستة بناها رمسيس الثانى فى
بلاد النوبة وهى من الشمال الى الجنوب :
١ - بيت الوالى وهو على مسافة ٥٧ كم من أسوان الى الجنوب .
٢ - جرف حسين وهو على مسافة ٩٠ كم من أسوان الى الجنوب .
٣ - وادى السبوع وهو على مسافة ١٥٠ كم من أسوان الى الجنوب .
٤ - الدر وهو على مسافة ٢٠٨ كم من أسوان الى الجنوب .
٥ - ٦ - معبدا (أبو سمبل) وهما على مسافة ٢٨٠ كم من
أسوان الى الجنوب تقريبا .
نقف الآن بباب بيت الوالى . . وسوف نلتقى فى رحابه . . فى
الصفحات التالية .

بيت الوالى

ومعبد بيت الوالى أحد معابد ستة بناها رمسيس الثانى فى
مسافة ٥٦ كيلومترا جنوب خزان أسوان ويتكون من :
١ - الصالة المفتوحة أو الفناء الخارجى حيث رسم الفنان المصرى
على الجدار الأيسر أعداء رمسيس الجنوبيين وقد حاربهم فرعون وانتصر
عليهم فداندوا له وقدموا اليه الهدايا من الذهب والزراف
والأسود ومنتجات الجنوب . لتقربهم اليه زلفى .
وعلى الجدار الأيمن رسم الفنان المصرى أعداء ملكه ، الشماليين،
وقد انصاعوا له والتمسوا الى رضا الأسباب من هدايا وطرف .
ومن الطريف ان النقوش تصور (رمسيس) - على الجدار
الأيسر - وقد تحمس للحرب وشمر لها كما يقولون فربط لجام فرسه
فى وسطه لتتفرع يدها للطعن والضرب .

وفى الصالة الداخلية عمودان من الطراز البروتودورى .
يرجع تاريخهما الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وهذه الأعمدة سابقة
على الأعمدة الدورية التى عرفتھا اليونان فى القرن السادس قبل الميلاد
نقلا عن مصر .

وفى مواجهة الداخل الى صالة الأعمدة طاقتان أحدهما الى اليمين
والأخرى الى الشمال بكل منها ثلاثة تماثيل تمثل الملك رمسيس الثانى
فى الوسط من بين الالهة (عنفه) والاله (خنوم) انه منطقة أسوان
خالق البشرية والذي كان يمثل برأس كبش ومن بين الالهة (ايزيس
والاله حورس سيد (باكى) المنطقة المعروفة الآن باسم كوبان .

وبلى الصالة الداخلية حجرة صغيرة تسمى قدس الأقداس وهى
أقدس مكان فى المعبد حيث يوضع تمثال الاله .

وفى قدس الأقداس فى معبد بيت الوالى نقش يمثل الالهة عنفه
ترضع (رمسيس) وعلى الحدار الآخر الالهة ايزيس ترضع
(رمسيس) أيضا .

ومعبد بيت الوالى من المعابد التى حولت الى كنائس فى العهد
المسيحى .

كما حول معبد دندور الذى بناه الامبراطور أوغسطس الى كنيسة
وبينه وبين معبد بيت الوالى حوالى ٢٢ كيلومترا ومعبد دندور به نص
باللغة القبطية يشير الى تحويله الى كنيسة وبه كثير من الرسوم
القبطية .

والعمل فى بيت الوالى يجرى بهمة مصرية لتقطيعه ونقله وقد
غطيت النقوش ، البارزة والغائرة بالشاش الأبيض حتى لاتخدش أثناء
عملية النقل وهى التى أبدع الفنان المصرى نقشها ورسمها حتى غدت
المحافظة عليها دين وطن ومسئولية عصر أمام تاريخ الانسان وقبل
حضارة الانسان .

والشباب المصرى المنقف فى المناطق الأثرية سعيد بعمله بين أمجاد
ماضيه غير ان ما يقلقه هناك اما هو نقص الرعاية الطبية فطبيب القاهرة
المحرب يأبى أن يترك عيادته وأمنه الى المناطق النائية حيث المستقبل
أمامه غامض ولو أجزلت له العطاء ، والطبيب حديث التخرج يلهث

وراء القاهرة حيث يجد فيها رضا خياله .. يقول محدثى المهندس يحيى شكرى ان المقاولين يعرضون مرتبا ١٥٠ جنيها فى الشهر . أليس هذا مجزيا ؟ بل ومغريا ؟ هى ان المصران الاعور مثلا هاجم أحدنا أولدغته حشرة مؤذية ماذا يصنع ؟ ثم يبتسم فى هدوء ويقول الله كفيل بحمايتنا .

وأرى العاملين بالمناطق الأثرية من شبابنا المثقف الجاد الواعى العميق الايمان بمصر خليق بالرعاية الشاملة ولعل الرعاية الطبية من أبسط حقوق المواطن المصرى بل الفسادئى الذى يعيش بين الصخور يستنطق الحجر ويستكشف الأثر .

نحن الآن أمام قرية (أبو هور) أجمل قرى النوبة وقد استطعت ان أتبين .. نقوشها البسيطة الجميلة .. انها مستمدة من البيئة حركتها فالوحدات الزخرفية فيها قوامها سمكة .. باخرة .. مركب .. ويتسع النيل حتى يخيّل اليك ان عرضه طولا فاذا بلغنا حافة الجبل المتربع فيه لمحت النيل يدور بالحافة أى ان المجرى له بقية خلف الجبل كأنه نهر آخر .. كم كافح هذا النهر العظيم .

وفى منطقة (مروا) يربض الجبل على شكل أسد جائم الى جانبه أسود فى مثل هيئته وكأنه نموذج مضخم من طريق الكباش .. والنيل يتدافع فى ثقة كأنه جيشا من مياه يغزوه ويقلم أطافره ويطوقه كمن يضرب حوله حصارا .

ومن الطريف ان أهالى « أبو هور » و « مروا » و « ماريه » ظنوا أنفسهم فى مدن القنال الثلاثة بور سعيد والاسماعيلية والسويس .

وبين قرية مارية وقرية قرشة وينطقها أهلها جرشا توجد قلعة سباجورا .. وهى قلعة رومانية (أواخر العصر الرومانى) .

وهذه القلعة قامت بالحفائر فيها بعثة ايطالية أربع مواسم متتالية سنة ١٩٥٨ ، سنة ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ .

وتقابل « قرشه » قرية جرف حسين على الضفة الغربية وفيها معبد جرف حسين وهو معبد الاله بتاح ويقع على مسافة ٩٠ كيلومترا من

خزان أسوان ومعظمه منحوت في الصخر . . وإلى الجنوب من المعبد
خمس مشايخ :

الشيخ عبد الجليل - الشيخ عبد الرحيم - الشيخ سعد - الشيخ
يزيد والشيخ أزيد .

وعند قرية توشكا غرب في الجنوب من عتيبه شركة يوجوسلافية
تقوم بأبحاث على التربة هناك حتى تتوصل الى مبدأ إمكان حفر ترعة
تغذى (الوادى الجديد) بدلا من الآبار - الذى يقع الآن في الجنوب
الغربي من أسيوط .

نحن الآن أمام كشتيته ويشتهر أهلها بفراة الطول . وعلى
الضفة الغربية قرية الدكة وفيها أربعة آلاف فدان استصلحت وكانت
تروى بالطللمات ولكن أهالى الدكة هجروا أيضا وسوف تغمر المياه
الجديدة هذه الأرض الجديدة التى كانت توجد بالليمون والمانجو من أجود
الثمار . وبالدكة معبد يقع على الضفة الغربية للنيل على بعد ١٠٧ كيلومتر
جنوب خزان أسوان كان يعبد به الاله (تحوت) اله الحكمة كما عبد به
خثوم وايزيس . . وبالمعبد نقوش من عهد حترشبسوت وتحتسمى
الثالث وسيتى الأول ومرنبتاح . وبه رسوم تمثل القديسين حيث
حول المعبد الى كنيسة .

ولسنا وحدنا في ركاب النيل الآن فالليل معنا . . تتملأ نجومه
مثلنا . . الليل والنيل وبقايا ألوان الشفق وراء الجبل منظر جميل
مشحون بالأسرار . . ويعمق الليل ويعمق وتكشف دكنته فتبدو قطع
الظلام من بعيد على صفحة النيل كالجبال .

وبعد الدكة قرية (العلاقى) وهذه القرية كانت بها المحاجر
والمناجم التى كان الفراعنة يستخرجون منها الذهب الذى كانوا يسمونه
ثوب واليه ينسب اسم النوبة أى بلاد الذهب وهناك أغنية نوبية تقول :
(ذهب نوى ونوبه) ومعناها يا اسم الذهب يانوبو .

والتاريخ يذكر قيام الملك « جر » أحد ملوك الأسرة الاولى ، بحملة
بحرية ، وصل فيها الى « بوهن » حيث ترك لنا نقشا على صخور جبل
الشيخ سليمان ، يوضح المعارك البحرية التى انتصر فيها على القبائل
هناك .

وقد زاد اهتمام الملوك بالنسوبة السفلى بعد هذا التاريخ وذلك لأهميتها كطريق للتجارة الى الجنوب ، ولغناها بالذهب ، والأحجار والأخشاب . وقد كشف حديثا عن محاجر « الديوريت » الواقعة شمال غرب « توشكه » وعرف لأول مرة المصدر الذى جاءت منه تماثيل الملك خفرع التى عثر عليها فى معبدته بالجيزة ، كما عرف أيضا مصدر الأوانى (الديوريت) الجميلة التى شاعت على عهد العصر العتيق ؛ كما وجدت فى هذه المحاجر أسماء بعض ملوك الدولة القديمة مثل خوفو وسحورع وأسيىسى مما يدل على اهتمام ملوك هذه الدولة يجلب الأحجار من هذه المحاجر (١) .

وبعد العلاقى قرى « قورته » و « المحرقة » وبعد المحرقة « السيادة » و « المضيق ثم وادى السبوع وبالمحرقة معبد صغير من العصر الرومانى رقم ١٩٠٨ . وبها قلعة من العصر البيزنطى ، وهو يقع على بعد ١٥٠ كم من أسوان وبه ثالث معابد رمسيس الثانى فى بلاد النوبة (مرتبه من الشمال الى الجنوب) .

وينفرد معبد وادى السبوع بأكبر عدد من أبناء وبنات رمسيس الثانى تراهم على جانبيه الفناء المفتوح ، وبه عشر تماثيل على الجانبين تمثل الملك على هيئة الاله أوزوريس وعلى جدران هذا الفناء نجد صور جميع أبناء وبنات رمسيس .

ولما ان المعبد قد حول الى كنيسة فى العصر القبطى فائنا نجد مدخل صالة الأعمدة على الطراز القبطى يعلوه صليب . والاضافات القبطية فى البناء كانت مبنية باللبن . . كالمذبح الذى نراه فى صالة الأعمدة . وبالطبع عند نقل المعبد سيقام على صورته الفرعونية فقط وقد جاءت بعثة يوجوسلافية ونظمت النقوش القبطية نقلا علميا قبل ازالة المبانى الطينية .

وصالة الأعمدة بها اثنا عشر عمودا مربعا نقشت على جوانبها مناظر تمثل الملك فى علاقاته مع الآلهة المختلفة .

أما قدس الأقداس بهذا المعبد فعلى جداريه الأيمن والأيسر منظران يمثل كل منهما الملك رمسيس الثانى يقدم للقرايين ويحرق البخور أمام قارب مقدس تدل الأبحاث على ان أحدهما للاله آمون والآخر للملك

(١) كتاب « مشروع انقاذ آثار النوبة » .

رمسيس الثانى كاله . والمعروفان لكل اله من الالهة الرئيسية فى مصر الفرعونية قارب خاص عليه القادوس الذى يحوى تمثال الاله .

وفى الطاقة بالجدار الغربى من قدس الأقداس نجد صورة بالألوان للقديس بطرس بعد ان قام الأقباط فى العصر القبطى بإزالة التماثيل الثلاثة التى كانت قبلا ومنها تمثال للاله آمون رع ملك الالهة والذى أقيم من أجله للمعبد . وعلى جانبى الطاقة صورتان لرمسيس بالتاج الملكى يحمل الزهور فيبدو الآن كما لو كان يقدم القرابين للقديس بطرس وعلى الجدار الشرقى لقدس الأقداس والذى به المدخل صورة لرمسيس فى حضرة الالهة موت زوجة الاله آمون رع ملك الالهة على جانب .

وصورة لرمسيس فى حضرة الالهة تحور على الجانب الآخر (على يمين الداخل الى قدس الأقداس صورة لرمسيس أمام الاله رع (حور آختى) أى الشمس فى شرقها وقد بنى رمسيس الثانى معبد (أبو سمبل) من أجل هذا الاله .

والى يمين الداخل الى قدس الأقداس وفى الصالة المؤدية اليه منظر يمثل رمسيس الثانى أمام الاله رع حورآختى ورمسيس الثانى كاله والالهة أبو عاسى والى اليسار منظر آخر يمثل الملك أمام الاله آمين سيد الكرنك والملك كاله و . . الالهة موت زوجة آمون .

وعلى جانبى صرح معبد وادى السبوع تمثالان للاله رمسيس وقد امتد أمامه صفان من الأسود يعلو الجسم منها رأس رمسيس لابسا التاج الموحد رمزا الى انه فى قوة الأسد من حيث الضلعة الجسدية الى جانب عقل الانسان وقوة الملك الحاكم .

وهذان الصفان من (السباع) وراء تسمية المنطقة التى أطلق عليها . . أهلها (وادى السبوع) .

وقد غمر النيل الآن الصفيين فلا يظهر منهما الا التيجان وكأنه تراجع عن امارة العز ورمز الهيبة والجلال . . كم أعطيت يا وهاب وكم أبقيت .

وفى وادى السبوع سبده العمال طريقا معبدا برصوفا طوله ٥ كيلومترا من المعبد فى موضعه الحالى الى المكان المزمع اقامته فيه وهو غرب الموضع الحالى وقد تم هذا الطريق .

وفى ساحة المعبد عمال كثيرون ينشرون الحديد وعمال ينقلون
أعمدة الخشب الغليظة وعمال يتعايشون مع أحجرة وآخرون مع رسومه
ونقوشه حتى ترابه يحسب له حساب .

ووراء العمال مهندسون مصريون وكيميائيون وأثريون ومرممون
يحملون الاجازات العالية والجميع يعرفون القيمة الحقيقية للمعبد
فلا يبرحونه إلا بالمناوبة .

وفى وادى السبع لغت انتباهى (بيت الغفير) برسومه وزخارفه
حتى ليسأله عنه كل من يزور وادى السبع لشهرته فى المنطقة . وقد
هجره صاحبه مع من هاجر . .

وقد حرص المقاول الايطالى فيشيا على شرائه منه .

وبعد وادى السبع تقع قرية المالكى وأظهر ما فيها بناء لمدرسة
هجرت هى الأخرى . نحن الآن أمام قريتى شاتورما وسنكالى وعندها
يسير النيل فى انثناء شبيهة بانثناء قنا .

ثم (مررنا أمام قرية كورسكو ومما يذكر ان أهلها مازالوا بها
لم يهجروها بعد ، على ان هناك قرى جنوبها هاجر أهلها . الجبال فى
هذه المنطقة رهوس مثلثات والأشجار غرقى . . والنخيل غطس غير انه
يشرئب من آن الى آخر فيخرج رهوسه على صفحة الماء .

وفى هذا المكان طابية كان السياح قبل التعليق الثانية للخران
يصعدون اليها الجبل يحملون النظارات المعظمة ليروا منها شروق . .
الشمس . . ويقال ان هنالك طريقا . . للقوافل فى الصحراء بين
كورسكو وأبو حمد فى السودان . ولعل الأغنية النوبية تؤيد هذا
ومطلعها :

من كروسكو الغيب شديدت أبو حمد جبل النميمة طبيت

والغيب هنا معناه الغروب ، شديدت أى شددت الخطى للسفرة . .
والنميمة أى النوم وطبيت أى وصلت وبهذا يكون المعنى العام ان القائل
بدأ رحلته من كروسكو عند الغروب فوصل (أبو حمد) قبل النوم
أى ليلا .

نحن الآن فى طريقنا الى قرية (أبو حنضل) وبهذه المناسبة أقول
ان النوبة قسمان . . هما موضوع حديثى القادم فمن حق النوبة ان
يفرد لها الحديث .

النوبة

وقفنا بالحديث فى المرة السابقة عند قسمى النوبة ، وقسمها
هما :

١ - النوبة العليا

٢ - النوبة السفلى وهى النوبة المصرية

النوبة السفلى المصرية : وفيها ثلاث لغات :

١ - اللغة العربية

٢ - اللغة الكنزية

٣ - اللغة الفادكا

اللغة الكنزية : ويتكلمها الاهالى من شمال أسوان حتى بلدة
(المضيق) • وهى لغة حامية فيها بعض الالفاظ العربية • وهى لغة
الحديث بين أصحابها وليست لغة كتابة اذ انهم فى مكاتباتهم يستخدمون
العربية • وأصحاب هذه اللغة سموا (الكنوز) نسبة الى (كنز الدولة)
كان أيام الحاكم بأمر الله شخصا معارضا فاضطهده الحاكم ففر الى
الصعيد فجعل الحاكم جعلا لمن يقبض عليه فقبض عليه حاكم منطقة
أسوان فكافاه الحاكم بالطبع • ويبدو أن المصريين تندرؤا عليه كعادتهم
فسموه (كنز الدولة) اشارة الى المال الذى قبضه من الحاكم ثمنا
لوشايته ، وسموا أتباعه (الكنوز) •

اللغة الفادكا : وهى شائعة فى المنطقة من قرية أبو حنضل حتى
الجنبدل الثانى المعروف باسم الشلال الثانى وهى لغة حامية كاللغة
الكنزية غير انها تغلب عليها الطابع التركى أو المملوكى • ولهذا قصة
•• فعندما اقترب محمد على مذبحه القلعة •• المشهورة فى المماليك
والالبان الى الصعيد ومنها الى بلاد النوبة وتجمعوا فى منطقة (ابريم) على
مقربة من عنيزة وهناك اختلطوا بالاهالى وتزاوجوا معهم • ومما يذكر ان
الجمال فى هذه المنطقة عالى النسبة وله طابع جميل بالبشرة الخمرية
المثوبة بصفرة خفيفة رقيقة تزيدها شقوفا وحلاوة ، والعيون السود ،
والشعر الفاحم •

والاسماء هناك تسمح بينها (أغا) و (الكاشف) وغير هذا كثير

من الألفاظ النركية نجدها فى لغة الفادكا كما أن بينهما وبين اللغة الكنزىة ألفاظ مشتركة .

ولغة الفادكا لغة كلام فقط لأنهم يكتبون بالعربىة .

هذه امن حيث اللغات أما من حيث الطبىعة فالنوبة المصرىة قسمان أيضا :

القسم الشمالى (البحرى) وهو جذب غالبا . .

القسم الجنوبى وهو مزروع فىه زرع ونخيل . .

أما النوبة السوڤانىة فهى تبدأ من وادى حلفا أو على التحدىد بلدة (فرس) حيث أنقذت البعثة الهولاندىة كنيسة فرس .

وصلنا الآن قرىة (أبو حنضل) التى يتكلم أهلها لغة الفادكا . على البعد أرى انسانىن كانهما عصوان سوڤاوان ىڤان على الأرض أرجح انهما من الصىاڤىن لأن الشاطىء عندهما ىركن الىه قاربان صغىران من قوارب الصىڤ .

وبعد قرىة (أبو حنضل) مرت باخرتنا أمام قرىسة (الڤىوان) وىلاحظ أن اسم القرىة علىه الطابع المملوكى التركى .

نحن الآن امام قرىة (الدر) وكانت قڤىما قبل انشاء خزان أسوان عاصمة النوبة وفى الدر معبد لرمسىس الثانى وفىها مسجد وفىها مدرسة ابتڤاڤىة ونسبة التعلىم بالدر مرتفعة نسبىا (بن الذكور بالطبع) .

وىقابل الدر فى الغرب (توماس) وقرىة توماس ڤون سائر قرى بلاد النوبة . . ستهجر الى اسنا وذلك أن كثرىن من قرىتى توماس وعافىة ، هاجروا من تلقاء أنفسم الى اسنا عند التعلىة الثانية للخزان واستوطنوا بها . فلما جاء التهجرى الجديد ، احست توماس ، اسنا ، أقرب البلاد الىها .

وتضم قرىة توماس نجع الشىخ ڤاوڤد .

وعلى صخور توماس سجل قڤماء المصرىىن فى عهد ڤولة القڤىمة نقوشا كثرىة تنم على اهتمامهم بالنوبة السفلى وقد عثر فى توماس على نصوص ترجع الى عهد ملوك الاسرة الخامسة والسادسة لابل استشرى اهتمام مصر بالنوبة فى عهد هذه الاسرة الى اكشاف مجاهل أفرىقىة

فوصلت الى الشلال الثانى ثم امتد النفوذ المصرى حتى « كرمه » عند الشلال الثالث . وعند « كرمه » هذه بنى امتمحات الأول . . قلعة كما يعزى الى سنوسرت الأول بناء قلعة « كومان » لفتح مناجم الذهب فى وادى العلافى . . واتصلت عناية الملوك الفراعين بالنوبة حتى بلغت هذه العناية ذروتها فى عهد رمسيس الثانى صاحب معابدها المشهورة التى تختلف الدنيا فى أشياء كثيرة وتتفق على انقاذها وتذهب الدول مذاهب شتى وتبتقى عندها أثرا نفسيا تعتز به حضارة الانسان .

الآن أتوقف قليلا وأصف معبد عمدا والطريق الى عمدا على يمين السايح اليه جبل أملس رماله حرير أصفر فى لون المشمش تسطع عليه الشمس فتجعل لونه براقا . وعند القمة تطل رموس صخور بنية اللون ولكن الجبل فيما يلى النيل قطيفة برتقالية وكأنه حلقة للضفة المدلة بالنهر العظيم .

ويلى هذا فى شبه قوس ، جبل تعلوه بيوت صغيرة وأشجار صغيرة . . تكسو الجبل طبقة رمادية اللون فى مواضع منه ، وفى مواضع أخرى طبقة صفراء وتلمس الشمس المنظر فتجعل الرمادى على البعد بنفسجيا مشربا بحرة ، وتجعل الاصفر قرمزيا . ويتكرر المنظر على يسارى فيخيل الى أن الجبل يطوق النيل ويجعل من ذراعيه دائرة حوله ، فما تكاد نصل الى محيطها الموهوم حتى تنفرج ذراعا الجبل أمام الدافق المنساب فيمضى فى موكبه ونحن فى رحابه . . والجبل فى خدمته لا يزال فهو يقف أنا ممثلا ويبدو أحيانا على شكل صف من وحوش ضخمة رابضة فى تربص تقوم على حراسة النيل .

أما معبد عمدا فقد بناء الملك تحتمس الثالث من ملوك الاسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة ويعتبر تحتمس أعظم ملك مصرى يعتز به تاريخنا سواء فى فتوحاته الحربية أم الانشائية .

وقد مات العظيم تحتمس ولم يكمل معبد عمدا فأكمله ابنه امنوفيس الثانى ثم تحتمس الرابع .

وفى مدخل معبد عمدا تضح الثنائية المصرية فعلى يمينه الملك تحتمس الثالث لابسا تاج الوجه البحرى (الأحمر) فى حضرة الاله

حورآختى وعلى اليسار نجد تحتمس لابسا تاج الوجه القبلى . فى حضرة
الاله حورآختى .

وفى المدخل من الداخل نجد (خراطيشا) تحمسل اسماء (من
معات رع) وهو سيتى الأول والد رمسيس الثانى الذى نقش اسمه على
معبد عمدا . وكانت هواية رمسيس الثانى نقش اسمه على المعابد .

وبلى المدخل صالة الأعمدة وفيها ستة أعمدة ، وعلى الجدار الأيمن
من صالة الأعمدة نجد الملك تحتمس الثالث فى حضرة الاله ختوم ثم
صورة « تحوت » فى يده قلم على بروز فى الحائط . ونحوت اله الحكمة
والمعرفة فى مصر القديمة وكان فى عصر من العصور يعتبر وزيرا للاله
رع . وفى هذه الصورة يرمز الفنان المصرى لنحوت بطائر الابيس كما
يرمزون للاله نحوت بالقرد .

ومن الاله نحوت جاء اسم (النحاسية) فموس معناها مولود .
وتحتمس . (تحوت موسى) معناها مولود الاله تحوت . ويدكرنا هذا
بموسى (موسى) أى هانوا المولود هتفة فرعون عندما رقى اليه الخبر
فى القصة المعروفة .

والاله تحوت هو الذى اتخذته جامعة القاهرة شعارا لها .

فاذا تجاوزنا صورة اله الحكمة رب القلم وجدنا صورة أخرى له وهو
يسجل سننى حكم الملك فى شجرة تسمى الشجرة المقدسة والشجيرة
المقدسة (ظاهرة) نراها فى كل المعابد .

ثم تحتمس فى حضرة الاله حتحور . ثم فتحة مكتوب عليها
الدعوات .

وعلى الجدار الغربى من الصالة الملك تحتمس الثالث بتاج الوجه
البحرى فى حضرة الاله خنوم ذو رأس الكبش والاله يعطى رمز الحياة
الى الملك .

ثم تحتمس فى حضرة الاله حور آختى ثم فى حضرة آمون رع ملك
الآلهة .

ثم تحتمس فى تاج الوجه البحرى ثم تحتمس فى تاج الوجه
القبلى .

وعلى الجدار الأيسر الملك تحتمس فى حضرة الالهة ايزيس ثم الاله
أمين رع ثم الاله تحوت ثم الملك تحتمس الثالث .

ثم تحتمس الثالث بين الاله حورآختى والالهة سانت زوجة الاله
خنوم .

وبعد هذا ندخل صالة مستطيلة على الجدار الغربى فيها ثلاث مداخل
تقضى الى ثلاث حجرات صغيرة .

الحجرة الأولى : على جدارها الأيمن نجد الملك امنحتب الثانى فى
حضرة الاله رع حور آختى .

وعلى الجدار الأيسر نجد الملك نحتصس الثالث فى حضرة الاله رع حور
حورا ختى .

وعلى الجدار الغربى الملك امنحتب الثانى فى حضرة الاله آمون رع .

الحجرة الوسطى : على الجدار الأيمن نجد الملك تحتمس الثالث فى
حضرة الاله آمون رع والالهة سانت والاله حور آختى .

وعلى الجدار الغربى لوحة تذكارية تسجل تاريخ بناء المعبد .

وعلى الجدار الأيسر امنحتب الثانى فى حضرة الاله آمون رع ثم فى
حضرة الاله حور آختى ثم فى حضرة الآلهة حتحور . وفى نهاية هذه الحجرة
نجد مدخلين على يمين ويسار يفصيان الى حجرتين صغيرتين كانتا فى الحقيقة
جزءين من الحجرة الأولى والحجرة الثالثة ثم عزلا عنهما فى العصر القبطى .

الحجرة الثالثة : وبها صور للملك فى حضرة الآلهة المختلفة .

ويلاحظ ان نقوش هذا المعبد وكتابات بارزة .

ومعبد عمدا يعتبر من أكبر المعابد الموجودة فى النوبة كما انه أول
المعابد التى شوهدت فى عصر الملك اخناتون الذى كفر بالآلهة ونبد الاله
آمون ودعا الى عبادة الاله آتون أى القوة التى تحرك قرص الشمس . وهو
أسمى ما وصل اليه تفكير الانسان قبل الرسالات والأنبياء .

ومعبد عمدا من المعابد التى تحولت الى كنائس ولنقوش معبد عمدا
أهمية تاريخية .

نحن الآن أمام قرية (عافية) وفيها عملت البعثة الهولندية . أرى

سربا من البط أبيض الرؤوس والرقاب أسود الجس سابحا فى النيل فى وحسدة متآلفة كما تخرج نساء الريف جمعا يتهاذى . وأمواج النيل قمم طفله خضراء يتناسعن صفوفا صفوفا فى رأى العين وأحيانا يبدو النهر الجميل المعشوق كأن صفحته حرير أخضر من (كاروهات) متحركة أو ريجات مرتعشة وقد نثرت عليها الشمس نقطا كبيرة فضية بريقها خاطف كالبدرة ولكن التى نلقيا هنا أم (العريس) .

وبعد قرية عافية قرية (قتا) ثم قرية (ابريم) ثم قرية (عنيبة) وقد أصبحت عنيبة مركز النوبة بعد الدر . وفيها مستشفى كبير ومدرسة ثانوية داخلية ومركز بوليس ويعقد بها مجلس قضائي كل أسبوع اذ يأتى إليها قاضى من أسوان يفصل فى المشاكل العادية اذ لا تقع بالنوبة جرائم . وفى عنيبة مشروعات الطلمبات وبها أرض مستصلحة ، وبها من الآثار مقبرة (بنوت) حاكم الاقليم فى عصر رمسيس ٠٠ السادس .

والى الشمال من عنيبة توجد مقبرة اهتم بها الخبراء وأوصوا بنقلها . مقبرة لا تزال نقوشها تزهر بالوانها وان لم يبق منها غير غرفة صغيرة تلك هى مقبرة بنوت الذى نحتها فى الصخر فى عهد الملك رمسيس السادس .

وهذه المنطقة التى تضم (عنيبة) و (قصر ابريم) منطقة أثرية كان الفراعنة ٠٠ يرتكزون عليها فى الدفاع عن الجنوب وأحجارها تحفظ بأسماء الملوك تحتس وطبقة كما تحفظ صخور منطقة معبد اليسيى الذى بناه الملك تحوتمس ٠٠ الثالث بنقوش يرجع تاريخها الى عهد الدولة الحديثة ٠٠ وبين اليسيى وقصر ابريم نقوش من الأسرة الحادية عشرة .

وفى جنوب قصر ابريم كنيسة صارت الى مسجد وان ظلت تحتفظ بطابعها المعمارى وقد أوصى الخبراء بنقلها .

وأخيرا هناك هياكل ابريم وعددها خمس ملوك مصر :

تحوتمس الثالث ورمسيس الثانى والمملكة حتشمبسوت وتحوتمس الثالث وامنوفيس الثانى الذى تمثله النقوش فى عزة الفراعين يتقبل الجراية من أهالى الجنوب ٠٠



وقرى توماس وعافية وابریم وعنيبة وفرقندى ، لم تهاجر بعد وهن

المناطق التي تنتظر دورها في الهجرة (بلانة) ثان وثالث وجزء من
(أبو سمبل) .

نحن الآن أمام قرية (الجنينة والشباك) والاسم كما يبدو شاعري
وطريف وربما تزيد طرافته اذا عرفنا ان هذه القرية ليس بها (جنينة)
اذ انها تقع على الضفة الشرقية للنيل . وقد سارت الأخبار هذه الأيام
بأن أهالي الجنينة والشباك يعيشون في قصة حببية اليهم . فقد أصروا
عندما أزمعوا الرحيل على أن يصحبوا معهم طفلاً عاش فيهم منذ قرن مضى
كالحلم الوردى أو الطيف السارى فتعلقوا بذكره تعلقاً يمتزج فيه الحب
بالتوقير الذى يحيله الزمن كلما تقادم الى كرامة تلتقى عندها الحقيقة مع
الخيالات والأوهام .

هذا الطفل أصبح عنواناً فى صحفنا اليوم بوصفه (الميت الوحيد
الذى هاجر الى النوبة الجديدة) ففي قرية الجنينة والشباك الجديدة
(كان الجثمان يسير فى مشهد مهيب تحف به الزغاريد ودقات الطبول . .
بدلاً من الصراخ والنحيب ومع ذلك فقد كان فى مقدمة المشيعين مندوبون
عن وزارة الاسكان ووزارة الشؤون الاجتماعية ومحافظ أسوان ورئيس
مجلس مدينة كوم أمبو وعشرات من رجال الشرطة وألوف من أهالي النوبة
الذين جاءوا لتوديع الشيخ الميرغنى الى مقره الأخير) .

ولم يكن الشيخ الا الطفل الذى لم يتجاوز الثانية من عمره حين
صحبه والده الحسيب النسيب السيد محبوب الميرغنى شيخ الطريقة
الميرغينية فى سفره الى السودان واختار أن ترسو الباخرة على قرية
الجنينة والشباك ليواصل رحلته وعند عودته توفى صغيره فى الباخرة
فقرر الوالد المحزون دفنه فى نفس المكان الذى صلى فيه عند ذهابه الى
السودان وسماه « محمد الكبير » .

وينسج الخيال الشعبى حول لفظة « الكبير » هذه قصة لا تخلو من
غرابة على طرافتها فأهالي النوبة يؤكدون لمن يتساءل أن يخيم الطفل كان
يرفض الرضاعة فى شهر رمضان فاذا حل موعد الافطار أقبل الطفل على
رضعته كما يقبل الصائم على طعامه فى ميقاته المعلوم ثم يصمت الراوى
وكانه يتساءل بدوره ، أليس عذراً واضحاً فى التشبث به ؟؟ أليس من
حقه الاجلال والتوقير ؟؟

على أن هذه ليست المرة الأولى التى ينقل فيها الطفل الشيخ من

مرقدہ فقد نقل جثمانہ للمرة الأولى عام ١٩٣٣ عند التعلية الثانية. لخزان أسوان . فقد أخطر النوبيون الجهات الرسمية وطلبوا إليها نقل الجثمان من مكانه الى مكان أعلى من منسوب المياه بعد التعلية (وحضر مندوب من الحكومة وأمور المركز وطبيب الصحة الذى أمر باحضار شهود لرؤية ممن حضروا الدفن حتى يتأكد من أن السيد محمد الكبير مدفون فى هذا المكان ٠٠ . وفعلنا استدعينا اثنين كانوا على قيد الحياة عمر كل منهما ٩٠ سنة الأول اسمه عابدين غيبة والثانى اسمه داود محمد موسى وقرروا كتابة ان هذا القبر هو قبر الحسيب النسيب محمد الكبير ٠٠ وبعد استجوابهم أمرت الجهات المسئولة باستخراج الجثة ٠٠ وبدأنا عملية حفر الأرض حتى وصلنا الى الجثة وكانت الدهشة عندما رأيناها كما هى وكأنها دفنت بالأمس ٠٠ فقد رأينا النصف الأعلى من الجثة كما هو والنصف الأسفل سليما ولكنه منفصل عند المفاصل فرفعناه ووضعناه فى كفن جديد ونقلناه الى ارتفاع بعيد عن منسوب المياه) .

ومن الطريف والغريب أن أهل عنيبة ، حين انتشرت الملايا بالنوبة سنة ١٩٣٤ طلبوا نقل الجثمان اليهم باعتبار عنيبة مركز النوبة فرفض أهل الجينية والشباك الا اذا انتقلوا معه جميعهم الى عنيبة فالفى نقل الجثمان ٠٠ الى هذا الحد يغالى أهل النوبة بشيخهم الصغير الكبير فاذا ينتشر الوباء يفكر قوم ، فى مقام الروح ، فى الشيخ الميت دون الأحياء ، وفى غمرة الخطر المهدق يشغل آخرون به عن أنفسهم فيرفضون نقله ويتبعونه أن القلب الانسانى أعلى شئ فى الدنيا اذا أحب واذا دان بالوفاء .

ويبدو أن النيل فى هذه المنطقة يدلل قراه كما ندله . فبعد (الجينية والشباك) مررنا أمام قرية (مصمص) وهى تذكرنا بالاستاذ مصطفى أمين فى مطلع حياته الصحفية .

وتقع قرية (توشكا) على الضفتين ٠٠ أما الشرق ففيه مقبرة أثرية ل (حكانفر) أى الحاكم الطيب وقد نهبت ٠٠ وحكا نفر كان حاكم المنطقة أيام توت عنخ آمون .

وفى أيام توت عنخ آمون كان هناك نبلا من النبلاء اسمه (حوى) ٠٠ وحوى هذا له مقبرة فى الأقصر . وقد وجد فى مقبرة (حكانفر) صورة له تمثله وهو يقدم القرابين الى حوى ليقدّمها الى الملك .

وقرية توشكا كان بها مشروع طلبات شرقا وغربا .

وبعد توشكا تأتي قرية (ارمنا) وارمنا اسم قديس قبطى .

نحن فى الطريق الى (فرقندى) سفح الجبل الذى يطل على النيل
لونه برتقالى وهو مخطى الصفحة حتى ليخيل اليه انه من طمى لا رمال .
وعندما ينتهى السفح البرتقالى نجد لافتة صغيرة كتب عليها (فرقندى)
يكتف عندها النخيل .

ويلاحظ أن بيوت فرقندى سقفها مسطح لأنهم يستخدمون فيه جريد
النخيل الذى تسخو به منطقتهم .

البيوت التى تكاد تكون خالية والتى كانت خالية تمثل الفن الشعبى
أصبحت الآن تخدم فنا لأخر فهى فى الغروب تصنع من الشاطئ الذهبى
وشغوف الأصيل والجبل والنهر والنخيل الباقى على العهد ، لوحات
فائنة يعرضها النيل الفنان .

ومن بعيد لمحت عينى على الجبل عربية تسير . . وراءها اثنان فى
ملابس . . فرعونية زاهية . . يا الهى انها عربية رمسيس الحربية وانه
هو فى ملابسه الزاهية وبزته ووقفته . وهالته أيضا . . أحلم هو ولكنى
فى النهار وفى تمام يقطتى الموكب يقصد الشفق الوردى الذى بلون الجبل
ويذهب صفحة النيل وخشعت روى ماذا أرى ؟ فراعنة يا الهى ؟ وهتفت
برفيقى أنظر فقال : أين ؟ قلت هناك . . قال : ماذا ؟ عربية وراءها اثنان
فى زى فرعونى . . ومرة أخرى أخذ يردد أين أين لا أرى شيئا . . ولكنى
كنت أرى كالمذهولة . . كنت أرى رأى العين فأخذت أردد بدورى :
هناك . . هناك . . ها هى . . عربية . . تسير . .

وكانت الباخرة قد اقتربت من المكان الذى رأيت فيه ما رأيت فلم
نجد شيئا . .

مازال هذا المشهد حيا فى ذاكرتى وشعوره وسيظل بألوانه
الزاهية . . بنوره بروعته . . بدهشته أقصد بدهشتى أنا بروعى . . ان
معابدهم مبثوثة فى هذه المنطقة لم . . لم لا يكون ما رأيت حقيقة . .
لقد رأيت العربية . . رأيتها تسير رأيت رمسيس ولم أكن فى ذلك الوقت
أفكر فى المعابد . . كنت فى هذه اللحظة مستغرقة فى النيل المتألق فى
أفراح الأصيل واذا بعينى ترى ما رأيت . . هل شبه لى من امتلاء نفسى
بهم خاصة فى هذه الرحلة ؟ . . هل الأغصان بأوراقها . . والشفق من
خلفها صنعت من بعيد هذا المنظر ؟ ربما ولكنى رأيت العربية تسير . .
رأيتها تسير . .

ومرت فترة صمت طويلة كنت فيها هائلة سعيدة وكنت فيها
حائرة شبه مرهقة كانت ألوان من الشعور ولا أتبين منها شيئا أولا يبين
لي بينها موقف .. هل رأيت ؟ نعم ريت .. أحقا ؟ نعم حقا وصدقا ..
ألا يمكن أن يكون خيالا ؟ ولكنى رأيت العربة تسير .. رأيته تسير .



الليل وبقايا الشفق وبقايا حديث وبقايا صمت والجبل شبه خط
مستقيم كأنه لا تضاريس به هل نام النيل وشرب منه الجبل فى هذه
اللحظة قصة عرق الصبا ؟ ان قومنا فى الصعيد يعتقدون ان النيل ينام
لحظة فى ليلة القدر والسعيد من شرب منه فى هذه اللحظة فإنه يهبه من
القوة ما يستطيع معه أن يمسح الريال بفركه من صابعه كما يقولون أما
الشقى فهو الذى يقترب منه ساعة يقظته انه عندئذ يطويه .. وهو
صدى لاعتقاد مصر القديمة فيه فقد كان أسلافنا يقولون بأن للنيل يوما
فى السنة ينام فيه والسعيد من يشرب منه فى هذا اليوم انه يمدد بفيض
من القوة وروح من حياة .

من بعيد تلمع نجمتان على صفحة الماء .. اننا الآن موعودون بمبعد .
(أبو سمبل) . النجوم تكبر وتكثر انها الآن حبل من التريات على
صدر النيل من بعيد .

الأنوار الآن تبدو دائرية .. دائرة من النور وسط النيل يقابلها
على الضفة اليمنى شريط من النور .. هل عاد أوزوريس وهل النور لمعة
عيون ايزيس من الفرع أو ابتسامات هائلة سعيدة يشرق بها وجه
حورس .

السما فوقى تلمع فيها فجأة نجوم كثيرة الجبل الآن يبدو أمامى
كأنه استعرض فى النيل على شكل كوبرى ضخيم يعلو ثلاث شوارع
مائية .. وعلى البعد تقف عوامة مضيئة لقصر مسحور من قصور الأساطير
كل شيء حولى أسطورة على النيل مسطورة فى النهر الخالد مسحورة .

أبو سمبل .. أنا أكتب واقفة اجلالا للملوك أبناء الشمس .

أبو سمبل وقد عكست عليه أنوار الكشافات المغروسة فى الرمال
عند قدميه .

عينى وقد تجمعت فيها حواسى كلها ٠٠ عينى تطل منها روحى ،
على ملكى رمسيس الثانى ٠٠ لولا ضخامة التمثال لقلت لكم انى اراه
ولكن هل يمكن أن يكون هذا الوجه من الحجر ٠٠ انه وجه حى ٠٠ وجه
منعم ملامحه صافية ٠٠ عيون هائلة قريرة وشفاه ريا جذلانة تكمن فيها
ابتسامة ينم عنها بشر الوجه كله ويخفيها أو يداريها ولا يوارىها ، وقار
الملك وجلال الفراعين .

رمسيس وله الجلسة مطمئنة واثقة وسمت مستقر ظافر ٠٠ اليس
فى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتى أفلا تبصرون ؟؟

ان الأولين والآخرين فى خدمته أولئك نحتوا معبده فى الجبل
وهؤلاء يقومون الآن بصيانتته ورفعته فوق الجبل والى جانبه الجميلة
نقرا ترى كما اشتهى واختار .

ان مصر مولعة بتخليده فى القديم والحديث .

انا لسعدى ، فخورة مبهورة ولكنى لست وحدى فالعمال أمامى
يعملون فى جو روحى وتسرى الى أذننى من على يمين وشمال الفاظ : حضارة
٠٠٠ فن فأتلفت فاذا القائل أولئك الذين لوحتهم الشمس وشقق أرجلهم
الحصى والرمال ٠٠ أولئك الكادحون المجهولون الذين يصنعون التاريخ
بانقاذهم التاريخ ٠٠

آمنت بالانسان المصرى الأول ٠٠ الذى روض الصخر وصادق النهر
وتحدى قوى الطبيعة على قلة وسائله ونقل الأحجار ورفع البناء ورسم
ونقش التماثيل لها شفاه ترى وعيون تبتسم .

وآمنت بالانسان المصرى الحاضر الذى آل على نفسه أن يستخلص
من الجبل معابده غير عابىء بالصعاب لأنه يعرف انه حفيد أولئك الذين
لم يقف فى طريقهم شىء على طول التاريخ .

وآمنت بالانسان فى كل مكان فحولى فى كل مكان أحل به وجوه
مختلفة الألوان ، جاءت من وراء البحار تسعى للشرق الكبير انقاذ حضارة
الفراعنة أى حضارة الانسانية .

معبد أبو سمبل

والاسم القديم للمنطقة (أبشيك) ٠٠ غير ان هناك قرية فى الشرق
اسمها أبو سمبل وقد شاع تسمية المعبد باسمها .

وقد سبر المهندس المصرى القديم الجبل وفتح قلبه ليتربع فيه معبد مليكه بين ثلاث طبقات صخرية ٠٠ السفلى صلبة لتكون بمثابة الأساس للمعبد والعليا مثلها صلبة لتحتمل الجبل فوقه أما الوسطى فرملية لينة ٠٠ يسهل تشكيلها ٠٠ الى هذا المدى بلغ علمهم بطبقات الأرض (الجيولوجيا) وهذه الدلالة قيمة كبيرة من قيم هذا المعبد العظيم .

كما نحت المعبد بحيث تشرق عليه الشمس أول ما تشرق فى ميقات معلوم من شهر أكتوبر وشهر فبراير يقدر أن الموعدين يمثل أحدهما مولد رمسيس أى (عيد ميلاده) ويمثل الآخر عيده الثلاثينى أى بلوغ حكمه الثلاثين عاما وكان ملوك مصر من يبلغ منهم هذا الأمد فى الحكم يحتفل به احتفالا كبيرا واعداد .

وقد ظلت الشمس على موعد مع المعبد آلاف السنين لا تتقدم ولا تتأخر ولا تتحول ولا تريم ٠٠ الى هذا المدى بلغ علمهم فى الفلك وهذه الدلالة قيمة كبيرة من قيم هذا المعبد العظيم .

نحن الآن أمام المعبد الكبير التى بلغ ارتفاع واجهته ٣٣ مترا وعرضها ٣٨ مترا معبد رمسيس حيث تطل علينا من عليائها تماثيل الأربعة التى يبلغ طول التمثال منها عشرون مترا . ويعلو المدخل تمثال للاله حور آختى اله المعبد متوسطا التماثيل ٠٠ الأربعة يعلو هذا صفان من النصوص الهيروغليفية عبارة عن أسماء والقاب رمسيس الثانى وفوق هذا صف من القرود رافعة أيديها الأمامية محيية اله الشمس عند الشروق .

وبين يدي الملك تماثيل لزوجته نفرتارى وأمه وبناته وأبنائه ٠٠ والى اليمين واليسار اله النيل (حابى) .

فاذا دلفنا الى المعبد وطالعنا الجدار الشرقى على يمين رأينا ٠٠ (رمسيس) لابسا التاج المزدوج وفى يده دبوس القتال وقد تجمع أعداؤه تحت قدميه يسترحمون ٠٠ بأكف ضارعة . وأمام رمسيس الاله حور آختى .

وفى منتصف الحائط صف من بنات رمسيس وعددهن تسع تحصل كل منهم الصلاصل (الستروم) ثم رمسيس فى حضرة الاله أتوم (اله ظهر فى رأى قدماء المصريين على تل فى محيط وخلق من نفسه الهين

السماء والأرض فتزوجا وخلفا اثنين تزوجا وأنجبا أوزوريس - ايزيس - ست - تفتيش) .

ثم رمسيس في حضرة الاله خنسو اله القمر ثم رمسيس في حضرة الاله (مين) اله التناسل ثم رمسيس في حضرة الاله حور آختي والالهة سخمت .

وعلى يسار الداخل رمسيس في حضرة الاله آمون رع وبينهما الأسرى الشماليون والجنوبيون . وفي وسط الجدار صف من الأمراء وعددهم ثمانية ثم رمسيس في . حضرة الاله حور آختي ثم رمسيس في حضرة الاله بتاح ثم رمسيس في حضرة الاله آمون رع ، ثم رمسيس في حضرة الاله آمون رع والالهة موت .

صالة الأعمدة :

وفي صالة الأعمدة ثمانية نماثيل لرمسيس من الطراز الأوزيري فهي فيما يلي الجانب المطل على الممر على هيئة أوزوريس وهذه الأعمدة مربعة قلدت من الصخر وعليها رمسيس في حضرة الالهة المختلفة وخاصة الاله آمون رع والاله حور آختي وسقف الصالة مزين تارة بالصقر المجنح وتارة بالنجوم .

وعلى جدران صالة الأعمدة نجد مناظر حربية تمثل رمسيس في حروبه مع أعدائه في الشمال والجنوب . ولعل أروع نقوش المعبد العظيم معركة قادش ورمسيس البطل يجندل أعداء مصر فينهارون ما بين صريع ، وجاث على قدميه يستغفر ، وضارع الى الالهة المصرية أن تشفع له عند الملك الجليل . ان المصري ليدخله الغرور لا محالة والزهو والفرحة وهو يرى رمسيس ، نسيت أقول والحب ، قد شعر للمعركة وكل ما فيه قد استحال شهابا منقضا حتى لجام جواده قد شده الى وسطه لتتفرع يدها للطعن والنزال . وقد صوره الفنان المصري يطأ بقدميه رقبة عدو ويطن بيده آخر ويمسك باليد الأخرى . تلايب ثالث . لكان المعركة لا تزال قائمة فقامي يخفق من أجله وعيني تزغرد له ، والفتى الهني على خطاه . لقد لبثت أنا على بعد المعركة وبعد السنين وهو ماض كابطال الأساطير لا يتوقف ولا يناله أعياء .

ان الجدار الشمالي من صالة الأعمدة صفحة عريضة من تاريخ مصر

تصور كيف زحف جيش مصر الى مدينة قادش بعرباته الحربية فيقهقر عنها جيش الحيثيين ويعود رمسيس بعد معركة فاصلة ظافرا معتليا عربته يمشى فى ركابه مع من مشى ، الأسد أسد الأليف ويعود الى عصره هظفرا ليقول أليس لى ملك مصر والحيثيين ..

ان الفنان المصرى العظيم يمثل رمسيس العظيم فى الأعمال الجاهدة ولا أثر للجهد عليه كأنه يأتى شيئا عاديا بل شيئا سهلا . فلا عضلات نافرة كالتى تبدو فى التماثيل اليونانية والرومانية .

وفى الجدار الشمالى من صالة الأعمدة نجد حجرتين استعملتا مخازن . وفى الجدار الغربى من هذه الصالة نجد ثلاثة مدخل المدخل الأيمن يقضى الى حجرة مستطيلة بالجدار الشمالى منها نجد حجرتين طويلتين كانتا مخزنين . وعلى هذا النسق المدخل الأيسر .

أما المدخل الأوسط فيقضى الى صالة مربعة بها أعمدة مربعة على الجدار الأيمن والأيسر نجد الملك رمسيس واقفا ومرتديا الزى الملكى يحرق البخور وتقف خلفه الملكة نفرتارى وفى يدها الصلاصل وأمامهما الكهنة حالقى الرؤوس حاملين القارب - المقدس .

ومناظر هذه الصالة كلها مناظر دينية تمثل (رمسيس) تارة مع الثالوث المقدس لطيبة آمون وموت وخنسو .

ثم رمسيس فى حضرة الاله (مين) اله التناسل .

وعلى الأعمدة رمسيس فى حضرة الاله آمون الذى يحتضنه . كما نجد الالهة موت والالهة حتحور .

وبالجدار الغربى من هذه الصالة مدخل يقضى الى قدس الأقداس الذى يتصدره الآلهة الأربعة .. رع حور آختى ثم الملك رمسيس ، واضعا موضع الالهة ثم الاله آمون رع ثم الاله بتاح اله الصناع والفنانين وبين هذا الحرم وبين المدخل نحو ستين مترا × تقطعها الشمس فى أيام معلومة من شهرى أكتوبر وفبراير من كل عام لتمثل بين يدي آلهة مصر الأربعة وتضىء الجباه الشماء التى أضاءت الدنيا .. ولأتتها نورا ومجدا وعلمنا وفنا وقيما عالية يشرف بها الانسان فى مصر .. فى كل مكان يقدس الجنسارة ويجل التاريخ .

هذا هو معبد أبو سمبل أجمل أبواب مصر وأعظم بناء أودنه انسان

ضمير الصخر ليعبد كما قال المدير العام لليونسكو فى ندائه ، (من
أروع المنشآت المعمارية فى العالم) وقال الاستاذ جازولا (انهما « معبدى
أبو سمبل » لا يخصصان فقط للذين شيدهما بل يخصصان التراث الثقافى
للإنسانية جمعاء) (١) .

أما المعبد الثانى فقد بناه رمسيس لزوجته الأثيرة نفرتارى والهة
المعبد الالهة حتحور . والمعبد شكل فى الصخر وفى واجهته على جانبى
المدخت ست تماثيل منها أربعة لرمسيس الثانى على وجهه ابتسامة مزهوة
وفى عينييه نقّة وفرحة وفى وقفته اعتداد وعزة ، أستطيع أن أجزم أن
فرعون موسى ليس وحده الذى قال (أليس لى مك مصر وهذه الانهار
تجرى من تحتى) كلهم قالوها . بل قتلها أنا فى سرى والعلن آلاف
المرات ما أسعدنا بمصر وطنا يجرى فيه كل هذا النهر العظيم .

وعلى يسار المدخل نمثال للملكة نفرتارى . . نفرتارى الجميلة ترفع
فى يدها آلة موسيقية تعلوها رأس الالهة حتحور وعلى يمين نفرتارى
تمثال لرمسيس على رأسه التاج المزدوج وعلى يسارها رمسيس على رأسه
التاج الملكى ويفصل التماثيل خراطيش .

يقف الى جانبى الملك الأمراء والأميرات الأعزاء عنسده وأقربهم الى
نفسه يسعى أمن حرخشى اف أى سيف الاله آمون .

وعلى يمين المدخل ثلاثة تماثيل أيضا تتوسطها نفرتارى والى جانبيها
رمسيس لابسا تاج الوجه القبلى .

صالة الأعمدة : وبها ستة أعمدة مربعة على الجانبين والأعمدة
مربعة . . الجانب المثل منها على الصالة ينتهى عند القمة برءوس حتحورية
أرى على جانب العمود الملكة نفرتارى انها جميلة حقا ممشوقة هيفاء عذبة
القسمات خليفة حقا بحب الملك العظيم . . عيني لا تريد أن تتحول عن
الصورة غير ملوم فيها الملك الجبار .

على الجدار الأيمن رمسيس الثانى لابسا تاج الوجه البحرى ممسكا
بيده دبوس القتال يضرب به عدوا . وعلى يمينه صورة للاله رع حورآختى
ورواه وقفت نفرتارى . . الجميلة . كيف صور المصرى الفنان نفرتارى

(١) مشروع انقاذ آثار النوبة ص ١٨ .

فى شقوقها فلم يحجب الحجر الشقوق ولا ما وراءها • كيف طوع المصرى
الحجر فيلس بل انصاع فحمله من الايحاءات واللفتات والبسمات
والنظرات والحركات ما أراد له أن يروع به •

وعلى الجدار الشمالى رمسيس يحمل زهورا ويصب ماء أمام الاله
خنوع ذى رأس الكبش يليه الملكة نفرتارى تحمل فى يدها آلتين
موسيقيتين تقدمهما للالهة حتحور •

ووراء رمسيس الاله بتاح اله منف اله الصناعات والعمال والفنانين • •
وفى أقصى اليمين رمسيس أمامه عدد من القرابين • •

وعلى جوانب الأعمدة المواجهة للجدار الشمالى الاله خنسو اله القمر
ثم الالهة موت الهة الحرب زوجة الاله آمون رع ملك الالهة ثم تمثال
رمسيس • وعلى الجانب الآخر من العمود تمثال الاله حورس منطقة
(ميعام) أى عنيبة • •

وعلى جانب عمود الالهة موت الملك رمسيس يقدم القربان بخورا
وعلى جانب حورس كوبان (١) •

وعلى عمود الاله خنسو ، الاله خنوم له رأس كبش • ومن الناحية
الأخرى الالهة ايزيس على هيئة الالهة حتحور ويفرق الأثريون بينها فى
هذا المعبد بالكتابة •

وعلى يسار المدخل الاله آمون رع ثم رمسيس يؤدب أحد الخارجين
عليه من الجنوب ثم الملكة نفرتارى • •

أما الجدار الجنوبى فيمثل (رمسيس) فى حضرة الالهة حتحور
التي تحمل فى الصورة آلة موسيقية حين حمل هو رمز العيد الثلاثينى
لحكمه •

يلى هذا رمسيس بين الاله ست والاله حورس منطقة أيام •
يلى هذا الالهة عنفت زوجة الاله خنوم تقدم لها نفرتارى زهور
اللوتس بيد واليد الأخرى بها الصلاصل الموسيقية •

يلى هذا رمسيس بالزى الرسمى يقدم رمز العدالة • الالهة ماعة الى
الاله آمون رع ملك الالهة •

(١) كوبان جمع من قرية العلاقى •

الاعمدة على يسار المدخل :

العمود الأول على واجهتيه نفرتارى وعلى الواجهة الثالثة الاله حورس
اله منطقة بوهن التى تقع فى حلقة عند الشلال الثانى .
العمود الثانى :

على واجهته الاله تحوت اله الحكمة والمعرفة . وعلى الواجهة الأخرى
الالهة ماعة الهة الحق والعدالة وعلى الواجهة الثالثة الالهة سانت زوجة
الاله خنوم .

العمود الثالث :

على واجهته الملكة نفرتارى وعلى الواجهة الأخرى الالهة حتحور . وعلى
الواجهة الثالثة الالهة (ور كاوت) .

الجدار الغربى :

الجدار الغربى : من صالة الأعمدة به ثلاثة مداخل تفضى الى صالة
مستطيلة أصغر من صالة الأعمدة .

والمداخل الثلاثة على يمينها ويسارها نجد الملكة نفرتارى فى حضرة
الالهة حتحور .

أما المدخل الأوسط فعلى يمينه رمسيس بتاج الوجه البحرى وعلى
يساره رمسيس بتاج الوجه القبلى .

ثم نفرتارى فى حضرة الالهة موت ونفرتارى تقدم اللوتس والبردى
قربانا .

الصالة المستطيلة :

على صالة الأعمدة وأجمل منظر بها نجده على جدارها الشرقى وهو
منظر . . التتويج وفيه تبدو نفرتارى بين الالهة ايزيس والالهة حتحور
وهن ممسكات بعلامة الحياة (عنخ) .

وعلى الجدار الشرقى من الصالة المستطيلة منظر آخر يتمثل فيه
رمسيس ووراءه نفرتارى تحمل زهرة اللوتس والصلاصل وأمامه الالهة
وتا - ور (.

أما الجدار الغربى ففي أعلاه ثالث أسوان الالهة خنوم وعنفت
وسانت ٠٠ وأمامهم الملكة نفرتارى الرقيقة تقدم زهور اللوتس وتقدم
معها مائدة حافلة باللحوم والخبز والطيور قربانا .

على هذا رمسيس بالتاج المزدوج فى حضرة الاله حور آختى . وإلى
اليسار رمسيس فى حضرة الاله آمون والملك يقدم له اناءين قربانا . كما
يقدم رمسيس فى الطرف الأعلى من يسار ، اللوتس قربانا الى ثالث
أسوان .

أما الجدار الجنوبى من الصالة المستطيلة فأظهر ما فيه البقرة
الحيوان المقدس للالهة حتحور وأمامها نفرتارى تقدم اليها الزهور قربانا .

فإذا ما خلفنا الصالة المستطيلة وجدنا قدس الأقداس وفى صدره
تمثال للالهة حتحور رمزا لحنان الأمومة . ومن الطريق اذا ما واجهنا
الجدار الشمالى من قدس الأقداس اننا نجد رمسيس الملك يقدم القربان
الى رمسيس الاله ووراء نفرتارى . أى انه يقدم الى نفسه القربان .

وعلى الجانبين من باب قدس الأقداس نجد الاله حابى اله النيل وقد
صوره الفنان ممتلئ الجسم اماراة نعمة ورغد ووضع على رأسه اللوتس
والبردى نباتية ٠٠ التقليديين .

أما الجدار الجنوبى فيشرق بالملكة نفرتارى تقدم البخور للالهة موت
والالهة حتحور .

قصة مشروع انقاذ معبدى (أبو سمبل)

منذ القرن التاسع عشر والمهتمون بحضارة الانسان وآثاره الأولى
تتجه عنايتهم الى معبد (أبو سمبل) فى أوائل ذلك القرن أزاح «بلزوني»
— وهو ايطالى الجنسية — الرمال عنه ثم تبعه فى منتصف القرن التاسع
عشر أيضا ، « لبسيوس » الألمانى فأكمل تنظيف المعبد ولم يغفل صيانتة
مربيت أما مصلحة الآثار فقد عمدت الى بناء حوائط فى أعلى الجبل لمنع
تسرب وانسياب الرمال على واجهة المعبد ومدخله .

اقترن مشروع انقاذ معبدى (أبو سمبل) ببناء السد العالى فان
وصول منسوب الماء ستين مترا أعلى من منسوبه العادى يعنى غمر آثار
النوبة واغراقها . وكم ببلاد النوبة من معابد ومقابر ومدن قديمة فى
الرمال .

وقد أهابت الحكومة المصرية بمنظمة اليونسكو أن تقف وراء مشروع الانقاذ ، فوجهت اليونسكو نداء الى الدول والجامعات والهيئات العلمية المعنية بالآثار . وذلك في الحقل التاريخي الذي أقيم في مقر منظمة اليونسكو بباريس في ٨ مارس سنة ١٩٦٠ ومما جاء في نداء المدير العام لليونسكو .

(بدأ العمل في بناء السد العالي ، الذي سيحول وادي النيل الأوسط الى بحيرة واسعة في خلال خمس سنوات ، مما يهدد بالغرق أبنية عظيمة تعد من أروع المنشآت المعمارية في العالم) .

وليس من السهل الاختيار بين تراث الماضي ورفاهية شعب يعيش في ظل هذا التراث ، الذي يعد من أعظم ما خلفه التاريخ .

لهذا لم يكن غريبا ان تتوجه حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة جمهورية السودان الى منظمة اليونسكو ، تطلبان محاولة انقاذ الآثار المهددة . وتلك الآثار التي ربما تضيع في غد قريب ، ليست ملكا للبلدين المؤتمنين عليها فقط ، بل هي ملك للعالم كله ؛ وللعالم الحق كل الحق في ضمان بقائها ؛ ويجب عليه ان يقوم بحمايتها .

وفضلا عن ذلك ، فان الأمر ليس مجرد انقاذ شيء مهدد بالضياع بل هو أيضا اكتشاف ثروة لاتزال خفية ، ولخراجها الى النور ، فهو أمر يستمتع به الجميع وبذلك نرى ان عهدا جديدا قد فُتح للتقدم الرائع والثراء الكبير في ميدان الدراسات المصرية القديمة ، وبدلا من ان يحرم العالم من جزء من روائعه الفنية فسوف يعود الأمل الى الانسانية بأن نكتشف روائع أخرى ، لا زالت مطهورة ومجهولة حتى اليوم .

ان هذه القضية النبيلة تستحق منا كل استجابة ، لا تقل عنها حزما ونبلًا ومن أجل ذلك ، فأني أوجه ، بكل ثقة ، الدعوة الى الحكومات والمعاهد والمؤسسات العامة والخاصة ، وإلى الرجال المخلصين في كل مكان للاسهام في انجاح هذه المهمة التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، كما أدعوا الى تقديم الخدمات .

واخيرا ، (مصر هبة النيل) وهي جملة اغريقية قديمة ، انتشرت وتعلمها عدد لا حصر له من الطلاب . فعل شعوب العالم أجمع ان تتحد:

اليوم الكيلا يطوى النيل فى قاعه ، بسبب المشاريع البناءة التى ترمى الى زيادة الحصب ومنابع القوى ،العجائب التى ورثناها نحن الأجيال الحاضرة من أجيال طوتها الدهور منذ أزمنة سحيقة .



وقد اشترطت مصر شروطا .

١ . الدولة التى لا تسهم فى مشروع الانقاذ لا تعطىها مصر مستقبلا
امتياز الحفر فى أى منطقة فى مصر .

٢ . الآثار المكتشفة من حفائر بلاد النوبة تقسم مناصفة على ان تحتفظ مصر بما لا نظير له عندها .

٣ . تهدى مصر خمس معابد للدول التى تبذل مجهودا كبيرا .

وقد سجلت وزارة الثقافة والارشاد القومى فى كتابها (مشروع انقاذ آثار النوبة) للسيدة « بيكسون » مندوبة الفيليبين انسانيتها الرفيعة التى تبذلت فى المجلس التنفيذى حين مس قلبها ما خلفت مصر من روائع النقش والنحت والعمارة فقالت (انه من الامور المؤثرة فى النفس أن تشعر الجمهورية العربية المتحدة بانها مضطرة لأن تمنح بعض كنوزها جزاء عمل من واجب الدول القيام به ، وانى لأتمنى ان لا تضطر الجمهورية العربية المتحدة للتنازل عن بعض معابدها ، فان خروج هذه المعابد من الاقليم المصرى يفقدها قيمتها اذ ما تركت بيئتها الجغرافية) .

كما أعلن مندوب البرازيل اثناء نظر المشروع تنازل بلاده عن نصيبها المتبقى فى ميزانية المنظمة وقدره ١٢ر٨٠٠ دولار أمريكى لصالح انقاذ آثار النوبة وبهذا اعتبرت البرازيل اول من أيدى مساهمة مادية فى مشروع الانقاذ .

وفى سنة ١٩٦٠ بدأ المشروع يأخذ دورا ايجابيا وبدأت البعثات الأجنبية والمصرية عملها وقدمت تقاريرها الى منظمة اليونسكو .

وقام مركز تسجيل الآثار بتسجيل المعابد تسجيلا علميا دقيقا وشرعت مصلحة الآثار فى عملية فك بعض المعابد فقامت فى صيف سنة ١٩٦٠ بفك معبد دابور ومعبد قرطاسى ومعبد طافا .

وقد تم نقل هذه المعابد الى أسوان وأعيد بناء معبد قرطاسى فى شتاء سنة ١٩٦٣ بجوار منطقة السد العالى غربا .

أما معبد دابود وطافا فلم يتم إعادة تركيبهما وهنا نذكر لبولندا أنها كانت من أولى الدول التي أبدت رغبة نبيلة في تقديم المهندسين لمساعدة مصلحة الآثار ، في نقل هذين المعبدين .

كما قامت مصلحة الآثار في صيف سنة ١٩٦٢ بنقل المعابد الآتية
دندور - الدكة - المحرقة .

وتم نقل معبد دندور الى أسوان أما معبد الدكة والمحرقة فموجودان الآن (بعد فكهما) في منطقة وادى السبوع .

كما اضطلعت الحكومة الألمانية بفك وتركيب معبد كلايشة هدية لمصر وقد تم نقله في صيف سنة ١٩٦١ ، سنة ١٩٦٢ وأعيد بناؤه سنة ١٩٦٣ بجوار منطقة السد العالي .

ابو سمبل

مر مشروع انقاذ (أبو سمبل) خاصة بمراحل عدة وقدمت من أجله مشروعات عدة تناولها كتاب (مشروع انقاذ آثار النوبة) لهذا نعرض هنا للقصة الكاملة في مشروع الانقاذ .

المشروع الإيطالي :

قدم مهندس إيطالي يدعى بيير جازولا مشروعا يقضى برفع المعبد كتلة واحدة وذلك بواسطة روافع ترفع المعبد ٦٠ مترا ويوضع في مكان مماثل لموقعه .

المشروع الفرنسي :

قدم بيت هندسي عن طريق مهندسيه الفرنسي ويدعى كوين مشروعا يقضى ببناء سد يقى المعبدين .

وقد عرضت اليونسكو المشروعين على مصر لتختار فاستدعت مصر خبراء من جميع بقاع .. العالم وشاهدوا المعبد على الطبيعة ليتحققوا من صلاحية كل من المشروعين .

ومن المؤسف ان الموضوع دخل في مناقشات لها خبيء يستهدف السد العالي .

وفى نهاية المطاف انتهى الخبراء الى تفضيل المشروع الايطالى ومعنى هذا ان التكاليف تبلغ ٨٠ مليوناً من الدولارات .

رفضت الدول الكبيرة دفع نصيبها فى المشروع أى روسيا
انجلترا ، أمريكا ، فرنسا .

تقدمت مصر بمشروع أقل نفقة من المشروع الايطالى .

وتقدمت فرنسا بمشروع آخر .

أما المشروع المصرى فيقضى بتقطيع المعبد وإعادة ترتيبه وتركيبه .

وأما المشروع الفرنسى فيقضى بإدخال المعبد داخل عوامات حتى إذا ارتفع منسوب الماء ارتفعت العوامات وارتفع المعبد بارتفاعها .

عرض المشروعان على اليونسكو فوافق الأعضاء بأغلبية على المشروع
المصرى .

وقد طرح المشروع المصرى مناقصة عالمية فتقدمت الى مصر شركات
ايطالية ، وفرنسية وأمريكية والمانية فرسا العطاء على شركة هوختيف
الألمانية وهى الشركة التى قامت بتنفيذ مشروع كهرباء خزان أسوان .
وستتقاضى هوختيف ١٠ مليون جنيه مصرى .

وقد بدأ العمل بإقامة سد تكاليفه ٢ مليون جنيه ولو ان المشروع
بدى بتنفيذه من سنتين لأغنانا عن السد المزمع إقامته بما يكبده من
تكاليف .

وهذا السد يستغرق بناؤه سنة أما تقطيع المعبدین وعادة بنائهما
فيتم فى تقدير الخبراء سنة ١٩٧٠ .

وشركة هوختيف تعاونها شركة أطلس المصرية التى تقوم ببناء
مدينة سكنية ٥٠ للموظفين والعمال .

وهى تستخدم كثيراً من العمال الفنيين والمهندسين المصريين .

ويشرف على تنفيذ العقد المكتب الهندسى المصرى لانتاخذ أبو سمبل
وهو تابع لوزارة الثقافة والارشاد وفى المكتب الهندسى خبراء استشاريون

استقدمتهم مصر من السويد من بيت هندسى كبير اسمه ف ب ب •
 وقد وافق المستشارون على العمليات الجارية • وقيم اثنان منهم
 بأبى سمبل •
 ومن أجل (أبو سمبل) دخل معرض توت عنخ آمون فى أمريكا
 وسيزور هذا المعرض كندا وأوروبا لهذا الغرض •
 ومن أجل (أبو سمبل) المعرض المصرى فى اليابان للآثار
 الفرعونية • •
 وقد تبرعت الحكومة الأمريكية بمليون جنيه لنقل المعابد الصخرية •

آثار النوبة

المعابد :

دابود - قرطاس - طافا - بيت الوالى - كلابشة - جرف حسين
 دندور - الدكة - المحرقة - السبوع - عمدا - الدر - اليسىه - مقاصير
 ابريم - أبو عوده - معبد (أبو سمبل) •

وقد تم نقل بعضها وتركيب الآخر ولم يبق الا جرف حسين - الدر
 اليسىه مقاصير ابريم - أبو عوده •

وقد كانت المعابد كلها يلحق بها فصول لدراسة الكهنوت كما حول
 كثير من المعابد الى كنائس فى العصر القبطى كمعبد (وادى السبوع
 ومعبد (أبو عوده) كما حولت بعض الكنائس بدورها الى مساجد بعد
 انتشار الاسلام فى هذه البقاع وان ظلت أديرة على عهدها فى القرنين
 الثالث عشر والرابع عشر •

القلاع الأثرية والحصون :

١ - قلعة ساجورا •

٢ - كوبان (لم يبق منها شئ) •

٣ - اخمندى •

٤ - قلعة قصر ابريم •

٥ - قلعة جبل عدا •

٦ - قلعة الشيخ داوود (توماس) •

وقد أقيمت القلاع فى النقط الاستراتيجية على طول خطوط
المواصلات فى النيل وقد سجل مركز تسجيل الآثار منها : الفنتين - بجة -
عنيبه - فرس - سره - بوهن - بوهن الجنوبية - مرجسى - شلفق -
أورونارتى - قمة - سمته الرئيسية سمته غرب •

ويبدو ان هذه المنطقة كانت عرضة للغزو حتى ان ملوك الدولة
الوسطى أقاموا فى منطقة الشلال الثانى وحدها سبع قلاع باعتبارها حدا
جنوبيا لمصر ، وقد بلغت أهمية هذه المنطقة حدا جعل لمرء الجنوب
يسمون « حراس الباب الجنوبى مما يدل على أنها كانت ذات مكانة خاصة
من الناحيتين التجارية والحربية » (١) •

المقابر :

وأهمها مقبرة بنوت •

الجبانات الأثرية :

فى مناطق عنيبه - ابريم - عدا - قصر الوز - بلانه - ارمنا -
توشكا •

لننتقل بعد هذا الى الحديث عن البعثات الأجنبية والمصرية التى
ساهمت فى مشروع انقاذ آثار النوبة •

البعثات الأجنبية والمصرية التى ساهمت

فى مشروع انقاذ آثار النوبة

من سنة ٦٠ - ١٩٦٤

١ - بعثة مركز البحوث الأمريكية : فى منطقة جبل عدا جنوب
(أبو سمبل) وقد عملت موسمين سنة ٦٣ وسنة ٦٤ •

٢ - بعثة جامعة شيكاغو : فى منطقة بلانه وقسطل وقد عملت فى

(١) كتاب « بلاد النوبة » وزارة الثقافة والارشاد •

مواسم سنة ٦١ ، سنة ٦٣ ، سنة ٦٤ (الموسم أربعة شهور وتفضل عادة شهور الشتاء) .

كما قامت بعثات لمصلحة الآثار عام ١٩٥٧ و ١٩٥٨ بحفر الجبانات الملكية في قسطل وبلانه التي لم تكشف عنها بعثة الأستاذ أمري أستاذ المصنولوجيا بجامعة لندن عام ١٩٣٤ وذلت نتائج الكشف كما يقول كتاب (مشروع انقاذ آثار النوبة) . « على انه لا تزال هناك آثار غنية ، حتى في المواقع التي تناولها من قبل معول الحفار » .

٣ - بعثة جامعتي بنسلفانيا وويل معا : عملت في مواسم سنة ١٩٦٠ ، سنة ١٩٦١ ، سنة ١٩٦٢ ، سنة ١٩٦٣ ، سنة ١٩٦٤ في منطقة توشكي وارمينا جنوب عنيبه .

٤ - بعثة جامعة ييل : وهي بعثة أخرى قامت سنة ٦٤ بمسح أثرى للمنطقة كلها شرقا من ادندان وهي آخر قرية مصرية في الجنوب تقع على الحدود بين مصر والسودان ، الى كروسكو .

وقد قامت قبل ذلك أي سنة ٦٣ بجس منطقة كوم اهبو تمهيدا لتهجير النوبيين اليها واستصلاح الأراضي الزراعية .

٥ - بعثة جامعة مدريد : عملت في منطقة توماس ومصيص أربع مواسم من سنة ٦١ ، الى سنة ١٩٦٤ .

٦ - بعثة الهندسة الهندساوية : عملت في منطقة السبالة ثلاث مواسم من سنة ٦٢ الى سنة ١٩٦٤ .

٧ - البعثة التشيكية : عملت باديء الأمر في منطقة طافا سنة ١٩٦١ ثم في منطقة كروسكو سنة ٦٣ . وهي الآن تقوم بمسح أثرى من كلابشة الى كروسكو .

٨ - البعثة الروسية : عملت (بالعلاقى) سنة ٦٢ ، سنة ١٩٦٣ .

٩ - البعثة الهندية : عملت موسما واحدا وهو موسمي سنة ٦٣ في منطقة عافية .

١٠ - بعثة معهد الآثار الألماني : عملت في موسم سنة ٥٩ ، سنة ٦٠ في منطقة عمدا (شمال معبد عمدا) وفي صيف سنة ٦٣ وقد قامت

بحفائر في أساسيات معبد كلايشة بحثا عن أشياء دينية تحت المعبد
وقد عثرت على حجارة معبد يعتبر أقدم من معبد كلايشة .
١١ - بعثة معهد الآثار الفرنسي :

وقد قامت بحفائر في منطقة معبد السبوع سنة ٦١ ، سنة ١٩٦٤
أي مؤسسين .

١٢ - البعثة اليوجوسلافية : قامت بنقل نقوش الكنيسة التي كانت
موجودة في معبد وادي السبوع ، وكذلك نقوش كنيسة (أبو عودة
وذلك أواخر سنة ٦٣ وأوائل سنة ١٩٦٤ .

١٣ - بعثة ستراسبورج : قامت بحفائر في قرية الشيخ داوود
أحدى قرى منطقة توماس موسمين سنة ٦١ ، سنة ١٩٦٤ .

١٤ - البعثة الانجليزية : قامت بمجهود جبار يعتبر أول مسح
لا أثرى للمنطقة من وادي حلفا حتى الشلال الأول وذلك في موسمي
سنة ١٩٦٠ ، سنة ١٩٦١ ، ثم قامت بحفائر في منطقة (قصر ابريم)
في موسمي سنة ٦٣ ، سنة ١٩٦٤ .

وقد وجدت البعثة الانجليزية مسجدا كان أصله كنيسة ثم حول
الى جامع وجدوا به سلما كشف تنظيفه عن كنيسة يرجع تاريخها الى
العصر الذي وقعت به موقعة الشهداء حين كان المسيحيون يلجأون الى
التخفى ويبنون كنائسهم تحت الأرض وقد وجدت البعثة قسيسا مدفونا
بملابسه وفي جيبويه كتابان باللغة القبطية ستقوم البعثة بتقويتها حتى
يمكن قراءتهما . كما وجدت البعثة أوراق بردى . . ومخطوطات قبطية
ويونانية وعثرت على لفة كبيرة من الورق يبلغ طولها بضعة أمتار ويرجع
تاريخها الى العصر القبطى مكتوبة باللغة العربية لم تنشر بعد نشرها علميا .
كما تعرفت البعثة الى اسم المنحمت الأول منقوشا على الجدار ويؤيد هذا
الرأى القائل بأن أمه نوبية . ومعنى المنحمت :

الاله آمون فى المقدمة أو الاله آمون يرشدنى .

واسم اللدنية باللغة اليونانية (بريموس) وقد أخذ اليونان الاسم
سنة ١٩٢٧ قبل الميلاد تقريبا عن الاسم الفرعونى (عم) الذى تطور الى
برعم (بر بيت) ثم برم .

فقال اليونان بريموس ثم بريجوس وجاء العرب فقالوا ابريم .

وتحت هذه الكنيسة وجدت البعثة الانجليزية كنيسة أخرى يفضى
درجها الى مدخل خارجي يرجح انه كان مدخلا سريا .

١٥ - البعثة الهولندية : عملت بالمنطقة شمال معبدى (أبو سمبل)
فى موسمى سنة ٦٣ ، سنة ١٩٦٤ وقد اكتشفت فى هذه المنطقة كنيسة بها
نقوش تمثل القديسين والكنيسة مبنية من اللبن والحجرات مغطاة بالرمال
مما ساعد على حفظ النقوش بها .

١٦ - البعثة الهولندية : قامت بحفائر سنة ٦١ فى دابود بعد ان
كانت مصلحة الآثار قد قامت بنقل المعبد سنة ١٩٦٠ ولكنها لم تجد
شيئا .

١٧ - بعثة جامعة القاهرة : برئاسة الدكتور عبد المنعم أبو بكر .
وقد قامت بحفريات فى منطقة عنيبه من سنة ١٩٥٩ حتى سنة ٦٤ وقد
عثرت على مبان من العصر المتأخر ما بين ٦٠٠ سنة ، ٧٠٠ سنة قبل الميلاد .
كما عثرت على أوان وعقود وجبانة من الدولة الحديثة .

١٨ - البعثة الإيطالية :

فى سنة ٥٩ ، سنة ١٩٦٠ درست قلعة سنباجوز أو قلعة أحمندى دراسة
علمية . وفى صيف سنة ٦٢ ، سنة ٦٣ عملت البعثة الإيطالية بقلعة كوبان
شرق الدكة .

١٩ - بعثة متحف تورينو بإيطاليا :

عملت موسمين ، موسم صيف سنة ٦١ والموسم الثانى صيف سنة
١٩٦٢ . وقد قامت بحفائر فى قرية دهميت وعثرت على لوحات حجرية
مكتوبة وقامت بدراسة بعض المقابر التى قام الدكتور أحمد فخرى بكشفها
سنة ١٩٣٠ عند التعلية الأخيرة لخزان أسوان .

وقد سبقت هذه البعثات ، بعثات أخرى مصرية وأجنبية فى القرن
العشرين وخاصة منذ بدأ التفكير فى إنشاء السد العالى (١) .

وبالمناطق الأثرية فى النوبة ، غير البعثات ، شركات عدة فهناك
شركة بشور للمقاولات ومجالها :

(١) انظر كتاب « مشروع انقاذ آثار النوبة » ص ٢٦ - ٢٧ .

بيت الوالى - معبد وادى السبوع - مقبرة بنوت « حاكم بلاد
النوبة فى عهد رمسيس السادس » - عنبيه •

وتتولى معبد عمدا شركة فرنسية تعاونها شركة مصر للاسمنت
المسلح •

وأظهر الشركات فى المنطقة شركة (هوختييف) (١) الألمانية وان
كانت فى الحقيقة شركة مساهمة من جميع الدول •

وقد ظفرت شركة هوختييف بامتياز مشروع رفع « أبو سمبل » •

وشركة هوختييف هذه هى التى نفذت كبرياء خزان أسوان سنة
١٩٥٦ - سنة ١٩٥٨ بعد العدوان الثلاثى وكان المشروع فى يد شركة
مرسيليا الفرنسية من سنة ٥٣ - سنة ١٩٥٦ •

وعند معبد أبو سمبل تتحرك اسطورة حية وجه مصرى سمح
لوخته الشمس ترف عليه دائما ابتسامة طيبة .. الوجه والابتسامة
لحجار مصرى يناديه المهندسون والخبراء مخلصين « الرئيس حبشى
ويعاملونه وهم المثقفون والأعلون فى سلم التمدن الاجتماعى معاملة الاتباع
لرئيس • لكل مشكلة عنده حل ولكل سؤال جواب هكذا يعتقدون
ويقولون • وليس الأمر وفقا على الهندسة والبناء والأحجار بل الطب
أىضا يلجأ للنازلون بساحة أبو سمبل ، كلهم اليه من متعلمين وامين
فهو يجبر الكسور ويطيّب للملدوغ وسيظل وحده صاحب هذا الأمر حتى
تنتقل وحدة طبية صغيرة الى المكان السحيق •

وأقبل الرجل من بعيد وتدافعت الأصوات والأصابع كلها تقول :
الرئيس حبشى • حسبته فى الأربعين من خطواته السريعة المتدفقة وقامته
المنتصبة ووجهه المتورد وبشرته المستوية وبشره الفياض وأكثر من هذا
استبائته بالصعاب التى نفقر لها أفواهنا من الدهشة •

وكم من قصص للرئيس حبشى :

(١) اسم هوختييف من مقطعين هوخ بمعنى « عال » تيف بمعنى « عميق » ، والاسم
مشتق من طبيعة عملها فى الأنفاق تحت الأرض والكبارى العلوية .. فوقها •

وهذه قصة :

كان ذلك سنة ١٩٤٧ حين خرجت بعثة فى مهمة الى معبد هيس فى الواحات الخارجة لترميمه . ولم يكن الطريق معبدا أو ممهدا فاستقل أفرادها عربات الحدود . وسار الرئيس حبشى وعماله وأسراهم ومعه المهندس ابراهيم عبد العزيز فاختلفا على الطريق وانصاعت الرحلة لرأى المهندس بالطبع فلم تبلغ الغاية لأنها ضلت الطريق دونها وتعطلت السيارة فتحرك الرئيس حبشى من جديد وتطوع . . للاستطلاع . ولمح طريقا سار فيه وحين كر راجعا استهدى جبلا آخر فضل بدوره طريقه وظل ضالا ثلاثة أيام كانت البعثة أثناءها بلغت الحدود وأبلغتها وقامت الحدود بإبلاغ مصلحة الآثار . وخفت الطيارات تجوب المكان بحثا عن الرجل الجواب

وفى فترة انقطاعه عن الركب لمح سيارة كبيرة محملة بالصفائح فجر نفسه إليها يتوكأ على عصاه أغبر أشعت فخافوا منه حتى أطلقوا سيقانهم للريح وهو ينادى بهم مستنجدا حتى زایلهم الخوف ورقوا له فعادوا أدرأجهم .

ويبتسم الرئيس حبشى من قسوة الانسان أحيانا ، ويقول : عرفوا قصتى فطلبوا الى مقابل مساعدتهم ان انقل الصفائح التى كانوا خلدوها حين ولوا هاربين منى ، الى سيارة النقل التابعة لهم . انا الذى لا أقوى على حمل جسمى الواهن من الجوع والطريق .

— وماذا صنعت ياريس حبشى . . ؟

— ان المضطر يا ابنتى مجبور . . امتثلت للأمر وحملت الصفائح المملوءة بكل ضعفى . . بكل عذابى . .

وروى لى الأستاذ عبد الحفيظ عبد العال كبير مفتشى الآثار وأمين منطقة الأهرام المنتدب انه حين تقرر نقل آثار تونة الجبل والمنيا الى مبنى المطافى فى ملوى لتخزينها . . حدث ان تخلف ناووس من حجر الجرانيت الرمادى فى الشارع أمام تفتيش الآثار بملوى . وحدث بعد هذا ان انتقل التفتيش الى شقة على النيل وتركوا الناووس اعتمادا على نقله وعدم امكان سرقة .

ويبدو ان النووس راق أطفال الصعيد فدار لعبهم حوله . .

وذعر صاحب البيت فكتب الى مصلحة الآثار طالبا نقله اخلاء

لمسؤوليته فطلبت المصلحة الى كبير مفتشى الآثار نقله الى المخازن الجديدة
الى مطافى ملوى . يقول الأستاذ عبد الحفيظ عبد العال :

أحضرت عمال تونة الجبل ورئيسهم السيد بشارى من قفط وأخذنا
فى نقل الناووس فى الساعة الثامنة صباحا ، الى المخازن .

واقترح رئيس مجلس مدينة ملوى الدكتور ناجى سيف النصر ان
يوضع أمام مدخل مجلس المدينة وهو فى الطريق الى المخازن (المطافى)
فسررت لانه يوفر جهدا كبيرا .

ولما لم يكن عندنا ونش فقد وضعناه على درافيل (مواسير) تستند
الى حصيرة من ألواح الخشب تجرى عليها . وأخذ العمال يسحبونه
بالجبال حينما ويدفعه آخرون .

واستمر العمل من ٨ر٥ صباحا الى ٥ر٥ مساء والشهر رمضان والجو
حار والمسافة خمسون مترا فاعتبرناه عملا عظيما حتى بلغ من سرورى اننى
نفحت العمال مالا تقديرا لجهودهم .

ومر عام وجاءت عملية نقل آثار فى ملوى . . فكتب المفتش الذى
عهد اليه بالناووس ، الى مصلحة الآثار راجيا نقله الى المخازن اخلاء
لمسؤوليته وهنا وقع العبء على من جديد ولم أجد بدا من مصارحة
المسؤولين .

لا . . ابحنوا عن مهندس ينقله بوساطة ونش أو كلفوا الرئيس
حبشى بنقله . ليس لهذا الأمر غيره .

(فكلفوا) الرئيس حبشى واستدعوه الى ملوى لنقل الناووس .

ونظر الرئيس حبشى الى الناووس ونظرنا اليه ماذا عساه فاعلا ولم
يطل انتظارنا لقد اختار الرجل العنيد أربعة من عمال تونة الجبل الذين
سبق لهم العمل فى نقل الناووس .

وبدأ الرئيس حبشى العمل الساعة ١٢ ظهرا وبعد ساعة ونصف أى
فى الواحدة والنصف كان الناووس داخل مخازن المطافى بقى ان نعرف
ان المسافة الثانية كانت ضعف المسافة الأولى .

— كيف ؟ . .

— احضر الرجل الخبير درافيل أكبر قطرا واستخدم ثلاثة درافيل

بدلاً من اثنين ووضعها تحت الناووس على مسافات في وقت واحد وبدأ رجلان من أمام يشدان الناووس بالحبل حين كان حبشى والعامل الثالث يدفعانه من الخلف وكلما خلا الدرفيل الخلفى أسرع « الرئيس » بوضعه أمام الناووس ، هذا وحركة السحب والدفع مستمرة .

وفي استحياء واكبار معا يقول الأستاذ عبد الحفيظ : لقد استخدمت أنا درفيلين فكان الناووس في تدافعه الى الأمام يقع على الأرض من خلف فنحضر (عتلة) ونرفعه من الأرض ونحمله على الدرفيل الأمامى ريثما نضع الدرفيل الثانى فى الامام هذا فضلاً عن ان كثرة عدد العمال يحدث ارتباكاً .

والآن يضطلع الرئيس حبشى بنقل اللوحات الضخمة فى معبد أبو سمبل وعددها ٦٥ لوحة يبلغ وزن الواحدة منها عشرات الأطنان . ويمرح ببصره الى مقر شركة هوختيف التى ستتقاضى ١٠ مليوناً من الجنيهات مقابل نقل المعبد ويبتسم وأسمع ابتسامتيه تقول بغير حروف : آه لو عهدوا بالمعبد الى .

ولكنها شركة هوختيف أما هو . فرجل بسيط اسمه . حبشى .

البحر الأحمر

فى البحر الأحمر

انه غيرك يا نيل ليس فيه وداعتك وعذوبتك وانسيابك والضفاف
انه جبار قاس على عادة البحار وان كان أخفها وطأة خاصة فى
خليجيه .

القوارب يانيل تتهادى بالشرائع ، وتستلقى على صدرك فى دلال
يملى لها حنانك ، وتباركها رحمتك وتزفها نسائمك وتحدوها أشجار
الصفصاف والنخيل ، على الصفاف وحقول الذهب ، أما القوارب فيه
فخائفة مذعورة كقلب الأم .. والموج فيه عات قاس كطبع الطفأة .. يرفع
ويفيض لا يثبت على حال .

كان الله فى عون الرجال البحارة .. انهم يواجهون حياة قاسية
عنيفة محفوفة بالمكاره والمخاطر .. وفى هذه اللحظات يكبر الرجل فى
عين المرأة .. هذه تجربة لا تقدر عليها .. لون بطولى من العمل لا تستطيعه
.. من أى طعام يتغذى هؤلاء الذين يجالدون العواصف والرياح والأمواج
.. والبحر .. هذه السواعد التى تجذب الحبال المقتولة طورا وتتعلق
بها حيناً وتتدلى منها آناً وتتسلق عليها أحياناً .. هذه السواعد من أى
مادة يراها خالقها ؟ .

لشد ما يرتفع ثمن لقمة العيش فى بعض الحالات والأمكنة والأعمال
.. ويجلس سكان المدن والعواصم – ومادروا – يتحدثون عن رطوبة الجو
وحراة الصيف أو برد الشتاء ، وملل الفراغ الخ .. هذه التفاهات التى
تشغل الخليلين .

والفنارات فى البحر هى الشئ المعلوم المحدد وسط هذا العالم
المجهول السحيق الغور البعيد الأعماق .. انها علامة انسانية وسط
مظاهر الطبيعة المحيطة بها من سماء وماء وجبال وسحب وكأن الفنار
يستشعر الألفة حين تتراعى له السفينة فهو يرسل اللومض متتابعاً هتفة
مشوق وتحية صاحب .

وكالقادم من سفر يحمل الطيوب والألطف والعطايا تحمل الباخرة
الى الفئار ما يغنيه أياما وترسل اليه فى عرض البحر على ظهر قارب يشق
العباب اليه ثم يعود لتأخذه الباخرة بين يديها ثم ترفعه الى صدرها كطفل
حيث يسكن اليها ويسكن عندها حتى يلوح فئار جديد فيتهيأ للنزول
من جديد .

والفئارات فى البحر الأحمر دنيا أخرى ، انها تقوم على شعب
مرجانية من عجيب أمرها انها فى المياه أشد صلابة من حجر الصوان فاذا
خرجت منه تفتت . فهى كالسمك الذى يلهو عندها ، لا تعيش الا فى الماء .

والفئارات رتشد الى مكان الشعب حتى تتجنبها البواخر فلا تتحطم
عليها ثم هى تؤدى بعد هذا رسالة الضوء وتحبى بالنور . ولكن الذين
يعيشون فيها ينسلخون من العالم المعمور فى وحدة قاتلة فقليل منهم من
يعرف كيف يقاسم الوقت الذى يقطع سيفه الكنيرين أو يقطع أعصابهم
فكم من حالة تروى بين رجال البحر عمن كادت عقولهم تذهب من رجال
الفئارات .

ومع هذا فكل شئ نسبى اذ يغرى تضاعف المرتب بعضا منهم على
العمل بالفئارات تحت ضغط ظروفهم المطبقة .

ومن رحمة الله بهم انهم يتناوبون كل أربعة شهور .

وفى البحر الأحمر جبال ملونة تتشكل فى أبواب السحاب كالطيور
التي تبدل أفواف ريشها . ان هذه الجبال تعيش فى بحبوحة من الأفق
الذى يكسوها فى كل ساعة من ساعات النهار والليل غلالة شفة تنكسر
عليها أضواء النهار وتهوم فوقها أحلام المساء . وهى على البعد تبدو كأنها
مرسومة رسما على طرف الأفق عند التقاء السماء بالأرض .

جبال ولكنها على الرغم من اسمها فيها انسياب ورسوخ فى الوقت
نفسه حتى آثار التعرية فيها مناسبة . انها تبدو لعيني كأنها شلالات
من رمال رمادية عليها من الأفق طرحة حرير من الثلج . دائما الجبال فى
هذه المنطقة محجبة ولو بشفيف من ألوان السماء أو شعاع الضياء .
الأنبا فى الصعيد تخضع لحكم البيئة ؟ .

وتدنو صحراؤنا الشرقية من البحر الأحمر بين حين وآخر ناهدا على

صدرها أهرامات صغيرة تزهو في الشمس وتبدو في الظل كلوحة معلقة بين الأرض والسماء .

وفي الليل رأيت باخرة تتلألأ بالأنوار . . كانت بعيدة وكانت باخرتنا تتأرجح على صفحة البحر - تتأرجح في عصبية - فبدت لعيني الباخرة الأخرى كأنها هي التي تملو وتهبط . وقد ضاءل منها البعد فكانت كأنها لعبة أطفال تحركها خيوط في كف صغير عابث .

وفي البحر الأحمر لنا موانئ لعل أهمها الغردقة عاصمة محافظة البحر الأحمر ، ويقولون أن اسمها يشكله لفظان : خور - جده لما بينها وبين جدة من طريق اتصال . . ويقال انه نسبة إلى نبات « الغردق » الذي ينمو شيطانيا في هذه البقعة من الصحراء .

أهم ما في الغردقة معهد الأحياء البحرية حيث ترى العين عوالم شتى من الأسماك والشعب المرجانية كانت تعيش في البحر . . عوالم تروع بالألوان والأحجام والأشكال والتباين والطباع والمزايا . . ولو أن المشاهد يفوته الكثير في زحام التكديس الذي يفرضه ضيق المكان .

ان المعهد كسائر متاحفنا يفتقد فن العرض المغري الجذاب .

ومن معالم الغردقة أيضا فندق هيلتون بموقعه الفاخر على بحر من الزمرد ، وبمبناه الدائري الأنيق وبلسمات الفن في كل شبر فيه

من كان يظن أن مثل هذا الفندق النائي غاص بنزلائه حتى لا تجد مكانا خاليا به . . ومن هم نزلاؤه ؟ . . انهم الأجانب من كل صقع جاءوا إلى مصر . . إلى الغردقة حيث يجف الهواء ويطيب ، ويفتن الماء ويتجدد ألوانه ، وتبتسم السماء وتصفو صفاء النفس المصرية السمحة المتفكهة دائما .

ومن البحر الأحمر والصحراء الشرقية يخاليل العين المصرية أمل واعد تبشر به بريمات البترول هنا وهناك في منطقة الطور وبيمر مرجان، على طول الطريق تنتشر البعثات اليابانية والأمريكية وراء الذهب الأسود .

اني أحلم من الآن بذلك اليوم الذي تتفجر فيه ، في الصحراء المصرية عيون البترول وتتفجر معها الطاقات المصرية . . طاقات البناء والذكاء والعمل . .

يارب . .

والباخرة فى البحر كالانسان لها اسم وجنسية وموطن هو المرفأ الأم .

وهى تسجل كالعقار الثابت وتحرك كالمنقول .

ولكل جزء فى الباخرة اسم بالطبع ولعل أطرف هذه الاسماء :

القمرة : أى الحجره .

والمشى : أى غرفة القيادة .

والشرك : أى حجره الآلات (الماكينات) .

وأمتع ما فى البحر قيادة السفين . ان هذا اللون من القيادة تجربة انسانية نفيسة .. انها حسي حضارى ووجدان انساني وذوق .

عملية تقدير وتدبير يجب ألا تخطئ والا ضاعت الحياة ، لا حياة واحدة ، بل حيوات كثيرة .. ان قيادة الباخرة كالطيارة ، خير مرب للشخصية بتجسييمها مسئولية صاحبها ، فقبطان الباخرة هو المسئول الأول عن كل أعمال طاقم الباخرة .. قد يخطئ غيره ولكن يسأل هو لا يشفع له حق طبيعى فى النوم أو الراحة أو المناوبة . وهذا اللون من الحساب لا يوجد فى أى عمل آخر . ان الخطأ فى الأعمال الأخرى قد يحمل على المرء وسين باعتبارهم أداة التنفيذ ولكن الأمر فى الباخرة مختلف جدا .. ان قبطان الباخرة ، المنبع ، الذى ينبثق عنه كل تصرف .. كل من فيها يصدر فى أعماله بأذنه فهو صاحب الخطأ والصواب .

والقبطان اذا بلغ عرض البحر له جميع سلطات الدولة ، يستطيع أن يحبس ويستطيع أن يحكم بالاعدام على المتمرّد .. يستطيع أن يزوج ويستطيع أن يفض المنازعات ..

انه الوحيد الذى يجمع بين السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية .. حتى اذا خرج من المياه لاقليمية ودخل مياهها أخرى انتقلت السلطة الى السفارة المصرية فى البلد الأجنبى فاذا عاد الى المرفأ الأم انتقلت السلطة الى حكومته .

قد يكون قبطان الباخرة زوجا وأبا ولكنه فى البحر ينسى كل شئ الا المسئولية الجسيمة المنوطة به .. ولئلا تلهى عينه دائما .. هذه

المسئولية ترهقه ولكنها ترفعه فى عين نفسه وتزيد ثقته بها .. انه بطل
يجالده الطبيعة ويواجه الأخطار .

وبقدر فلقه بقدر انتصاره عندما يعود سالما بمن معه .

انه فى حاجة الى جرعة كبيرة من الايمان تشد من أزره حين تصله
بالله .. انه هنا كالطبيب علمه وحده ، مهما عظم أو رسخ ، لا يكفى .

أكبر من علم الانسان .. توفيق الله .

هذا الشعور بالحاجة الى الله .. الى الايمان به ينزع بالقبطان الى
السمو النفسى .. يرفعه اليه .. انه يعتقد فى قرارة نفسه أن الخطأ ..
أى خطأ يوهن علاقته بالله فيتخلى عنه .. إن الفكرة الشائعة عن (زوجة
كل مينا) قد تصدق على بعض البحارة ممن يكذبون ولكنهم لا يسألون
أو تهون مسئوليتهم ، ولهذا ينفضون متاعبهم فى كل مرفأ .. ان الذى
يفصل بين الحياة والموت ، خيط رفيع فى مفهومهم ردو افهم فما تكاد
مباهج الدنيا تلوح لهم حتى يقبلوا عليها يعبون منها ظالمين .. ولكن
القبطان لا .. انه عالم آخر ..

وتنسى الحياة الصاخبة خطر الضابط البحرى بل تظلمه وتحسبه
قليلا ثم يتسنى لها أن تخبره فتندم وتصحح فكرتها ثم تعود فتنساه
من جديد .

وللبحر حرمان وتقاليده فإذا قابلت باخرة ، باخرة أخرى أطلقت
صفارتها أو البروجى ثلاثا تحية لها . ويبدأ التحية أحدث القائدين رتبة
فيرد الأكبر وينهى هو التحية أولا .

ومن تقاليد البحر أن المركب التجارى يحيى أولا المركب الحربى
برفع العلم .

هناك ما هو أئمن من المال والتجارة .

وحيتنا على القرب باخرة عائدة من اليمن ، ومع التحية رفعت العلم
.. ومع العلم ارتفعت أيدينا ملوحة لأبنائنا للعائدين .. شئ واحد هو
الذى نزل .. انه دموعنا .

كانت رحلتى هذه على البحر الأحمر سنة ١٩٦٦ بالباخرة (عابدة
وكان أحدث مرة زرت فيها البحر الأحمر سنة ٨٣ ماذا رأيت ؟

رأيت مصر فى الغردقة

كثيرون يرون ، مصر ، ٠٠٠٠ القاهرة .

والقاهرة أم المدائن ولها فى القلب المصرى . وقدة ، نتوهج على
القرب والبعد .

ولكن مصر هى القاهرة ، وكل مدينة مصرية ، وأربعة آلاف
قرية ٠٠٠ مصر هى : السهل ، والجبل ، والوادى ، والصحراء ، والسماء ،
والأرض مصر هى : التراث ، والقيمة ، والماضى ، والحاضر ، والمستقبل
مصر هى : الانسان ، والمكان ، والزمان .

مصر كبيرة معنى ومبنى ٠٠٠

ولهذا رأيتها فى الغردقة

هذه المدينة القديمة ، الجديدة ، مدينتى كالمينا ٠٠ كالقاهرة ٠٠٠
انى ، مصرية ، أملك الوجهين ، والصحراوين ، والبحرين ، والنيل هو
بحر ، ونهر ، وأنهار وجنات وعيون ٠٠ أملك هذا كله بدون عقد تملك
ما بى حاجة اليه .

الغردقة أو « حورجت » اسمها المصرى أى أرض حور ٠٠ أرض
حورس ٠٠ ومن هنا اسمها المحور (حور جدا) الذى صار الى « غردقة » .

انها مدينة قديمة ٠٠ وانها مدينة جديدة ٠٠ لقد رأيتها قبلا ، منذ
ست سنوات ولكنى هذا الاسبوع رأيت جديدا فى كل مكان بها ٠٠ رأيت
مدينة عفية فتية تحلم بالمستقبل وهى التى تبرز بالماضى رأيت المشروعات،
تجسيدا على الأرض ، ونبضا فى القلب . رأيت كوزنشا عرضه ٤٠
أربعين مترا .

رأيت صناعات وفنونا شعبية . رأيت مدينة نظيفة على الساحل
وفى الداخل ٠٠٠ الحى الشعبى بها ، ليس به ورقة على الأرض رأيت
أذننى الهدوء ، وسمعت عيني المسكينة ٠٠ ليس فى الغردقة قمامة صرورية
أو دن أى نوع . وعرفت السر ٠٠

أقد دعا محافظها ، سبابها وأهلها الى الاحتشاد لتنظيفها مرة واحدة

فظلت نظيفة منذ ذلك اليوم .. فالقاعدة القائلة (ما أصنعه يصنعني)
صادقة دائما .. وقد صنعوا هذه القيمة فحافظوا عليها .

ويذكرني هذا بيوم (سويتك) فى روسيا وهو آخر يوم فى
الحريف عندهم وفيه يخرج الناس جميعا وعلى رأسهم رئيس الاتحاد من
السادسة صباحا حتى السادسة مساء .. ويشترك مائتان وأربعون مليوناً
فى جميع أوراق الحريف المتناثرة ويزيحون الثلوج الساقطة والمتراكمة
فيتنفس النخيل الأخضر ويبدأ الربيع وقد لبست أرضهم ثوباً أخضر جميلاً
رائعاً .

ويرفض الجميع أن يتقاضوا أجراً إضافياً أو أساسياً وتذهب حصيلة
هذا اليوم الى صندوق التنمية .. ومن هنا يحافظ كل مواطن على المصنع
والمرح والسينما والشارع لأن المال العام ، ماله وعرق جبينه .
وبهذا تتحقق أغراض كثيرة وكبيرة فى وقت واحد .

عندنا أجهزة تعرف ما تحت الجلد أو تزعم هذا فليتها تعرف خرائب
المكان كخرائب الانسان .. وليتها تعرف من دمر وهما معا .. وليتها
تعالجهما معا .

للغردقة أحلام كبيرة بحكم مساحتها الكبيرة وطاقة البحر فيها
وبكارة الطبيعة ، وبكارة الاحساس الذى لمستته فى كل من رأته من
أهلها ، لا ينقصها الا المال وهو شئ مذهل حقا اذ الغردقة أغنى المحافظات
موارد .. فيها وحدها ٨٠٪ ثمانون فى المائة من البترول المصرى . ان
مصايد الأسماك فيها وما يتصل بها من صناعات تكفى لسد حاجة مصر
كلها بل التصدير أيضا ..

وغير هذا كثير وفير ثم تفتقد الغردقة المال لا لأنه غير موجود ولكن
لأن الميزانية العامة توزع على المحافظات حسب عدد السكان !

وبهذا تستقطب أجهزة القاهرة المال والاصلاح فتنهار مرافقها أكثر
لأن عامل الجذب اليها يزداد بينما لو وجهنا هذا المال الى الريف (بحقه)
والى المحافظات الواعدة ، لحققنا الضغط على القاهرة التى سحج الزحام
والقتام والارهاق والضغط جمالها ، وصباحتها ، ونفاستها ، أيضا .
أغنى المحافظات فى الطبيعة ، أفقرها فى واقع المال ! مرة أخرى
أقول : هل مصر هى القاهرة فقط ؟ ان المال لا يكون بنسبة عدد السكان

فحسب بل بنسبة طاقة التنمية في المكان فان العائد في النهاية لمصر كلها .

ان الغردقة ومن ورائها الصحراء الشرقية - منجم مصر الاول كما يقول الدكتور جمال حمدان - بترونها المعدنية من ذهب وأحجار كريمة . ومحاجر المرمر والسماقي الامبراطوري والبروفير الارجواني حيث يضم جبل الدخان ووادي الفواخير كتلا من الجرانيت الأبيض والاسود النادر التي بنى منها الرومان معابد روما . .

(والواقع ان دور هذه الثروة المعدنية كان أساسيا في صناعة الحضارة المصرية قبل التاريخ وبعد الفرعونية ، مثلما هي حيوية واستراتيجية اليوم في صناعاتنا الحديثة المعاصرة .) شخصية مصر ٤٧٨ .

الغردقة والبحر الأحمر طريق مصر ونافذها ومنفذها الى آسيا وأفريقيا . . يقول الجغرافي الكبير الدكتور جمال حمدان :

(من المحقق أن الصحراء الشرقية ، على الرغم من كل شيء ، كانت طوال التاريخ طريقا هاما في شبكة اتصالات مصر بالعالم الخارجي ، أهم على الأقل من نظيرتها الصحراء الغربية بالتأكيد . لقد كانت ممرا أكثر منها مقرا ، واقليم حركة أكثر منها اقليم استقرار . وبهذا جمعت بين طرفي متناقضة مسيرة ، وان لم تكن غير مألوفة ، وهي أنها صحراء عزلة ، انظر ص ٤ ولكن اقليم عبور أو مرور) شخصية مصر ص ٤٨١ .

ويقول : (. . . ساحل الصحراء الشرقية ، من وجهة نظر مصر ، هو أئمن ما فيها تقليديا ، ومن أجله كان عليها أن تعبر الصحراء بلاتردد ، وعلى الأول على الرغم من كل معوقاته أقامت سلسلة موانئها عبر التاريخ ، وعلى الثانية على الرغم من كل وعورتها فرضت شبكة طرقها التاريخية بلا كلل .) ص ٤٨٢ .

الغردقة بهذا كله ، وراء حضارة مصر القديمة بانجازاتها الباتعة والرائعة . فهل يكون لها في الحديث الحظر نفسه ، والدور نفسه ؟

ان العالم الدكتور جمال حمدان يقول :

(ان التعدين في الصحراء الشرقية تطور من المعادن النفيسة أساسا في الماضي الى المعادن الصناعية في الوقت الحالى ، من الذهب والفضة والفيروز والزبرجد الى الفوسفات والحديد والبتروول وبعض المعادن الاخرى .

الصغيرة . وقد صاحب هذا التطور انتقال فى مراكز النعدين من قلب الصحراء وداخلها بعامة الى ساحلها بصفة خاصة حيث نتركز معظم ركازات ورواسب المعادن الجديدة (ص ٤٧٨ .

ان الفردقة هذه بكل ما أسلفت ، مساحة عريضة ليقظة شاملة ، وانطلاقة جديدة . (فاذا أمكن حل مشكلة المياه فلسوف تكتمل الثورة البشرية والعمرائية المحلية الصغيرة التى وضعت بجرئومتها أدوات الحضارة الحديثة ، لتتحول الصحراء الشرقية يوما ما من صحراء عزلة الى أكثر من اقليم مرور ، لتصبح « جبهة ريافة » جديدة على جبهة مصر الشرقية) ص ٤٨٦ .

ان الفردقة خامة نادرة للسياحة التى غدت صناعة وفنا وعلمنا .

السياحة العلاجية : بطاقات المكان من شمس ورمال ومياه معدنية وبحر ونباتات طبيعية ، وطينة الشعب المرجانية .

وسياحة تاريخية : بدءا مما قبل الأسرات ومرورا بعصور مصر التاريخية انظر ص ٥٠٠ كلها بما تضمه من آثار فى امتداد موصول .

وسياحة دينية : بما فيها من أديرة مسيحية ، ومزارات اسلامية . دير انبا انطونيوس وانبا بولس بعيدا خلف منطقة خليج السويس فى الشمال ، ومعتزل الشيخ الشاذلى فى منطقة بير شاذلى فى الجنوب .

والفردقة طريق طبيعى مباشر سريع الى الحجاز ارتكازا الى «سفاجة» حيث تتصل ب « جدة » و « ينبع » وما وراء هذا من تخفيض الزحام ، وتوفير استهلاك السيارات ، واستهلاك الطرق .

سياحة ثقافية : بما تضم من معاهد بحوث علمية وطبية .

سياحة شبابية : (الكارافان والمخيمات)

سياحة رياضية : من تسلق جبال ، وصيد فى الوديان والصحارى والغوص والتصوير تحت الماء ، والفروسية ، والرماية . الخ .

هذه المحافظة التى نربو شواطئها على ألف كيلومتر حتى حدود السودان تفتقد الربط بينها وبين المحافظات الاخرى بل بين أجزائها نفسها بعضها ببعض .

وهى بحاجة ماسة الى شبكات طرق ، وشبكات مياه ، وشبكات الغاز ، وشبكات الكهرباء .

وهناك مشكلة جديدة أعنى تلويث الشواطئ ، وتدمير الروة السمكية وهو وزر يتحتم أن تتحمله الشركات التى تتمتع بامتياز التنقيب عن البترول وتتمتع بعائد البترول ، كما يحدث فى البلاد البترولية .

وعلى الرغم من هذا كله فان الغردقة التى كانت منذ وقت قريب أو بضع سنوات ، أشبه بقرية ، هى الغردقة التى تزخر الآن بالحياة والبناء والانشاء والتطوير .

والازدهار فى أى مكان يعنى أو يساوى ادارة رشيدة . وتذكرت عصور مصر الذهبية على امتداد تاريخها كله ، واقتراها بحسن الادارة .

ان منجزات مصر الحضارية كان وراءها ادارة رشيدة ، وسديدة والا لما طرحت هذا العطاء بدءا من بناء الاهرام الذى نشهد معجزته بعبقريّة الادارة التى أحكمت انتظام سير العمل فيه وكأنه سيمفونية لا نشاز فيها .

ومن حسن حظ الغردقة أنها لا تصدر صرخة حتى لا تهدر الوقت والمال فى المائشيتات والوعود .. انها تعمل فى صمت وفى جد وكده دائم ودائب .

والصمت الذكى جمع للنفس وميلاد للقيمة .

وفى الصمت يطرح الغراس الطيب فاذا الغردقة اليوم على وعد بجنة اكملها دائم وظلها فينان ..

وكم فى مصر من جنات وعيون لو وجدت كالغردقة من يحبها والحب عطاء .. ويعيشها والعيش نداء .. ويحسها والاحساس تجاوب .

العجاز

الحرم النبوى

فى غيبة طويلة عن مصر والانسان المصرى ، ومن أجله أفرق الحرف ،
وأوثق الحدث ، وأحقق جوابا على سؤال حائر أسمعه بالعين أو الاحساس
لانى الى هذا التراث أنتمى بالكيان كله .

لم يكن غيابا بل حضورا مزدوجا . . سافرت من مصر الى الحجاز
ثم الى المغرب ثم الى انجلترا . . كنت خارجها ، فيها . . وحديثى الطواف
عن هذه الرحلات يقول . .

أبدأ برحلة الحجاز . . رحم الله أستاذنا المازنى صاحب هذا العنوان
الذى أعطاه أحد كتبه . .

نحن فى طريقنا الى المطار . . اختناقات كثيرة كالعادة فى شوارع
القاهرة حتى فى الزمالك حيث تبدو الجزيرة مترفة فى كل شىء . . ولكن
تصادف وجود كراكة ضخمة تسد الطريق كوحش مفترس بين مستشفى
المعلمين والنادى الأهلى أو هكذا بدت لى من ضيقى وخوفى على الموعد ، انها
الطائرة وانها العمرة . كانت الكراكة تفترس الوقت على الأقل .

وصلنا المطار نلهث . . موظف المطار قال نحاول ايجاد مكانين !!
حيث وصلنا متأخرين . . رفضت هذا المنطق فى كلمات قليلة هادئة وان
كنت متوترة . . ثم بسرعة بعد هذا وزن الحقائق ومراجعة الجوازات . .
الموظف الآخر نطق اسمى أحسست به قارئا لى . فلمى ليس وحده
صديقى . . انه منبع ثر لصداقات تفتح لى كل طريق . . حمدا لله .

مضينا الى صالة الانتظار . . لم تمض ربع ساعة حتى جاء موظف
المطار وطلب الى البطاقات الزرقاء المرفقة بالتذكرة . . قدمتها له .
وأعطانى بدلا منها بطاقات حمراء الخاصة بالدرجة الاولى . لم أدر مصدر
هذا التكريم وهذه المجاملة من مصر أم من السعودية . . هذه وطنى
وتلك ، دينى . انها فاتحة خير على كل حال . أو براعة استهلال على
رأى البلاغيين . . وتذكرت موظف المطار الذى لوح بعدم وجود أماكن !!

لا خير الا خيرك . . ولا اله غيرك . . لك الحمد ولك الرضا .

عند الخروج الى الطائرة جاء مدير من الخارجية واصطحبني وابنتي
الى باب آخر خاص وركبنا سيارة صغيرة غير الاتوبيس لتصل الطائرة
أولا ...

تكريم آخر ...

نخرج الآن الى الطائرة .. اختلج كياني بالدموع .

هل هو شوق الى مصر ولما أغادرها بعد .. برح الشوق ولم أبرح !!
أم شوق الى الحجاز ؟ والشوق اليه غلاب .

فى الطائرة - الدرجة الأولى - ما كدنا نجلس حتى دارت المرطبات
فالفطائر فالحلوى فالقهوة العربية . وهى شراب الحبهان زكية رقيقة اللون
والنكهة .

بدأت الرحلة الساعة ٣٤٥ ٠٠ ما أن صعدت الطائرة حتى أحسستنا
ببعض مطبات هوائية .

أمعنت فى الصعود .

أحسست أنى بين سمانين سماء فوقى صافية تتربع فيها الشمس
وسماء تحتى من سحب مندوف .. أكداس من قطن أبيض أو شبيهه .

ترى أى أرض تحت هذا السحاب .. لكأنه جبال ثلجية .. اننا
بالطبع فوق صحرائنا الشرقية ومنها الى البحر الأحمر .. البحر مرقش
أو مرصع بالسحاب . يبدو أن السحاب يذوب فى البحر .. غارق
لشوشته .

من جديد عادت جبال الثلج . توارى البحر .. لا يؤنسنا
الا الشمس .. معذورة مصر القديمة أن أحببها ..

الشمس أقوى .. بددت السحاب الا قليلا .

أصف والطائرة تتأرجح يمينا ويسارا وأعلى وأسفل بل أكثر من
هذا . أمر الطيار المضيفات أن يأخذن أماكنهن فى كراسيهن ويربطن الأحزمة
وهذا نذير .

بعض الركاب لم يتناول طعامه من التوتير .. والبعض لم يصل اليه
بعد الطعام ولن يصل لأن المضيفات ربطن الأحزمة .

صوت الطيار يعلن قرب الوصول . . . باق ١٧ دقيقة . . . وصلنا
مطار المدينة في أفراح الأصيل وسرعان ما أقبل الليل .

ما كدنا نخطو بضع خطوات حتى سمعت صوتا ينادى اسمى . .
انه كما يخيل الى من زيه وسمته وصوته مستول بالمطار تقدم لاستقبالى
ونقدمنا ومعى ابنتى وسهل الاجراءات بالطبع . وما كدنا نخرج من
المطار حتى سمعت اسمى مرة أخرى . . هذه المرة ضابط برتبة كبيرة
وشاب عربى نبيل قال انه مندوب الأمير . وفتح لنا باب سيارة فارهة . .
لقد أرسله الأمير عبد الله الفيصل من جده مقر اقامته الى المدينة ليستقبلنا
باسمه . يقول انه قطع المسافة فى خمس ساعات .

هذه هى المدينة . . وهذا هو الحرم النبوى يسير فيه المسلم طويلا
فى كل اتجاه ثم لا يبلغ نهايته من أى ناحية أتاه . . انه مدينة النور . .
ومدينة الناس هامش له وخلفية صورة عميقة الأبعاد . . كل شيء فيه
يبدو للعين المشوقة المشوقة ، صيغ من نور . . الأعمدة البيضاء الملساء
نور . . الأعمدة الوردية تزيد النور نورا . . كل شيء حولى يزوع ويأسر
. . . هو الذى كان لا يملك فى هذا المكان غير بيت متواضع من حجرتين
وكان على نظافة فيه عالية ، زاهدا فى ملبسه وطعامه . . بسيطا فى حياته
سمحا سهل الأكثاف . . على خلق عظيم . . بالمؤمنين رءوف رحيم . . كل
هذا البهاء له النقى الصفى السخى الوارف الظلال وما طلبه ولكن الله
جزاه بصدقه فقد كان الصادق الأمين .

ما طلب بناء ولا قصورا ولا ملكا ولا سلطانا وباسمه عاش الملوك . .
وبهديه عاش الشعوب .

والتقى على محبته واجلاله الحاكم والمحكوم وقلما يلتقيان .

ويذهب الناهبون صناع أقنعة العظمة وممثلوها ويبقى هو البسيط
الزاهد ويزيد كل يوم خلودا . . بل يضعه كاتب لا يدين بدينه على رأس
المائة الخالدين فى الشرق والغرب .

لم يكتب عن نفسه كتابا وكتب عنه الكتاتيون فى الشرق والغرب
فى كل عصر وجيل مكتبة كاملة . ويهتف « كارليل » (لو لم يكن فى
محمد الصدق ما بلغ هذا الشاؤ) .

ودلفت الى الروضة الشريفة حيث مثنى الأعظم العطرات . . وكنت
لا أدرى بنفسى وأنا أفضى اليها خفيفة الخطى كانى أطير حتى وقفت فى

ساحتك .. قبالتك غارقة في دموعي .. من خشيتي بكيت .. من هيبتي
لك بكيت .. من محبتى بكيت .. بكيت كما لم أبك من قبل أنا التى عرفت
دموع اليتيم ودموع الألم فى حياتى وحياة وطنى ولكن دموعى فى حضرتك
كانت دموعا غذية بلا عذاب .. دموعا ندية فيها شوق وحنان وإيمان ..
ورأيت الناس يملأون المكان على سعته الوسيعة أتوا اليك أفواجا ومن
كل بقعة اليك انتهوا من غربه وشتات لأنك كريم دارك للغريب واللائذ
والزائر رأيتهم قيساما وقعودا من كل سن ولون كم هى راضية
مرضية الصلاة فى رحابك وعرفت معنى أن يصلى الناس ما يشاءون فى
سائر أنحاء الدنيا وإذا أمنيتهم والدعاء أن يظفروا بالصلاة عندك فيقول
المشاهد للمصلى (حرما) ويجيب (جمعا) .

هذا الحرم بهالات النور وهذا الجمع الطهور مهما كانت ذنوبه من قبل
فان دموع توبته بين يديك تغسل بحرا من الآثام .

يكفى أنهم صادقون بمحض ارادتهم جاءوا .. بملء حبههم جاءوا غير
مساقين غير مدفوعين غير كارهين بل مشوقين وملهوفين . طفت بك طاف
دعائى وطاف صمتى وطاف فكرى وانهلث بعد الدموع ، الذكريات أو كأنى
أراك فى بيتك المصرى تعمره زوجك مارية القبطية الصعيدية وابنتا منك
ابراهيم وسمعتك توصى بمصر وأهلها خيرا لأننا لك أصهار ولابنتك أخوال
وسمعتك عندما تهدم بناء الكعبة ويشير عليك من حولك باستحضار بناء
من فارس فتقول بل ادعوا لها بنائين من مصر وهى شهادة غالية لنا بأننا
أهل بناء وإنشاء وعمارة وحضارة .

ورأيتك وصاحبك مهاجرين من مكة الى المدينة والليل والألم والشجن
وعذاب الجحود والكفور والملاحاة ويذكرك ذاكر بدعاء نوح على عداته
(رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) فتأبى وتقول فى هدوء الواصل بربه والواصل
بنفسه .. تقول فى سماحة الأخيار والأطهار (رب اللهم اهد قومى فانهم
لا يعلمون) .

رأيتك فى الغار تقول للصديق وقد لفه الصمت اللهيى لا تحزن
ان الله معنا .. لم تتخل عنك طمأنينة النفس .

رأيتك تدخل المدينة فتنور وتغدو منذ ذلك الحين دون سائر المدن
المدينة المنورة . ويهدأ وجيبك ويسكن ديب القلب ونمسح يد النعمى

آثار الشقاء وتسمع مضيئك ينادى ولديه متهللا ليظفرا برؤيتك : يا سالم
ويا ياسر فتبتسم متفائلا وتقول : الحمد لله لنا في الدار يسر .

ومن الذكريات التي تطيف بك ما صنعه رجالان صنعتهما على عينك
وكم رجالا صنعهم الاسلام ، دين الانسان .

وينتهدي في سمعي صوت الصديق وقد آلت اليه امامتك (أيها
الناس أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيت الله فلا طاعة لي عليكم)
جوهر الديمقراطية الحقبة بلا قيد أو أذى أو انتفاخ أو انفساخ .

ويمر شريط الذكريات وأرى عطر التاريخ عمر صاحب كتاب القضاء
الذي ناشد قاضيه أن يسوى بين الناس في وجهه وعدله ومجلسه ...
ولو طلب المساواة في العدل لكفاه ولكنه ارتفع الى أفق رفيع لم يبلغ
شأوه أحد حين تحرى المساواة في الوجه أيضا بل أولا فليست المسألة
حرفية العدل بقدر ما هي انسانيته واحترام كرامة الانسان ، كحقه .

وحاول حراس المكان الطاهر أن يسلكوني في صفوف النساء أي بعيدا
عن المقصورة الجامعة ولكنني أصرت على الاقتراب منها ولمستها بعيني ويدي
في تعبير عن الامتنان والعرفان بما أنى انسان أعطانى الاسلام من خلال
الرسول وصاحبيه عز العدل والشورى والرأى والارادة .

والفاروق عمر الذي فرق الله به بين الحق والباطل له على دالة ،
وله عندى جميل يعيش فى عقلى ووجدانى منذ ذلك اليوم البعيد من سنة
٦٢٠هـ حين عرضوا عليه فتح مصر فرفض ولكنهم سوغوا له الفتح بأنه
دفاع عن النفس ضد الرومان الذين يحكمون المنطقة ومصر مركز قوة لمن
يملكها .. والهجوم خير وسيلة للدفاع .

ومرة أخرى يقف العادل ثاني الخلفاء الراشدين الأربعة فقط ، يقف
الى جانب مصر حين أمر جنوده ألا يمسوا الأرض فالأرض فى رأيه وضميره
حق لأهلها واكتفى بالجزية التي كانت تمثل فى نظامه ضريبة دفاع ،
يدفع المسلم أضعافها فى الزكاة فضلا عن تكاليف الجندية وحماية
الثغور .. وهنا أشير الى أن المصريين لم يسلموا تخففا من الجزية فان
الاسلام يترتب عليه بحكم فريضة الزكاة أضعافها فضلا عن ضريبة الدم
التي يتفادها الناس فى كل الشعوب والتي كنا الى أوائل هذا القرن
نسبها « البدلية » . أى البديل العسكرى .

لقد أسلم الناس فى كل مكان لا فى مصر وحدها ، انشراحا للاسلام
وايمانا بعدله واقتناعا ببساطته وعمقه وصدقته معا .

أسلمنا يوم أعطي للمصري درته وأمره أن يضرب ضاربه ابن عمرو
ابن العاص واليه على مصر ساخرا من ابن الأكرمين ، مؤنبا في قولة جامعة
رائعة .. دافعة دامغة : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم
أحرارا ؟) .

أيهما أشد تأثيرا في النفوس كلمة عمر أم فيالق الرومان ولو كانت
حشود الأرض ؟

من أجل هذا كله كانت دموعي « نيلا » روى المقاصر وهي بالارواء
والأنداء مقاصير ليست من الأرض بل سماء ما طاولتها سماء ..

البيت الحرام

فى الطريق الى جدة : لكل بلد فجر ، وللمدينة فجران :

الرسول وهو نور متجدد بدد الظلم والظلام وفجر النهار .

ومن أسماء المدينة قديما « طيبة » هل راقى أصحاب منب الذين هاجروا فى الأسرة السادسة المصرية الى الحجاز فسموها طيبة ارواء للحنين ، وارضاء لاحساس مكين يلح على المصرى الجواب بعد المطاف مهما طوف وطاف .. رأينا الطريق الى جدة يكتنفه الجبال من يمين وشمال وأمام .. الطريق يخترق الجبل .. يضيق أحيانا ويتسع أخرى .. الطبيعة قاسية جدا .. أحيانا تظالنا شجيرات باهتة شابت خضرتها فى مغبرة باهتة .

الطريق مهده مضاء والسيارة فارغة ولكن حين هاجر الرسول عليه السلام من مكة الى المدينة تتوزعه ألوان من القلق ، وتتنازعه عديد من المشاعر .. أى وحشة لاقيتها يارسول الله .. أى عذاب كابدت .. أى صعب جالدت ولكنك صبرت وصابرت لأنك صاحب دعوة .. وصاحب فكرة .. وصاحب ضمير .. لأنك مصلح وهاد ورسول .

ولأنك صادق أمين عاشت دعوتك ، وطرحت رسالتك وأزهر عطاؤك وخلد اسمك على الأيام والأحداث والمحن .

وهذا هو الفرق بين أصحاب الدعوة وأصحاب العصا .

دانت بك العلماء .. والأقوياء والضعفاء .. والأحرار والأرفاء .. والبسطاء والأغنياء .. والمتواضعون والكبراء .. حين لا يدين بالعصا حتى الصفار والمتصاغرین الذين يخيفهم سطوتها ، أو تجذبهم منبتها .. فيتساقطون على المن والأذى والقذى ويسقطون فى النهاية بسقوطها لا يبقى منهم ذكر ولا يحفل بهم تاريخ مبغوضين فى الدنيا والآخرة .. اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ..

هان سعيهم وهانوا ..

ساعة ٠٠ ساعتان ٠٠ ثلاث ٠٠ والجبال رابضة رابدة وحشني النيل
والنخيل والجزيرة ٠٠ وتذكرت قول ذلك العربي الذكي الذي قال لنا يوما
مازحا كالجاد أو جادا كالمزح وكنا بعد الهزيمة نعيش شدة ترهقنا من أمرنا
عسرا :

✽ تأخذون البترول وتعطون النيل وأم كلثوم ؟

وعلى القهر والعسر قلنا في كبرياء : لا .

ألف لا يا حبيبة لن نرضى بك بديلا طعمنا الشهد أو سحرنا
العلقم .

انك مع العسر واليسر ، مصر وكفى .

✽ ✽ ✽

نكمل الطريق الى جدة ٠٠

ابتسمت ابنتي الى جانبي ولعت عينها ٠٠ وسألتها بغير حروف
فقلت : السيارة التي مرقت الآن مكتوبا عليها « الصبر طيب » . قلت
ياصغرتي بلدك رائد في كل ألوان التعبير حتى البسيط منه ٠٠ غالبتها ،
مصرية ، روح الفكاهة فقلت : ولكن صاحب السيارة لم يكتب « شافك
ياحرامي » فقلت لأن بلدك أيضا عانى طويلا من اللصوص .

✽ ✽ ✽

نمر الآن بمنطقة رابغ ٠٠ البحر الأحمر على يميني غير بعيد ٠٠
وغير بعيد أيضا شاطئه الآخر ٠٠ شاطئ أنا حيث السويس ورأس غارب
والغردقة وبرناس .

بعض الجبال حمراء أى حديد ٠٠ قلت لشاب سعودي متقف ثقافة
رفيعة ليتكم تستفيدون بها فتقوم صناعة وصناعات ولكنه قال في عدو
خلي البال . قال في طيبة :

— البترول مريحنا ٠٠ لما يخلص نفكر في الحديد . ثم هناك دول
فقيرة نعيش على صناعة الحديد أو تصديره لماذا ننافسها ؟!

مرة أخرى الجبل ٠٠ هذا الجبل ليس له صديق الا أشجار قليلة
وحفنة من البيوت في مدخل المدينة المنورة ٠٠ هذه المدينة المفتوحة القلب
منذ ذلك اليوم البعيد الغالي الذي استقبلت فيه الرسول وأمنته بعد خوف

وطمأنته وعدهدت آلامه .. هذه المدينة الطيبة التى تكأ كل شئ حتى الحجر .. حتى هذا الجبل .

حقاً رأيت على مشارف جدة بيوتا صغيرة قابضة عند أقدام هذا الجبل وبعض أشجار أقصد نخيلاً بعضه أخضر وبعضه أصفر الأوراق جف ماؤها .. أصحابه هجروه فمات من الظم والقسوة ..

ما كدنا نخلف قرية الحسينية حتى ضاق الطريق وأطبق الجبل .. رأيت على البعد ثلاث أعرابيات كأنهن ، فى اللون ، من جنوب أفريقيا .. هل لوحتهن الشمس الى هذا الحد ؟



جبل بدر .. هنفه ندت عن لسان محدثى العربى .. قال هذا جبل بدر هل سمعت عنها ؟

وكيف ؟ ان بدر فى وجدان كل مسلم .. هنا دارت معركة بين الحق والباطل .. وانتصر الحق فى بدر .. وانتصر فى أحد أيضاً لولا ضعف النفس البشرية أمام الغنائم ولكن بعد بدر واحد والحمد لله والحديبة ظهر الحق وظفر .. وزهى الباطل وامحق أن الباطل كان زهوقاً .

من جدة الى مكة :

الطريق موحش نكتنفه الجبال . واذا كان موحشاً على الرغم من الكهرباء والكبارى والمنازل والمدائن نرى كيف كان هذا الطريق قبل نصف قرن بل قبل عشرات القرون ؟ كان قفراً أجرد والآن يحسد الناس أصحابه ونسوا أنه تعويض عن عذاب طويل وحرمان أطول .

بارك الله لهم فى الرزق الجديد بالعسلم وحسن التدبير وذكاء الاستخدام .

ان من يدخل الحرمين يحس أن البترول نعمة على المسلمين جميعاً فكل هذا الاغداق المعمارى والقيمى على بيتين هما قبلة المسلمين على اختلاف ديارهم ، هو اضافة الى الوجدان المسلم والراية الاسلامية .

ودخلنا مكة .. انها طراز آخر غير المدينة وجدة .. لقد توغلت مكة فى الجبل صاعدة .. وذكرتنى مكة جبال أوربا حيث تأخذ البيوت مكانها على السفوح والمنحدرات كالقمم .. طابع خاص لمكة لا تخطئه العين ..

ومدن الحجاز الثلاثة التى رأيتها على التوالى : المدينة - جدة - مكة
ليس بها تراب أو ذباب .. هنا غبطتهم .

البيت الحرام :

الكعبة .. مع خيوط الفجر الأولى سعت اليه بعد سفر طويل .
الطريق اليه مغطى بالناس الساعين المشوقين والمكان فيه مغطى بالطائفين
الراكعين الخاشعين السجدة الباكين .. كل اليه مشوف .. كل به يطوف
كل به تتعلق عيناه ويداه ورجاؤه ودعاؤه وهيبته ولوعة دموعه من كل
طريق اليه .. من كل فج عميق اليه يهرعون مهرولين وزاحفين ، حثيث
الخطى فى خفة وقعيد محمول فى محفة .. اذا استبد الشوق بالمسلم اليه
لا يعرف الصعب أو المستحيل ..

فى هذا البيت الله وحده الأكبر وحده الأعلى وهو وحده الأعظم
هنا تسقط الأقنعة كل الأقنعة تسقط الزيوف .. حيث الانسان كل
الإنسان لا يستثنى غنى أو متعلم أو ملك أو أمير .. الكل فى هذا البيت
صغير صغير والعظمة لك .. ضعيف ضعيف والقوة لك .. عاجز عاجز
والحول وال طول لك امحت الفوارق والفروق كبيرها والدقيق .. بل لعل
اشد الناس خشوعا وخضوعا .. بكاء ونحيبا الأشداء الأقوياء .. لعل
التكفير عن غرور الانسان .. لعلها الحقيقة التى غابت فى زحام المدينة ..
لعلها الحاجة اليك .. لعلها العودة الى رحابك .. لعله اللواذ ببابك ..
لعل .. كم تعلم ولا تعلم انك وحدك عالم القلوب والغيوب .

وطفت مع الطائفين وكبرت ورجوت ودعوت وسعيت وصليت وحين
وقفت أمام الحجر الأسود حال بينى وبينه خلق كثير ولم أتحول بل انتظرت
فرجة بين الصفوف ودنوت منه وقبلته لأن من هو خير منى قبله محمد
رسول الله عليه السلام وبعده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب والذى قال له
(والله انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أن رسول الله قبلك
ما قبلتك) .

وصليت فى مقام ابراهيم وصليت فى حجر اسماعيل ورأيت كيف
نحنو الوجوه عليه وكيف تنحنى حتى الجباه السماء على غيره لأنه وحده
ذو الجلال والاکرام .

هذا الملا دوائر دوائر من الرجال وأخرى من النساء وأخرى من
الأطفال أطفال لا يتجاوز عمر بعضهم بضع سنين يصلون في ملابس
الأحرام .. أطفال قد لا يستوعبون كل هذه التلبيات والابتهالات .. بل
قد لا يستوعبون ملابسهم نفسها لكن هذا المشهد لا ينمحي من نفس كل
من يراه .

وجاء دور السعي بين الصفا والمروه .. شرف من الحجاره هنا وشرف
من الجبل هناك وبينهما يسعى المعتمر أو الحاج ولكن المكان قام عليه بناء
مهيب فالتقت الطبيعة بالانسان والمكان نهران أحدهما للسعي والآخر
للعودة وفي الوسط نهران آخران للمرضى أصحاب الكراسي وهنا رأيت
ألوانا من البر .. ابنا يدفع الكرسي ساعيا بأمه بين الصفا والمروه وأبا
يحمل ثلاثة من صغاره في الكرسي ويدفعه أمامه .. انه لون من العطاء ..
وما أقدر الآباء على العطاء .. ليت الأبناء يعرفون .

قد يستشعر الانسان الهيبة حين يدخل مشهد الامام الحسين
أو ضريح السيدة زينب أو مسجد السلطان حسن ولكن هذا المسجد ..
البيت الحرام لون آخر من الاحساس مختلف جدا .. هذا بيت لكل
الناس .. لكل الأجناس وما أن يدخلوه حتى تذوب فروق اللون والجنس
ويصبحوا بنعمة الله اخوانا .. وقد لا تسعف اللغة لاختلافها وتفاوتها
فتنوب العيون والأيدى في التعبير .

وقد يجهد السعي بين الصفا والمروه ، الساعين مع ما يحسون به
من راحة نفسية أن كتب الله لهم أداء هذه الفريضة التي تعز على الكثيرين
جهدا ومالا ولكن وجه العبرة فيها اعلاء الانسان اما تعصف بها الحيرة وهي
تري وليدها يكاد يقتله الظما ولا تملك الا قطرة ثم الأمل بعد اليأس حين
يبذل الله كربها أمنا وراحة وسلاما ويتفجر الماء من الصخر ومن المواقف
ما يفتت قلب الحجر .

أما زمزم عين الماء الثره التي لا تغيض . انها أحد معالم البيت وأمنية
البعيد فدعاء المسلمين فيما بينهم حين تسود المحبة الشرب من زمزم
والصلاة في الحرمين .

ونودي للصلاة فاذا بهم يذرون البيع والتجارة حتى ولم يفسادوا
محالهم ولكنهم يغلقونها .. ويفص المكان بالناس على سعته ولكن هذا
الاحتشاد ظاهرة دائمة موصولة حتى في غير أوقات الصلاة .. اليه الناس

يوفضون آناه الليل وآناه النهار فاما صلاة واما اعتسار واما طواف
واما تعيد واما تهجد واما راحة واستراحة اذ الانسان يتملاه .

كم يروع البيت بعد الطهارة والعمارة ، بالنظافة وكم يضوع بالطيب
وأ تذكر مسجد الحسين وبصمة الاهمال لا تخفى وصوت النذير لزاثره من
كثرة نصائح الحراسة على المال !! ما الذى صرنا اليه ؟ مع أن معظم
المعتنمين مصريون ! ويلتزمون هنا بالنظافة والمواقيت والصوت الحفيض .
ماذا عدا عما بدا ؟

ويربى الحمام ويطعم فى مكان آخر خارج البيت الحرام ولكنه يدفع
عليه ويحط عنده نظيفا منله فلم يحدث أن تركت حمامة واحدة فضلاتها
على كثرة ما يرفرف حواليه ويحوم .

(انا أعطيناك الكوثر . . .)

يفسر البعض الكوثر بالجنة أو بأنه اسم نهر فى الجنة . .
إن الجنة يدخلها مؤمنون كثيرون وصالحون كثيرون ولكن ما أراه هو
جنة على غير مثال . . اجماع هؤلاء جميعا جنة . . والحب والاكبار جنة . .
وخلود الذكر جنة . . والأثر العالى الغالى الباقي على الحياة وبعد الحياة
جنة .

جنة البيت الحرام فى مكة وجنة الروضة الشريفة فى المدينة بل
تمتاز على الجنة بأنها تقترب به وتنتمى اليه ديننا وشخصا .

(انا فتحنا لك فتحا مبينا . . .)

أجل الفتح فتح العقول والقلوب . .

مزارات المدينة المنورة

جبل احد :

جبل عال يرقد فى سفحه سيد الشهداء حمزة فى قبر لا يميزه من سطح الأرض غير خط دائرى من الطوب على شكل مستطيل يشترك معه فيه . . فى قبر آخر ، عبد الله بن جحش .

وعلى مقربة منهما مقبرة أكبر حجما تضم ٦٥ شهيدا من شهداء أحد .
مقابر لا يرتفع بها البنيان ولكن يرتفع بها « الانسان » الذى توسده تراها ، ثريا تشرف به شجاعة القلب والضمير .

ويحيط بهذه المقابر المزارات سور تطل عليه من ناحية الجبل بيوت حديثة من آثار زحف العمران ومن الناحية الاخرى بيوت أثرية من مخلفات العصر التركى .

وعلى يمين السور مسجد عم الرسول ، مسجد حمزة .

وينبثق من جبل أحد تل يقال له (تل الرماة) الذى اختاره الرسول موقعا حصينا ، فى معركة أحد فلما تركوا هذا المكان سعيا وراء الغنائم دارت عليهم المعركة .

وعلى مقربة من جبل أحد المدينة القديمة المتمثلة فى مجموعة التخييل والتلال .

ويقال أنه سال سائل : أين الحرم ؟

فجاءه الجواب : (ما بين جبليها حرم) أى أنها كلها حرم .
وانها لذلك .

مسجد القبلتين :

مسجد صغير به قبلة شمالية كانت ترمز الى بيت المقدس ، وقد طليت الآن تذهيبا لمعالمها .

• وقبلت جنوبية زمرا لمكة المكرمة •

• والمسجد محرابه متواضع •

وقد جدد بالطبع .. تقول هذا بغير حروف المراح التسع المدلاه
من سقفه وجهازا التكييف وعدادات الكهرباء .. والموكيت على الأرض
والسجاد •

على باب المسجد رجال ونساء فى هيئة متواضعة يبيعسون سلعا
صغيرة •

قلت لطبيب مصرى يرافقتنى فى هذه الزيارة : كيف يكون فى بلد
البترول فقراء كهؤلاء ؟ وابتسم قائلا ليس فى هذا البلد فقير •

ان فى المكتب الصحى - وهو رئيس المكتب الصحى - عندى فراش
تتقحمه العين .. زرى الهيئة الى درجة أننا فى قرارة نفوسنا نأنف أن
نشرب من يده الشاى .. هذا الفراش الذى لا يحمل مؤهلا أو علما
يتقاضى مرتبا ٤٠٠٠ أربعة آلاف ريال سعودى أى ألف جنيه مصرى اذا
حظى الجنيه المصرى بأربعة ريال فى المقابل .. أى ما لا يتقاضاه أكبر
موظف عندنا وهو رئيس الحكومة • فالهيئة هنا ليست شرطا أو دليلا
ان الحكومة هنا تعطى خريج الجامعة عند تخرجه خمسين ألف ريال توددا
ليقبل وظيفة الحكومة !!

وتعطى الشئسباب الذى يريد الزواج عشرين ألف ريال هدية أو
تشجيعا على اكمال نصف الدين !! وهؤلاء الذين توهمنهم فقراء يأخذون
الكثير من الحكومة ولكن ما يأتونه من حرف خفيفة نوع من التشبلى أو زيادة
الدخل لم لا ..

• لقد كنت واهمة •

وتذكرت قولى لصديق مصرى مرة أنظر الى الشارع الرخامى لقد
غطى الشارع بالرخام الأحمر الصناعى لوجود مادة عازلة للحرارة به
أما رصيف الحرم وهو فى اتساع شارع فانه من الرخام الأبيض .. فلم
يجارنى فى دهشتى بل قال ان هذا البلد يجب أن تكون الشوارع فيه
طوبة فضة وطوبة ذهب •

بعض الناس يغبطون أهل الجزيرة العربية على التراء الجديد ولكنى
من قلبى أسعد بسعادتهم من حقهم أن يسعدوا .. من حقهم أن يعيشوا

بعد طول حرمان .. زادهم الله مالا بلى انى أدعوه أن يعطيهم الى جانب المال حسن التدبير له ، وأن يعطيهم العلم لتتم نعمته عليهم .

المساجد السبع :

هناك سبع مساجد متقاربة فى المدينة لا يزيد مساحة الواحد منها عن صلاة فى بيت كبير .. ويفسر القائلون هذه المساجد بأنها من انشاء سبع سيدات أردن بها أن تكون مقابر لهن وقائل يقول ان هذه المساجد لشهداء .

المساجد تحمل هذه الأسماء الكريمة :

مسجد « أبو بكر الصديق » - مسجد « عمر فاروق » - مسجد « سلمان الفارسي » - مسجد « علي كرم الله وجهه » .. الخ وأكبرها جميعا مسجد الفتح الذى هو مسجد « الرسول » عليه السلام .

ومع هذا ففي المدينة المنورة مسجد آخر يحفل أسم « سيدنا عمر » بشارع قباء ومسجد « سيدنا أبو بكر الصديق » وهو على مقربة من مسجد الغمامة « مسجد الرسول » . انه صديقه فى الدنيا والآخرة فى الحرم النبوى وفى المسجد .

مسجد قباء :

أول مسجد بنى فى المدينة المنورة وقد كتب عليه - فى الداخل - المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين (.)
كما كتب (من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان كأجر عمرة .) .

مسجد قبا له روح .. له طابع خاص . الأعمدة الرخامية المضلعة أضلاعاً رفيعة بيضاء وواجهته من الداخل مضلعة تضليعا رفيعا على التوالى أبيض وأسود .

وفى المسجد على صفه دكة المرددين الخشبية على أعمدة رخامية .
وفى المساجد صغيره أو كبيره مكتبات قرآنية .
السقوف منخفضة

السقوف العالية والقبوات جاءت مع الشراء .. والشراء عمارة وبوابة الحضارة .

مسجد الغمامة :

بنى فى البقعة التى ربى فيها الرسول طفلا ولوحظ أن هناك غمامة كانت تظله أينما ذهب .

البقيع :

انه مثوى فاطمة الزهراء وابراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم وعثمان والعباس والحسن بن على وغيرهم وصفية عمة رسول الله عليه السلام .

والبقيع محاط بسور حديدى ولا يسمح بالدخول ولكن العين تقف به من خارج الأسوار .



وفى المدينة شارع يحمل اسم أبى ذر قريبا من شارع الحرم النبوى .

فى المدينة حركة انشائية واسعة . فى المدينة زراعة عمرانية .. زراعة مبان .

الأسماء فى المدينة اسلامية ذات احياء عميقة ومريحة .. ومن الراحة حمام الحمى يرفرف أمام الحرم جماعات بل فى المدينة .

ومن الطريف أن فى المدينة أسماء مصرية خالصة : استديو الاهرام فندق شبرا - وفى الاذاعة السعودية صورة من البرامج المصرية (الكأس لمن) بل مسلسلات مصرية أو مسلسلات تنهج نهج المسلسلات المصرية بل تردد أسماء النجوم المصريين فى الحوار .

وفى المدينة شارع السكة الحديد وكان به خط حديدى يصل بين المدينة ودمشق وتركيا ثم يتصل بقطار الشرق السريع الذاهب الى أوروبا .

ويقال ان النية تتجه الى احيائه الآن .

وفى آخر شارع قباء قلعة تركية غدت اطلالا .

ومن الطريف أن فى أحد ميادين المدينة قاعدة عليها « دلة » أى كنيكة .

اذن القهوة العربية رمز .. وهنا استشعرت الحجل .. لقد كنت فى ضيافة الأمير عبد الله الفيصل أخذ فنجان القهوة ثم أتشأغل عنه حتى يمر الساقى ويجمع الفنّاجين .. ولما كانت فنّاجين القهوة تدور تباعا يتلو بعضها بعضا فقد لاحظ الأمير أنى لا أتناول ما بها من قهوة . ولما حان وقت الغداء ودارت الفنّاجين قبييل الجلوس الى المائدة قال للساقى ضاحكا : انها لا تشرب القهوة .



وأخيرا فى المدينة لمحت عيني لافتة من القماش على طريقتنا فى مصر مكتوبا عليها :

٢٠ مليون جالون من المياه العذبة لرفاهية المدينة !

المياه بالجالون رفاهية وبشرى ولو كانت ٢٠ مليون .. أى نعمة جباناً الله بك يا نبيل .

غالية المدينة بما هى مشوى الأعظم العطرات .. ان الوجدان المسلم لا يريد أن يبرحها .. ولكن لابد لى من رؤية مزارات الحجاز فتحرّكت وتلفتت عيني كالشريف الرضى حتى اذا بعدت المعالم ولا أقول خفيت الطلول ، تلفت القلب .

بعد مزارات المدينة أقف عند مزارات الحجاز مع أن القاعدة ذكر الخاص بعد العام .. ولكنها المدينة المنورة .

مزارات الحجاز :

غار حراء حيث آوى اليه الرسول مع أبى بكر الصديق والصديق . غار شكله خشبى وهو حجرى . قمته كهف مميز .. به الآن شق ويتسلق الناس الى هذه القمة للاستطلاع أو الاستمتاع .. يصعدون مرة ولكن الرسول صعد مرارا للتهجد والتعبد .

أن يفعل الرسول هذا قبل الرسالة .. ويفعل ما فعل بعد الرسالة ليس شيئا عاديا ..

أنه أكثر من كبير بكل المقاييس .

جامع الثمرة : وما وفر له من بناء وبهاء .. نحن هنا حيث صلى الرسول صلاة الظهر .. نحن بين وادي عرنة ووادي عرفة ..

جبل الرحمة : حيث صلى الرسول وخطب خطبة الوداع .

به سلم واضح التهذيب . كل شيء مسته يد التيسير والتخطيط حتى الجبل أصبح مدرجا وقد انتشرت به أعمدة النور .

بعض صخر جبل الرحمة كتبت عليه أسماء . واقترب من الأحجار لقراءة الأسماء فأجدها لمصريين بدليل العناوين المذيل بها الأسماء !! اننا نحب الكتابة حتى ما كان منها عشوائيا أو فضولا .

المشعر الحرام :

المزدلفة حيث تجمع الجمرات

في هذا المكان المشعر الحرام أقيم فوقه مسجد فخم الآن .

في هذا المكان صلى الرسول بالمسلمين المغرب والعشاء قصرا وجمعا وانتظر حتى صلاة الفجر .

كل شيء يبلور الآن ويأخذ الوضع اللائق به . ان أكبر نعمة أسبغها الله على الحجاز ، الاسلام . فكل « اسلامي » له الصدارة في التفكير والتعبير .. التعبير عنه ، والتعبير به .

حتى الجمر تهيئه الحكومة بأحجام صغيرة نكاد نكون متساوية لتوفر على الناس جمع الجمرات .

المذبح : وبه محرقتان لحرق لحوم الهدى .

ثم نهدينا الى منى حيث مسجد الحيف .. حيث صلى الرسول عليه السلام ، الفجر قبل أن يقف على عرفات .

جمرة العقبة :

أي ماجر العقبة حيث يرمى الناس الجمرات في هذا المكان أنشيء كوبرى دون أن ينسخ هذه الذكرى حيث حدد الموضع تحت الكوبرى بحيث يستطيع الناس أن يرموا الجمرات اذا وقفوا أسفل الكوبرى ويستطيع من يريد أن يرمى من أعلى الكوبرى وتنزل الجمرات فى الدائرة المقصودة .

وفى مدخل مكة قبر السيدة الكريمة العظيمة « خديجة رضى الله عنها » العظيمة التى بعد التشبيه بها تطاولوا الى تشبيه الثرى بالثرى .

السيدة العظيمة التى وقفت وراء الاسلام برجاحة العقل ودمائة الخلق وعمق الشخصية ثم بمالها الموروث فأنفقته فى سبيل الدعوة وخدمته لنشرها فكم من أرقاء اشترتهم ثم أعتقتهم .. انسانية ودينا معا .. وهبت وما نهبت .. ولا غرو فهى شريفة قومها .. خديجة بنت خويلد وهى خديجة زوجة الرسول العظيم ضمت المجد من أطرافه .

وعلى مقربة من قبر خديجة مزار المسلمين ، مقابر أعمام الرسول وفى شعب عالية بيت الرسول عليه السلام وقد بنوا فى المكان مكتبة تسمى مكتبة مكة : لعلهم خافوا الافتتان لقد دانت به العلماء فى الحياة وبعد الحياة واقترن باسمه العلم والنور فى الحياة وبعد الحياة .

وفى الحرم يرى من أعلى الجبل مسجد بلال .. وكأننى على البعد أسمعه صوتا جميلا يسرى مع أنداء الفجر يتهدى بكلمة « الله أكبر » .

أين منه أبو جهل وأبو لهب وامراته حمالة الحطب .. ذهبوا كالزبد وزهقوا كالباطل وهكذا كل جاهل وكل لهب .

أحد .. أحد

أنه ألم لها رنة فى التاريخ الاسلامى ان استمسك بلال بالحق بعد أن ظهر له نوره ، واصراره عليه ، موقف يستمد منه أصحاب المبادئ مهما لقوا من عنت وعناء .. انهم بصمودهم الصابر ، وصبر الصامد أقوى الأقوياء ..

جمادى الآخرة ١٤٠٢

أبريل ١٩٨٢

المغرب

الدار البيضاء

- الليل رهيب غامض فى البحر والجو أى الطائرة •
- أقلعت بنا الطائرة المغربية من مطار القاهرة فى الخامسة والربع صباحا •
- لم يؤنس الليل الا نور القاهرة •• دائما من الطائرة تبدو جببتي عقدا من اللآلىء على صدر الليل •
- وأمعنت الطائرة فى التحليق وأمعنت القاهرة فى البعد •• وأمعن الشوق اليها فى قلبى •
- وتنفس الصبح وأزهرت السماء بالأزرق الصائى وتلاقى خط الأفق بالبحر الذى كان يغطيه السحاب وكأنهما سماءان أو صدفة لؤلؤية ونحن بطائرنا فى جوفها •
- واقتربت الطائرة من المغرب فوزعت علينا المضيفة بطاقات التعريف •
- ومن الطريف أن خانة الميلاد كتب فيها (تاريخ الازدياد) حسنا أن يكون المولود ، اضافة ، لا عددا •
- بدأت الأرض تظهر صخرية ، متفاوتة الارتفاعات تتخللها مربعات وأشكال تكعيبية من الخضرة تتناثر فيها البيوت تبدو من عل كلعب الأطفال • وكبرت اللعب فى عيني •• انها دور جميلة مشرقة •• الطائرة تدنو من الأرض • هبطت فى المطار •
- رأيت كورنيش الاسكندرية فى الدار البيضاء حتى الأسماء (شاطئ ميامي) مثلا •• والمكتبات : دار الفكر ودار الكتاب ومكتبة المعارف •• وهناك معهد وادى النيل وحي المحمدى •
- الدار البيضاء مدينة بيضاء يزيد بياضها نصوعا ، اللون الأخضر •• حدائق وأعنابا •• الحدائق جزء من البيوت الصغيرة كالقصور والفيلات •

الحداثق فى عىن ذئاب وحدىقة الحىوان فى (عىن سباع) هذى المدىنة الرقىقة أخلقى بها عىون المها لا الذئاب ولا السباع .

على الرغم من أن المدىنة جدىدة ، وىعتبرونها أوربية الا انها مقربة الطابع . حتى محطة السكة الحدىد بىضاء مغربة .

أما المدىنة القدىمة فهى أىضا نظىفة واحة الارتقاع . بىضاء . من العادات الطىبة فى المغرب من ولعم بالنظافة ، انهم يطلون البىوت . كل عام .

والبىوت القدىمة بداخلها حدىقة ونوافدها من الزجاج الملون والحدىد المطروق . الأىاء الشعبىة وحى « الانفا » بشرائه ىستوىان فى المحافظة على اللون الأبيض .

حنى منطقة المعامل نظىفة وهادئة هدوء ملحوظا بالقىاس الى مناطق المعامل .

حنى المنطقة الفقيرة دمة لا أصوات عالىة أو نابىة . السائلون فى المغرب ىكاد وأحددهم ىهمس فى أذنك بدعاء لطىف خفىض (الله ىرحم الوالد) . ونساؤها ىلبسن الخمار (البىشة) والخمار أسود وألوان .

ومن طرائف المغرب التى طالعتها بدءا بالدار البىضاء انهم ىطلقون على الكنيسة (مسجد للأجانب) . وهى تسمى فىها الاحساس بوحدة المعابد . كل دار عبادة عند أصحابها ، مسجد . انها مسماحة الاسلام .

وفى المغرب ىبدلون التاء ، طاء ، طاكسى - طوطال . وهو التاكسى الصغىر ولونه أحمى أما التاكسى الكبىر فلونه أبيض - موسىطانيا .

وىسمون الأوقاف ، الأحباس أى ىحبسون الخىر علفها وىخصونها به .

ودار المحكمة : مجمع المحاكم .

الشهود : العادلىن . فى اىاء جمىل ومن أجمل الأسماء التى استوقفتنى مدرسة اسمها « الأنامل الذهبىة » .

والشارع : الشرىعة وفى تونس ىسمون الشارع : النهج .

وبمناسبة الشارع . العرق في المغرب سهلة موطاة الاكتان
هناك زجاجات أو أعناقها . . وندت عن ابنتي رنة ألم . . قالت :
قسونا على القاهرة . . لم نعرف لها حقاً . . مسخنا الجميلة كر
فى كل شىء .

وأحسست بالأم أعرفه . . فطالما أحسست به كلما رأيت ا:
عليها فى الشكل أو الروح .

العين فى المغرب لا تلمح عساكر مرور الا على مسافات بعيدة -

حين يستقيم الناس لا محل للسلطة .
الطربوش فى المغرب يعلو الرؤوس بقية من العصر العثماني .
السيراميك والفسيفساء فى القصور ، دانتلا بالألوان .

الفوسفات بترول المغرب ومعه الموالح ويطلقون كلمة موالح
الفاكهة والخضر .

وفى (المحمدية) مصانع تكرير البترول .

وفيهما فندقان كبيران أحدهما : الميرديان .
وبيوتها قليلة الطوابق ذات طابع واحد وبيضاء أيضا .
وعلى طول الطريق ، القوى بيضاء .

قلما يزاحم اللون الأبيض فى المغرب لون آخر اذا استث
مراكش « الحمراء » .

الطريق من الدار البيضاء الى الرباط حوير . . وهو اتجا
أخضر الجانبين أزهر . ولكنه فى « الصخيرات » حيث القصر الملك
يصير واحدا .

وأهل المغرب لا يتكلمون على لافتات القماش .

وفى المغرب نهر أم الربيع ينحدر من جبال الأطلس ويصب
المحيط الأطلسى قريبا من مدينة « صويرة » .

ويبلغ طوله نحو ستمائة كيلو متر .

أنت أنت الله اله الناس .

وكل بلد تعزز بشيء من صنعتك وتبقى أنت بعد هذا الصانع الأكبر
والمنعم الأكبر على الإنسان في كل مكان وزمان ما أكرمك يا وهاب
وما أعظمك لك الملك وحدك .. ملك السموات والأرض في الدنيا .

ومالك يوم الدين أى العالم الآخر في استقطاب رائع لمعانى الشواب
والعقاب والحساب والجنة والنار ، في بلاغة منقطعة النظير .
ومالك هذه سيطرة كاملة تامة .

من أجل هذا كانت الفاتحة وآية الكرسي من آيات الكليسات
فأنت الله الذى لا اله الا هو (وحدانية) الحى (ومن عداك موقوت يموت)
القيوم الذى يقيم كل شيء فهو يحكمه ويملكه بالحكمة والعدل والعلم .
لا تأخذه سنة ولا نوم يقظة دائمة .. نوعية مستحيلة على غيره ..
حتى السنة - بكسر السين - لا تأخذه .

يملك من فى السموات والأرض (وبويه) .

من ذا الذى يشفع عنده الا بإذنه (ملك الناس . اله الناس) .
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم (محيط) .. ولا يحيطون بشيء
من علمه (كل شيء قاصرا أمامه .. ليس له كفوا أحد) .
وسمع كرسية السموات والأرض (هو فى كل شيء .. وفى كل
شيء تراه)

ولا يتوذه حفظهما (قادر) ..
وهو العلى (أعظم الرفعة) العظيم ..
ما أعظمك وما أكرمك ..

أبريل سنة ١٩٨٢

الرباط

- الطريق الى الرباط حرير اوتوستراد أخضر الجانبين أزهر .
- وتقع فيه أو عليه « المحمدية » حيث مصانع تكرير البترول .
- وفي المحمدية ، فندقان ، أحدهما الميرديان .
- وبيوتها قليلة الطوابق ذات طابع واحد وببيضاء أيضا . . فلما يزاحم ، اللون الأبيض ، فى المغرب ، لون آخر .
- رأينا فى طريقنا نهر « أم الربيع » ينحدر من جبل الأطلس ويصب فى المحيط الأطلسى قريبا من مدينة صويرة وطوله نحو ستمائة متر . والنهر فى المغرب يطلق عليه « الوادى » .
- كل بلد يعتز بعطية من عطايك . . من صنعتك . . وتبقى انت يا الهى بعد هذا الصانع الأكبر والمالك الأكبر والمتعم الأكبر على الانسان فى كل مكان وزمان . ما أكرمك وما أعظمك لك الملك ولك النعمة .
- « الصخيرات » حيث القصر الصيفى للملك . الطريق هنا يصبح واحدا . . بعد قليل رأينا المحيط الأطلنطى .
- ها مدخل الرباط عمارات جديدة مستديرة . الفتحات أنصاف دوائر . . الطوابق محدودة . . اللون أبيض عاجى . والطراز الدائرى طابع الرباط .
- الرباط هى العاصمة الادارية حين تشكل « الدار البيضاء » الدار البيضاء الاقتصادية .
- فى مدخل الرباط محطة عامة للسيارات ومثلها فى وسط المدينة حتى لا يشغل الزحام ، المدينة .
- وفى الرباط حديقة للحيوان وحديقة عامة كبيرة والشوارع خضراء ظليلة ينعم بعضها بجريرتين كليهما ذات صفين من الأشجار .

أهم ما لفت نظري سور المدينة . سور قديم يحيط بها . باب
الروح شبهته ابتنى بشارع الشانزليزيه وفي آخره قوس النصر
وتذكرت أسوار القاهرة وما وصلت اليه .

السور له أبواب وقد احتوى المدينة حتى القصر الملكي . وقد
ترك السور بدون طلاء احتراما للقدم .

بوابة أو باب السفراء فقصر الملك مسموح الدخول منه . على
اليسار بيوت الحاشية وزارات . وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
وزارة الصناعات التقليدية . الأسماء عربية صراح . وتذكرت موجة
الأسماء المستعجمة عندنا حتى الأسماء الشعبية لبست القبة فوق
اللاسة . فقرنى ، كرونيك ، وازينهم (ارتيزان النح .

مرنا برئاسة الوزراء . العمارة على الطراز الأندلسي أى المغربى
فعمارة الأندلس هى المنقولة عن المغرب وكم بالرباط من فليات أندلسية
أى مغربية .

وفى القصر مسجد أهل فاس . وفى القصر حديقة عامة .

جنود الحرس فى الزي الأحمر .

سور القصر مصمت ولكن الأبواب مفتوحة .

وفى الرباط المدينة الرباعية الخضراء تستدير الأبنية : البوابات
والشرفات والنوافذ . حتى مدينة شلا وهى رومانية أصلا ثم أخذها
الفتح العربى فاستدارت البوابات فيها وفى الرباط نهر « أبو رقرق »
وهو ضيق كثرعة .

وفى الرباط « صنعة حسان » أى منارة .

ومن معالم الرباط « ضريح محمد الخامس » والسور الفيروزي وهو
قطعة فنية . الحرس على الجياد . السقف من الخشب المذهب .
السلم الرخامى العريض . شرفة مستطيلة رخامية خضراء يطل منها
الزائر على الضريح الداخلى المجزع على أرضية رخامية سوداء وهو محاط
بالورد . وحوله كوردون .

الأرضية مرصعة بالصدف الملون كأنها مرآة .

ورخام الضريح منقوش كأنه دنتلا من الرخام .

الاعلام الحمراء ذات النجمة الخضراء فى سراريها حول الضريح .
فى كل جانب كبير ثلاثة أبواب وفى كل جانب صغير باب واحد الأبواب
تفتح على المسجد الكبير الجامع للرجال والنساء .
لم ترتفع عيني من على الضريح .

القبة من الخشب المذهب « عجيبة » .

النوافذ من السيراميك والزجاج الملون .

الجدران من الفسيفساء والصدف يعلوها نوافذ شكلية من السيراميك
المذهب .

فى ركن الضريح شلته مربعة ووسادة حمراء يجلس عليها قارئ
القرآن وأمامه المصحف على كرسى المصحف . . يقرأ فى صمت لا ترى
ولا تسمع الا شفتين تتحركان .

النجفة من النحاس المشغول مضلعة تنتهى بنقطة تعلوها قسديل
مستدير يعلوه متوازى الأضلاع أو سداسى الأضلاع فى تواز .

الآيات أعلى الجدران الفسيفسائية . .

لكل أمة نظرتها الى الموت . . لقد تذكرت قبرا متواضعا يضم
عظيما شامخا هو الملك فيصل يبدو أن المغاربة تغلب عليهم ، مثلنا فى
مصر ، العاطفة فيسمونها أضرحة تتحدى البلى .

منارة حسان يتوسلون بالحبل فى الصعود .

انها بالاعمدة الرومانية تطل على المدينة .

مدينة سلا قديمة بيضاء وهى فى الحقيقة مدينتان : « سلا القديمة
على الشمال فوق ربوة ، « وسلا » الجديدة على اليمين فوق ربوة أخرى .

الشوارع فى الرباط كسائر المغرب نظيفة فى عين كل زائر .
النظافة طبيعية لا مستحدثة للزيارات الرسمية أو موكب جنازة الشاة .

ومن معالم الرباط شارع محمد الخامس وهو واسع فخم جميل
نظيف .

ومجلس النواب أمامه أقدم فندق اسمه « باليا » .

حتى الحى الشعبى بالرباط الأشجار على الجانبين .

حتى السجن أبيض وأمامه حديقة على ربوة .. حقا لن يغنى هذا
شينا عن الحرية ولكنه لمحة انسانية تكبر على الغضب والعقاب أو قل :
دمائة الأصيل .

بل ان « المذيلة » حديقة !! وتذكرت الحديقة العالمية « الأزيكية »
التي صارت اليوم مذبلة .

وبالرباط متحف « لودايا » انه متحف للتاريخ .. تعرض به
الأزياء المغربية على مسار العصور .. وكل قديم وتاريخ تطوره .

وفي المتحف ركن الموسيقى وبه أنواع الطبول والنفير . العود
الموجود قديم يحمل اسم صاحبه « سيدنا مولانا عبد القادر » العود في
المغرب يسمونه « كنبري » والصاجات الكبيرة - قرقيات أما الصاجات
الصغيرة فاسمها نواقيس .. والطبل : دربوكة . موسيقى الموكب موسيقى
هضابية . وموسيقى الآلة المسماة الموسيقى الأندلسية مجموعة من
أكمنجة ، عود ، ربابة .

وفي المتحف ركن موسيقى اقليم « سوس » .

وفي المتحف ركن يمثل « البيت المغربي » به صندوق الجهاز
« وصفه » لرب الأسرة ، ومنجرة ، وغطاء هرمي لحفظ الخبز والطعام .
وأرائك ومعرض وسائل .

ونموذج لبيت آخر :

ركن به نموذج عروس باطيه . ركن به نموذج عروس فاسيه .

وخمار المغريبات يبدأ أعلى الفم وينسكب على الصدر . يبدو أن
المغاربة تغلبوا على مشكلة الثرثرة النسائية .

وفي المتحف أرائك تطل على المحيط يرتاح اليها ويرتاح عليها
الزوار يتناولون الشاي وقد انبسط أمامهم المحيط الأطلسي تحوم فوقه
الطيور البيضاء كالبيوت المغربية وقد فرشت الأرائك بالاصص والزهور .
تصور هذه الاطلالة على المحيط .

والشاي يقدم مع كوبين لكل شخص كوب للشاي وكوب فارغ للتبريد ؟ التعناع صحبه فى الكوب • أكواب الشاي قبل الحافة تستدير الى الخارج •

كل شئ فى المغرب رقيق ناعم •

سيارة تعليم كتب عليها • أيها السائق تذكر مرحلتك الأولى •
والمغربي من رفته ، ودماثته ، حتى حين يشتد غضبه ، لا يمس الآباء بل يقول على السوء : كلب على كلب •• ان السوء وحده يستحق اللعنة التى تنحصر فيه •

الدعاء فى المغرب رقيق : « دمت » •• « الله يعطيك الصحة »
« يطول عمرك » بدون شدة — ليس فى الدعاء المغربى ، أو منه ، « يوقف نموك » ، « يشفى الكلاب ويضرك » وان كانت هذه على سلاطتها صورة كاريكاتورية طعمة •

ومع هذا يرى المغربى وهو انسان رقيق ودود ، اللهجة المصرية ، عربية متحضرة •• ويرى مصر أم الدنيا •

مدن مغربية

رحلة المغرب

كانت زيارتي للمغرب في فبراير ٠٠٠ سالت المصريين الذين زاروا المغرب قبل في ذلك الوقت من العام ٠٠ وصفوا البرد والتبرد (بفتح الباء) والثلج ٠ احتل المعطف الثقيل جانبا كبيرا من حقيبتي فاذا بي لا احتاجه في الدار البيضاء والرباط فما بالك بمدن الجنوب ٠٠٠ في طبعنا التضخيم والتفخيم ٠٠ أو لعله دفع مصر يصور لنا كل جو خارجها قارسا ٠٠

لا تزال في الرباط حبت الأرض حمراء بجوز فيها الفاكهة ٠

أخذنا طريقنا الى فندق الفردوس لتناول الغذاء ٠٠ الطريق اليه صاعد في الجبل الى قمة يهبط بعدها في طريقه الى المحيط الاطلسي حيث ميني الفندق ٠٠ ولكن ما ان تدخله حتى تسلم القاعات به الى قاعات الى درج بعده درج ويظل المكان بعد هذا مطلا على المحيط من عل حيث تلال الزبد تتدافع نحو شرفتنا أو شرفة المطعم ٠ وأمامنا لا أقول تلال أخضر بل جبل مغطى بالخضرة كالجبال الأوربية ٠ كم بين المغرب وأوروبا في عيني ووجداني ٠

المطعم به حوض سباحة اذا نظرت اليه وحده رأيته جميلا ولكن اذا التفت الى المحيط ابتسمت ٠٠ ضاع المسكين ٠٠ حقا كما يقول مثلنا المغربي : (من قصد البحر ، استقل الساقيا) ٠

وتذكرني كلمة مسكين بطرائف اللهجة المغربية ٠ فكلمة « مسكين » تعني الطيب ٠ وقد حكى لي مضيفي المغربي انها امتدح يوما صديقا مصريا بأنه مسكين فسكت الصديق المصري وراح - المضيف المغربي يكررها حقارة به فاذا بالمصري يظهر عليه الضيق ويحتج بأنه ليس مسكينا بل مليئا ٠٠

وأدرك الرجل الطبيب أقصد المغربى فروق التعبير .

ومن هذه المفارقات كلمة العافية فهي فى المغربية معناها : النار .
وهناك قصة طريفة بطلها اللهجة المصرية هذه المرة . دعا مصرى لصديقه
المغربى على طريقتهما فى مصر : الله يعطيك العافية فرد عليه قائلا : تاكلك .
وضحكنا منبسطين فكل ما حولنا فى الحقيقة يبعث السرور .
المحيط الاطلسى يمتد أمامنا .. والزهور على مائدتنا جميلة والأرض تحت
أقدامنا فرشت بالموكيت الأخضر كأنه حشائش خضراء (جازون) .
حتى الزبدة حلقات على عرش من الخس .

وفى المغرب يطلقون على الزبدة المحلية : بنديه أى زبدة بلدى من
اللبن أما الزبدة المستوردة - فاسمها عندهم زبدة روقية .
المائدة المغربية متأثرة بالمائدة الفرنسية فالجبين بأنواعه يحتل ركننا
كبيرا فيها .

المطعم يتكثر بالوفرة فالنافورات أدوار والمشكاوات أدوار وبعده
الغداء حرصت على زيارة بلدة « قنطرة » حيث المصرى الوطنى الانسان
الدكتور سليم صبرى ..

- كيف غبت عن مصر عشر سنوات وأنا أعرف حبك لها !

قال :

- من جئى غبت وبعدت حتى لا أرى ما كان يفعل بها .. غبت حتى
لا أرى عذاباتنا وهى حبنا الكبير استقبلنا واستقبلناه كلانا رأى مصر فى
الآخر .. صدق انها حبنا الكبير ..

مكناس :

الطريق اليها صاعد فى الجبل .. والجبل مطرز بالخضرة .. منظر
لسنابل القمح . ثم شق الطريق ، الجبل .. الشجيرات صفوف صفوف
على الجبل متلاقية ومتوازية .. المرتفعات الخضراء على شكل الموج قمم
واستدارات . فى الجبل فى بعض مواضعه صخرى القلب لا يلين فلم
يقدر عليه الا التين الشوكى .

وفى « عين الكرمة » الأرض منقوشة بالبارز .

وبدت لنا مكناس مدينة بيضاء متربعة على الجبل .. مدينة ذات
طابع أندلسي لها سور ضخيم يشبه سور القاهرة الشمالى .

ومكناس مدينة اسماعيلية علوية .

وسور مكناس له أبواب .. ودخل السور سجن النصارى . وفى
السور أبواب تفتح على ساحات وقصور ومساجد وشوارع وملاعب
وحدائق وبحيرة يسمونها « المسبح » .

ومكناس مدينة مزدوجة : مدينة خارج السور ومدينة داخل السور
وفى مكناس ساحة المنصور .

وفى مكناس رأيت لافئة قماش فانزعجت ولما اقتربت منها رأيته
اعلانا عن معرض فحمدت الله وقاهم ربى شر نفاق ولافتات القماش ونجا
مصر ، منها فى وصمة فى التفكير والتعبير معا .

الشارع فى فاس به جزيرة أى حديقة فى الوسط ثم وصفان من
الأشجار على الجانبين . المدينة المغربية مدينتان : المدينة القديمة تحتفظ
بعطر العراق .. والمدينة الجديدة .. مدينة لا تنسلخ من القديم
ولا تتنكر له بل تحتفظ به على تطويره . وفى فاس ٣٥٠ مسجداً .

وفاس القديمة يحيط بها سور به مائة باب .

وسكان فاس ٧٥٠ ألف نسمة منهم ٦٥٠ ألف صانع يدوى .

وأهلها من اعتزازهم بها يرونها عاصمة العالم الاسلامى وعاصمة
أفريقيا السوداء .. وهى عندهم مدينة المؤتمرات .

وفاس بها مائتا ألف سقاية للماء أى نافورة .

وبها مقبرة للعلماء يثوى بها منهم ، ابن الخطيب وابن المحروق .

وفاس بها منزل ابن خلدون .

والمثل الفرنسى يقول : زر « فاس » ثم عد مرة أخرى وزر « نيس »
ومت بها .

وقد تأسست مدينة فاس على يد ادريس الثانى ٨٠٨ هـ .

والمدينة القديمة فى سفح الجبل من القرن التاسع الهجرى .

وتبلغ الكثافة البشرية فى المدينة القديمة ٩٠٠٠ تسعة آلاف شخص فى الكيلو المربع حين تبلغ ٤٨ فقط فى المدينة الجديدة !! يخيل الى من لو رأوا شبرا أو باب الشعرية فانهم يصعقون .

وقصر الجامعي أعظم فندق فى فاس .

والحي الشعبي فى « فاس » شوارعه ضيقة اقرب الى الأزقة وهو سوق المدينة يباع فيها سائر مطالبها من أطعمه وصناعات صغيرة . وبه سوق للنحاس وسوق للحبوب .

وبه مدرسة العطالين أسسها أبو الحسن الميرنى فى القرن الرابع عشر الهجرى وبها خمسة وسبعون بيتا للطلبة ومسجدا للصلاة .

وقد لفت نظرى فى سيرى أن حنفيات الماء مفتوحة على الدوام وسألت فكان الجواب « ما فى مشكل » أى لا ضير أو لا بأس .

وفى مدينة فاس أينما يمت وجهى قابلت « أم كلثوم » صوتا وصورة .. ويروى الحنين . هذا النهر من الجمال أعرفه .. فالنيل له روافد غنية .. هذا الصوت اللؤلؤى ينتمى إلينا وننتمى إليه .

وفى فاس ، سماحة الناس ترجمها العمارة المغربية بالخطوط الدائرية الطليعة .. والخط المستدير فيه احتضان وقد برىء من حدة الخط المشدود .

وفى فاس الجبل لوحة مرسومة .. وجميع الطرق بلا استثناء ، حرير .. سرت بلا حفر ، وطففت بدموع محبوسة على القاهرة على الجميلة التى ضيعناها ومن حقها أن تضوع ولا تضيع ..

انهرش بالشعب

رحلة المغرب :

فى قرية « ميريرت » من ضواحي مدينة « فاس » وكان الوقت عيد الملك يعلقون الأعلام الوطنية وباقتصاد ودون تكثر وشعارهم (الله . الوطن . الملك) وكم بين الله والوطن وبين الفرد كائنا من كان ولو كان ملكا يعلو رأسه التاج . . ورأيت على البعد ، بضع لافتات بسيطة . . فقلت فى سرى « لافتات أيضا » هل سقهم هذا الوباء ؟ وكان ألى لأنى أحب المغرب فرجوت له النجاه من داء يؤذى الحبيبة مصر .

وثناء هذه الثوانى اقتربت السيارة فانقشع ضيقى . . ان اللافتات المغربية القليلة تبارك - الوحدة المغربية واهم من هذا تسجيلهم عليها : (العرش بالشعب) . . . هو ، به وكل عرش لا يستند الى الشعب زائل ان الشعوب هى الباقية وهى مصدر السلطات جميعا .

وفى فاس كسائر المدن العربية القديمة عندنا وعندهم ، رأيت الكتاب والعريف وعصاه ، والصبيبة يتداخل بعضهم فى بعض وتدخل أصواتهم ، مثلهم ، بعضها فى بعض وهى بايقاعها النفيرى جزء من شخصية الزقاق الكائن به الكتاب .

وفى الطريق من « فاس » الى « مراكش » رأيت اكواخا متواضعة من قماش متواضع وعرفت أنها للرحل فى المنطقة . . . انهم يعشقون الجبل والصحرأ أى الحرية .

لقد افتقد المغاربة الجليد عامين . . وكانوا متلهفين عليه تلهف الحى على الماء مطرا أو جليدا أو فيضانا . . . ونزل الجليد هذا العام فشكروا زادهم الله نعمة .

ويتورد خد الجبل وهو حديد . . طبيعة ملونة مغندرة لها فى كل أوان وكل مكان ثوب ، يروع ويفتن . وتتبدى هذه الطبيعة وتتبعدد فى بلدة « خنيفرة » وهى مشهورة بجمال النساء ومنها الملكة .

وتأخذ البيوت في « خنيفرة » لون الورد محاكاة للجبل فيما يبدو .
الانسان ابن بيئته كأنهم يغمسون الفرشاة ذوب الحديد . حتى الحديد
يذب أمام الجمال .

مرة أخرى أقول الطرق كلها حريز في القرية كالمدينة ، . كل شيء
ميسور . . المواصلات واصله موصولة . . هذه الراحة تعمق في القلب
للبلد وأهله . ان السياحة ليست الفندقية وعدد الغرف . . السياحة طرق
ممهدة وموطاة الأكتاف . . مواصلات سهلة مسعفة . . تليفون دولي . . .
احترام التراث . . توقيير التاريخ . . حفظ الأثر . . معاملة دمثة . . احساس
بالتناسب والجمال فلا تركب الكبارى القبيحة بين المساجد الأثرية ،
ولا تبني المساكن الشعبية بما عليها أمام مسجد السلطان حسن . . آه .
كم أحمل لك وكم أحمل من أجلك يا عاصمة العواصم . . يا حبيبة
يا قاهرة .

في الطريق من « فاس » الى مراكش ، بعد ساعة بدأ الصعود في
الجبل . . المطر ينزل من السماء ومن الينابيع في الجبال . . البيوت
سقوفها مخروطية الملابس المغربية تنتهي بغطاء للرأس . . حتى ملابس
السهرة للسيدات التي لا تستعمل صاحبها غطاء الرأس . . ولكنه غدا
تقليدا في الزي المغربي . حتى في الجبل الطرق مرصوفة ناعمة نظيفة
مخططة .

ندف الثلج تطرز الجبل كأنها « القصب » .

وفي « ايفران » يلبس الجبل من الجليد فراء أبيض بفل .
العين يروعا حتى الشجر الذي تجرد من أوراقه ووقف أغصانا
راقصة . . أشجار تحيط ببحيرات الماء وتتفرع أغصانها في تشكيل يجعل
من الشجرة ورقة كبيرة .

وتناولنا طعامنا في فندق ايفران وايفران في لغة البربر تعنى :
الكهف مائدتنا تطل على الحديقة . . على مرأى منا البيوت ذات الشقوق
الحمراء وراءها جدار من الأشجار السرحاء وأمامها أشجار الأرز وقم
ناصعة يغطيها الجليد .

السقف نسيج مشغول والباب خشب مشغول .
الطبيعة مشغولة كأروع ما أبدع الفنان الأعظم .
السقف جمالون مغطى بالمرايا .

يكلم « ايفران » من يقول : سويسرا المغرب .. انها أجمل . لولا الحياة لطلبت الى رفيق الرحلة أن يسكت المذياع .. لقد كان يذيع موسيقى ولكنى أريد أن يعمق الصمت وارتشف وارتشف موسيقى الطبيعة .

الأرز يفترش بساطا ناصع البياض من الجليد .
هنا الله والانسان ...

لا يشوب هذا الصفاء ختل أو خبل .. أو جهل .

أكبر دليل على تحضر المغرب أن ليس به لافتات قماش تقطر نفاقا وتؤله الفرد ولو كان عتوا غشيما كافورا بلا مسك .

وفي الغروب كانت جبال الصخر على يسارى .. وجبال السحاب أمامى مفضضة وارجوانية .. الشمس جمرة ملتهبة كأنها قلب أطاع ، الخيام ، فخفق .. وفي ضرام الحب احترق .. وهذا شأنها .. فى كل يوم تهوى وتعشق .

أسرى وأسير الى مراكش .. المدينة الارجوانية . ومراكش لفظ بربرى من مقطعين « مر » ، « كش » أى سر سريعا لأن القوافل فى الصحراء مهددة بقطاع الطريق .

وكانت مراكش عاصمة السعديين فى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى وفيها اليوم مقبرتهم .

لقد انتصر السلطان أحمد المنصور الذهبى على الصليبيين فى معركة وادى المخازن بين العريش وطنجة بقيادة سياستيان ملك البرتغال وهذه المعركة تسمى معركة الثلاث ملوك (١٥٧٥ م) .

ومراكش الأرجوانية أو الحمراء ، خضراء الميادين والطرقات .
والنافورات فى المغرب ، معرض تشكيلي .

وكما أسس « فاس » الادارسة ، أسس «مراكش» الدولة المرابطية فى القرن الحادى عشر وأول ملوكهم يوسف بن تاشفين ثم خلفها الى « فاس » .

ومراكش منازلها مورسيكية لأى مزيج من الأندلس والبربر .
والبربر فى مراكش يشكلون ٦٠٪ والباقي من أصل عربى وصديقا

المغربى فى رحلتنا يردد انا بربرى اى من البربر ولا عليه فكل أصيل الى عرقه ، ينتمى .

وقد استوقفنى طابع المدينة الموحد مما لا يأتى صدفة أو اعتباطا
فعرفت أن الحكومة المغربية تلزم الناس فى مراكش بالطلاء الأحمر
تأصيلا لطابع المدينة .

والمدن الجبلية بعامة عادة حمراء انعكاسا للبيئة .

وتزهو مراكش بقصر البديع وهو فى رؤيتهم وقصتهم ، أحسن
ما يوجد فى العالم العربى والاسلامى فى القرن السادس عشر الميلادى .
ودخل ملك العلويين اسماعيل وخرب القصر ونقل نفائسه الى « مكناس »
عاصمة الاسماعيليين .

ويهود المغرب سلالة أولئك الذين فروا من اسبانيا فى القرن
الحادى عشر .

وفى مراكش مسرح للفلكلور الشعبى المغربى .
وفى المغرب سمعت بأذنى القرآن الكريم مرتلا وسرت فى سمعى
القاهرة وهى تجود وتجيد .

المغرب جنات وعيون الأخضر يغطى السهل والجبل باستثناء الشوارع
وبالطبع والجمال فى المغرب يثرىنى ويزدهينى فأقول فى نفسى : كل
هذا الجمال لنا أبناء الوطن العربى الكبير . ان اسرائيل التى تؤرقنا
فقاعة لولا أمريكا التى تقف وراءها بقوى الشر أسلحة وانحيازاً أسمع
أذان العصر . وجدت الكلمة التى أبحث عنها :

الله أكبر

مايو ١٩٨٢

مراكش

حرصت على زيارة جامعة مراكش .

الطالبات المغربيات يلبس البنطلون أو الزى المغربى وهن حاسرات
الرهوس ولكن الوجوه على طبيعتها لم تلتطخ بالأصباغ .

انهن طالبات فحسب واحترمنهن كثيرا .

ان موسم السياحة فى مراكش من فبراير الى مايو . . ربيعها
وتأتيها شركات سينمائية وبيوت أزياء .

تأسست (مراكش) سنة ١٠٦٠ حين تأسست (فاس) سنة ٨٠٨
أسسها ادريس الثانى .

وفى فاس جامعة القرويين أسستها السيدة فاطمة الفهرية وهى ثرية
من القيروان عاصمة تونس سنة ١٠٧٠ فى عهد المرابطين هذه السيدة
هاجرت الى فاس وعاشت وماتت بها .

ان جامعة القرويين يده من أيادى المرأة العربية .

والسيدة المغربية تلبس اللثام وأخرى تركب دراجة . انه حكم
التطور .

وفى المغرب يسمون مجلس السمر « مشخرة » ولعلها أصل للكلمة
المصرية : فشخرة بعد الاعلال والابدال .

ومجالس الظرفاء فى المغرب تسمى الحرافيش ولعل هذه التسمية
انتقلت اليها أيضا . ومجالس الفكاهة فيها « تكثر » وكاريكاتير قائم على
المبالغة .

طرق مراكش مستقيمة فى طنجة الطرق صاعدة وهابطة وفى
« مكناس » أيضا .

ولمراكش سور يبلغ طوله ١٢ كيلو مترا .

وأكبر الشوارع فى مراكش شارع المنارة •

وتكاد مراكش أن تكون حديقة كبيرة فالفنادق لها حدائق غناء
والقصور حدائق والميادين حدائق حتى المقابر حدائق أيضا الحدائق المغربية
حدائق حقيقية لم تصوح أشجارها ولم تغرس فى قلبها شوكة من الطوب
تسمى بوليس النجدة ومنه نستنجد •

وفى مراكش خمس مطارات دولية فى « الدار البيضاء » ومراكش
وفاس وطنجة والرباط •

حديقة المنارة :

الحديقة الكبيرة بها خمسمائة شجرة زيتون والنخيل من أثر
المرابطين كصحراويين وهو عندهم بركة •

أسست الحديقة فى دولة الموحدين فى القرن الثانى عشر وباقية
زينة ومفخرة للمدينة بينما الأزبكية التى تأسست فى القرن التاسع عشر
أزيلت ليقوم على أطلالها مبنى بوليس النجدة •

تصل الحرارة فى مراكش الى ٤٥ درجة فى الصيف ان المدينة تقع
فى الجنوب وفى الداخل •

وفى مراكش أيضا حديقة الأجدل وهى أكبر من حديقة المنارة
تأسست فى القرن الثانى عشر من أثر الموحدين • وبها زيتون ونخل
وبركتان •

والخديقتان (المنارة والجدل) عامتان ومع هذا لا ترى بها ورقا
على الأرض أو بقايا طعام مع الفارق بين مراكش والقاهرة مساحة وعددا
وقدما ولكن كان المرشد الذى يرافقنا مرشدا جويا فيما مضى وهو يجيد
أربع لغات •

ومراكش تحتفظ بآثار حكامها فمن أعمال الموحدين حديقة المنارة
وحديقة الأجدل والجامع وجامع الكتبية •

ومن آثار السعديين قصر البديع والقبور •

ومن آثار العلويين قصر البهية وقصر دار سيدى سعيد •

ومن آثار المرابطين : الأسوار •

وفى مراكش نزلنا فى قصر المامونيه وهو قصر من القرن السابع

عشر ويقترن هذا القصر بأسماء الملوك حتى بات معلوما ان هذا الجناح
نزل به هذا الملك أو هذا الأمير .

كما تقترن مراكش بمسيرة الصحراء سنة ١٩٧٥ حيث سار ٣٥٠
ألف يحملون القرآن واستردوا الصحراء المغربية من اسبانيا وموريتانيا
ولهذا يسمون مراكش باب الصحراء ويسمون هذه المسيرة : المسيرة
الخضراء .

وأكبر ثلاث عائلات من البربر :
الصنهاجة ومنهم المرابطون .
مصدرة .

زنانه ومنهم الزناني بطل القصة الشعبية الذائعة بيننا وأجمل
ما شدنى فى مراكش شجرة اللوز انها رقيقة قواما وأغصانا وزهرا
تمليتها فى طريقى الى وادى ديوريكا حيث تناولنا الغذاء فى مطعم صاحبه
أجنبى لقد ركز علينا من بين الرواد نظرات نافذة وكلما وقعت أعيننا
عليه تشاغل تم أخذ يسارقنا النظر من جديد وعند خروجنا ودعنا حتى
باب السيارة وقدم لى ولابنتى زهرتى الكلا ووقف حتى غادرت السيارة ،
المكان .

وفى مراكش جبل أطلس بلونه الوردى ومنه بيوت مراكش كما
تحتتم البلدية ولهذا تدعى مراكش الحمراء .

فى البلاد العربية ألفاظ كثيرة مستقاة من الجذور العرقية كالبربر
فى المغرب . وهذا سر غرابتها عندنا . وفى مصر ألفاظ كثيرة فرعونية
لكن اللهجة المصرية بكاملها مفهومة لذيوع صحافة مصر وإذاعتها وكتبها
وأفلامها وفنونها المسموعة والمرئية .

وفى المغرب وادى أم الربيع أى النهر أو الربيع فالوادي هو النهر
فى اللهجة المغربية .

وبالمغرب أربع وديان أى أربع أنهار يتراوح أطوالها ما بين ٥٠٠ -
١٢٠٠ كيلو مترا وأعلى جبل بالمغرب جبل طبكال بالأطلس الكبير وارتفاعه
٤١٦٥ مترا . لكأن مضيق جبل طارق شطر المغرب عن أوروبا .

وفى المغرب تناولنا طعامنا مرة فى مطعم رومانشو لكى نصله دخلنا
قلب جبل الأطلس الى مسافة ٣٠ كيلو مترا ان قلبه بعيد الأعماق .

السحاب والجليد كلاهما يجعل الجبل مخمليا اذ تختفى صلابته
وصخريته تحت تراب الحديد هذا التراب الذى يستعمله سكان مراكش
منازل الاسمنت . ابدا يبدو بيوت المدينة كأنها قطعة من الجبل .

الجبانة فى مراكش يسمونها باب الرب .

الانسان يتحايل دائما على الموت فيسميه بغير أسمائه فى محاولة
استمالة اجبارية له .

ومن السحائل على الموت ، حلم الانسان بالخلود .

وكازينو مراكش حديث البناء والآثاث والأسلوب ولكنه بعد
البرنامج الأوربي من موسيقى ورقص - يقدم الفولكلور المغربى كما يقدم
العشاء المغربى .

والنمر التى رايناها ألعاب سيركية تؤديها مجموعة متفاوتة الأعمار
معهم رحلان فى سن متقدم مسكين الانسان اذا اضطرته لقمة العيش أن
يعمل فى سن الراحة : ببلوانا أو أى عمل شاق أو صغير صغير القيمة أو
صغير الوسيلة .

ومن النمر (رفاعى ثعابين) .

ومن النمر رقصة للجنوب ورقصة للشمال .

ثم الراقصة الشرقية المعهودة وقد لاحظت ابنتى أن الراقصات
الشرقيات بالمغرب لا يبتسمن أبدا وانهن أقرب الى الاكروبات منهن الى
دلال الراقصة الشرقية وأنوثتها المتدفقة .

وفى الليلة السابقة تناولنا عشاءنا فى مطعم الفردوس هو مغربى
من قسة رأسه الى أخمص قدمه مغربى بطراز وطعاهم وفرقتهم الموسيقية
وغنائهم ورقصهم . ويعج بالأجانب الذين لا ينسون فى بلادنا العربية آلات
التصوير التى يظنها أهلنا الطيبون تحية لنا مع أن لها فرضا خبيثا .

وفى مراكش زرت من آثارها (دار سعيد) وهو وزير مغربى عاش
فى أواخر القرن التاسع عشر . كان نائبا للحاكم .

استرعى عيني أن الحلى محفوظة لم تنهب . . الأواني . . الأسلحة .
الملابس - الآثاث - السجاجيد الأزياء . . حتى كيس الحبوب . . حتى
الإحذية .

كنت صغيرة ، مصر توحشني ولكني الآن نجوت من أشواقى بعد ان
ملأت على كياني ٠٠ فى كل نبضة ٠٠ فى كل قطرة حتى أصبحت
خارجيا أراها هي وكل ما عداها خلفية لها .

نسيت أن أقول ان قصر البديع نهبه حاكم ولكنه لم يختف بل نقل
الى مكان آخر وآل فى النهاية الى صاحبه الحقيقي : البلد ٠٠ المغرب .

قطعت السيارة من مراكش الى الدار البيضاء شوطا من طريق أخضر
تحف به الأشجار من الجانبين ويبدو أن رفيق الرحلة المغربى لاحظ
اعجابى الصامت بالبساط الأخضر وغابات الشجر فقال : ان ما ترينه
كان صحراء ثم شجرناه وفى المغرب يوم (التشجير) يحل فى ١٢ فبراير
من كل عام قوامه الشباب حتى يسهموا فى بناء بلدهم .

وفى الطريق مررنا ببلدة صغيرة تسمى : الخنفرة وهى معروفة
بجمال النساء ومنها الملكة .

وفى مصر الخنفرة مقرونة بالبرد .

واذا كان الجمال يشيع الدفء فى القلوب ، والمشاعر ، استطعنا أن
نضم الكلمة الى ألفاظ الأضداد .

الجبل فى المغرب خطوط ومصاطب خضراء ، ومن حين الى حين نرى
فى الطريق لا سيما قرب القرى ، قبة صغيرة لشيخ يتبرك به الناس ان
الانسان هو الانسان فى كل مكان ٠٠ حتى بعد الأديان .

وقد هبطت الأمية فى المغرب الى ٢٠٪

الاسعار فى المغرب مرتفعة وفى المغرب : سائلون ولكنهم أفراد
قلائل . وهم صامتون يقتربون منك على استحياء لايسألون الناس
الحافا .

و « المنادى » أعنى منادى السيارات فى المغرب ، انسان رقيق وديع
مستعد لارشاد سيارتك أعطيته أم لم نعطه فهو يؤدى عمله بالقدر نفسه
من الحماسة .

وتشتهر المغرب بصناعاتها الجلدية • وفرنسا تحرص على لون معين.
من الحقائق سخى الجلد جدا وتطلب أن يوضع عليه حرف ٨ علامه
كارتيه Cartier لتبيعه في فرنسا والعالم باسمها وهو مصنوع
في المغرب ، كما يأخذ الغرب وخاصة أمريكا السجاد اليدوى الفاخر من
مصر وتسوقه على أنه سجاد عجمى !

نہیں

حين يرتفع الانسان عن الأرض

فى الطريق الى لندن لحضور المؤتمر الاسلامى بدعوة منه .

من الطائفة رأيت جزيرة كريت ثم اسطنبول ثم جبال الالب يغطيها الجليد . . تطيب الرؤية الجامعة من الطائفة فى معالم الطبيعة حيث تؤدي الشمولية . . بل قد يفضلها المشاهد حيث تختصر المساحات ان البلاد من الطائفة خريطة حية ملونة . . أما حين يكون الانسان جزءا من المراتب ، فلا يغنى البعد لأن الانسان بأصغريه . . الانسان ليس حجما ولكن دقائق وحقائق . . الانسان لمسة عين ، ونظرة قلب ، ورؤية حركة ، ورقة احساس ، وخفة ريح ، وعذوبة روح ، وخفقة حب ، ودقة شعور ولمحة ذكاء ، ونفحة عطاء . . الانسان رنة صوت ، وتعبير صمت ، وصمت كلام .

من الطائفة رأيت سويسرا حيث جبال الالب ، مساحات خضراء وفى مصر الوادى يزحف الطوب ، وتسفح الخضرة ، ويذبح اللون الرواح حتى لا يرتاح ذلك الشقى . . أعنى الانسان المصرى .

سويسرا من الطائفة كاروهات خضراء وصفراء تتخللها خطوط زرقاء هى البحيرات والعيون .

وفى الطائفة قرأت فى صحيفة الديلى ميل ، صرخة تدعو الى تدارك هذا الجيل من الشباب . . يدعو فيها كاتبها Neil Kinnock الى أن يكون فى كل مدرسة ثانوية ، مدرس على الأقل مهمته تدريس مواد السلام Peace Studies وبث السلام فى النفوس والدعوة اليه فى جيل يتنفس الحرب ويعيش الاستعداد للحرب .

لعلها صحوة من أوروبا التى جرت العالم الى حربين عالميتين فى ربح قرن ولا تزال تروعه بالحروب الباردة وباختراعات القنابل الذرية فالنووية . . الخ وسائل التدمير الشامل لكل ما أبدعه الانسان فى عمر البشرية كلها .

وفي الطائرة قرأت في مجلة British Airway high life موضوعا عن اللؤلؤة أو الجوهر اللؤلؤي أو كما يسمونه The Gentle Jewel ومن طرائفه بعد أن استهله بقله : (لست في حاجة الى ابتلاع اللؤلؤ ولو أن كليوباترة فعلتها فقد ذوبت اللؤلؤة في الخل ولزدرتها دفعة واحدة .

✳ تتكون اللؤلؤة حول حبة رمل في بطن الودعه .

✳ اللآلئ ، لجاذبيتها ، أطفال الطبيعة Natures children

✳ حين يتحدد لبس الماس بالنسب الرشيد فان لبس اللؤلؤ تستطيع الكهلة وحلوة الثانية عشر .

✳ لقد استطاع اللؤلؤ أن يهدي ويغالي به منذ خرجت الهة الحب « افروديت » من محارة .

✳ اللؤلؤ في بريطانيا له سمعة ملكية فالملكة اليزابيث الأولى جلست للبورترية في حلة نثرت عليها اللآلئ فجعلت الكنوز من البحر هواية البلاط المفضلة حتى الملكة فيكتوريا بصرامتها لم تستطع مقاومة فتح خزانة المملكة عند زيارة الامبراطورة أوجيني مع نابليون الثالث .

والملكة الكسندرا زوجة ابنها وضعت تقليدا للؤلؤ أن يحرم زوجها ادوارد لبسه على غير الملكيين في الحفلات الرسمية .

✳ وعندما تزوج الأمير تشارلز سببحت كاتدرائية سانت بول في ضياء لؤلؤى وعروسه على جيدها عقد من اللؤلؤ سافر معها الى شهر العسل .

✳ وقد جعل ذبوع الرومانسية في القرن الثامن عشر ، اللؤلؤ ، أحب الأحجار .

✳ لقد حارب الانسان من أجل اللؤلؤ (الذي أحضره بومباي الى روما بعد انتصاراته الشرقية وحارب الناس باللؤلؤ لانه كان يلبس في المعركة كدرع ومات الرجال من أجله خاصة في حركات المقاومة الأولى من أجل نقل الهدية الثمينة من سرير البحر .

ومنذ ثمانين عاما استطاع أحد الصيادين اليابانيين أن يشق

محارة ويكتشف أن الطبيعة بطنتها بمادة Nacrous تحيلها الى لؤلؤة .
وهنا بدأت ثورة اللؤلؤ المزروع Cultured Pearl تغير سوق الصياغة
وتمقرط اللؤلؤ فغدا اللؤلؤ الذى كان قاصرا على الملوك والنبلاء فى حوزتنا
جميعا ان الكلمة الاغريقية Pearl تعنى النقاء الكامل ولكن اللؤلؤ
الصناعى المطروح الآن لا يبلغ نصف هذه الحقيقة .

ان الحياة الجنسية لمحارة اللؤلؤ عمل كبير حاشد لأولئك الذين
يقومون على مزارع المحارات الساحلية .

ان مهد الرومانسية حيث تقبل الشمس شواطئ جنوب الباسفيك
ولكن محارة اللؤلؤ تتطلب أكبر كثيرا من شريك نمودجى وفندق ذى خمس
نجوم . انها لا تبالي الهزات والاثارة عندما يكون الحاصل بالببيض فى
أواخر الربيع . انها تحب أن تعيش فى درجة حرارة من ١٨ - ٢٥ درجة
نرمقا موجة حرارة أو موجة برد .

ان مزرعة اللؤلؤ فى الحقيقة باخسرة مجهزة مستشفى . وتطمع
المحارة وتسقى ويحسن أن تكون عند فتحة نهر ليحتفظ اللؤلؤ بنضارته
وبياضه .

ولكن الأنثى المدللة عندما تبلغ السادسة من سنيها تكون فى
منتصف العمر النسبى لنوعها . . وهنا يفقد لؤلؤها صقله وبريقه . .
فى سائر الكائنات ، التالى ، فى الشباب .

ويسيطر اليابانيون فى عصرنا هذا على مزارع اللؤلؤ حيثما كانت فى
اليابان أو استراليا أو جنوبا . . ان اليابان تصدر ما قيمته ٢٥٠ مليون
دولار سنويا .

ان اللؤلؤ زينة للجسم نفسه . قد يصنع اللؤلؤ ملحمة بالمقابلة
مع القטיפه السوداء وكذلك مع الصوف والتويد ولكن أبسط وقفة له ،
تأتى من ذاته . . عندما يستلقى اللؤلؤ على رقبة عارية خالية .

ان اللؤلؤ يضىء ويتألق عندما يلبس وقد قبس من حرارة الجلد
ويتداخل اللؤلؤ بعد هذا مع الأحجار الأخرى عند الصياغة فى تشكيلات
مزدوجة ومجمعة فيزيدها بهرا .

لا غرو أن يكون الطريق الى الجنة ينتهى فى بوابات لؤلؤية .
No wonder that the road to Heaven ends in pearly gates.

الطائرة الآن نخلق فوق انجلترا .. انها مربعات خضراء وصفراء
وتبدو البيوت فى وسطها كأنها عقود منظومة من النظام فى الوضع
الأرضى لها ونظام الارتفاع المتساوى .
وعندما أمعنت الطائرة فى الاقتراب من الأرض عرفت سر العقد
المنظوم .. انه وحدة الطراز .. البيت الانجليزى ذى السقف الجبالونى
والحديقة الجميلة .. والبيوت على خط .. والخطوط خطوط .. آه ..
عيني على حبيبتنا القاهرة التى يعدو ويعتدى على جمالها كرنفال العمارة
والألوان .

باقى على الهبوط دقائق والمنظر تحتى يسبح فى ضوء الشمس
بشرى بجو دافئ فى انجلترا .. لقد زرت انجلترا فى أغسطس وكانت
الأمطار غزيرة ليل نهار .

فأخذ طريقنا الى مكتب الجوازات فى مطار هيثرو .. لا أصدق
عيني . لقد قرأت فى الطائرة مقالا عنه فى الديلى ميل يصفه الكاتب بأنه
أسوأ مطار فى العالم وأكثر المطارات تخلفا وأنه طراً عليه تحسن طفيف!!
ولكنه لا يزال سيئا .

ان ما أراه الآن قمة فى النظام والنظافة والهدوء .. هدوء المتحضرين
« المتخلفين » كل شئ يمر فى سهولة ويسر وسرعة فائقة التقطت
حقائبي ثم تحركت الى مكتب الاستعلامات لأسأل عن مندوب المؤتمر الذى
سيصحبني الى قلعة Faraham Castle حيث يعقد المؤتمر الاسلامى
وما كدت أسأل حتى وجدت قبالتى انسانا يحمل على صدره عبارة ترحيب
بى ويحمل بين يديه لافتة كبيرة عليها اسمى .. ولم أتم سؤالى بعد أن
أتانى الجواب .. كل شئ مرسوم فى دقة بالغة وفى احسن اساس عميق
بالمسؤولية .

فى طريقنا الى القلعة مررنا بمدينة صغيرة Town يطلق عليها
« فمبرا » بها جبل فى قمته مدرسة بنات وعلى بعد بعيد منها مدرسة
بنين ثم مدرسة مختلطة .

الشوارع نظيفة ناعمة ، الشمس ساطعة بل حارة .. أقولها أنا
بنيت الصعيد .

فى « فمبرا » الصغيرة ! كلية للتكنولوجيا Tichnical Collage
وفى فمبرا مطار حربى

وفى فمبرا مركز ضخيم لاختبار الطائرات .
ومكتبة يرجع تاريخها إلى سنة ١٨٦٠ م !!
وكنيسة كبيرة

وفمبرا بعد هذا فى عين سائق السيارة « مدينة صغيرة » !

ونذكرت الدكتور جمال حمدان حيث عرف الفرق بين
وال Town فى كتابه (جغرافية المدن) . بأن الأولى City
فيها كنيسة دون الثانية . . ولم أملك إلا أن أقول ان السائق أحد اثنين:
• إما أن يكون طموحا جدا فيرى هذا كله
• وإما أن يكون متواضعا جدا . . لأننى لا أملك فى المقابل إلا أن أثق
فى علم الدكتور جمال حمدان .

كل شئ فى لندن يتمتع بالحرية حتى التاكسيات حرة فى اختيار
ألوانها ولكن الجميع يحسن استخدام الحرية ويرعاها .

وبعد « فمبرا » مررنا بمدينة أخرى يطلق عليها
Aldershot . . مدينة عسكرية . . بها مدينة سكنية للعسكريين ومستشفى ومركز
تسويق ومرافق كثيرة . . وابتسمت وأنا أسأل السائق هل هذه أيضا
مدينة صغيرة ؟ فقال ! ' in between ' انها فى نظرة « بين بين » .

وبعد (الدارشط) وصلنا قلعة فاران
Farham Castle .
انها قلعة .

قلعة بنوافذها الحديدية العالية . . قلعة بسراديبيها ودهاليزها
التي توقع الذكي لا العادى فقط فى الحيرة والارتباك والتهيه .

قلعة بلوحاتها القديمة وسقوفها العالية وأدوات الحرب المبتوثة فيها
هنا وهناك وساعاتها العتيقة ودرجها الحلزونى وحجرات نومها الخالية
من الوسائل الحديثة الترفيهية ، بل والضرورية . . ليس هناك حجرة
بها تليفون أو تليفزيون أو حتى راديو أو حتى لمبة كبيرة لأعوض بالقراءة

وسألت مسئولة فى جهاز ادارتها فقالت ان هذا مقصود لأن هذه
القلعة للمؤتمرات . . وللقراءة والمحاضرة قاعات . . أما الحجرات فللنوم
فقط مما ينتفى معه وجود ضوء قوى أو مدعاة للمسهر كالتليفزيون أو مصدر
صوت كالتليفون .

منطق .

ولكنني عوفت قسوة الحبس الانفرادي . . حتى ولو كان في حجرة
نظيفة بقلعة فاران .

أما المؤتمر الاسلامي فمن حقه أن يفرد له الحديث .

أبريل ١٩٨٢



International Organization of the Alexandria Library (GOAL)
المنظمة الدولية لأكاديمية الإسكندرية

المتحف المصرى *** فى لندن

كالمسلة فى ميدان الكونكورد فى باريس ، المتحف المصرى فى لندن، قلب المصرى معلق به ، يهفو اليه مهما بعد الزار . . . واستشرفت اليه . . . ورفرفت روحى عنبه . . . وتحت وابل من المطر بلغته . . . واحنوانى واحتويته . . . كان رفيقى أديب عراقى . . . بدأنا الجولة فاذا! بالقسم العراقى على اليسار قاعة مربعة صغيرة أشبه بحجرة حين ضرب المتحف المصرى بسهم وافر فى المكان . . . انه المتحف المصرى فى بريطانيا لا المتحف البريطانى وكل ما عداه اضافات متواضعة .

هل نغتبط أم نأسى ؟ فما أراه ان دل على الوفرة والغنى الباذخ . فهو فى الوقت نفسه يدل على النهب الذى تعرضت مصر له فى غفلة من الزمان وغفلة أسد منا .

قال الصديق الأديب « اتسرقتم كثير » ولم أحر جوابا . . . ماذا أقول؟ حتى لو كانت هذه الكلمة تغطية ذكية لتواضع الأقسام الأخرى الى جانب المتحف المصرى .
وبدأت . . .

تفتح كيانى كله . . . عيني تلمس ويدي ترى وقدمى تغدو وتروح ثم تتسمر أمام رائعة من الرائعات . . . وأشدها بصعوبة لتتسمر من جديد أمام رائعة أخرى وأترشف الروعة وأعجب منها عللا بعد نهل فما أروى على كثرة العب وطول الرشيف .

وأمام رمسيس فى سموحه الدائم فقد ارتفع فى المتحف على قاعدة عالية جدا حتى يشرئب الناظر اليه . . . أمام رمسيس بوجهه المصرى الملكى وجهه الظافر الفائق النعمة الذى تشع السعادة من عينيه ووجنتيه وكأنه يقول لساعته (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) . . . آية . . . كل مصرى حتى ولو كان بسيطا متواضعا ، يقولها بغير حروف . . . ان الانتماء اليها ، وحده ، الغنى الكامل والعز الكامل . . . فما بالنا اذا قالها رمسيس أو مرنباح أو غيرهما من أبناء الشمس ؟

أنهار من الماء بجري من تحته فى مصر وأنهار من البشر نجري من تحته فى إنجلترا ٠٠ وهو من عليائه ، بهذه الأنهار ، هنا وهناك حقق الخلود الذى يبتغيه ٠٠ ما عليه من ألوف السنين ٠٠ ألم يستقبل فى فرنسا بالتحية العسكرية والسلام المصرى ٠٠ ملك الملوك غائبا وحاضرا

ويبدو أنى قلت هذا بغير حروف قلته بكيانى كله فقد صاح الصديق العراقى : ما أسعده ٠٠ انك أمامه تهتزين حبا وزهوا وقد استعصيت على الحاكمين أحياء ٠٠ ونسى الصديق ، الفرق ٠

حجر رشيد على قاعدة ٠٠ وعلى الجدار علقتم لوحات كبيرة تراجع بلغات شتى ٠٠

ولكن حجر رشيد على ضخامته قد يستطيع نقله ولكن هذه الأعمدة الضخمة هذه التماثيل الفخمة ٠٠ هذه الجداريات التى تلف الجدران من جهاتها الأربع فى قاعة الموميات التى تبلغ ضعف مثيلتها المصرية !! هذه التوابيت ٠٠ كيف نقل هذا كله حتى ولو كان أصحابه يغطون فى نوم عميق ؟

لم أعجب بعد هذا من الحشد الحاشد من الحلى والتماثيل الصغيرة وأدوات الحياة اليومية والمفارش وأتواب الكتان والآلات الهندسية وروائع الكريسمال الأبيض والوردى لتمثال الالهة نفتيس والألبستر والأماست والنحاس المشغول واللوحات المنسوجة وفرائد العقيق والفيروز والذهب ، انها أسهل حملا ٠٠

وحول هذا أطفال وشباب المدارس يرسمون ومن ورائهم أساتذة يشرحون ويوجهون ٠٠ وأسمع ٠٠ تحية لى غير مقصودة والانسان لا القوانى وحدهن ، يغره الثناء حتى ولو كان بالتبعية لمن يحب ٠

والمتحف المصرى فى لندن موضوعات قائمة فى أركان كاملة فى وجهات زجاجية كبيرة مدرجة موزعة الاضاءة لتبرز المعروضات النور والظلال ٠٠ وقد كتبت فى أعلاها عنوانا جامعاً للموضوع المعروض مثل (الغزل والنسيج) ، (السحر فى الحياة اليومية) ، (الخدم فى أعمالهم) ، (الطعام والشراب) ، (الإبحار) ، (الزراعة) ، (الأسلحة والحرب) ، (الأسلحة والصيد) ، (المصاييح) ، (الشمعدانات والمسارح) (الموازين والصنوج) ، (النحاتين والفنسانين) ، (الألوان) (الأقاليم والفرش) ، (الفنانين واليدويين) ، (الاثاث) ، والكرسى أرجله رأس بطله والكرسى المتوازن والكرسى سفنح ويغلق ، (السلال

والحيال) . (مساند الرأس) (البيوت والبناء) ، (العمل فى الأحجار) ،
(الأحجار منذ ٣١٠٠ سنة ق.م) ، (الأحجار ٢١٠٠ سنة ق.م)
(الأحجار ١٥٠٠ سنة ق.م) الى الاحجار ٢٠٠ سنة ق.م) ، (الأدوات
الحجرية) ، (الأدوات البرونزية) (الأدوات الهندسية) ومن
أروع ما راعنى وأسرنى فى هذا المتحف موضوع لم يعطوه عنوانا وان كان
أرق وأرقى الموضوعات . . انه فى نظرى : « الحنان » ركن كامل للعظيمة
« ايزيس » مع حورس .

تمثالها وهى تستقبله وليدا وقد أشرق كيائها كله . . أم .

ايزيس وحورس بين يديها عقب ولادته وقد ضجكت عينها وشفتاها
ووجنتاها ويدها . . زغرد كيائها كله . . كدت أقول لها ان لم أكن قلتها
بالفعل . . « مبروك » وحمدا لله على السلامة .

ايزيس وهى تهم بارضاع حورس فتختبر اللبن فى ثديها .

ايزيس وهى تضمه وتسكب فى فمه نفسها مع اللبن .

ايزيس . . وهى تحمله . . وهى تضمه . . وهى تهدده . . وهى
بجمعها بين يديها .

ما أروعها . . ما أرقها . . ما أشفها ، ما أطعمها . . ست الستات .

ووقفت طويلا أمام الجميلة هاتور . . واكتشفت ان الجمال ليس فقط
فى وجهها وقامتها ووقفاتها ولكنه أيضا فى حركة جميلة من يديها وقد
صورها المنال فى وضع من تصف بدلال شيئا صغيرا « معندق » فصور
الكفين متوازيين فى غير تطابق وبينهما ارتفاع رقيق رشيق مثلهما . .
حركة هفافة رفاة سكره .

وتقسيم المعروضات (موضوعات) يعين المشاهد والدارس ويجلو
الأشياء بالتكامل والموضوعية . . وهو أسلوب يجدر بنا أن نأخذ به فى
هستنا الحاضرة لجلو المتحف والارتفاع به ، والارتفاع اليه .

لى كلمة بعد المتحف ، عن الفنادق . . كلمة ذات صلة بالحضارة .
الفنادق الكبيرة فى لندن مثل فندق تكتب أوراقها وتعليماتها بالانجليزية
والعربية .

ولقد سادت العربية أوروبا فى القرون الوسطى ابان ازدهار الحضارة

الإسلامية في الأندلس • والآن تسود العربية تجية للمال العربي • •
واجتذابا له •

كانت لغة العلم والفن • • فتعلمها الغرب ليلحق بأهلها في زهو
حضارتهم في الأندلس وفي مصر حيث أقبل الأوروبيون ليدرسوا الطب
بالعربية في مستشفى قلاوون •

أقولها بمناسبة قضية التراث والمعاصرة التي تشكل واقعا الآن •
ان الحضارات الانسانية موجات موجات • • وهي تتبادل للأخذ والعطاء • •
وما دمنا أعطينا في يوم من الأيام فنحن قادرين على العطاء • • والايامن
بالقدرة زاد على الطريق وتحضير أنفسنا لاعتلاء المسرح من جديد بلا استعلاء
أو استخذاء • • بل اقتداء بمحاولة أعانها الاصرار على الوصول •

أبريل ١٩٨٢

فرنسا

حوار علمي في موندبلييه

حضرت حوارا علميا منذ بضعة أسابيع رنبه معهد ميدياس بمدينة «وندبلييه في العاشر والحادي عشر من ديسمبر سنة ١٩٨٢ حول « حضارات شعوب البحر الأبيض المتوسط » وكان يرأسه الأستاذ الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وقد أعطاني هذا الحوار انطباعات شتى أولها :

الخوف على الانسان انسان الحضارات القديمة من التشكيك والنحديب وقد سبق لى القول ان الخوف عليه من الأساطيل فى البحر الأبيض ٠٠ ماذا يكون لو اصطدمت غواصتان نوويتان ؟ ان آثار هذا لا تحصى الا بعد ١٠٠ سنة .

الانطباع الثانى : هو احساس الشعوب بدورها بعد مسح الحكومات للعلاقات بين البلاد .

الانطباع الثالث : بقدر حاجة شعوب البحر الأبيض الى التنمية بقدر حذرنا منها فى صورتها الراهنة حتى لقد تساءل سائل ما هى التنمية ؟ ما مقياسها ماذا نريد منها ؟

وهنا أعلن الرئيس الدكتور اسماعيل صبرى بأن التنمية اذا أردنا ألا ندفع ثمنها غاليا يجب أن تكون نابعة منا ٠٠ تنمية بأنفسنا بإمكانياتنا لا بالنقطة الرابعة ومساعدات أصحاب الأغراض الخفية .

الانطباع الرابع : احساس الأعضاء بأن علماء البحر الأبيض اتصالاتهم بالشمال أكثر ولهذا ميولهم تدور بدورها فى فلك هذه الاتصالات وينبع الميول الاستجابة والنفع .

ومن هنا يجب أن تكون التسهيلات الممنوحة لعلماء وطلاب الجامعات فى البحر الأبيض وأطل فى المؤتمر سؤال اننا هنا فى الحقيقة نمثل المثقفين فقط لماذا لا تلتقى القطاعات الأخرى من شعوب البحر الأبيض بل بلغ الأمر أن أحد الأعضاء ، قال ان المثقفين أقل الناس استماعا الى الحضارات الأخرى .

لماذا لا يلتقى الطلاب والعلماء بل لماذا لا يلتقى انفلاحون من كل شعب ؟ ان الفلاح أيضا مستعد لسماع الآخرين فيما يتعلق بالزراعة على الأقل .

وهنا خطر لى خاطر ..

ان الانسان المصرى البسيط لو رأى العالم المتحضر لأحدث هذا له هزة بعيدة المدى .

ان المسئولين وزوجاتهم وحاشيتهم وموظفيهم كلفوا مصر رحلات وطائرات وعادوا كما ذهبوا لم يزيدها فى أنفسهم قيمة على الرغم من مكاسبهم الأخرى المادية . لم يرد البلد على خاطرهم ولو حدث لنقلوا اليه ما عنده المتحضرين وأول هذا احترام الانسان فلا يزيفون ارادته بالرقم الهزلى الذى غدا أضحوكة بين الناس فى مصر وخارجها . لو تكلم رقم ٩ الأعلن براءته منهم ..

احترام الانسان فلا يحملونه على النفاق بمكافأة المنافق وتقسيديم أهل الثقة على أهل الخبرة .

البسطاء اذا سافروا تعلموا جوهر (الانتماء) أو معنى الوطنية انه .حفاظة على الأرض وما عليها محافظة على الممتلكات العامة : على الشارع .. على الشجرة .. على النبات .. على النور .. على الماء .. على الحرية لأن الذى يسئ الى الحرية لا يستحقها ولا أقول يحرمها لأن الحرية حق وليست منحة قابلة للمنع والمنع .. للوهب والحرمان .

جوهر الوطنية محافظة على النهر الذى أكبره وأجله أوائلنا ولا تزال بعد الأديان تسميه النهر المبارك من اعزاز يقترب من التقديس .

جوهر الوطنية عدم بالوطن لا هتاف ، واحساس بكل شئ فيه وإضافة اليه نربأ على السلب وتعف عن النهب بالوطنية عطاء المال فى ابتار ، وعطاء النفس فى فداء .

حين سافر رفاة الطهطاوى لم يجمع المال بل جمع نفسه فى عملية صقل وتنقيف واختيسار وترجمة ولما عاد الى مصر غير وجه الحياة فيها . ذلك انه كان يحب مصر كتيبة فى أرضها .. كان ابنها عشيق ترابها فكانت شغله الشاغل فى الحل والترحال ..

حتى محمد على دمصر آماله فاقتربت البعثات عنده بنهضة مصر

ولا ينكر الا جاحد أو جاهل ذميم ان الرجل خلق بمصر صناعات وجعل لمصر جيشا وحقق لمصر انتصارات وجعلها فى موضع السيادة والريادة والقيادة حتى خافها الغرب والشرق وتآمروا عليه وعليها فكانت المؤامرة اعترافا بكاننها وطاققتها وقدرتها التى لا يحدها الا المؤامرة أو الخيانة .. حتى العقبات نتحداها مصر وكم اقتحمت العقبة وفى كل مرة يزول الشر عنيا ويذهب أعداؤها وتظل هى الباقية .

وسفر البسطاء يعلمهم احترام أنفسهم حين يرون الانسان المتحضر يعرف حقه ويقوم بواجبه فلا يباع ويشترى ولا يتقاهم لعملقه القزميه ولا يتكلم الا صدقا ولا يهدر وقتا أو دالا حتى الفراغ مشحون بالمتعة والقيمة معا .

وطرح السمنار أو الحوار من خلال السيدة كرلستيان سورويو وهى باحثة فى المركز القومى للبحث العلمى دور النساء فى البحر الأبيض المتوسط بصفتهم مواطنات - ما عدا الفلسطينيات - كما تقول فى رنة أسى لا تخفى ، وهى صرخة مكبوتة لعلها تنفذ الى ضمير العالم المتحضر لعله يتذكر شعبا انتزع من أرضه وألقى به بعيدا بلا هوية .

ومع هذا فاليهود فى مونبلييه على الرغم من وجود جمعية حقوق فلسطين بتأثير كثرة عدد الطلبة العرب وانضمام المنصفين من الفرنسيين اليهم ..

مع هذا اليهود فى مونبلييه لهم أثر وتأثير لتغلغلهم الاقتصادى وما يتبعه من قوة المال .. وبالتالى دورهم المحسوب فى انتخاب عمدة المدينة ..

وهناك اعتبار آخر أن اليهود فى الجنوب كانوا فى الجزائر أصلا ونزحوا منها على أثر عملية التحرير الجزائرية فهم يكرهون العرب .

واعتبار آخر أن فرنسا كانت قبل غزو هتلر لها تتعاطف مع النازية وتكره اليهود وتوقع بهم وتبذل الحال بعد اجتياح باريس ونشأة المقاومة الفرنسية على يد دييجول .

وغدت فرنسا اليوم تحس عقدة الذنب التى لا يفتأ اليهود أصحاب حائط المبكى يعمقونها . كل هذا مجتمعا ومتفرقا يجعل هواهم مع اليهود حتى بعد مذابح صبرا وشاتيلا التى لا يتجاوز الألم لها ، السطح ، الى الأعماق .

فى مونبلييه لم نغب القاهرة عن عينى لحظة ٠٠ أرى مسرح الكوميديا ٠ انه بامام صورة من الأوبرا المشتعلة ٠٠ وأتذكر ٠٠ أتذكر الأوبرا ودموعى عليها ومن خلال الدمع أرى بنت بلد أخرى فى ملاءها اللف تبكى منلى ٠٠ وكانت فى وقفها وموقفها أبلغ منى تعبيرا ٠٠ بكيت أنا لأن مصر علمننى فعرفت معنى الأوبرا فنا وقيمة ثم دخلت الأوبرا وساهدت روائعها ٠٠ بفدر هذا كله بكيت ولكن تلك السى لم نل شيئا ، يعنى بكاؤها شيئا واحدا هو نفديسها لهذا التراب وما عليه ٠٠ انه تبر فى عين الأصيل ٠

ورأيت القاهرة حين طفت بالأحياء القديمة فى « مونبلييه » وكيف يحافظ بلدية المدينة عليها كما هى ٠٠ حتى أعمال النظافة والترميم لا تمس الطابع الأصيل ٠ على كل معلم لافتة بالتاريخ والأحداث ٠٠ على كل بيت لافتة تحمل اسم صاحب البيت الأول ٠

لقد بلغ من اعزازهم للأحياء القديمة انهم يرفعون أسعار البيوت فيها الى حد لا يبلغه الا القادرون فغدت مهوى الأغنياء الذين يعتزون بالسكنى فى بيت قديم له تاريخ ٠

وقرأت هذا المعنى فى محطة السكة الحديد التى بنيت فى القرن التاسع عشر ٠ هذه المحطة عندما أرادوا ادخال القطار الشديد السرعة ٠٠ وما يتطلبه من أرضية عريضة استحدثوا الكثير فى المحطة من الداخل اما الواجهة فقد أبقوا عليها كما هى مع اعادة طلاؤها ٠

ان المباني الجديدة خارج المدينة ٠٠ وليس بينها على كل حال ناطحات سحاب التى تغزو القاهرة الآن وتزحف الى الاسكندرية أيضا حتى لا يبقى عندنا شئ لم يمسخه التشويه ٠

لم يفكر أحد فى القاهرة هل مرافقها القديمة التى نتعامل عليها الآن وهى التى أقيمت لنصف مليون فاذا بها تنوء باثنى عشر مليوناً تعداد القاهرة الحالى ٠٠ لم يفكر أحد من عباقرة الاسكان هل مدينتنا يناسبها ناطحات السحاب سكلا وموضوعا ٠ بل ان مونبلييه فى نزعة المحافظة على قديمها تقوم فيها الآن حركة بعث لتاريخها القديم ولغتها القديمة ٠

لقد كانت فرنسا باريس وما حولها أما الجنوب « البروفانس » بدءا من مرسيليا الى حدود إيطاليا غربا ٠٠ ومن مرسيليا الى مونبلييه

وما بعدها شرقا فقد ضمته فرنسا اليه بعد الحروب الدينية بين الكاثوليك
والهراطقة وما تخللها من مذابح .

ومونبلييه قبل هذا التاريخ كانت تتكلم الاكستانية (وهى فرع
من اللاتينية) . .

والآن بعد الأخذ باللامركزية يحاول عمدة مونبلييه وأهلها معا إبراز
شخصية خاصة لمدينتهم « مونبلييه » يحاولون العودة الى اللغة
الأوكستانية والملابس الشعبية وكل قديم لهم فى الموسيقى والمعمار
والثقافة . . يحنون الى الطعام التقليدى فى عملية خلق ذاتية متكاملة
لهم .

وقد لاحظت أن أسماء الشوارع فى مونبلييه مكتوبة باللغتين :
الفرنسية والاكستانية !!

وفى القاهرة تنتشر بعد الانفتاح (الغازى) من الغزو ومن الشوبس
معا الأسماء الأعجمية . حتى الأسماء الشعبية القحة لبست القبة فقرنى
قرنيك وعليش عايشكو ، وسيد ، سيدان . . هات يا زمان .

وفى مونبلييه رأيت طفلا فرنسيا فى الرابعة من عمره يحاول أن
يجلس على الزرع . فنهرته أمه وحذرتة أن يفعلها . ونظرت الى هذه الأم
أنفحصها . . كانت سيدة متواضعة لا أحسن أنها شاعرة أو حاملة مؤهلات
ولكن ما فعلته كان أسلوب ثقافة وتفكير تحضر .

راعنى فى مونبلييه ميدان جون جورس وهو مناضل اشتراكي
مشهور بل مؤسس الحركة الاشتراكية فى فرنسا حتى ان الرئيس ميران
عقب توليه الحكم سعى الى قبره يزوره هذا الميدان يأتيه المزارعون من
الريف فى السابعة صباحا يبيعون الخضر والفاكهة الطازجة حتى الواحدة
بعد الظهر ثم يحماون ما بقى فى عرباتهم ويكنسون الميدان ويغسلونه
بالماء الغزير بخراطيم تزودهم البلدية بها وطبعا بالميدان بلاعات مربعة
فلا يتركون الميدان الا وهو يشف من النظافة حتى اذا رأيته فى المساء
لا تصدق . وهنا ينشر فيه المطاعم والمقاهى المحيطة به ، لالكراسى والمناضد
لروادها طلاب العشاء أو طلاب السهر . !!

لا فرق يذكر بين مونبلييه أو أى مدينة فرنسية وبين باريس نفسها
الا فى المساحة والأضواء الرسمية فكل مدينة تتمتع بالمرح والسينما

وصالات العرض والموسيقى والمتاحف والفنون والفنادق والمستشفيات
والمجال التجارية الكبيرة والشوارع النظيفة والأحياء المتميزة والهدوء
والنظافة والجمال والثقافة .. ومن هنا لا تعاني العواصم من الاختناقات
والتهرؤات والهجرتين هجرة داخلية إليها زحفاً من الريف أى تعريف
المدينة وهجرة منها إلى البلاد الأخرى فى عملية استنزاف عقلى . كما
تكابد القاهرة .

لا أمل فى اصلاح القاهرة الا بإصلاح الريف ومدن الأقاليم ورفع
كفاءتها وإنسانيتها وتحقيق ذاتيتها ليعتز أهلها بها وتعتد هى بنفسها
فلا تكون هناك حاجة إلى النزوح منها إلى القاهرة التى شقيقت بما لا مزيد
عليه .

لن تجدى الكبارى والانفاق مادام الزحف مستمرا إلى القاهرة ولن
يثقف الزحف مادام الريف والأقاليم تعاني التعماسة والحرمان والفقدان
فى كل شئ .

ومونبلييه التى لا يتجاوز سكانها مائتى ألف نسمة بها ثلاث جامعات
غير المدارس العليا التى تعادل المعاهد عندنا وأربعة معاهد للبحث العلمى
أحدها لبحث مشاكل الزراعة بين التخلف والتنمية ومعهد جردات
بمونبلييه يجمع الأبحاث والدراسات على التكنيك الزراعى .. وغير قليل
من المراكز العلمية فى باريس تفضل الانتقال إلى مونبلييه بل انتقلت
بالفعل حتى غدت مونبلييه مدينة الجنوب مركزا علميا .

ومونبلييه بها الكثير من مراكز الاعلام الخاصة بالمرأة وحقوقها
وبالمدينة كثير من الجمعيات وبعضها يبدو لنا غريبا كجمعية مرضى الكلى
وجمعية محبى أسماك الزينة وجمعية آباء طلبة المدارس العلمانية وجمعية
آباء طلبة المدارس الدينية . الخ .

ويحمل هذا العدد الوافر من الجمعيات دلالتين : استنهاج إيمانهم
بالحوار واللقاء اثراء لأنفسهم ووقتهم ، والأخرى افتقادهم الانصال
الانسانى أو التعاطف .. فمريض الكلى مثلاً لا يجد أحداً يهتم بشكواه
ولا يجد جواباً لسؤال المريض يدفعه قلقه إلى الأسئلة ومن هنا يجد
طلبته عند مرضى الكلى أمثاله حيث يستمعون إلى التجارب المتماثلة أو
المتقاربة .

وفى مونبلييه وجدت خيمة كبيرة يجمعون فيها اللعب القديمة أو

التي مر عليها ثلاث سنوات يأتي الأطفال بلعبهم قبل عيد الميلاد ليهدها الى أطفال يفتقدونها وهناك رأيت عمدة المدينة بنفسه يشرف على تنظيم العملية .. ويتعلم الأطفال الاحساس بالجماعة وبالغير .. يتعلمون العطاء وهو قيمة خافية قبل أن يكون مادية .

ولو لم اكن مصرية لكنت فى غنى عن ذكر الحدائق المنتشرة فى المدينة لمتعة الأطفال والشيوخ ولكنى أركز على هذه النقطة من غيرتى على القاهرة التي تفنقد الخضرة والحديقة والأزهار والاشجار .

بل ان فى مونبلييه على حدودها غابة تزيد على ستة كيلو مترات بها ممرات ذات أسهم للتمشية وأخرى للجري وأدوات جباز من جذوع الشجر كل هذا للتمتع بالطبيعة والخضرة والهواء النقي والرياضة معا ..

وعلى ذكر الرياضة يهتم الفرنسيون فى مدنهم جميعا بالرياضة اهتماما بالغاً . منظر مألوف عندهم أن ترى يوم الأحد الجبد والأب والابن يركب كل منهم دراجة بل منظر مألوف أن ترى سيدة فى التسعين من عمرها تركب دراجة للرياضة .

ومضارب التنس فى فرنسا تصمم أحجاما مختلفة لاستعمال طفل الرابعة من عمره حتى المضرب المعتاد .

وفى مونبلييه عدد وافر من حمامات السباحة ذات الرسم الرمزي وصلات الرقص التوقيعي وبعضها تعده البلدية وتجعل الدخول اليه مجانا لا للاحتراف أو حتى الاجادة ولكن للاحتفاظ بالحيوية والرشاقة أو على الأقل عدم الترهل .

ويوم الأحد يمكن أن يسمى يوم الجري فالناس يمارسون رياضة الجري فى الشوارع نفسها لأن الشوارع هناك مستقيمة لا حفر فيها ، محددة لها رصيف واسع يلتزم به المارة والبلدية معا .

وفى « مونبلييه » قلما ترى فرنسيا لا يصحب أو يسحب كلبا ولكنها كلاب - والحق يقال - لا تعوى أو تتحرش بأحد .. يبدو أنها تعرف الاتيكيت كأصحابها .. وقد عرفت انها من « بيت » وان لها ناسا غير انهم يرسلونها وحدها لتجول .. ثم تعود .

حتى الكلاب فى فرنسا تتمتع بالحرية .



مونبلييه .. مرسيليا .. الشخ كلها تظفر بمطارات حديثة ضخمة

يبدو معها مطار القاهرة العاصمة الكبرى متواضعا في امكاناته على الأقل .
مونبلييه المدينة القديمة تقوم على ربوة وقد طُفَّت بها وصعدت أعلى
الربوة فشاهدت الجانب الآخر الأحداث من المدينة يليه الريف ثم الجبل
ومعنى هذا أنه لبس هناك خوازيق حجرية أى ناطحات سحاب تحجب
الرؤية . حقا توجد خارج المدينة بضعة عمارات عالية يسكن فيها
المغتربون من طلبة وعمال . أما أهل البلد فيأمنون الى الطراز التقليدى
للمدينة .

وفى أعلى الربوة حديقة جميلة Jardin de Pirro لها بوابتان
كبيرتان من الحديد المذهب وله سور حجري جميل . الحديقة عالية النظافة
حتى أوراق الشجر التى تسقط عندهم بكثرة فى الخريف والشتاء
تستعمل البلدية الآلة الشافطة فتغدو الحديقة بلا شائبة . فى هذه
الحديقة متعة للعين وراحة للجسم وفى الصيف تحفل بالعروض من كل
نوع وبها كشك للموسيقى وبحيرات صناعية وقوس نصر وتمثال للويس
الرابع عشر .

وفى هذه الحديقة أيضا تتجمع المسيرات ومنها تخرج المظاهرات
حديقة لها دور فى حياة المدينة .

وبعدها مجرى للعيون لم تصرح بلدية مونبلييه بالبناء أمامه وخلفه
وداخله وخارجه لم تصرح لمعلق خشبي بالبناء الى جانبه ثم الزحف عليه
كما فعلت محافظة القاهرة فى مجرى العيون عندنا .

وعلى مقربة من هذه الحديقة ، حديقة رائعة للنباتات أسسها هنرى
الرابع فى أواخر القرن السادس عشر (١٥٩٣) هذه الحديقة مدرجات
من النبات ونافورات وبحيرات صناعية وصوبت لنباتات المناطق
الاستوائية .

وترعى هذه الحديقة جامعة مونبلييه اعلاء للقيم حين تعتدى جامعة
القاهرة على النيل وتبنى على المسطح المائى ناديا لها .

وفى مونبلييه على مسافات لا تبدو ٥٠٠ متر (خمسمائة متر)
جراجات تحت الأرض تتكون الواحد منها من أربع طوابق . . . وسكانها
لا يتجاوزون مائتى ألف نسمة حين لا يوجد جراج واحد من هذا النوع
فى القاهرة التى يبلغ سكانها ١٢ مليوناً وغدت شوارعها جراجات تعوق
المروور وتهدر الوقت والأعصاب معا .

وفى مونبلييه، كلية الطب التى بناها العرب وعلى واجهتها الساعة الشمسية . وهى معلم من معالم مونبلييه .

والى جانب كلية الطب كاتدرائية سان بيير وهى اسلامية الطراز المعماري ذات برجيين كبيرين يروعان الداخل اليها . دخلتها فاذا بها قباب معقودة ونوافذ من الزجاج الملون والكراسى بها مثبتة حتى لا يختل نظامها وهى مصقولة من احترامهم للانسان ونظيفة ايضا من احترام الانسان لها وللمكان فلم أقرأ على كرسي عنوانا أو قلبا مرسوما .

وبالكاترائية أضخم أوج رأيته فى حياتى ولهذا تقام فيها حفلات الموسيقى الكلاسيكية . ان التقابل فى المعمار يجعل الصوت مرنا جميل الوقع فى الأذان والنفوس .

جميلة مونبلييه بهدوتها واتساقها واصص الزرع الأخضر التى تعلقها البلدية فى شوارعها وفى النوافذ العامة . وبمناسبة أعياد الميلاد نرت البلدية الأنوار فى المدينة لا صارخة مشوشة بل فى أشكال جميلة أبرزها ما كان على شكل أجراس العيد .

وعلى بعد خمسين كيلو من مونبلييه تقوم مدينة اجمورت التى خرج منها لويس التاسع لغزو مصر وهى حافلة بالأبراج والقلاع وتمثال لويس وعليه تاريخ الغزوة . والفرنسيون يعتبرونه قديسا والطلبة المصريون فى فرنسا يخلو لهم أن يذكروا الفرنسيين بأن لويس هذا لم ينل من مصر مأوا بل أسرته مصر فى دار ابن لقمان .

رأيتى أخ عربى فى مونبلييه اكتب ثم حرج وعاد فرأيتى اكتب وهنا صاح : أما تتنفسين ؟

قلت : انى هنا وحدى والقلم صديقى .

قال : ولكن يبدو انه صديق كبير

ثم أردف يقول : يبدو أن النيل علمكم الفيض فيض هذا النهر ليس ماء فحسب ولكنه فيض فى النفوس .

وأحسست لحظتها أنى أكبر من عمرى وأطول من قامتى . انى أنتسب الى النهر العظيم الفياض . . مصرية من مصر .

أطوف ما أطوف شرفا وغربا ثم أشتهي العودة •
وكالشريف الرضى ، الى مصر وأنا أعرف الفرق الحالى بل أعيشه •
وأعاني منه مرتين :

الأولى لأننى انسانه أحب الحياة •

والأخرى لأننى مصرية أحب مصر أكثر من الحياة ••• أكثر بكثير •
ومن هنا يرهقنى البعد ولو كان قريبا فى الزمان أو المكان • فما
تكاد الطائفة تقلع حتى يهرع القلم وحده الى الكتابه من باب امتصاص
اللحظة ، أو صلاة الشوق ، أو صلات المحبوب •

وتبدأ الرحلة ويبدأ الحنين • ويسافر جسمى الى فرنسا وغيرها ••
ويسافر قلبى الى مصر معبده ومسجده •• وداره ومنازه •• وهواه ومناه
وقدس الأقداس •

المعهد العربي بباريس

معهد ضخيم فخيم يروع انشائه الدول العربية صاحبة البترول في باريس وأهدت اليه الحكومة الفرنسية في عهد ديستان قطعة أرض على نهر السين واحتج اليهود حديثا فاستبدلت بها أرضا أخرى لاثقة وافية بالغرض .

أسجل هنا هذه المبادرة لأصحابها من الأشقاء في مثل هذا يصرف عائد البترول حتى ترتفع في أعين الغرباء .

وأسجل أن مثل هذا الصرح لا يجوز أن تغيب مصر عنه لا سيما وأن الكل يفتقدها . .

مصر التي أهدر المهدرون كثيرا من أموالها في الاحتفالات والرحلات والتفاهات لا يعز عليها أن تشترك في مثل هذا المعهد ولو رمزيا من حيث المال فسوف يعوض المادة ثقلها العلمي والحضاري وهو في القيمة بلا حدود .

أكتب هذا يحدوني الأمل في الأخذ به لأهميته القصوى فالحضور المصري لا يغيب في الأعمال الكبرى لا سيما العلمية والفنية والتاريخية فهذه رسالة مصر منذ القدم .

وقد قابلت في فرنسا الكثيرين من أبناء الأمم العربية وحنينهم الى مصر لا يخفى بعد طول الغياب عن الساحة العربية ويتنفس هذا الحنين من خلال حديثهم عن حاضرها وأملهم في غدها . . من خلال سؤا لهم عنها وبالحرور والصوت من وقدة الأشواق ما أعرفه .

ان البلاد هي الشعوب بآمالها وغاياتها وأهدافها واراداتها والشعوب العربية جميعا ترفض القطيعة قولا وعملا فما يكاد يلتقي أبنائها في مكان حتى تتصافح الأيدي وتلتقي القلوب وتتشاور العقول والأفكار .

الدين والعلم والفن والفكر حقائق باقية وثابة لا يعدو عليها الصراع أو النزاع فلتنبق هذه الحقائق والعلائق بثباتها وخلودها في ارتفاع

وامتناع لا يمسسه سوء ولا تنالها المشاكل والأهواء لأنها أكبر وأبقى.
وأجدى ..

ان المعهد العربى بباريس يزدهر بالكفاءات العلمية المصرية
فلا تحرموا المعهد ولا تحرموا مصر قبله هذا الدور الكبير الذى يتطلع
اليها .

ان الكل هنا يتشوقون الى مصر ويتشوقون بقيت الاجراءات الرسمية
وما أسهلها عندما تصدق النيات وتحسم الارادة المخلصة .

أقولها : المعهد العربى بباريس هدف يستحق المثقفون المصريون
يطالبون بالوجود المصرى فيه . والمثقفون العرب يرحبون ويتمنون .

رحلة باريس

وراء قضبة قضبة الأهرام المنفى الى فرنسا

انها المرة الأولى التى نساfer فيها أنا وطاهر وحدنا ونترك الأولاد .
احساس شجى يستبد بى حتى قبل موعد السفر بأسبوع . أتلمس
التقاؤل وأهرب من اللفظ العارض اذا يتضمن معنى الفراق أو البعد .
أحرق فى الاولاد دون أن يشعروا . أعرفهم من طرف خفى بكل
شئ يتعلق بنا . لا أريد التصريح حتى لا يقلقوا أو ينزعجوا . لعل
النميح يأخذون منه حرفية اللفظ لا ما وراءه .

فى المطار غمر من الدموع ما كيانى كله وأخذ طريقه الى عيني
فتماسكت حتى لا يتأثروا . دخلت الى منطقة السفر . . اقدامى تسير
الى الامام ورأسى يتلفت الى الوراء متعلقا بهم . مشدودة اليهم لا أريد أن
أرفع عيني عنهم . يرعاهم الله لنا غبنا أو حضرنا .

أخاف من ركوب الطائرات . تسيطر على الاوهام . معلقة الطائرة بين
الأرض والسماء . . ومعلقا معها القلب الانسانى بين المخوف والرجاء .
بدأت الطائرة تقلع ثم ترتفع عن الأرض ثم تحلق ثم تعلو معنة فى
التحليق والبعد .

كان مقعدى الى جوار نافذة . . بعد وقت لاحت منى التفاتته من
خلالها . . رأيت الطائرة تطير فوق بحر من السحاب وكنا نحن الركاب
نرى الشمس التى تحتجب عن الأرض وراء السحاب الذى علوانه .

الرحلة ناعمة رخاء . . يبدو أن الطائرة تقترب من (نيس) فهى
نظير الآن بين السحاب والغباب أرى البحر . .

نيس على البعد . . أرى جزيرة صغيرة على مسافة من الشاطئ . .
نيس . . والشمس . . بشرى . . لقد سبقت رحلتنا أخبار الصقيع
فى أوروبا ها هى تى الشمس . ولو أن نيس فى جنوب فرنسا وباريس
فى الشمال ولكنها بشرى على كل حال .

لم نغادر الطائرة فى نيس توجهنّا باريس • من جديد أقلعت الطائرة
• نحن فى طريقنا الى العاصمة الفرنسية التى وصلناها فى الموعد المحدد
بالدقيقة •

المرّة الأولى التى أرى فيها مطار شارل ديغول • لقد سافرت الى
باريس قبل هذا ولكن كانت رحلتنا من مصر بالباخرة الى باريس
بالقطار •

المطار ضخم مزدحم ولكن هادئ • كل انسان يسير الى وجهته وسيلته
السلم الكهربائى المنشرف فى المطار • وجدنا أنفسنا بعد السلالم الكهربائيه
فى قاعة واسعة بها اجراءات الجوزات والجمرك • هناك مكان يذهب اليه
من معهم أشياء للتسجيل هنا افتراض الصدق •

بسرعة أخذنا تأشيرة الدخول وبسرعة وجدنا حقائبنا على السير
الكهربائى فالتفتنا ومضينا لم يستوقفنا أحد ولم يلاحظنا أحد بأسئلة
ولم يفتحها أحد •

لم نكد نخطو الى خارج الجوزات والجمرك حتى رأينا مسيو بواسل
مدير الادارة - القانونية لجريدة ليموند فى انتظارنا يسلم ورحب بنا وقال
انه اصطحب معه زوجته التى تعرف الانجليزية •

خارج المطار وجدنا سيارة ليموند فى انتظارنا. قدم لى الرجل المقعد
الأمامى حتى أرى باريس أثناء الطريق شكرته وعزف أنها ليست المرة
الأولى التى نزور فيها باريس •

فى الطريق دار حديث الاخبار والجو كالعاده. ولم يفتنا بالطبع
التنويه بالشمس التى استقبلنا فى باريس أو استقبلنا أو لعلها قادمة
معنا من القاهرة • قدوم حسن وطيب • وضعنا دعاية وتيمنا •

باريس على البر جميلة ولكن القاهرة كانت تكون أجمل لو منحناها
نصف ما نلمسه من نظافة العاصمة الفرنسية •

وصلنا الفندق • فندق رتشمند • فندق فاخر أنيق فيه رضى
للذوق المترف فى كل شئ فضلا عن توسطه العاصمة فعلى بعد أمتار ان
لم يكن خطوط ، الاوبرا ، وأكبر محلات باريس لافايب وبرتنامب
(الربيع) والمطاعم ودور السينما وكل ما يريده الانسان من باريس مما
وفر لنا قضاء الكثير من الرغبات والأغراض •

صعدت حجرتي بالدور الرابع بالفندق • حجرة جميلة تشرق بالذوق والجمال والدفع •

في حجرتنا بالفندق وجدنا الحمام الفاخر الندفئة المنتشرة في كل ركن • وجدنا التليفزيون والتليفون والثلاجة وصينية المرطبات وألوان الشراب ومتى ؟ في يناير أوروبا •

وجدنا الذوق الغني في الألوان والاثاث حتى الجدار •
وجدنا فازه كبيرة جميلة مملوءة بالورد ومن بينها ورد بلدى يقول •
والى جانبها علبة كبيرة من الشيكولاته •

وبطاقات التحية من المستشار القانونى لجريدة

ومن مندوبها الصحفى فى القاهرة مسيو جان بيير هوجو

وخطاب منه أيضا يؤكد اعداده لاقامتى فى باريس وكيف أعلن هذا للسفارة المصرية ومندوبة - الأهرام بباريس •

ووكالة أنباء الشرق الأوسط

وصفحة بعناوين وتليفونات جريدة ليومند ومسيو بواسل ومسيو جان بيير والسفارة المصرية والملحق المصرى الثقافى والملحق المصرى الصحفى •

وممثل مصر فى اليونسكو الاستاذ سعيد ذو الفقار

ووكالة أنباء الشرق الأوسط

والصحفية المصرية عائشة عبد الغفار مندوبة الاهرام بباريس

والسيدة نهى خليل الصديقة المصرية لى ولمسيو جان بيير ولهضبة الأهرام •

وكم من صداقات مصرية ولدت فى باريس كاملة النمو •

المصرية زينب التى جاءتنى من تلقاء نفسها فى الفندق تدعونى الى قضاء يوم فى المدينة الجامعية وأكبر من دعوتها قولها : فى الليالى العظيمة فى الغربة غربتنا فى باريس وسط مكاييد الصهيونية واثمارها بكل ما هو

عربي بعامة ومصرى بخاصة ، كان كتابك شخصية مصر يحضن خوفاً •
كنت أتدثر به في قلقي فأهدأ ••

هل أنسى ؟

وجدت على المائدة نوته فاخرة للسنة الجديدة وأوراق للكتابة وكتاب
دليل بالانجليزية عن باريس لفتات مسعدة •

عندنا نتكلم كثيراً عن الايمان والكفر مع أن الدين المعاملة ، كما
يقول تراثنا •

على ضوء هذه المعاملة أليس هؤلاء القوم مؤمنين ؟ بالقياسات الصحيح ؟

فى المحكمة

وصلنا المحكمة • بناء ضخم مهيب يتقاما الى جانبه مبنى مجلس الدولة المتآكل الدرج المحدود القاعات المتواضع الاثاث •

أشار الملحق الصحفى الفرنسى بالقاهرة مسئو جان بيزن الى بدروم مظلم كانت النورة الفرنسية تتحفظ فيه على الملكة مارى انطوانيت ويقول جان بيزر : مسكينة فى نطق مرقق بين العربية والفرنسية ولم أضحك هذه المرة فالطغاة لا يستحقون اشفاقا لم يعرفوه ولو أن مارى انطوانيت قد يشفع لها صغر سنها ونشأتها الملكية المترفة التى تجهل الفقر بالطبع والطبيعة لا أن تعرفه وتتجاهله •

تناولنا غذاءنا فى مطعم المحكمة • كان غذاء شهيا حقسا • كانت تقدمه سيده متقدمة فى السن ولكنها كانت خلية من النحل لا واحدة وكانت حاضرة الذهن لا يفوتها شئ على كثرة من تخدمهم •

أنتقلنا الى قاعة المحكمة فى الواحدة والنصف أقصد قاعة الجلسة التى تتبعها القضية فى أكثر قاعات المحكمة وأعمدها وطرقاتها وأبوابها وقبابها ونقوشها وأبوابها الحديدية الضخمة المزينة بالنحاس الأصفر •

فى المحكمة

دخل القضاة فى هالتهم دون أن يصيح حاجب : محكمة

بدأت القضايا وأصحابها • همس جان بيزر فى أذنى مونك موبش بتحنيش (يقصد مونك ماجاش •

القضايا التى نظرت فى البداية فيها طرائف كثيرة فرجل عض زوجته ، وفتاة صغيرة سرقت من محل أدوات ماكياج • تنزين المرأة وان لم تجد •

تسرق وتزني • ليتها لا تتصدق على الجمال •

سيدة شابة تقوم بدور الحاجب فهي تنادى على القضايا • وهي تصحب الشهود الى خارج القاعة وتأتى بهم اليها •

نظام المحكمة الفرنسية في الشهادة أن تسمع كل شاهد على حدة • ولهذا تخرج الحاجبة بالشاهد الآخر من باب جانبي في القاعة يفضى الى حجرة مغلقة. ينتظر بها الشاهد حتى يطلب • • والحجرة ليس لها منفذ آخر حتى لا يتصل به أحد ، الى أن تأتي الحاجبة لاصطحابه الى قاعة الجلسة عندما يحين دوره •

ومررت بهذه التجربة ولكنى حين مثلت أمام القاضى للشهادة أشرابت أعناق المصريين فى القاعة بل تطلع الى الحاضرون جميعا منهم مدام روشيه نوبل كوز وزوجها رجل اليونسكو ، ، وأعضاء سفارتنا وجامعة السوربون وفرنسيون يكتبون عن مصر ، ومصريون يتلقون العلم فى فرنسا • • بل أحسست بأصحاب الهرم جميعا يحيطون بى من يعيشون يومنا هذا ومن بنوه سواء بسواء •

كان يوما مشهودا وقف فيه الله الى جانب مصر حين يسر أسرى بمدد منه وتوفيق •

حاول محامى الخصم أن يزعمنى • • سأل ولماذا لم تكتفى بمصادرك التى تتحدثين عنها فى كتابك ؟ فجاء جوابى محددا الصفحات بل الاقتباسات التى أخذتها بنصها الانجليزى مضافا اليها ترجمتى العربية للنص •

سألنى محامى الخصم : هل دفع مونك مليون جنيه كما ذكرتم ؟
— لا تسألنى عما دفع ولو كان مئات الملايين وهو ما لم يحدث •
لقد دفع قطرة مما أخذ منا •

دفع من ثمن أرضنا التى باع ٥٪ من أرض الهضبة فقط بثمانية ملايين أودع نصفها فى الخارج فى بنوك انجلترا بالمليون الذى تتحدث عن حفنة من ترابنا •

سألنى القاضى ما الذى أثار مخاوفك بالدرجة الأولى ؟

— تشويه البيئة الأثرية بالاسكان وما يلحقه والبحيرة التى أزمعوا

حفرها بحجم ١٢ فدانا تحت أقدام الهرم هو الذى عاش على الجفاف.
مرتفعاً على منسوب ماء النيل .

سألنى محامى ليموند ماذا كانت تقول القاهرة قبل مقال ليموند ؟

— اشتعل رأى العام المصرى والعالمى لما يراد بالهرم وبما انكشف
من حقيقة المغامرين . بعد كتابتى وكتابه أساتذة من جامعة عين شمس.
والاستجواب الذى قدمه مستشار سابق بمحكمة النقض وهو الاستجواب
الوحيد الذى نجح على فلة الاستجواب الناجحة فى مصر .

وكتبت التيمس وصحف أمريكا وأوروبا وآسيا فلم يكن فى وسع
مندوب ليموند أن يضع يديه فى جيبه ويقف متفرجاً .

ولم يكن فى وسع جريدة عالمية مثل ليموند أن تكتفى بقراءة
الموضوع فى الصحف الأخرى .

— هل سبق أن وصف القاهرة فى مونك بأنه مفلس قبل مقال
ليموند ؟

أنا المسئولة وحدي عن هذا الوصف فقد جاء فى كتابى ص ١١٩
عن اصحاب المشروع انهم مفلسون مطردون من شركة كليرتون لكنسا
استنادا الى المجلة الكندية الاقتصادية الصادرة فى بلدهم بل استنادا الى
مضبطة البرلمان الكندى وعن مقاطعة نوساوشيا .

لقد كتب مراسل ليموند منسيو هوجو بعد أن أطلع على وثائقي
وبعد أن صدر الحكم فى صالحى ، ضدهم ، وبعد أن نقلت عنى الصحف
والاذاعات فأنا المسئولة وحدي عن كل ما قيل فى هذا الموضوع .

لقد جاء فى العقد انهم سيمنون مدنا سياحية وحدائق وملاعب الخ .

هل هذا كله يقابل نصف مليون دولار ؟

هل قصدت مصر بالانفتاح نصف مليون ان المشروع كما هو وارد
فى العقد لو حازت صحته من النواحي الأثرية والهندسية وهو جريمة
فى تقديرها يتكلف آلاف الملايين من الجنيهات ويتطلب أن تقوم به شركة
علاقة من ناحية المال والتكنولوجيا والسمعة لا شركة وهمية .

ماذا يعنى نصف مليون دولار فى عصر التضخم ؟

ان المشروع قام على الايهام ايهام النعيمير وهو تخريب فأى وصف
يوصف به انما هو باب تسميتى للأشياء بأسمائها .

وتقرير لجنة الخبراء المصرية الحكومية يدين المشروع أصحابه ماليا
وقانونيا وحضاريا .

وسألنى القاضى فى نهاية شهادتى أن كنت أريد أضافة أخرى فقلت
انى، باسم أقدم. حضارة يشرفنى الانتماء اليها باسم مصر الحضارة
أشكر فرنسا المدنية، لوقفها مع مصر ثلاث مرات .

الأولى يوم حلت رموز حجر رشيد

الثانية يوم أسهمت فى انقاذ معبدى « أبوسمبل »

الثالثة يوم أيدت مقاومة مشروع هضبة الأهرام .

وهنا وقفت مدام توبل كور وهتفت - على غير عادة المحاكم
الفرنسية - برافو برافو برافو .

وكان هناك هتاف آخر أعلى صوتا، وصلنى بدون حروف .. هتاف
لمعت به عيون المصريين فى القاعة . ان مصر فى عين المصرى وقلبه أينما
حل وحيثما كان .

لقد قدمنى محامى جريدة ليموند تقديما حافلا واستشهد بكتابتى فى
مرافعته مرات .

مرات يتجه الى القضاة قائلا : ماذا قالت ليموند الى ما جاء بكتاب
دكتورة نعمات ؟

ماذا قالت ليموند لم تقله القاهرة ولندن وباريس وكندا والعالم
كله ؟

مرافعته ممنازة كل نقطة كان يضمها ملف مستقل . لقد تشرب
الموضوع بما لا مزيد عليه وزارد على وثائقنا وثيقة جديدة هى كتاب صدر
فى كندا يصور أبعاد فضيحة كليرتون ومونك .

وبعد أن عدت الى القاهرة رتبت من الحصول على الكتاب من كندا
وحصلت عليه .

وقدمته بعد هذا الى الدفاع المصرى فى قضية التعويض التى رفعها

الأناقون ضد مصر من باب استلاب أى شىء والنصاب عادة يقدم خطته على واحدة من اثنين :

أما الظفر بالغنيمة أى الصفقة

وأما التعويض

كان أروع ما فى مرافعة المحامى الفرنسى استهلالها بقوله : اننى حزين ان محامى الخصم تكلم عن مونك ولم يتكلم عن الاهرام الذى تعلمه لنا المدرسة أطفالا أول ما نتلقى فيها من دروس وأول ما تعلمه لنا الجامعة أيضا وأول ما نتلقى فيها من محاضرات •

ذكرت مونك ومليون دولار ولم تذكر بماذا يقدر الهرم ؟ هل هناك مال كفاء للمرم ؟

ووقف المدعى العام ونقض كلام محامى الخصم مع أن المفروض أن المدعى العام يمثل الانهم ويدين ولا يبرى •

لقد قال لى ، بعد عودتى ، الاستاذ مصطفى مرعى •• لقد كانت هذه القضية خاسرة لولا شهادتك فالقانون الفرنسى ، لا يعرض فى حالة الاتهام ولو كان واقعا لمموسا ، الا ذلك الذى يوجه الى موظف الحكومة عند اثباته ، تحصينا لمال الشعب بجعل المواطن رقيبا من خارج السلطة على الموظف العام •

ولكن شهادتك وانتقالك عبر البحار سيده مصرية بل كاتبة مصرية جعل للقضية وزنا أدبيا وحضاريا فوق كل اعتبار •

ورفعت الجلسة فى الثامنة الا ربعا مساء بعد ست ساعات ونصف تخللتها استراحة دقائق لا تتجاوز خمس دقائق •

وخرج المصريون متهللين اصطحبنا الملحق الإعلامى المصرى الدكتور ممدوح البلتاجي الى الفندق فى سيارته ويقدر هو بوقفتى أى بشهادة الحق كانت ثقتته على المترجم الذى لم يرتفع فى رأيه الى مستوى الأصيل الغربى للشهادة •

حديث فى الثقافة :

باريس •• مدينة الحرية والأوبرا والموسيقى وفيكاتور هوجو

زرتها للمرة الأولى سنة ١٩٧٣ • كان الشهر أغسطس ولكن المطر
قدم نفسه لنا صيفا • أما المرة الثانية فقد زرتها فى يناير هذا العام •

طبيعى المطر ينهمر •• الشوارع مغطاة بندف الثلج « النيج » كما
يسميه الفرنسيون • باريس فى غلالة بيضاء ناصعة البياض • السائقون
يحتمون من الطبيعة : الرؤوس تحت المظلات ، والأجسام خلف المعاطف
الثقيلة •

حتى فى الليل تسير الناس فى شوارع باريس ناشرة المظلات
لتتقى المطر المتدافع •

منظر غريب المظلات فى الليل •
ياللى القاهرة عودى •

لم يمضِ يوم وشفنى الشوق يا حبيبة •
ياللى القاهرة جودى •

على الآلام والمصاعب أنا بك عزيزة •• بعيدا عنك غريبة
ياللى القاهرة

ياللى القاهرة حيث الشتاء ربيع ، والهوى جميع ، والدفء
سلام ، ووثام ومحبة •

المظلات والاحذية ذات الرقبة العالية هى السائدة •• الأطفال
يلبسون (بوتا) من الفراء كأنهم حيوانات صغيرة • ولكن الحياة ماضية
لا تتوقف ، وسريعة الايقاع جدا •

بعد ساعات هذات الامطار •• الشوارع نظيفة مغسولة •• مال

الجو الى الدفء نسبيا . . الدفء الذى يحسه المرء عادة بعد المطر أو غب المطر كما يقول النحويون .

كل شئ فى باريس نظيف أنيق مألوق ولكنه باهظ الثمن أيضا .
العربية نقرأها فى المحلات العامة ، وفى دليل المدينة ، والاعلانات
لأن أصحابها منتشرون فى باريس تسبقهم نقودهم .

منذ بضعة قرون كانت العربية يتعلمها الغربيون استشرافا
واستشرافا حين كانت للعرب دولة فى الاندلس . يومئذ كانت العربية
لغة العلم والحضارة لغة الأدب الى وقت ليس ببعيد ففي أوائل القرن
الثامن عشر نقل كتاب (ألف ليلة وليلة) الى كل لغة حتى قال فولتير
انه لم يزاوّل فن القصص الا بعد ان قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة
مرة . وتمنى القصصى الفرنسى (استندال) أن يمحو الله من ذاكرته
كتاب ألف ليلة وليلة حتى يعيد قراءته فيستعيد متعته .

وقد اقترنت بموضوعات الأدب العربى أسماء طائفة من عباقرة
الشعر فى أوربا بأسرها خلال القرن الرابع عشر وما بعده منهم
« بوكاشيو » « ادنتى » و « بترارك » الايطاليين ، و « شوسر » الانجليزى
و « سرفانتس » الاسباني . انه موضوع كبير يستحق العودة اليه
بتفصيل . فقط اسجل هنا أن أوربا بعامة وفرنسا بخاصة كانت تأخذ
عن العربية علمها بل قواقيها وألفاظها مما سجله شعراء التروبادور حتى
قيل ان كلمة « تروبادور » من الطرب .

أخذ الغرب عن العربية من اعجاب ، ولكنها اليوم تشق طريقها بقوة
الريال والدينار . . انها قوة على كل حال

حين دعثنى جريدة ليموند لزيارتها ، كان همى أن أرى رحلة الحرف
ما بين الصفحة التى خطه عليها كاتبه ، وبين الصفحة التى يطالعها فيها
قارئه . . رحلة طويلة مضيئة ولكنها تتم فى ساعات

من أكبر نعم الحضارة الحديثة : الطباعة . وقد يسع المال أن
يشتري أشياء وأشياء ولكن مال الدنيا لا يشتري صحيفة ذات قيمة ،
أو كتاب ذا إعطاء ، ساعة الطلب أو فى أى وقت .

خرجت فى جولة على الاقدام مع مرافقة فرنسية . ذهبتا الى قصر
لويس الثالث عشر يمتد أمامه ميدان واسع مستطيل

أهم ما فى هذا الميدان ليس القصر أو أصحابه ولكن بيت الشاعر
الكاتب الفرنسى فيكتور هوجو . ان فرنسا ليست ، آل لويس ولكن
« فيكتور هوجو » و « فولتير » و « الاوبرا » و « باستور » وقيم الفن
والعلم والحضارة .

الناس مثل يذهبون الى بيت « فيكتور هوجو » .. يدخلون المتحف
.. على يسار الداخل حجرة زجاجية صغيرة لقطع التذاكر . التذكرة
فيمتها ثلاثة فرنكات أى نحو ستين قرشا أى ثلاثة أضعاف - تذكرة
المتحف المصرى بكل ما تعنى كلمة المتحف المصرى .

فى بيت فيكتور هوجو أى متحفه ، كل شئ يروى بالكلمة
والصورة .. طفولته .. ورفاقه .. المدارس التى تعلم بها .. معلومه ..
ناظر المدرسة .. رسومه وهو صغير .. صورة فى ملابس مختلفة .

شبابه .. أعماله .. معاصروه .

أسرته .. أمه .. أبوه .. زوجته .. أولاده .. أحفاده .. أولاده
الخالدون أى كتبه فى طبعتها الأولى .

لوحاته .. لوحات رسمها الفنانون لشخصيات رواياته كالبؤساء .
غلاف كل كتاب .

ما كتبته عنه الصحافة حتى الكاريكاتير الذى رسم له ولشخصياته
.. الكرسي الذى كان يجلس عليه وقد أحيط بكوردون حتى لا يجلس
عليه غير فيكتور هوجو فهذا الكرسي لا يملؤه أحد .

وامتلأت عيني بالدموع حين تذكرت بيت أم كلثوم الذى باعه من
عاشوا بأم كلثوم ، وفى كنف أم كلثوم .
وترحمت على الوفاء .

طافت الصديقة الفرنسية بعد هذا ، بى ، الحى القديم حيث تباع
التحف والأشياء القديمة ثم حى اليهود ... وتقول السيدة : لم يعد
 لليهود (جيتو) فى باريس ومع هذا يتجمعون فى هذه المنطقة حيث يجد
المشاهد محلات خاصة بهم .. يجد الطعام الخاص بهم ... معبدهم ...
عاداتهم .

بعد هذا ذهبنا الى ميدان بومبيدو أو ميدان بوبو كما يقول

الفرنسيون مع اختلاف بسيط بينهم وبين المصريين فى تسمية نجمهم.
الخطيب « بيو » .

هناك المبنى الضخم الحديث الذى أراده بومبيدو ، مجمعا للفنون
الحديثة ومكتبة عامة . ولكن هذا المبنى يثير غضب الفرنسيين المتعلقين
بعاصمتهم الجميلة باريس ذات الطابع الخاص فى البناء .

انهم يعتبرون هذا المبنى نشازا فى السمفونية المجسمة التى اسمها
باريس . كان الله فى عون القاهرة التى جعلنا منها كرنفالا متنافرا فى
كل شئ ، وفى كل ناحية منها ، لا ميدان واحد فحسب .

سرنا سيرنا سيرا طويلا . . . واذا بالسيدة الفرنسية تلتفت الى
وتقول . . . هنا شارع سان دى فى حيث تقف الخطيئة فى كل ركن . . .
وعلى مقربة من هنا كنيسة أوستاش الشهيرة Eglise stenstache .

وامتزج صمتى بدهشتى فقالت : لا عليك . الناس الآن لا يذهبون
الى الكنائس . واذا ذهبوا فانهم يقصدون سماع الموسيقى .

عيب العواصم الكبيرة انها تجمع أخلاطا من الناس والأخلاق
والسلوك .

مررنا بميدان لويس الرابع عشر . تمثاله على حصانه يتوسط
الميدان . لم يتعثر شئ . . . لم يزيغ شئ . . . لم ينسكرك شئ . . . لم
ينتحل شئ .

عادت معى الصديقة الفرنسية الى الفندق . . . تحدثنا عن الأوبرا
والموسيقى والأدب . قالت : لقد انحدر الأدب الفرنسى اليوم لكثرة أدياء
الكتابة ، ومحترفى الأدب ، مع السرعة ، والرغبة المحمومة فى الكسب .
اننا الآن نلمس الكتابة الأدبية عند أهل جنوب فرنسا حيث يهيمهم لها
قريبهم من الطبيعة . . . من الشمس والبحر . . . ثم بعدهم عن العاصمة حيث
الصراع يدور على كل شئ .

جاء ذكر اللغات . قالت محدثتى : قلما يحسن الفرنسيون لغة
أخرى . قلت : فى جمال لغتهم وأناقيتها ورقتها ما يكفيهم . ضحكتم
السيدة الفرنسية فى زهو لا يخفى وأمنت على قولى .

كنت صادقة معها فهذا رأى فى اللغة الفرنسية ولكن يبقى ان كل
لغة نافذة جديدة واسعة على العالم ، وكل لغة تفتح لصاحبها باب

أصحابها ٠٠ باب ديارهم وباب قلوبهم فى وقت واحد ٠ ويبقى بعد هذا .
وفوقه ، ما أثر عن الرسول الكريم : (من تعلم لغة قوم أمن سرهم) ٠

وهنا حمدت بينى وبين نفسى شهرةنا التقليدية باتقان اللغات
الأجنبية حتى منذ عهد الملكة حتشبسوت كما يسجل هذا «الدير البحرى»
وهو معبدها بالأقصر ٠

ومع حب الفرنسيين ، باريس ، اذا سألت فى فرنسا عن عنوان
أو طريق ، لا تجد من هو أعلم منك به فى الغالب ٠

ان الفرنسيين يسرون فى باريس بالخريطة ! وباريس أصغر حجما
من القاهرة ٠ ولكنهم يعرفون باريس « القيمة » ٠ ونحن على النقيض ٠٠
نعرف شوارع القاهرة لا قيمتها ٠

فاليرى جيسكار ديستان

نعرف أن الفرنسيين مؤيدين ومعارضين ، يحترمون دكتور فاليرى
جيسكار ديستان رئيس فرنسا فى السبعينات ٠ وأنا مثلهم أحترمه
للثقافة والدماثة معا ٠

وتوقعت أن أقرأ عنه كثيرا فى الصحافة الفرنسية ٠ وأراه كثيرا
على الشاشة الفرنسية ، وأسمع عنه كثيرا من الاذاعة الفرنسية ٠٠
ولكنى خلال عشرة أيام فى باريس كنت خلالها أتابع البرامج وأقرأ
(ليموند) و (الفيجارو) يوميا ٠٠٠ لم أر صورته الا مرة واحدة فى
الصفحة الثانية من جريدة الفيجارو فى ركن محدود من هذه الصفحة ٠٠٠
بينما قرأت عن المخرج المصرى يوسف شاهين فى الصفحة الأولى من جريدة
ليموند عدد الجمعة ١٢/١/١٩٧٨ ٠ وعرفت ديستان أكثر ٠

أحضر لنا المستشار القانونى عدة نسخ ٠٠٠ من جريدة ليموند
بمناسبة قضية هضبة الأهرام التى وقفت فى ساحة المحكمة الفرنسية
شاهدة عليها ، وفيها ٠

طبعا الجريدة أبرزت القضية فى صفحتها الأولى ٠

وبهذه المناسبة عناوين الصفحة الأولى وسائر الصفحات على السواء
فى الصحف الفرنسية مدة اقامتى بباريس مثل ليموند ٠٠ الفيجارو الخ
هى عناوين كل الناس ٠٠٠ حتى الأخبار السياسية عناوينها دقيقة
وموضوعية ومنبعثة أى منسوبة الى بلاد مختلفة ٠٠٠ عناوين أحداث
لا أفراد ٠

فى فرنسا لا تتشابه الأيام أو الصحف • لكل كيان وجود وسمة خاصة •

لكل رأى وأسلوب يمليه ضميرهم وحده •

الناس هنا يحبون حياتهم •

المتشابه فى باريس طرز البناء • والتشابه هنا محمود • انه يعطون طابعا خاصا للمدينة ليس فيها التنافر فى الشكل أو الحجم أو الأسلوب • ليست باريس كرنفالا كالذى صنعناه بالقاهرة • حتى ارتفاع البيوت بكاد يكون واحدا كأنه محسوب بالمسطرة •

فى باريس هدوء ساج • ليس هناك اختلاط فى الأصوات أو الحركات أو الميكروفونات أيضا •

ميدان الكونكورد يشرف ويزدان بالمسلة المصرية • انها السفارة الكبيرة لمصر • الفرنسيون يحبونها ويعتزون بها • وهم الآن يحاولون نفي التهمة عنهم فيما يتعلق بها • انهم يرددون على مسامعنا أنها أهديت اليهم فى محاولة نفي اغتصابها • وعلى سبيل التأكيد أو الاقناع •• اقناع أنفسهم واقناعنا - يقولون : (محمد على) أهداها اليهم •

قلت لمحدثى الفرنسى : لا عليك لقد كنا فى الماضى نحزن ونغضب لما خرج من آثار مصر ولكننا اليوم ونحن نرى ما عندنا يتبدد أو يتهدد ، نعتزف بأنكم أرحم منا بآثارنا وأكرم صونا لها وأكثر تقديرا •

ماساة أن يصبح الانسان أو الأثر وهو انسان مصفى لا يعلق به لحم أو شحم •• انسان بما أودع فيه من قلب صاحبه •

ماساة أن يصبح كلانا غريبا فى وطنه •

الصحافة .. الثقافة .. المسرح

فى فرنسا

دعانا رئيس تحرير جريدة ليوموند مسيو فوفيه الى مقابلة للترحيب بنا وتوديعنا . تمت المقابلة فى مكتبه . مجرد حجرة واسعة بها مكتب خشب الجوز ومنضدة اجتماعات و ٢ فوتى .

رئيس تحرير ليوموند العالمية التى تستطيع أن تقيل حكومة ولكن الحكومة لا تملك شيئاً للموند ومع هذا المكتب خال من التهويل والتضخيم فى الأثاث أو الديكور أو السكرتارية داخل الأبواب والحجاب خارج الأبواب .

رحب بنا الرجل الكبير قائلاً : أرحب بكم أهل مهنة واحدة هى الكتابة والرأى .

سألنا هل الصحف المصرية نشرت عن قضية ليوموند أى قضية مصر التى وقفت فيها ليوموند ؟

— وأجبت بالإيجاب .

المسرح الفرنسى :

رأيت مساء الجمعة ١٢/١/١٩٧٨ مسرحية فرنسية .

المسرح الفرنسى لا يتقيد الآن بالمسرح الافريقى القديم . لقد أسدل الستار مرات عديدة المسرح الفرنسى مناظر لا فصول وجمهوره مثلنا يحب القفلات الدرامية ومن تقاليده أن تقدم البطلة سائر الفنانين المخرج ومصمم الملابس ومصمم الديكور والسيناريسست والممثلين والممثلات واحدا واحدا وأخيرا البطل الذى يقدمها فى النهاية .

المسرحية التى شاهدها :

الشارع الفرنسى

على الحقيقة لا المجاز • مرت صباح يوم بعامل يحفر فى الرصيف
بآلة كهربائية • ووقفت على بعد أرقب ما يجرى ••• كان العامل يحفر
كأنه يقيس بمقياس دقيق ، والحفر طوله نحو ثلاثة أمتار ولكنه مهذب
الجوانب متساو ••• ذكرنى ببائع البسبوسة وسكينه القطع وكيف يقطع
فى سرعة واستواء • وتظل الصينية بعد هذا مستوية فى مكان الخراط •

ومضيت لقضاء عمل • وفى عودنى بعد ساعتين ونصف تقريبا كان
الرصيف قد استوى ناعما ممهدا كأن لم يكن به شيء • وظننت أنى ضللت
الطريق ! ان النكتة المصرية تعلم الشوارع بالمطبات والحفر •

عمل هو احترام المكان أو الانسان •

انه كلاهما فى فرنسا •

فرنسا والثقافة :

بالفندق دفتر كبير أسبوعى هو قوائم بكل ما يهم الانسان المقيم
بباريس بعد حصر شامل •

للمسارح •• الحفلات الموسيقى ••• لدور السينما •• للمطاعم ••
المقاهى •• الملاهى • كل شيء •

أهم مالفت نظرى فيه قاعات المحاضرات وكيف أن هناك رسم دخول
لسماع أى محاضرة •

وهو مؤشر الى قيمة الثقافة فى هذا البلد ••• هناك يدفعون مالا
لسماع محاضرة • وعندنا بدون مقابل ويقبل عليها الأقلون بعد رجاء فى
معظم الأحوال • هل كل الناس هنا يجدون رزقهم رغدا وحياتهم مكفولة
مفرغوا لنعيم الروح من ثقافة وفن وألوان الشرف العقلى ؟

ولكن هذه الصورة تقابلها بكل أسف صورة أخرى فى مكان آخر من
باريس •

محطة المترو :

محطة سالزبورج فيها عربيات يسألن الناس الحاجة • تالت ••
لماذا ؟ ان المهاجر ينطوى على طموح ورغبة فى العمل والمقاومة والكفاح •
فهل ترك هؤلاء ديارهن للتسول فى بلاد الغرباء ؟

أما يكفى مافى بلاد العرب من مأخذ حتى نعبر بها البحر وننشرها
هناك ؟

حتى العرب فى فرنسا معرض للاهمال واللاوعى . الأكشاك الزجاجية
للتليفونات مكسورة . . . تحطيم وتخريب فى كل ناحية . . والحكومة
الفرنسية تترك هذا يجرى كأنها سعيدة به . ولو شئت إيقافه لسهل
عليها الأمر . . الانضباط سهـل ولكنهم يريدون محاربة العرب
بسلاحهم .

أشياء كثيرة ظاهرة وخفية ضد العرب فى الغرب والبلد الأكبر يقع
عليها أولا فنحن نعطيهم مادة للتشهير الصامت والناطق ، بنا .

ميدان الباستيل :

ميدان الباستيل يقوم فى وسطه نصب شامخ الارتفاع عليه نمثال
على شكل ملك طائر .

وكان يقوم تحته فى الماضى سجن الباستيل ان الحرية كرمته .
وكل معنى كريم يعيش فى النور أما السجن بظلمه وظلامه فقد اختار تحت
الأرض لأن الجريمة بطبعها ترتكب فى اختفاء والتواء .

البيوت الفرنسية :

البيوت والعمائر فى فرنسا ليس عليها بوابون يتمثلون فى
الشمس . الأبواب مغلقة والقاصد أى شقة من الشقق يضغط على جرس
الباب الخارجى للعبارة فيفتح ثم يغلقه وراءه . ويتجه بعد هذا الى
مقصده .

ان المهن الطفيلية أو القمئية لا وجود لها فى فرنسا .

ليس فى فرنسا بائع يانصيب أو ماسع أحذية أو منادى سيارات .
انى لا أوافق برتراند رسل فى رأيه فيها فقد نادى الرجل بصرف بدل
قماءة لأصحابها . ولكنى أرى الحل فى استبدال مهـن أخرى كريمة
بها

الصحافة الفرنسية :

كالإذاعة الفرنسية مسموعة ومرئية للانسان الفرنسى رجولة . .

حول أمانيه واهتماماته واقتصاده وفنونه وعلومه وما يجرى فى العالم خارج وطنه .

ليس فى الإعلام الفرنسى بكل قنواته حديث معاد غليظ عن علاوات الموظفين الفرنسيين فهذا حق لا بد لأحده فيه . وليس فى الإعلام الفرنسى تصريحات حكومية أو شرايط ومقصات أو أحاديث موسوعية أو توجيهات أو مطولات تحتكر وتحتقر وقت الانسان .

كل انسان له دور ووجود وذات وحساب ونخصص فلا يستمد طبيب مثلاً طبه من مهندس لأن المهندس وزير الصحة وهذا لا يحدث فى البلاد المتقدمة لقد كنت ، أقرأ الصحف فى تفصيل وأحرص على مشاهدة وسماع البرامج ثم انتهت زيارتى لفرنسا بعد عشرة أيام لم أعرف اسم وزير أو كبير .



حدث أن قامت مظاهرة فى باريس فاذاً بالتلفزيون الفرنسى يعرضها فى كل نشرات الأخبار ذلك اليوم الذى حدث فيه بالصوت والصورة وكى يحدث عطل فنى عند هذه اللقطة .

الأغانى فى فرنسا للحياة . . للناس . . الفن فى هذه البلاد كبير كبير غال : الكلمة والوقت والانسان .

برنامج دينى

شاهدت يوم الأحد فى التلفزيون حديث دينى يذاع من الكنيسة لم يكن الحديث يتولاه رجل واحد بل ثلاثة من رجال الدين عندهم ، كانوا يتناوبون الكلام وان كان أوسطهم له الصدارة وأكثرهم تولية للمراسم والطقوس .

وكان فى ركن الكنيسة كورس من المنشدين والمغنين تقوده سيده بدينة جمة النشاط .

وكان هناك بيانو ومايسترو فى الجانب الآخر وقد اشترك الحاضرون فى أوقات مختلفة فى الغناء تارة ، وفى الصلاة تارة أخرى . وفى جزء من هذا الحفل الدينى الحافل كان رجل الدين يدعو والحاضرون يؤمنون . . . يقولون Amen المنقولة عن الكنيسة المصرية ، المنقولة عن المعبد المصرى .

وعن الكنيسة المصرية ورثت الكنيسة المسيحية فى كل مكان الموسيقى . ان أقدم موسيقى كنسية فى العالم هى موسيقى الكنيسة المصرية التى ورثتها بدورها عن المعبد المصرى وما تزال بعض القطع الموسيقية بأسمائها الهيروغليفية الى اليوم مثل اللحن الستجارى واللعن الاتريبي . الخ (١) .

الحقيقة كانت الموسيقى التى صاحبت هذا الحديث جميلة رائعة . أما الحديث فانه مثل سائر الأحاديث الدينية فى كل بيت من بيوت العبادة يحض على خير ويعلى من قيم العدل والصدق . ولعل تأثيره يعود الفضل واضح النبرات . . . وكثيرا ما يصل الخفوت الى قوة التوثيق الأكبر فيه ، الى أسلوب الأداء . فقد كان رجل الدين هادى الصوت والتصديق .

ان المسيحية فى بساطتها ودمائتها ونواضعها لم تمنع الكنيسة فى الغرب من أن تحيط نفسها بهالة كبيرة من فنون الصوت والرسم والنحت والزخرفة بهالة كبيرة من المراسم والطقوس والشارات والملابس الخاصة والسمت المعين والفواصل فى المعمار ، بين رجال الدين وعامة الناس تجعل لهم مكانة مميزة فان هذا التفاير المكثف له وقعته على النفوس وخاصة بين البسطاء والأتقياء .

وتذكرت كتاب رودلف اوتو (فكرة المقدس) (٢) .

ما أروع احساس الانسان بأنه مع الله بلا وسيط وفى أى مكان وزمان . على أن الدين لله تحت أى اسم وهو خير كله .

وتذكرت أيضا قول رينان ذلك الفيلسوف الفرنسى الذى حارب الاسلام فى حدة وشدة ثم قال فى النهاية :

(اننى ما دخلت مسجدا قط الا اعترانى شعور بالأسف على أننى لم أكن مسلما) .

ليس أشد أسرا للنفس الانسانية من البساطة والسماحة ، على العزة والاقتدار .

(١) كتاب (شخصية مصر) للدكتورة نعام أحمد فؤاد .

The Idea of the Holy by : Rudolf Otto.

(٢) كتاب

ان الزمن الطويل بيننا وبين مولد الأديان بعد بنا عن المنبع المتدفق
فى سلاسة محببة تسنولى باليسر الرقيق على النفوس والعقول .

ما أبغيه هنا هو أن يكون حديثنا عن الدين حديث متحضرين فى
صوت هادى عميق ليعمق أثره فى النفوس . وقد أمر الاسلام المتحدث
أن يخفض من صوته حتى الجدل بله الحديث أمر فيه بالأسلوب الأحسن
وليس من هذا ما يفعله بعض الخطباء فى يوم الجمعة وليس من هذا
صخب الميكرفون فى أصفى كلمات .

العودة :

بدأت رحلة العودة بعد الشوق . . شوق الليالى العشر جاءت مندوبة
ليمويد فى الساعة الرابعة لأن طريق المطار يفقدون له ساعة لما يحدث
به كبير من تعطيل . واصطحبتنا فى سيارة الجريدة فاذا بنا نصل الى
المطار فى ثلث ساعة .

لباريس عدة أبواب للخروج . . . باريس ذات الطابع الواحد حنى
ان العمارات الأمريكية - المربعات والمستطيلات لم تجرؤ على الظهور
الا خارج حدود باريس مطار شارل ديغول له نيف وثلاثون بوابة وقد
كان دخولنا من رقم ٦ الخاص بالاييرفرانس . كل شئ تم فى هدوء ويسر
يانع حتى اننا نزلنا بالسلم الـ Nuri أو الكهربائى الاتوماتيكي الى
اسفل المطار فاذا به مدينة كاملة . عديد من المطاعم النظيفة والمحلات
النهارية لكافة السلع ، الانتقال فى المطار حتى من جهة الى أخرى على
نفس المستوى يتم اتوماتيكيا وقد لاحظت هذا فى محطات المترو . فى
فرنسا نستطيع أن نعبى شارعاً طويلاً اتوماتيكياً .

تقدمت الى جمرك المطار لاعتماد خصم التصدير على مشترياتى فلم
يسألنى عن هذه المشتريات ولم يراجعنى أو يراجعها اعتمادها فوراً .

فى المطار ظهرت الوجوه السمر واللهجة العذبة . مصريون مسافرون
عند المودع سرنا فى ممر اتوماتيكي أسلمنا الى باب الطائرة . والدخول
الى الطائرة يتم بأرقام حسب مكان الجلوس .

الطائرة بوينج ٧٠٧ . بدأنا نحس المطبات والهزة أحياناً فى الطائرة
سينما عرضت فيلماً عن عساكر نابليون ، فى مصر أنام كثيراً فى السينما
من إرهاق عند بدء العرض فى الطائرة قلت لعللى أنام فأصبحو على مصر

وبهذا تقتضب السينما خوفى والطريق ولكننى لم أنم . أعصابى المشدودة
أيقظت يقظتى كنت منتظرة الاعلان عن الاسكندرية كما أعلن الطيار عن
جنيف وروما ولكن طال الوقت .

وفى سرى قلت ألم تبد الاسكندرية بعد ؟ واذا بالصوت يعلن عن
قرب القاهرة وتجمعت حواسى فى عيني ونظرت من خلال النافذة فاذا
بعقود النور متألثة على صدر القاهرة والنيل فى الليل هوى فى قلبها
وهى بنورها عقد على صدر الليل حبيبتى القاهرة واقتربت الطائرة من
الأرض الطاهرة حتى لمستها فتأهينا للقاء .

وفى المطار قال لى الكثيرون حمد الله على السلامة . ضابط المطار
بمجرد فتح الجواز - آخرون فى المطار .

أقبلت على سيدة لا أعرفها وقبلتنى . حبيبتها وسألتها على استحياء
طالبة أتعرف اليها ولكنها قالت واحدة لا تعرفينها ولكنها تعرفك
وتدعوك .

وبكيت من فرط التأثر . لو أن قريبة فعلتها لكان الأمر عاديا ولكن
انسانة لا أعرفها ولم أرها من قبل تعطينى غاليا على غير انتظار ، أسرتنى
. . . وأعطينى من الحنان ، نعيم الاحساس بالانتماء انها مصرية وقد أسدت
الى ما أسدت لأنى مصرية أقدس هذا التراب . . . أعزز به من صلة
وقربى .

ويعيش كثيرون عمرهم بالطول وأعيش عمرى بالعرض بفضل هذه
اللفتات الدافئة الحميمة الكريمة ويعمق كل يوم ايمانى بهذا البلد
وبالانسان على أرضه . انى أؤمن بالانسان حيثما كان ولكن أهلى على
امتداد الوادى . . هذه العشرات من الملايين أهلى وهذه الأرض كلها دارى
. . . انتمائى اليهم واليها أقوى وأكبر من عقود التملك التى يكتبها الحبر
على الورق حين كتب انتمائى الدم والحب والصدق والوفاء أبذله خفاقا
فيعود الى دفاقا وكأنه سنابل القمح فى حقولنا الذهبية الطيبة الوفية .

مع النيل
السودان

رحلة السودان مع النيل

رحلة عاشت فى وجدانى قبل أن أقطعها ٠٠٠ طوفت بكثير من بلاد
العالم فكان طوافى يزيد احساسى بهذه الرحلة كمن يفتح عينيه فىرى
الكثير أمامه ٠٠ ولكنه لا يرى أنفه المثبت فى وجهه ٠

أرى انجلترا - فرنسا - إيطاليا - اسبانيا ٠٠ الخ ولا أرى السودان
٠٠ والسودان عيني بل - انسان العين المصرية ٠

فمصر الرياض وسودانها
عيون الرياض وخليجائها

وأهلوه منذ جرى عذبه
عشيرة مصر وجيرانها

وأذنت الأمنية بتحقيق فى ١٥ فبراير سنة ١٩٧٩ ، قال لى ضابط
الجوازات بمطار القاهرة : كم سمعت عنك ولم أكن أصدق ٠ الآن صدقت
٠٠ لا أقول شرفت المطار بل شرفت مصر ٠

ليس من غرور الغوانى بالثناء ولكن امتنان قلبى لأهل وناسى
الذين لا يضيع بينهم عمل عامل ٠

انى أعيش على مثل هذه الاستجابة ٠ أنمو عليها زادا ، وأستنشقها
هواء بل أستنشقها عبيرا ٠

وصل الدكتور الصياد ، المطار ، بعدى بساعة ٠ تهلل وقال :

لقد سافرت السودان مرارا فالسفر لا يشكل عندى اضافة ولكنى
أسافر هذه المرة من أجلك قبلت السفر عندما عرفت أنك مسافرة ٠
وهذه نسمة تقدير أخرى ٠

وتذكرت بينى وبين نفسى خوفى منه عندما كنت طالبة عنده فى
كلية الآداب ٠ لقد غدا اليوم صديقا ٠٠ وغدوت بدورى زميلة وفد
تفافى وطريق ٠

رحلة طويلة فى الزمان قطعتها فى ثوان وأنا جالسة فى بهو المطار .

طائرة شركة مصر للطيران تحركت فى موعدها لم تقدم أو تؤخر ثانية واحدة على عكس الشائع - الذائع عنها . هل الأمر صدفة أم حظ ؟ والحظ توفيق من الله ؟

الطائرة صغيره . خشيت المطبات ولكنها أعطتنا رحلة مريحة . هل هو (صفاء الجو) بين القاهرة والخرطوم ؟

وصلنا الخرطوم . وجدنا فى انتظارنا عند سلم الطائرة الاستاذ مبارك المغربى (١) رئيس مجلس الآداب والفنون بالسودان ، ووكيل وزارة الثقافة السودانية ، وأربعة من رجال الثقافة السودانيين وملحق مصر الاعلامى ، وملحق مصر الثقافى وأحد رجال السفارة .

كنا قادمين من القاهرة فى فبراير نلبس ملابس محترسة من البود لا أقول شتوية كاملة ولكنهم جميعا كانوا فى ثياب الصيف .

رحيبهم بنا ليس كالترحيب فى أى مكان . كان فيه شيء نعرفه فالخرطوم صورة من أسوان . انهم أهلنا رجال السفارة ورجال السودان .

ورافقنا مستقبلونا الى فندق السودان وهو فندق حديث فحم يطل على النيل الأزرق .

فى الطريق كان الدكتور الصياد يحدثنى عن المعالم التى تقوم على يسار السائر ولكنى كنت لا أرى الا النيل على يمينى . كان النيل والصور يحجبانه ولكن عينى كانت تنفذ من الحجب لتشرب منه .

ما ان دخلت حجرتى بالفندق وهى تطل على النيل ، ولها شرفة واسعة تتملاه حتى نحيث الستائر ، ترقبا للصباح حتى أراه .

ودقت الساعة الخامسة . تنفس الصبح وخرجت اليه . . فى اطلالة عليه . . النيل الأزرق . النيل . . . يا كثير الأسماء والآلاء . . . أزرق أبيض . . كالشمس تتعدد ألوانها وهى واحدة الضياء .

النيل الأزرق هادى ساكن .

(١) يعز على أن أعد الرحلة بعد رحيل الأديب الشاعر الاستاذ مبارك المغربى .

وانتظر القرن ٠٠ المجرن كما يقولون فى السودان وفى الطريق
الى نادى الخريجين حيث انعقدت الندوة ، سرنا وشاطئ النيل .

ومن فوق كوبرى النيل الأبيض ، رأيتهُ أو رأيتُهما معا ٠٠ النيل
الأزرق والنيل الأبيض يلتقيان فى هدوء ، ويمتزجان فى رقة فيها همس
اللمس .

وتذكرت ذلك اليوم الذى حرصت فيه وأنا فى « رأس البر » على
رؤية التفاء النيل بالبحر فى ذلك الموضع الذى يقال له (اللسان) .

يومئذ كتبت :

عند « اللسان » سرت ، والليل وأفكارى ٠٠٠ وكنت يائيل على يمينى
وكان البحر على يسارى ٠٠٠ وكان ولائى لك بما هو مركز ، فى منك ٠٠
كنت أراك وأحسك فى وقت واحد ولكنى كنت أشاهده البحر فقط ٠٠٠
كان احساسى غامضا مبهما لا أميز فيه الا رقتك الحاملة ، وانسيابك
الدافق فى أمان وروعة الى جانب صحبه وجلبته المتحدية ، فما من سائر
بليل الا مسه ، منها ، رشاش .

كنت أجمع بينكما فى نظرة يقظى فاذا بك تبدو لعينى على الأقل
فى مثل اتساعه وتراميه غير انك تنحدر فى اطمئنان الواثق ، حين يهمرج
هو فى جلبة الظافر ٠٠٠ الذى استحوذ على بضعة من النيل .

كان موجك ينفرج فى بساطة طبيعية كثغور عذبة تفتت ، وكان موجه
يتدافع فى سرعة وارتفاع يمثل للعين جبلا صغيرا من الماء ما يلبث أن
يتكسر عند الشاطئ فلا يبقى منه الا بعض زبد وبعض أصداف ٠٠

كنت فى هدوئك تمثل الفيلسوف المجرب الذى خبر الأيام وتناهت
اليه حكمته فليس من طبعه أو طابعه الجمجمة والصياح ٠٠ وهو فى صمته
أقرب الى القلب والعقل والنفس جميعا ٠٠٠ وكان البحر فى دويه الصاخب
كالعلاق لا يعرف ولا يملك غير القوة يهول بها ولا يأسر .

ما هو البحر ؟ انه ماء ٠٠٠ ولكنك ماء ودموع ودماء وتاريخ حافل
طويل ومعان شتى ٠٠٠

أذكر يا نيل كم من دماء أريقمت على صفحتك لأجناس مختلفة
فالفرس واليونان والرومان والترك والفرنسيون والانجليز ٠٠٠ كلهم
راموا غزوك ، وكثيرون غيرهم حاموا حولك ٠٠٠ فدحرنا قوما ، ودفعنا

قوما ، وصهرنا قوما ولكننا لم نستسلم ولم نخضع ٠٠ ولم نفرط فيك ٠٠٠
ولن نفعل أبدا ومصر هي مصر (كتبت هذا قبل وعد البعض اسرائيل
بماء النيل) ولكننا كما قلت لم نفرط فيه بل تصدينا لهذا المشروع
الاثيم ووأدناه في مهده) .

النيل والبحر ٠٠٠ لقد رجعت بنفسى ظمأى فى انتظار النهار لتتأكد
الرؤية وتصح المشاهدة فاذا بك فى نور الصباح أعجب منك فى ظلام
الليل ٠٠٠ كانت سمرك المحببة المشرية بحمرة جذابة تطفئ على البحر
بلونها وسماقتها فى جزء كبير منه من أثر الالتقاء ٠٠٠ على حين سلمت
أنت من زرقته الداكنة حتى أمواجه الرعن النزقة كانت نهداً عند الملتقى
لتستقبل العظيم القادم من قلب أفريقيا منتصرا على الصخور والشلالات ٠٠
والصحراوات ٠٠ وقوى الطبيعة جميعا ٠٠٠ ما أعظمك غاديا ورائحا
فالحير فى ركابك على الغدو والرواح .

أنا يا نيل كنت أفتح عينى عليك فما تطرف لترتوى منك فى هذا
المشهد الحافل بعينه ٠٠٠ أنك على هدوئك فى صراع مع هذا البحر منذ
آلاف السنين فما نال منك الا ما تلقىه بنفسك فيه بعد أن تقضى وطرك
من الانشاء والنماء والنضرة على حين تطفر أنت كل سنة بجديد من
الأرض تنتزعه انتزاعا لتمنحه مصر الشاكرة التى تنسب اليك الخير كله .

كم أخصبت لنا جديدا ، وأمرعت قاحلا حين دهمنا من وراء البحر ،
غيلان تغصب ما نزرع وتحرمنا ثمرة الجنى والحصاد .

كنت تحضرنا وكان البحر يعوق حضارتنا بما ييسره من الغزو
والاستعمار .

حقا لقد حمل البحر ، تجارتنا ، وسار السفين فيه يرفع رايتنا
عبره ٠٠٠ وينقل علبه مع التجارة المصرية ، الحضارة المصرية بوسائلها
ومناعمها ، وعقائدها ، وعلومها الى بلاد الشرق والغرب حيث تحمل
سلع مصر وترسو سفائنهما ، ولكننا ندين لك وحدك بالولاء ، والوفاء
والحمد ٠٠٠ فأنت يا نيل الأصل فى كل ما نزهو به ولو بدا ، على يد
غيرك ، آتيا .

لكن ما لى أحمل على البحر اذ أقرنه بك ٠٠٠ وفيه جمال طالما راقبنى
فى مواضع بعيدة عنك ٠٠ هل طغت معانيك على معانيه ؟ أم أنى كرهته
فجأة اذ رآته عيني يأخذ منك بضعة ما أولانا بها ؟ انى لا شك غيرى .

وحان العود فاذا بى أنتزع نفسى من وقفتى عندك . . . وقرأ على
تشبى بك فى التياحى فيرجعون بى على أن أعود
ألا ليتنى طويت حبك فى قلبى فلم أنزل به الى مجال الحديث . . .
فاذا بى بعد المطاف وطول الطواف أشعر أن الذى قتلته دون الذى أحسه
بكتبر (١) .

(١) ضمنت هذه السطور مقدمة كتابى عن النيل الذى هو رسالتى فى الدكتوراه

رحلة السودان

نادى الخريجين

مسجد النيلين :

فى الطريق الى نادى الخريجين رأيت مسجدا جميلا متميز الطراز
كأنه مجموعة من القباب . ويبدو أن السودان مغرم بالقباب ففى أنسب
طرز العمارة فى السودان وفى الصعيد على السواء عليها تتكسر
أشعة الشمس فيتلطف الجو تحتها ، ويطرب الهواء وكأنها مظلة من
الرضوان .

قباب المسجد . . . قبة المهدى . . القباب مغطاة بمشاة بصفائح
المعدن فتغدو ناصعة البياض ، شديدة الوهج . . تذكرنى بالهرم عند
إنشائه فقد كان سطحه لامعا براقا .

ان مصر والسودان ، وادى الشمس والنور لا تكفيه جهارة الضياء
فيكسو البناء بالبريق وكأنه ينشد ايناسا جديدا .

يبدو أن صفاء النفس ووضوحها ينعكس على الأشياء .

وصلنا النادى . . . صافحتنا العيون اذ الأيدى تنبسط للسلام . .
الودادة نفسها . . الطيبة نفسها . . ودار الحديث وتناشدنا الأشعار
أنشدت أبياتا للبهاء زهير وفيه من عدوية مصر الكثير وأنشدت من الأدب
الشعبى النيلى :

واجف ع الشط باصطاد بط وأنا عايم

صادنى غزال زين خدوده حمر ونعايم

وكيف أطوله وما بينى وبينه بعيد

جلبى غرج فى هواه يابا وأنا عايم

وجاء الدكتور حسن عباس صبحى الأستاذ بجامعة الخرطوم وتحدث
طويلا عن زيارته لى فى بيتى . أقسم أنه يوما لم يتم ليلته . . . ظل

سائرا فى شوارع القاهرة يستعيد ما دار من لقاء الأخوة وترحيب المحبة
بين شطرى الوادى أكثر منها بين أخوين من أهله وان سكن أحدهما
الجنوب وأقام الآخر فى الشمال .

يقول الدكتور حسن عباس صبحى عندما أזור مصر « أشم العافية »
وقال أخ آخر سودانى انه تعلم فى مصر خمس سنوات كان لا يغادرها
أثناء الأجازات . كان يعتبر خمس سنوات وقتا قصيرا لا يريد أن
يضيعه .

ودارت الندوة . وحين كان يوجه الخطاب الى خطيب من خطبائها
كنت أحس اسمى أكبر وعمرى أطول فلم يعد اسمى بل بضعه من الخالدة
التي أنتمى اليها مصرية من مصر .

كان سمعى مع الخطباء وكانت يدى تسطر على الورق هذه الدفقة التي
انبثقت دون اعداد كأتى فى الوقت نفسه أسمع صوتا فى داخلى .

رأت مصر نفسها فى المرأة

رأيت السودان

حيث النيل شريان الحياة

يا نيل

هل أتيت معى ؟

لا . . . أنا التي أتيت معك

أنا يا أبى التي أتبعك

قد يراك غبرى مجرى ماء

ولكنك عندى

حب فى قلبى

نور على دربى

حياة فى دمى

كساء لأعظمى

منحه . . نفحه . . صفحة

بيضاء نقيصة

صادقة تقبة

تتصوف نتشوف
طاهرة كمحراب
لا تتزلف
فالقول فيك وفاء
وكبرياء
نهر يتدفق بين أضلعي
أحيا به
ويعيش معي
والنقى وأستقي
وينبت علي قلبي
الزهر والثمر
يروع الحرف
أخضر كالشجر
وأغني حبي مواويل
معانيها منك يا نيل
غالية المعاني
بما فيها منك
يا صاحب العطاء الطويل
يا صاحب الجميل
« المرقن ما أروعه
ما أعمقه .. ما أبدعه
أنت نقرن النيلين
نقرن البلدين
نقرن الروحين
قبل الزمان
بزمان
يا أعرق أصيل

ويمضى موكب الأجيال

جيلا وراء جيل

وتظل أنت

شبابك أخضر

وفأرك أنضر

لا تهرم لا تشيخ

خالدا خالدا يا نيل

قال أهلى فى وقدة

متى العودة ؟

قلت :

لم أسافر حتى أعود

أنا فى السودان

معكم • مع النيل

مع نبع الجود

مع سر الوجود

ولمح الأديب السودانى الجالس الى جانبى مولد الكلمات على الصفحة
فأعلنه •• وطلب منى القاءها وأيده الحاضرون •

ماذا أقول ؟ فى رأى ليس بشعر •• وليس بنثر •• انها خفقات
روح •• انها نبضات قلب •• دفقة شعورية •• كلمات لنفسى ••
وللنيل •• والنيل منذ مولدى عليه •• بينى وبينه كلمات •• وأشياء ••
وحاجات ما أن أراه حتى يدور حوار

ويطول السرار

ويبدو أننى لست وحدى فالذين سمعوا هذه الكلمة ، تهللت وجوههم
بانسراحة الراحة ، وكأن كلا منهم صاحبها فهى احساس فى قلب
انسان الوادى •• فى الشمال وفى الجنوب •

رسائل اليه

لهفة عليه

عز انتماء

دين وفاء
عنه أخذناه
منه رشفناه
وتأثر الحاضرون •

يبدو أن التلقائية والعفوية أقرب الأشياء الى القلب •
قال مستشارنا الاعلامي : كدت أبكي وقد تبكى الأذن قبل العين
أحيانا •

رحلة السودان

مسرح العرائس

كان موعدنا فيه السادسة مساءً • والساعة نندنو من الخامسة • نحن فى الطريق الى مسرح العرائس • على يسار السائر ، قاعة الصداقة وهى بناء فخم سامق فى شارع كورنيش النيل وبعده المتحف وهيلتون •

مررنا بالبرلمان السودانى • بناء آخر جميل وسألت مرافقى المصرى البناء كبير ولكن ماذا عن الديمقراطية فيه ؟ قال : الديمقراطية هنا بخير • • قلت : لعلها •

عندما وصلنا ، المسرح ، تجاوزناه فقد استضافنا الاستاذ مبارك المغربى بالسير دقائق أكثر على النيل • • سار بنا على كوبرى « شمبات نسبة الى قرية شمبات وهو يقضى الى مدخل « أم درمان » •

ومن فوق هذا الكوبرى رأينا « مقرن » توتى • وهى جزيرة سودانية لها فى النيل وفى الشعر مكان ومكانة •

على باب مسرح العرائس جمع من الأطفال وذوهم • • النور مقطوع • • هل تسلل فار السبئية الى هنا ؟

انتظرنا ساعة عندما بعدها الى الفندق ذهبنا الى المسرح القومى • شاهدنا فنونا شعبية ورقصات سودانية تمثل مختلف المناطق الجنوب والشرف والغرب • • شاهدنا على المسرح عرسا سودانيا •

رقصات الجنوب فيها مذاق الغابة الاستوائية • الأجسام نصف عرايا أبنوسية لامعة كأن الليل فصل أجسادا ونحت أجساما • الرؤوس عليها قرون حيوان الوعل • • الريش الملون • • الرجال الراقصون يتحلون بالعقود والأساور •

وقدرت السفر الطويل الذى قام به القلب المصرى ليصنع الحضارة حتى قبل بناء الأهرام •

ما أظلم هيرودوت أو قوله القاصر « مصر حبة النيل » . ان مصر
حبة النيل وهبة الانسان المصرى .

فى المسرح أهدى الى الأديب السودانى مصطفى عوض الله بشارة
كتابه (أضواء النقد) قال انه فرح حين علم بمقدمى الى السودان بين أعضاء
الوفد المصرى . .

ولم يكتف بأن أهدى بل أطرى نثرا يراه هو أرقى من الشعر .
شكرا له على هديته . . وعلى تحيته . . والتحية هدية . . والهدية
أيضا تحية .

من الناس من يعيش ليأكل . ومنهم من يأكل ليعيش ولكن الانسان
فى الحالىن من ضرورياته ، الطعام . . ومع هذا لا أحب أن أتحدث عن الطعام
بله الكتابة عنه ولكنى سأسمح لنفسى أن أتناول لونا استوقفنى فى المائدة
السودانية . . تناولنا فى طعام الغداء شوربة فول سودانى أعجبتنى قدرتي
وأنا أزالو المطبخ فى بينى أن يكون الفول مطحونا ثم يحمر ويسقى
بالمرق . ذهبت الى الطاهى لأستوثق فأضاف كثيرا (١) :

انى معتزة بهويتى الصغيرة . . أقصد داخل الكتابة فى ، سيدة
وكيف لا أكونها وهى (أم) كل شىء ، بعد حبات القلب أى الأبناء .



الفول فى السودان له شخصية مميزة . فهو هنا يطلق عليه ، الاسم
المصرى (مدمس) لأنهم يدفنونه فى الرمل فى عملية تحميص طبيعية .

(١) الفول يطحن ثلاث مرات

يطحن فى مفرمة اللحم بعد نكسره فى الهون

حذر الرجل من طحنه فى الخلاط لأن ٨٠ / ، ريت ، وهو يفسد الخلاط ان يكسر .
لأنه صعب الكسر .

يحمر مبشور بصلة فى قليل من الزيت بحميرا فانحا . أن يكون بضء ثم يضاف
اليها ملحقة صغيرة من مسحوق الفول وحسب الكثافة المطلوبة فى السمك أو الغوام .

وهو أجود نوعا وأزكى بالطبع .

بمناسبة الطعام السوداني ، الأكواب فى السودان كبيرة بما لا نظير له فى مكان آخر . أكواب غداقة .

الأنه بلد النيلين ؟ أم لأن الحر زيادة حبتين ؟

ومادمت دخلت فى باب الطعام السودانى أذكر أنى ميزت شرابا سودانيا قدموه لنا فى المسرح اسمه طريف يطلقون عليه : الحلو المر ! .

قال الدكتور الصياد انه نوع من الخبز يحمره ثم يضيفون اليه السكر والليمون . . نوع من الجعة .

هذا الشراب طعمه فيه لمحة من عصير القصب .

المذكرات تنهل ولكنى لا أنسى واقعة حدثت فى نادى الحريجين .

ففى أثناء الندوة الفكرية ، شق الصمت أو هدوء المكان ، صوت يجار . . والتفتننا كل من زاوية كرسيه فاذا على الأرض امرأة عاجزة الساقين تطلب احسانا فى صوت مكروب .

تبتت فى المكان فجأة كأنما انشقت عنها الأرض .

وجهها فيه حزن ورقة الصفصاف حين تسقط فى الحريف .

لماذا يكون فى وادينا سائل ؟ وادى الخير والنماء ؟ أقصد مصر والسودان !

يعز على أن أختم هذه الحلقة بأنة ألم . لهذا أخففها ولا أقول أبرئها لأن هذا الداء تطب له الأمة كلها . .

أتحدث عن (الأسماء) فى السودان .

انها طويلة فى جمل مثل :

« طيب الأسماء »

« تام زينه » أى تم زينه . تم حسنه ومن الأسماء السودانية بين النساء : السكات وهو الصمت فى العامية المصرية وكان الاسم رد على التهمة التى تلصق بالمرأة وهى الثرثرة .

وتضاف الأسماء فى السودان كثيرا الى الله : - خير الله - عبد الله

عوض الله - قريب الله وتشذ القاعدة أحيانا فقد قدم لنا نائب وكيل وزارة الثقافة اسمه كمن يتخلص من حرج يحس به :

- أنا اسمى أحمد بابكر كابوس *

ويضيف ضاحكا :

المصريون بلطفهم المعهود يخففونه فيقولون قابوس في محاولة تشبيهه
بسلطان عمان *

قلت : مصر يحلو لها فيما يبدو خلع السلطنة على الجميع حتى الأغنية
المصرية اشتغلت بالمراسم هي الأخرى فجعلت : الحبيب - يسعد أوقاتة -
على الجمال سلطان *

وضحكنا *

رحلة السودان

نادى ناصر ومحاورة متوهجة

وكثير من الاسماء فى السودان مصرية فمدرسة فاروى - مدرسة جمال عبد الناصر الثانوية ونادى ناصر . الخ .

الخرطوم نفسها تبدو مدينة مصرية بمصر العليا انها مزيج من أسوان ومرسى مطروح .

جمعت جغرافيتنا من أطرافها كمجد مهبّار الشاعر الفارسى .

والجامعة هى جامعة القاهرة فرع الخرطوم . والوجوه فيها لمحة من مصر والسودانيون يعتزون بخولة مصرية . كثيرون منهم احوالهم مصريون .

فى المساء ذهبنا الى نادى ناصر لنستمع الى محاضرة عن الأدب الشعبى السودانى من الشيخ عبد الله البشير .

استقبلونا استقبالا حافلا وجلسنا فاذا برئيس الندوة يعلن فى الميكروفون : صاحبة كتاب « الجمال والحرية والشخصية الانسانية فى أدب العقاد » - الكتاب نفذ ستحدثنا الليلة عن العقاد أستاذ السودانين .

وكانت مفاجأة لى . ولكنى اضطررت الى القبول وصعدت الى المنصة وقلت :

- لقد جئت النادى مستمعة لا متحدثة . وحين يتناول الحديث العقاد وهو متعدد الجوانب فانه يحتاج الى ليالى لا ليلة واحدة فما بالنا وليلتنا هذه موهوبة للأدب الشعبى السودانى لهذا سأقتصر على جانب واحد من جوانب العقاد وهو عبقرياته الاسلامية .

وتحدثت فى تركيز حتى لا ينغبر برنامج الاحتفال لا سيما وأنهم آثرونى بالاستهلال .

وفى اليوم التالى ذهبنا مرة أخرى الى نادى ناصر حيث تقام ندوة العلاقات الثقافية كان يدير الندوة الأديب السودانى الهادى بابكر استهلّت

الندوة محاضرتى وموضوعها (وادى النيل ووادى الدين) وهى للقراءة وحدها حتى لا تقطع السياق .

فى الثامنة مساء ذهبنا الى منزل السفير المصرى فى السودان بدعوة منه للعشاء . منزل سفير وكفى وسفير مصر .

استقبلنى سفيرنا سعد القطاوى استقبالا حفيا . ما أن ظهرت من الباب حتى خف متهللا يمد كلتا يديه للحاضرين قائلا :

انى انتظر هذا المساء لأراك . . لقد رأيتك فى كتابك وكتابى الأثير الذى أقرأ فيه كل مساء (شخصية مصر) ولكنى كنت نواقا الى رؤيتك كالكتاب وأكبر .

عرفت فيما بعد حبه لمصر فأدركت أن ترحيبه واعتزازه فى تلك الليلة كان تحية لمصر . كان يراها فىنا . . كان فخورا بها هى . . هى المنبع ونحن بضعة منها بضعة فقط وتظل هى الكل الكامل والمتكامل . . .

وعندما حان موعد العشاء دعانى سفيرنا أولا وأفسح لى يديه الطريق الى المائدة ثم تبعنى باقى الضيوف .

وكان مثله فى الحفاوة بى الدكتور عثمان بدران وزير الزراعة الأسبق الذى قال :

بدأ ينقشع عن نفسى اليأس عندما كنت أتابعك فى هضبة الأهرام . لن يموت بلد يحبه أبناؤه كل هذا الحب . أن تقفى بكل هذا الصمود فى هذه المعصية يزيد فخرا بك وبمصر .

واشترك فى الحديث ، الوزير الليبى على شمو . ثم قال السفير أن المحافظ يقصد محافظ الخرطوم وقف فى البرلمان السودانى يتكلم عن هضبة الأهرام رافضا من أجلها مشروعات الانفتاح حتى لا تتكرر الفضيحة فى السودان وهذا ثابت فى مضبطة البرلمان . السودانى .

عندما ودعنا السفير شاكرين . خرج معى من باب الحديقة مطمئنا على انتظار سيارتى وظل واقفا حتى أخذت السيارة دورتها حول الميدان وانطلقت فى طريقها .

ولكن أن يستقبلنى سفيرنا هذا الاستقبال ، يفهم . . ان السفارة المصرية فى أى بلد ، بيتى . . بيت المصرى من حيث أتى وان كان سفيرنا فى السودان نموذج عزيز عال ولكن أن يحتفى بى حفاوة غالية ، مدير

الاذاعة السودانية الاستاذ محمود أبو العزايم فذاك دلالة أعترز بها لا سيما
وأنها حقاوة فيها ذاتية وليست تقليدية • ما أن رأني الرجل حتى قال
قاطعا على المذيع السوداني الذي يقدمني :

..... صاحبة هضبة الأهرام وكتاب النيل والمازني وأم كلثوم
وشخصية مصر ثم أضاف أن هضبة الأهرام بعد توفيق الله ، أحد عوامل
نجاحها « الأسلوب » فقد يصمد انسان ويكتب ثم لا يؤتى هذا التأثير •

فى المساء كان موعدنا مع النادى المصرى •، حاضرننا عن المرتكزات
الثقافية بين مصر والسودان نكلمت عن وجوب اعادة كتابة المصاحف فى طريق
توحيدها ، تركيزا على قيم الدين والفن والعلم والحضارة القيم الثابتة
والباقية لا على منغريات نزول بزوال ملايساتها ومناسباتها •

اعادة كتابة التاريخ بحيث يكون رأسيا لا أفقيا أى تاريخ أمة وادى
النيل لا تاريخ أفراد •

أن يكون المسجد والجامعة مركز اشعاع لا خطب منبرية أو برامج
مدرسية •

أن تكون هناك اطلالة شبابية واشرافة شبابية دائما بل يكون هناك
بيوت شباب فى شطرى الوادى لأن العلم محبة وتبادل الزيارات خاصة بين
الشباب وسيلتنا الى الامتزاج •

وقد طلب الدكتور الصياد أن تكون كلمتى كافية عن الوفد كله ،
وطلب فتح باب المناقشة •

جاءتنى أسئلة كثيرة فجرت موضوعات أخرى وفى النهاية قال
الدكتور الصياد أنا وزميلاي مستعدون ولو أن بيننا الدكتور نيمات ولكن
إذا وجد رجل وعشرون امرأة تكلمنا بصيغة المذكر • تقول (القمران)
والمراد الشمس والقمر فإذا بهذه الاثارة تدخل بنا فى محاوره متوهجة
ضحك لها المجتمعون كثيرا •

قلت : الشمس مؤنثة ومنها يستمد القمر نوره :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب

ولا التذكير فخر للهلال

ذ: الصياد : السماء مذكرة

د: نيمات : السماء مؤنثة يقول الله تعالى : (والسماء ذات البروج) ويقول

« اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتشرت . واذا النجوم بعثت .. »

فالسماء وكواكبها ونجومها مؤنثة

وصفق الناس طويلا .

د . الصياد : ان الله خلق آدم ليعمر الأرض ثم خلق حواء لتكون خادمتة .

د . نعمات : ان الله حين أراد تعمير الأرض خلق حواء . ولو كان آدم قادرا

على تعميرها بمفرده لاكتفى به . . ولاستطاع أن يعمر بيته بالخدم .

ان المرأة قرينة أى عدل النفس لا خادمة .

سلوا الدكتور الصياد وهو متزوج من سيدة فاضلة هل هى قرينته

أم الصفة الاخرى التى يقول بها .

وضح المكان بالتصفيق والضحك .

د . الصياد : ان الله خلق حواء من ضلع آدم .

د . نعمات : لتكون أقرب الى قلبه . ومن هنا امتسلاً الأدب فى كل لغة

بالنسيب والتشبيب والغزل .

والآية تقول « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا

اليها . »

وفى قراءة أخرى « أنفسكم » بفتح الفاء .

ان الرجل مهما بلغ ابن أمه . وحياته كلها تبدأ بامرأة هى أمه وتنتهى

الى امرأة هى زوجته

سأل صحابى ، الرسول ، عليه السلام : من أحق الناس بمحبتي

يارسول الله ؟

قال : أمك

ثم من ؟

قال : أمك

قال ثم من ؟

قال : أمك

قال ثم من ؟

قال : أبوك

وأراد الملحق الصحفى المصرى أن نسمّر فى الحوار لولا أننا أقفلناه
ليبدأ العشاء ثم السهرة رعاية لباقي المدعوين .

وهذه هى المرة الثانية فى هذا اليوم الذى تحاورت فيها مع الدكتور
الصيد .

فقد حدث أن تناولنا الشاي فى المجلس القومى للفنون والآداب .
وكان فى استقبالنا وزير الثقافة السودانى . وقام أمين عام المجلس القومى
بالقاء قصيدة نرحب فأخذنا نرد عليه تحية بتحية .

قال الدكتور الصيد : اننى لست أديبا - وهو فى رأى أديب -
بل جغرافيا والجغرافيا أهم شئ للإنسان . والتكامل بين مصر والسودان
يقوم على الجغرافيا .

وهنا قلت : ان الدكتور الصيد أسنأذى عندما كنت طالبة بكلية
الآداب ولكنى أخالفه فى الأصل كانت الكلمة .

ولولا خلال سننها الشعر ما درى
بناة المعالى كيف تبنى المكارم

ولكنى أوافق فى أن العلم وسيلة المحبة وإذا كان الله قد أمرنا أن
ننظر فى خلق السموات والأرض وأن نمشى فى مناكبها فأولى بنا أن نتعمق
أوطاننا ونعرفها ليكون حينا لها صدقا لا تقليدا فان الهاتف كما أقول دائما
وطنية البسطاء .. والانتماء ليس شهادة الميلاد ولكن « الاضافة » الى
الوطن والعلم به والانطلاق من أرضية اعتناق قضاياه هو الشاهد
الصحيح .

أعود الى الدكتور الصيد . يقول انه ليس أديبا وأقول أنه أديب .
لقد وضع مرة امتحانا يقول :

اشرح البيتين الآتين شرحا جغرافيا :

والماء تسكبه فيسبك عسجدا

والأرض تغرقها فيجيا المغرب

تسود ديباجا اذا فارقتها

فاذا حضرت اخضوضر الاستبرق

ويضح التلاميذ الصغار فيصيح فيهم :

وماذا فى هذا ؟ انه رى الحياض .

بل كثيرا ما ترنم الدكتور الصياد فى السودان بالشعر ٠٠ ومن شعره هو :

هنا عليك وانت ما هنت
أنت الجيبة كيفما كنت
ماذا جرى فنفرت عابسة
أغضبت لما قلت « يا بنتى » ؟
عفوا ٠٠٠ فوجهك فى براءته
مازال يحمل صورة البنت
ان كنت قد أخطأت معذرة
أنت الانوثة كلها أنت

ان حوارنا على تعارضه فى رأى كان يحمل من معانى الاحترام والاعتزاز ولا أدل على هذا من أن الدكتور الصياد عندما عرض على الاخوة فى السودان البقاء بينهم أستاذًا بكلية البنات أو أستاذًا زائرًا واعتذرت ألح الدكتور الصياد على فى قبول منصب أستاذ زائر بجامعة الخرطوم ٠٠ واعتذرت أيضا .

ولكنى اعتززت بثقته وتقديره .

ومن باب التقدير الذى أعتز به أيضا ما عرضه على المسئولون فى السودان أن يعطونى بيتا على النيل لأكتب كتابا عن السودان كتابى (النيل فى الأدب المصرى) ٠٠ ولكنى اكتفيت بوعد الكتابة ، وفى بيتى فى القاهرة ، اذا تهيأت لى المادة العلمية ونهيا لى الوقت المواتى .

وانى خالصة النية فالنيل لا يتجزأ ودليلى أنى فى كتابى (النيل فى الأدب المصرى) وقفت طويلا عند النيل فى المآثورات السودانية بل والنوبية . ان من حقهم ، على ، اخوة الدرب ورفقة العمر أن يطلبوا الى هذا الطلب ٠٠ ومن حق النيل .

رحلة السودان

خزان جبل الأولياء وخزان حب فى كيان صغير

جبلان : جبل أليا ٠٠ وجبل المنذرة (صخور محمية وهما تلان فى الحقيقة لا جبلان .

النيل الأبيض عند جبل أليا ، ملك ٠٠ على يسار الداخل أو السائر على الكوبرى الصغير ٠٠ ولكنه على اليمين أقل اتساعا . انه لا يحب القيود التى نسميها خزانات .

عناك على ربوة مرتفعة بيت جديد «فيللا» يتملى النيل . فى هذا البيت المحفوظ كان يقيم أحمد عبد القوى باشا أول مصرى بل أول مقيم فى هذه المنطقة . كما كان الماحى بك يقيم فى حى الشجرة الذى يقابل المسافرين من الخرطوم الى جبل الأولياء . وكان الماحى بك مأمورا مصرى فى السودان . ثم أصبح الحى يسمى شجرة غوردون ثم غدا الآن يطلق عليه حى الشجرة بدون أسماء . ولا يزال مكانا للمصريين ويمثل القمر الصناعى للسودان .

عند جبل الأولياء رأيت أجانب سعوا مثلنا الى هذا المكان الجميل . المكان الذى لم يره ذلك الشاعر العربى الذى شبه النيل بصفيحة صبقل . وحسب نفسه بهرنا بالصيقل .

موجات النيل هنا نحيلة تتراقص . موجات طفلة تثب فى مرح الطفولة .

طيور تحوم وصيادون يقصدون رب الأسماك رب الرزق العظيم كما كان يسميه قداماؤنا . مر أحدهم أمامنا صديقتى السودانية وأنا وبين يديه « مقطف » مملوء بالسماك البلطى الشهى ويعرضه ب ٤٠ قرش (أربعين قرشا) !! وتقول صديقتى السودانية ان السمك هنا عند الحزان ، أطعم .

• ورايت صيادين آخرين فى قواربهم الصغيرة يبيعون ويأكلون وهم على مظهرهم البسيط المتواضع سغداء بالنهر •

على الشاطئ أحواض الزهور الوردية لا جواميس مربوطة أو مراحيض قبيحة •

لم يفعل السودانيون بالنيل ما فعلته محافظة القاهرة وزميلتها محافظة الجيزة مما فصلته فى مقالاتى بجريدة الأهرام •

ويذكرنى خزان جبل الأولياء بأوهامى هل يمكن أن يقوم خزان فى الحبشة يحجب عنا ، النيل ؟ العلم يقول لا بل مسنحيل بقوة اندفاع الماء هناك تهدم أى خزان فى أيام معدودة •

وتذكرت لودفيج حين سأل الفلاح المصرى عما اذا كان يعتقد أن الانجليز يكيّدون لمصر فيحبسون عنها ماء النيل « فأجاب الرجل الطيب فى ابتسامة مشيرة الى السماء : « عبتا يحاولون أن يسلبونا النيل • لقد رهبنا الله النهر يجرى حتى يبلغ حقل الفقير فيرويه منه » ••

لم يملك الرجل أن هتف مؤمنا :

ما من إله غير الله الا أن الفلاحين يؤمنون بنهر يقرر سخطه أو رضاه فى أعالي أفريقيا ما يكون عليه المحصول المصرى من القلة أو الوفرة •

ولم يتردد أن يجعله فى أديان الشرق دينا رابعا مقتبسا من الحياة •• موجها لها منشئا لقيمها •• سجل هذا فى كتابه The Nile

كلنا ذلك الفلاح حتى لو ظفنا العالم كله حتى ولو لم نملك حقلا •
فالنيل لا يسقى الزرع وحده ولكنه يحيى الأنفس والشرمات •

كان يرافقنى من الأخوة السودانيين غير صديقتى السودانية الأستاذ الشاعر مبارك المغربى رئيس المجلس القومى للفنون والآداب الذى ما كدت أبدى رغبتى فى زيارة جبل الأولياء ولم يكن هذا فى برنامج الوفد حتى أسرع الى اعداد الرحلة اليه وآمنت بقوله :

جرى النيل فى أرضنا كوثرنا فأجرى المودة لما جرى
وغنت مع الموج سلطانة توشج بين القلوب العرى
كانى (بدمياط) رغم النوى يعانق فى لهفة (عطبرا)
وكم بالجزيرة من منظر حكى سحره (المقرن) الأخضر
حببتنا الطبيعة اشراقها فقالوا أحبت فتى أسمر

وعدنا وفى الطريق كان حديثنا عن النيل أيضا • انه حبنا الكبير
مصريين وسودانيين غير أنهم يعدون خزاناتك وينسون خزان حب كبير لك
فى كيان صغير • قلبى •

وأخذت على الطريق أشرب منه بعينى ويلمح الرجل الشاعر ،
ولوعى ، فيقول انى أنافسك فيه • أنا أيضا عاشق النيل • وصدقته
مرة أخرى فهو صاحب الأبيات فى وصفه :

ليس هذى روى ولا تلك ماء شاطئ النيل جنة فيحاء
لانه السحر يستميل هوى النفس ويغرى القلوب كيف يشاء
فيه من روعة الخيال صنوف فيه من فتنة الجمال بهاء
أرايت الأزهار فى الضفة الخضراء تملو أديمها الأنداء
أو سمعت الأنين عند السواقى حيث لاضجة ولا ضوضاء
غير لمن الطيور فى الأفق الساجى تغنيه روضة غناء
أيهذا النيل الحبيب سلاما لك منا الاكبار والاعلاء
انت شرياننا ورمز تأخير لنا ونبراس هدينا الوضاء
ان تدفقت فى الجنوب سخيا فلکم انت للشمال رخاء

قد لايعجب هذا القول أناس لم تعد المعانى الجميلة فى حسابهم
أو القيم الثمينة ولو كانت النيل فى عصر (الباكو) و (الأرنب) من
اصطلاحات أغنياء الانفتاح ولكن الشاعر والفنان ، الأغنى بالموهبة التى
تجعل صاحبها يستطيع كما يصف ولیم بليك « لحظة الابداع » •

أن يرى العالم فى حبة رمل

أن يرى السعادة فى زهرة بريه

ان يرى اللانهاية فى راحة يده

ان يرى الخلود فى لحظه •

لحظة لن يراها أبدا عباد المال والشيطان والسلطان •

رحلة السودان

زوج يدفع ٧٠٠ جنيه مكاملة تلفونية لزوجته

مهايم سودانية

جامعة الخرطوم

تمثل في السودان مركز اشباع ، ومنبر رأى المصنقات هناك
نتقارع بالحجة وتتعارض في الفكرة ولكن لايعترضها أحد . وتنفس
رؤيتها فتتناول الأوضاع في ايران ومصر والعالم العربى .

سالت مسئولو سودانيين كبيراً عن مصنقات جامعة الخرطوم
وما تتضمنه من معارضة عنيفة فقال بدماثة :

• هذه ظاهرة صحية

واحترمته مرتين : مرة لتسليمه بحرية الرأى والأخرى لترفعه عن
الصاق التهم بالمعارضة كما يفعل أغوات السلطان .

المصنقات في جامعة الخرطوم تقول رأبها فينا ولكنى عندما قرأتها
قلت فى مثل هدوء المسئول السودانى :

— هذه ظاهرة صحية •

وتذكرنا مصريين الجامعة المصرية وكيف سلبت ارادتها فغدت تعطى
امتيازاً للجالسين فى منازلهم أو قصورهم أو المتنزهين حول العالم على
حساب الشعب •

الدكتور الصياد قال انه سأل العميد الهام : هل (المعيدة
استوفت شروط التعيين ؟

هل عملت مثلاً (فيش وتشبيه)

هل قدمت شهادة حسن سبر وسلوك ؟

هل قبلاً ، حضرت المحاضرات ؟

وتحجر على الشفاء ، الجواب •

ونتحدث عن انحدار الجامعة عندما فيقول الدكتور الصياد أيضا :
لماذا لاتتحدث ؟ ان الذى يوجهها يمينا ويسارا رابعه ثانوى .. كان
الطلاب فى جامعة الأزهر يتسابقون الى تقديم مركوب الأستاذ دون ان
يعرف أسماءهم لأنهم يرتشفون منه العلم ..

هذا فى العهد البائد ولكن (النظام) فى العهد السائد جعل الطلاب
يكتبون تقارير عن استاذهم !!

الأستاذ كان يعطى عطاءه فى اخلاص وسعادة ولكنه الآن .. لعله
يقول بينه وبين نفسه :

هل يستحقون كتبة التقارير ؟

هل يستحق هؤلاء الجهد ؟

ولو أنى أعتقد أن الكثرة الغالبة سليمة على الرغم من شتى الضغوط
ما بين صروف الزمان وبغى الانسان ..

الأزهر والتبشير فى السودان

التبشير فى السودان يسلك هذه الطريقة : كوخ يعيش فيه المبشر
مثلهم خاصة فى الجنوب والى جانبهم حتى يتحسس رغباتهم عن كتب ..
ليلبئيا فى عملية تودد وغزو نفسى .. يلتقط مشاكلهم ليسارع الى حلها .
أمراضهم يطب لها .. أوجاعهم يخففها يغدو جزءا منهم .

وهنا تأنى المرحلة الثانية بعد أن هياهم شعوريا وفرغ من
اعدادهم ..

يدعوهم وفى تلطف .. فى تحسس وتجسس فى هواه ورقق الى
المسيحية .. لا بل يتسلل الى نفوسهم بدعوته . ومن الطبيعى أن يلقي
استجابة .. استجابة سبقتها تمهيدات كثيرة .. فإذا تعارضت المسيحية
بعد اعتناقهم لها مع شئ من عاداتهم أو مألوفاتهم رخص المبشر لهم بها
حتى لا ينفروا أو يراجعوا .. وهنا ما يعرف باسم المسيحية الأفريقية
وهى المرخص فيها بالمنوعات كتعدد الزوجات وغبر هذا مما يسود فى
القبائل الأفريقية .

هذه الكلمة مهداة منى الى الأزهر .

متحف السودان

ان خير تحية سودانية لمصر ، متحف السودان انه اعزازهم لمصر
بلا شك الذى حدا بهم الى العناية بآثارها هذه العناية الفائقة المتحف بعد
المدخل الجميل الأخضر الذى يرف عليه النبات به أدوات مصر من النحاس
ترجع الى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد وخرز يرجع الى ٢٠٠٠ ق م .
واسير ورأى .

اناء جميلا من الفخار الأحمر المصقول

ان حضار (كرمه) الواقعة فى الشمال تشير الى مصر . حيث نرى
نميمة على شكل (أبو الهول) من العقيق وآنية محسلة بزهرة اللوتس
وخاتما منقوشا عليه اسم امنحتب الثالث من بلدة (سمنه)
ولوحة كبيرة من الجرانيت عليها كتابة هروغليفية خاصة بالملك
سنوسرت الثالث .

بل فى المتحف السودانى جناح سنوسرت .

وفى المتحف السودانى الكاتب امنحتب من الأسرة الثامنة عشرة
جالسا مع زوجته يتقبلان القرابين وفى المتحف السودانى صورة معبد الملك
تحتمس الثالث فى (سمنه) .

وقد عثر على تمثال أوزوريس الهرم الثالث للملك سنكامنسكسن
Senkamensexex فى نوري Nuri

وفى المتحف السودانى تمثال للاله رع .

وتمثال للاله آمون وتمثال للاله ايزيس .

وفى المتحف مكاييل وسلال من القش المصفود وعقود وحلى من الذهب
من بوهين Buhen وخاتم فضه من (مروي) .

وسكبن من الذهب وأزرار من الذهب أيضا وعقد من الزجاج الأزرق
محلى بمادة ذهبية من (مروي) .

وعقد من الدلايات على شكل زهور بألوان مختلفة من مروي .
وكأس من الزجاج الأزرق عليه رسوم باللون الذهبى تقدمه ملكة
للاله أوزوريس .

دار الهاتف في الخرطوم

عشنا حاولت الاتصال ببيتى فى القاهرة من فندق السودان . ذهبت الى دار الهاتف . قابلنى رئيسه بترحاب ثم ابتسم . وعرفت أن الدخول الى عرينه ممنوع بعد الهجوم الأخير على دار الهاتف الذى راح ضحيته أكثر من ثلاثمائة شخص .

— كيف دخلت وبالباب جندى مدجج بالسلاح ؟

ولكن الذى حدث أن السائق المخصص لى ، همس فى اذن الجندى . . . فأفسح لى الطريق رئيس دار الهاتف حدثنى ان الايراد اليومى للدار يربو على ٣٣٠٠٠ ثلاثة وثلاثين ألف جنيهه فبعد الثلاث دقائق الأولى يحسب عن الدقيقة ، جنيهاً .

وهنا يروى الرجل طرفه فقد دفع زوج هجرته زوجته الى أوروبا فى مكاملة استعطاف سبعمائة جنيه ٧٠٠ جنيه !!

وهنا يقول رئيس المصلحة : هذا المبلغ كاف ليتزوج أخرى .

ويلكوكس ورى الحياض

ويلكوكس مهندس الرى الانجليزى أول من قال بوجوب العودة الى رى الحياض كل خمس سنوات مرة فى عملية اراحة للأرض واعطائها فرصة تتزود بالطمي وتلتقط أنفاسها .

ان الرى الدائم خلق من الملايين الخمسة الصالحة للزراعة ثلاثة عشر مليوناً من لأفدنة دون زيادة فى الأرض بل المحصول .

بمعنى أن بعض المناطق تزرع مرتين والبعض الآخر يزرع ثلاث مرات .

ولكن نظام الرى الدائم هذا أصاب الفلاح بالكسل . . فهو يفتح حوال الماء ثم ينام طول الليل على طريقة الفلاحة حين تدع طفلها يرضع طول النهار .

وهنا يزيد الماء عن حاجة الأرض (الأرض تطيل) .

الزواج فى السودان

فى بعض القبائل أو فى الجنوب بصفة عامة يضرب العريس بالسياط

ضرباً مبرحاً فإذا نددت عنه لفظه (آه) رفضته العروس أو أجملت طلبه
عامين على الأقل حتى ننسى قوله (آه) !!

عامين على الأقل حتى ننسى قوله (آه) !

ويتصل بالزواج الختان والسودانيون يرونه عادة فرعونية أو يردونه
إلى مصر القديمة ولكن الختان كما يقول الدكتور أحمد بدوي لم يرد في
النصوص الفرعونية .

وسواء هذا أو ذاك فإن الختان متبع بل وفي مبالغة فيه يشفق منها
المثقفون فيهم .

وهناك غير الختان طقوس وطقوس لم يتخلص منها السودان الشقيق
بعد . لقد كان هم الانجليز الإبقاء على الطقوس السودانية لتجديد
السودان وحجبه عن التطور حتى تسهل مهمتهم ولكنه الآن يتطور .

أقولها كما قال جاليليو عندما حملوه على انكار دوران الأرض

ولكنها تدور .

يقول برتراند راسل :

(ما أيسر أن تنتشر مساوئ الغرب : القلق والروح العسكرية
والغضب واعتقادنا الجازم في الآله أما أفضل ما في الغرب روح البحث
الحري ، وإدراك الظروف التي تؤدي إلى الرفاهية العامة والتحرر من
الخرافة - فإن الدول القوية في الغرب تصرف الشرق عن التحلي به) .

ليست هذه وحدها التي تذكر للانجليز في السودان . . . لقد
تذكرنا مصريين وسودانيين في إحدى الأمسيات اغتيال السردار الانجليزي
الذي دبره الانجليز أنفسهم ليتخذوه ذريعة لفصل السودان عن مصر . . .

تري لماذا لم ترفض حكومة الوفد ، الإنذار الذي وجهته انجلترا إلى
مصر وقتئذ ؟

ما هو أقصى وأقصى عقاب ؟

أن تحتل مصر ؟ كانت محتملة .

هنا ترسم علامة تعجب كبيرة وعلامة استفهام أكبر .

ومن العجيب أن سعد زغلول نفذ الإنذار ثم استقال !
وكان الطبيعي أن يرفض ويستقيل أليس لغزا محيرا ؟
وحتى حين يجرم الهم لا ينسى المصريون (القفشة) أو (النكتة)
حين قتل السردار سنة ١٩٢٤ كان وزير المالية في مصر علي
الشمس باشا . وقد طلبت انجلترا فيما طلبت أن تدفع مصر غرامة
لأرملة السردار نصف مليون جنيه (كانت ميزانية مصر ١٧ مليوناً) .
وهنا قال المصريون عن علي الشمس : (أنه أقصر وزير مالية مضى
على أطول شيك) .
ودفعت مصر نصف مليون جنيه فيما أصابها من غرم حين عجزت
سنة ١٩٣٣ أن تشتري مشروع الجزيرة في السودان ، وكان الثمن زهاء
وكان العائد وافر الرجحان .

رحلة السودان

طرائف سودانية

دعتنى صديقه سودانية كريمة على الغداء تكريما لى هى تعمل بوزارة الثقافة السودانية . فحاولت اقناعها بالمثل الشعبى عندنا (المشغول لايشغل) وأنى يكفينى مصاحبته لى فى الحل والترحال مدة اقامتى هناك ولكنها أصرت . . فطلبت منها أن نستبدل بالغداء ، الافطار فلنا معنى أن أخفف عنها لأنى لا أريد ارهاقها . وقد اخترت الافطار باعتباره مهما تكثر المرء فيه فهو لايعد وأشياء بسيطة وجاهزة كالجبن والفول .

قبلت الصديقة مسرورة . وذهبت فى منتصف العاشرة صباحا فاذا بى افاجأ بوليمة مطبوخة دسمة دونها بكثير مائدة الغداء فى بيوتنا فى مصر . . ولما لاحظت صديقتى دهشتى قالت بعد أن عرفتنى بالأطباق السودانية التى حشدتها على مائدة الافطار ، ان العادة فى السودان أن تقدم الأطباق السودانية الدسمة فى الافطار !

وغلبتنى أخت النيل .

وفى السودان تنطق القاف غينا وحين يعيا المصريون عن فهم المبهجة العراقية وغيرها من اللهجات فان الحديث فى السودان كان يجرى سائغا سهلا مع قليل من الاختلاف فى المسميات وقد تكون الكلمة واحدة والمختلف هو المضمون مثل .

كله كله أى أبدا أبدا

الليلة أى اليوم

المساء أى الليلة .

والدليل على قلة الاختلافات أن المصريين هناك يجمعونها فى عبارة واحدة تقول باستثناء كلمة عنجريب أى سرير .

(الزول جال للحرم من جليل شنو جالت ليهو الكاديسه العويره الصجطانه مرحت براها حسه) أن الشخص (الزول) قال لحرمه من

قبل أن شيء (شنو) قالت له القطه (الكاديسه) العبيطه (العويره)
المرتجفه (الصبطنه) مرقت وحدها (براها) هذه الساعه (حسه) ويعرف
السودانيون هذا ويشحكون كمن لا حيلة له مع الحبيب .

انهم يعرفون مكانه مصر ويعرفون أيضا سماعة مصر .

لقد أنشأ الأقباط المصريين مدارس في السودان فكانت هذه المدارس
تلقى مساعدات مالية من الحكومة المصرية وكانت الغالبية من تلاميذ هذه
المدارس من أبناء المسلمين . وترن في سمعى قصيدة الصديق السوداني
الكريم ، الشاعر مبارك المغربي :

يا مصر يا أهل العرو	به ياسـلاح العزل
يا واحدة الظمآن في	درب الحياة المحل
يا واطن العلم الذي	بعطائه لم يبخل
كم من بيضاء قد	أسديت دون تفضل
أولاك لم ترق النهى	متن السماك الأعزل
في كل ضرب في العلو	م وفي الفنون مؤصل
قد صنت من فتن الهوى	لغة الكتاب المنزل
وسموت بالأدب الرفيع	مع فعاد عذب المنهل
لولاك ما عزت شعرو	ب الشرق بعد تذلل
لولاك ما خرجت فلو	ل الغاصب المتسلل
ونأ جلا شعب المغو	ل عن الحياض الهمل
ولما زهت أفريقيا	بجبينها المتسلل



والصيد في السودان تروى عنه طرائف أو هي طرائف في نظرنا .
فالنسناس يضعون أمامه اناء واسعا من الجعه فيشرب حتى يثمل
وينام الى جانب الاناء ويصحو ليجد نفسه في قفص .

أما الفيل فانهم يضعون في طريقه حفرة مغطاة بالقش ويسيروا
خلفه على مسافة بعيدة فهو لا يحب أن يرى إنسانا أو يشم رائحته .

ويقع الفيل في الحفرة . وهو بطبيعته ثقیل الوزن .

وهنا تدور تمثيلية آدمية اذ يحضرون أشخاصا يضربونه بعد أن
بتركوه بدون طعام ثم يحضرون هم أنفسهم أشخاصا يذودون عنه

يطعمونه فيأنس اليهم وينقاد لهم !! وينتهى به المطاف الى القفص أيضا .
معه حق الدكتور حسين مؤنس في معرض تنويهه برواية (الفيران
والناس) أن ينوء بالفار أيضا على الرغم مما نقاسيه هذه الأيام . فالفار
فى رأيه أو فى قوله (يعيش معك فى بيتك) . ويشسارك عيشتك
ـوطعامك ولكنه لا يريد أن ينشئ معك أى علاقة . فلا يكاد يسمع حسك
حتى يختفى فإذا سكنت حسك وهدأت حركتك خرج يمارس حياته فهو
معك ومنك وعليك ولكنه يرفضك . . لأنه لو قبلك فلا مفر له من أن
يسمع لك بالتحكم فى حياته كما فعلت مع القط والكلب . وأضيف
والفيل .

بقيت كلمة لا من باب الطرائف ولكن من باب التحية . التحية
للقرية السودانية . ان القرى فى السودان ليست متلاصقة كالحال عندنا
وليسست أيضا مشعته الرأس أى أسطح البيوت نظيفة من الحطب
والبوص .

وقد كنا نحسب الحطب والبوص مبعث الخوف من الحرائق فإذا
بنا اليوم نكتشف أنه أحد أسباب الفيران التى تعيش مع الجحور فى
التراكمات غير النظيفة .

وبعد كم بالسودان من طرائف وكم بالسودان من لطائف واهل
الطف بالسودان :

• المرأة السودانية

• الطببة السودانية ما أطيبهم أخوة النيل .

قبرص التركية

جزيرة قبرص ماهى قصتها ؟

٢٧ ديسمبر سنة ٨٢ موعدا سفرى الى جزيرة قبرص حيث دعانى
أمين الاتحاد الدولى للبنوك الاسلامية الدكتور أحمد النجار لالقاء عدة
محاضرات فى الحضارة الاسلامية .

السفر بدأ فى الحقيقة يوم ٨٢/١٢/٢٨ اذ تأخر وصول الطائرة
التركية الى القاهرة حتى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل أى فى بداية
اليوم الجديد . ولم تتحرك بعد أن ركبنا الا فى ٢٤٠ أى فى الثالثة
الا تلتا . ولما كان طريقها ، القاهرة - إيطاليا بجنوب تركيا ومنها الى
قبرص فقد وصلنا قبرص فى السادسة صباحا وبعد الاستراحة فى المطار
فى بهو كبار الزوار ثم الخروج من المطار فى طريقنا الى فندق Salamis
كانت السابعة والنصف وصعدت الى حجرتى ووجدت نفسى أدخل
السرير بملابسى ولم أدر بعد هذا الا وقد فتحت عينى فى تمام الثانية
عشرة ظهرا .

تناولت طعام الغداء بدعوة من الدكتور أحمد فى بيت ابنه خالد
وزوجته اللطيفة هبة جاءنى خالد الفندق واصطحبنى الى بيته (بانجلو) .
الجبل والبحر والهدوء والزهور ولكن خالد يقول أين الأصوات
العالية حتى أين الكلاكسات حتى هذا وحشنا فما بال الجوانب المشرقة
من الجميلة الحبيبة مصر ؟

وفرحت لأن الكلام صادر عن شاب مصرى يلقي كل شىء يتمناه فى
جزيرة قبرص التى تكاد تأتمر بأمر والده . واستقبلتنى زوجته وهى
عروس لم يمض على زواجهما ثلاثة أشهر . تقول « هبة » أى السمراء
الجميلة :

كنت أظن العيش سهلا راضيا فى أى مكان مادام الانسان الى
جانبه رفيق يرتاح اليه ويحبه ولكنى وجدت أو عرفت أن مكانا واحدا فى
الدنيا ليس ككل الأمكنة : الوطن . وعرفت أن الأهل نعمة لايفنى
غناها أحد من الناس مهما عزوا أو وصلوا أو اتصلوا .

وبدكرت بعولها خطابات ابنتى فى امريكا فحنان تكسب لى الصفحات
عن مظاهر الحياة المنرفة فى امريكا تم تقول ولكنى أعد الدقائق لا الليالى
لأعود . . . وحشتنى مصر

لك نوطه فى القلب يا حبيبة لا ينتزعها مكان أو زمان .

ظاهرة بلا شك ولها أبعاد

أن تعمد البنوك الإسلامية الى اعداد جيل من الشباب للعمل فيها
تتوقع له أو توفر هى له ثقافة شاملة بالمعنى الجامع للثقافة ، بناء جديد
للإنسان المسلم . .

والمكان أيضا جزء من الظاهرة وبعد من أبعادها . . أن نضع
الشباب فى جزيرة هادئة ليس فيها ما يشغلهم فى أوطانهم الخاصة ،
لون من الخلوة والتصفية يعين على تجميع النفس وتركيز الحواس فى
عملية احتشاد للتخصيل والتثقيف والاثراء الحضارى .

أن تطلب البنوك الإسلامية ، ما يزيد على ما تطلبه البنوك الأخرى
من تخصص اقتصادى ، ظاهرة .

ان التخصص وحده ، حرفة ووظيفة فى الحياة ، ولكن الثقافة
المتنوعة والجامعة أفق أعلى

فى انسانية الانسان . . وفى نوعية التفكير . . وفى مستوى
الأداء أيضا .

فالإنسان ، كل ، لا يتجزأ . . الانسان المحدود قد يؤدى فى الموضع
المحدود . . .

ولكن الانسان المثقف ، يثرى كل شئ حوله ويرفع كفاءته بقدر
احساسه هو بالحياة والناس والأشياء .

وأن تعمد البنوك الإسلامية الى الثقافة الإسلامية والدينية ليس من
باب المشيخة أو التعصب ولكنه ايمان بضرورة الدين للإنسان يرشد به
سلوكه ، ويرتفع به أسلوبه النفسى واليوهى . فالدين حين يصح فهمه
وينفذ العقل الى جوهره ، قيمه عليا أرفع وأوقع من القوانين الوضعى

الذى يغرى فيه غياب الرقابة ، المخالفة ولكن الدين الحقيقى . رقابة داخل الذات لاتعيب .. انها الضمير .

قيمة كبرى أن يعف الانسان ويشف من تلقاء نفسه لا جزعا ولا طمعا .

هنا يعتمد عليه فى كل شئ ويعهد اليه بكل شئ انها الثقة .

وانها الطمأنينة من رضا النفس وكلاهما أعلى من المال الذى تضحه بنوك الأرض قاطبه . ثم انى أرى فى هذه الظاهرة خطة احياء ، كبرى . فالذى يتأمل هذا الدين يجد به قوة ذاتية كبرى ، فيه ، قد استطاع أن يصنع من القبائل المحتربة ، ومن البدائية الجاهلية ، أمة ودولة وحضارة وثقافة فكيف به اذا غرس فى نفوس ارتفعت كثيرا لعوامل الزمن والحضارة القديمة وطول العهد بالتهذيب والتشذيب ؟

انها صخرة بلا ريب

وانها نهضة حقيقية قادمة بعيدا عن الشعارات والمتاجرات .. أنه توظيف جديد للمال الاسلامى وتوظيف أكبر للانسان المسلم وهنا يتحول العدد الى عدة لاشدة .

هنيئا جولة

تعقبها صوله .

يوم يغدو الاسلام اقوة تملك الكلمة والقرار

واذ يجسب حسابه ، ويخشى جناحه ، يعيد الآخرون حساباتهم فلا يتخيفه خيف ولا يتهدده سيف ، ولا يخادعه زيف ، ولا يتهمه المغرضون والشائنون ، بضعفنا الذى صنعت له الأحداث والتآمر والتفرقة والإغتيات ، يوم نسينا الله فانسانا أنفسنا وسهل على عدونا غزونا أرضا وانسانا .

حاضرت شبابنا من ١١ دولة تعددت ألوانهم وجنسياتهم .. وكان موضوعى الاسلام كحضارة وثقافة وبناء للإنسان كانوا يسمعون بعيون لا تطرف وأسماع ترى الأعماق البعيدة للكلمات امتدت المحاضرة والمناقشات التى أعقبتها خمس ساعات لا أنا تعبت ولا هم تعبوا وكان روحهم الوثابة برت فى ..

كانت مهمتى أن أحاضر الشباب فى الجزيرة خمسة أيام على التوالى. فإذا بهم وإذا بى من اليوم الأول نلتقى ونقترب ونأكل على مائدة واحدة . وانتزع نفسى منهم انتزاعا فى كل يوم بعد وقت طويل حافل بالحوار والقضايا والموضوعات وكذلك يفعل أساتذتهم الذين هم بهم يستعين الاتحاد الدولى للبنوك الاسلامية على تحقيق رسالته الجديدة على عالم البنوك والمال والأرقام .

فى اليوم الثانى من حضورى الى الجزيرة قابلنى رئيس الجمهورية الذى استقبلنى فى بيته اضافة فى الاحتفاء بكاتبة مصرية بل خرج الى حجرة الاستقبال الخارجية ليصحبنى الى مكتبه .

احتفى بى حفاوة بالغة وأهدى الى كتابه : The Cyprus Traingle
R. R. Dehktash أى المثلث القبرصى الذى وضع اسمه عليه مجردا :
ر . ر . دينتكاش .

والكتاب فى الانجليزية يقع فى ٢١٨ صفحة وهو يرسم صورة مفصلة للجزيرة منذ تاريخها الباكر وما مر عليها من أحداث جسام وصراعات مريرة تخللتها مؤامرات ولونتها دماء وجللتها تضحيات وانتهى بها الأمر الى التقسيم الذى تبنته الدول الكبرى منذ وقت طويل ثم تعد المسرح لفصول الرواية لتتظاهر فى النهاية أنه آخر المطاف لتسدل الستار على النظرية المعهودة « الأمر الواقع » .

قصة تتكرر كل يوم شهدناها فى فلسطين ونشهداها فى قبرص ماثلة للعين بل نسمع عنها فى ماليزيا التى كانت جزءا من سنغافورة يصلها بها كوبرى فإذا بهم يعزلونها حتى لا يتصل الحزام الإسلامى الذى يضم اندونيسيا التى تضم ١٣٥ مليونا من المسلمين تتحكم فيهم الآن بضعة ملايين من المسيحيين الذين يدينون بدين الرحمة والسماحة يقتربون باسمه ماتهوى سياستهم وكم بين السياسة والدين الذى هو خير كله سواء المسيحية والاسلام .

وقف بى رئيس الجمهورية أمام خريطة قبرص وشرح لى كيف اختفت مائة قرية من هذه الخريطة وكيف قتل فى الحرب الأهلية ٧٣ ألفا .

كان يتكلم عن قبرص فى هدوء ومحبة واستطعت أن أفهمه .

إن الوطن غال ولو كان كوخا من أعواد الشجر لا أرضا وسما .
وبشر .

ولما كان رئيس الجمهورية فى لقائه بى قد أمر أن يعد لى برنامج
شامل لزيارة معالم الجزيرة .

وبدأت الجولة فى اليوم التالى كانت الساعة الثامنة صباحا . ألح
ساعتى تشير الى العاشرة ولا تزال السيارة يحف بها الأخضر من
الجانبين فى السهل والجبل . الجبال الخضراء بعيون الماء تنحدر منه
كسويسرا وكالمغرب ويصينج فى فرح جدلان سائق السيارة الأسمر على
الرغم من أن أمه قبرصية وأبوه فلسطينى : عال تعال أى تعال (شوف
منظرك يا حلوه) أى منظرا حلوا ويتكرر وثبه الجدلان وصياحة الطفل
على الرغم من ضخامة جسمه طولا وعرضا ، كلما رأى عينا صغيرة من
الماء .

ما أطيب البسطاء فى كل مكان ... عندهم من طمأنينة النفس
ما يجعلهم يفرحون بأقل القليل .

انها نعمة قد يحسدها عليهم أصحاب الغنى الباذخ الذين يؤرقهم
الحرص على ما يخرج عن حدود ممتلكاتهم وقد لا يقاس بما يملكون .

ولا أنسى لفتة هذا الانسان البسيط فقد اذاع مؤشر راديو السيارة
عدة مرات حتى جاءت محطة القاهرة فتהלل وجهه وهو يلتفت الى المقعد
الخلفى حيث اجلس ، فشكرته فى مثل تهلله .

أحمدست فى جولتى بمرص التركية اننى منها بين الجبل والبحر
والسهل الثلاثة محبة ولكنى لاحظت أن السيارة يمضى علينا فيهبنا
انصاف الساعة دون أن ألح سائرا فى الطريق ... بين الحين والحين تمر
سيارة الى جانبنا أو قادمة من الاتجاه المقابل .

وسألت عن عدد سكان الجزيرة فاذا بهم ١٥٠ مائة وخمسون ألفا ؛
بعد أن قتل منهم فى الحرب الأهلية بينهم وبين القبارصية اليونانيين
٧٣ ألفا !

أرض تحتاج من يزرعها .

ومعدن النحاس عندهم ، يحتاج من يستخرج أو يعيد الى المناجم

نشاطها ثم يهاجر شباب الجزيرة وراء فرص العمل !! يبدو أن الهجرة
موضة العصر ولو في غير ضرورة .

لقد مررت على قرى مندثرة .. أطلال ويقول مرافقى القبرصى :
كانت قرى بأكملها يخيم عليها سكون رهيب ولا يرى أحد من أهلها.
أحدا ثم يتبين أن اليونانيين ذكوها بالبلدوزر !
كم مرة وقفنا بقبر كبير جماعى كتبت عليه من الجانبين أرقام كثيرة
بعدد القتلى الذين يضمهم .
قرية وراء قرية دكت دكا . لو أعطوها اسما كتبوا : (كانت قرية
فى يوم من الأيام . وغدت حطاما) .

فى الطريق مررت بجبل تبدو قمته فى صورة كف اليد المفتوحة
وفعلا قال الدليل القبرصى هذا جبل الأصابع الخمسة .
والقبرصيون يسمون الجزء الأخضر من جبالهم الذى يليه البحر :
لبنان قبرص والجزء الآخر الذى تليه الجبال الصماء : سوريا .

وجزيرة قبرص بعد التقسيم الذى أعطى قبرص التركية الاسلامية
ثلث الجزيرة مع أن الجيش التركى كان قد رد اليونانيين على أعقابهم
وأجلاهم عن معظم الجزيرة الا أن قبرص التركية بهذا الثلث فيها ٨٠٪
من الأرض الزراعية أو الصالحة للزراعة فى الجزيرة كلها . ولكن
ما جدوى هذا بدون ايد عاملة تزرعها ! انه الانسان قبل المكان الانسان
روح المكان . ولهذا يقول « توينبى » بنظرية (التحدى) فى تفسير
الحضارات . ولهذا أيضا أردد على خلاف الشائع : مصر هبة النيل وهبة
الانسان المصرى معا .

قطعت السيارة شوطا بعيدا وصلنا بعده مدينة جرينا Girma
وهى مدينة صغيرة ولكنها نظيفة مشرقة وبها قلعة كيننا .
الشوارع فى جرينا أو غيرها حتى تلك الصاعدة فى الجبل نظيفة
مرصوفة ..

وتذكرت خاطرى الى الشاطئ الآخر من البحر . فى جولتى بقبرص
رأيت فندق زفروس Scfros الذى لفحته نار الحرب الأهلية يحل

ويعلى بناؤه ويشكل من جديد تشكيلا واعدا يراعاه بنك فيصل الاسلامى ليكون معبد البنوك الاسلامية .

وبعد جونا رأيت نيقوشا العاصمة وهذا منطوقها بالتركية أما باليونانية فهي نيقوسيا . تماما كاسم الجزيرة فهو سايبس باليونانية والانجليزية وقبرص بالتركية مدينة لطيفة صغيرة ومع هذا قسموها شطرين كبيرين ورأيت الخط الأخضر كما يسمونه يفصل شطرى الجزيرة وعلى امتداد البصر رأيت مظاهر ثراء يشئ بفروق ٠٠ وسألت محدثى التركى عما أرى فقال ان وراء هذا الدولار الأمريكى تحت اسم تعويضات عن الحرب ! حرب هم الذين شنوها ولكن هذا هو الوضع ٠٠ حروب خفية وظاهرة ضد الاسلام ومحاولات مكثفة للافتئات على أرضه وافقار أهله . لكنه باق وان كرهوا رأيت فى نيقوشا جامعا أو أكبر وأشهر جامع فيها . انه على الطراز البيزنطى بالعقود المتقاطعة يحس المشاهد للوهلة الأولى أنه كان كنيسة .

وضع المحراب غريب فى مكانه انه فى وسط الجدار الأيمن والمحراب له الصدارة عادة . وفى الجانب الآخر أرائك خشبية مغطاة . لما سألت ، قالوا انها لا تستعمل . اذن فيم وجودها ! ٠٠ فى نفسى سؤال حائر بعد زيارتى قبرص التركية .

العراق يطلب نوعية معينة من المصريين طلاب الهجرة . انه يشترط الذين قضوا الخدمة العسكرية !! أى الشباب المصرى الذى تم تدريبه وهناك يجندونهم بالاكراه ويضعونهم على خط النار الأول فيحصدون ٠٠

هل نعلم هذا ونتجاهل ؟

هل هى طريقة ملفوفة للمساعدة العسكرية ؟

هل هان الدم المصرى الى هذا الحد ؟

ارسلوا الشباب اذن الى قبرص حيث الحياة ومجالاتها لا المسوت المحقق عن قضية لسنا من جناتها علم الله ولسنا طرفا فيها .

فى المؤتمر الصحفى الذى عقده لى الأمين العام للاتحاد الدولى للبنوك الاسلامية . سألتنى شابة صحفية : هل من الممكن أن تعطى مصر فى جامعاتها منحا للطلبة القبرصيين وكان سؤالاً ذكيا ومخرجاً اذ عرفنا أن قبرص التركية الاسلامية لم يعترف بها أحد ، بعد ، من الدول الاسلامية

ومنها مصر !! حين نتدفق السياحة على قبرص اليونانية التي ارتكبت
ما ارتكبت بل اننا فى يوم من الايام سايرنا الدعاية لمكاريوس وصورناه
بطلا حقق الجلاء وهو اتفاق مسبق بينه وبين الانجليز الذين كانوا يحكمون
الجزيرة .

انها مؤامرة ذات هدفين :

١ - انتزاع الجزيرة من المسلمين الذين حاولوا زحزحتهم بالاضطهاد
قبل الحرب الاهلية .

٢ - توسيع هوة البعد بين تركيا وبين العالم الاسلامى الذى لم
يعترف الى اليوم بقبرص التركية حتى بخط طيران ٠٠ فان الطائفة تصل
الى تركيا أولا (ايطاليا) فى الجنوب ومنها الى قبرص وتكلف التذكرة
٦٠٠ جنيه ستمائة جنيه حين تكلف التذكرة المباشرة الى قبرص اليونانية
التي تنعم بالسياحة المتدفقة عليها من البلاد العربية ، ٨٥ خمسة وثمانين
جنيها ويكفى هذا الفرق المادى لعزلة قبرص التركية .

وهنا خرجت من السؤال بمناشدتي لهم أن يعرفوا العالم بعامة
والاسلامى بخاصة بقضيتهم ويصلوا الجسور المقطوعة ويحصلوا على
اعتراف الدول بهم وهنا تسهل سائر المهمات .

ان مصر التي ترعى فى الازهر الشريف ٣٦ رواقا لمخلف البلاد
الاسلامية لا تضمن على قبرص بالمنح دينية أو مدنية ولكن على قبرص أن
تلملم قضيتها وتجمع نفسها وتضع أولويات لأمانيتها وضروريات وجودها
هل نعرف قبرص التركية ؟

وهل نعرف بها ؟

سؤال تمثيت أن يجد اجابة واستجابة . لعل .

ترکیا

رحلة تركيا

في جامعة مرمره ، بكى الاتراك ، حينما الى الاسلام :

استانبول أو مدينة (وادي المياه الحلوة) كما يقول كتاب
(روائع البسفور) لصاحبه مس باردو Beautils of The Bosphong
Miss pordon . المدينة التي تحيط بها من جميع الجوانب الجبال
الجرداء العاطلة . ونظل عليها من الأعلى ، كأنها زمردة ضخمة فضمة
رائعة .

استانبول ، أو اسلامبول ، كما تكتب في بعض المراجع ، هو الاسم
الاسلامى للقسطنطينية أطلقه السلطان محمد الفاتح ، عقب استيلائه
عليها في مايو سنة ١٤٥٣ . وهذا الاسم « استانبول » تركي معناه :
دار الاسلام .

ويروى أنه قبل فتح السلطان القسطنطينية بأيام كان كشف موقع
قبر الصحابي أبي أيوب الانصارى أحد قادة الجيش الأموى الذى زحف
على القسطنطينية سنة ٦٧٠ م فى عهد يزيد بن معاوية . وقد استشهد
هذا الصحابي الجليل ودفن على مقربة من أسوار القسطنطينية .

وقد أشعل اكتشاف قبره أثناء حصار السلطان للمدينة مشاعر
الجيش العثمانى فلما تم فتحها ، أطلق السلطان عليها (اسلامبول)
تيمنا وإبتهاجا . وبني مسجدًا بالقرب من ضريح الصحابي الشهيد أبي
أيوب الانصارى .

ومن الطريف أن استن سلاطين آل عثمان سنة مرعية فكان عقب
اعتلاء كل سلطان جديد ، العرش ، يذهب فى موكب رسمى حافل الى
هذا المسجد ثم يزور ضريح أبي أيوب الانصارى وهناك يتسلم السلطان
فى جو دينى مهيب ، من يد شيخ الطريقة المولوية - بيوك جلبي - سيف
السلطان عثمان الأول الجد الكبير للسلطان العثمانيين كما يقول : كتاب
(الدولة العثمانية) ج ١ ص ٦٤ للدكتور عبد العزيز الشناوى .

كتاب (الانراك العثمانيون وحضارتهم) بروكلمان كارل ص ٤٦
١٩٨٢/١/١٢ أول مرة أزور فيها استانبول . المطار مغطى بالثلج
المندوف مما يسمونه في فرنسا « نيج » .

أتوبيس واحد كان ينتظر عند سلم الطائرة فازدحم بالركاب الذين
التصقوا واقفين .

ابتسمت فقد رأيت أتوبيسا مزدحما عند الآخرين أيضا ولكن لم
يتكرر هذا خارج المطار فاستنبول تعداها أربعة ملايين ولكن الإتوبيسات
بها لا تعرف الزحام أو التعلق بالسليم أو التذلل من السقف .

استانبول جبلية وبحرية في آن . انها كما هو معروف ، على
البنفسور ومع هذا ليس على الشاطئ ناطحة سحب مع أن الأرض مدرجة
ممعة في الصعود بحيث يجد كل مبنى فرصة لاطلالة على البنفسور .
واعتبار آخر أن البحر واسع فلا يستقطبه أو يزاحمه بناء عال
ولكننا نحن في انانية وافتقاد أو غياب احساس بالغيل ببنى عشوائيا
ناطحات سحب تنطح الذوق والنهر .

لقب رأيت في استانبول احياء قديمة بيوتها خشبية ولكنها نظيفة
هادئة بادية الستر . ليس فيها فقر مدقع أو اصوات صاخبة أو اللوان
ناقعة .

ورأيت في استانبول في ميدان تكسيم مجموعته من التماثيل على
قاعده واجدة عريضة استوقفتني ثم عرفت أنه اتاتورك ومن معه
لم ينكرهم اتاتورك والشعب حتى اتاتورك لم يدع أنه الأوحيد والملهم
والعلامة الفهامة .

ومحطة استانبول فخمة ولكنها بعيدة جدا عن المدينة . انها على
الميناء وهو تخطيط سليم اقتصادي .

ظاهرتان في استانبول : الأدب الجم الطبيعي . . النظافة .

وهاتان الصفتان تصلان حد المبالغة ، في عين الوافد أو الغريب
على الأقل . (الجرسون) بادی الاناقه والنظافة الشديدة . . صوته خفيض
عامس يملأ الكوب وتحت الاناء فوطة شفافة لالتقاط أى قطرة متخلقة من
عملية الصب . والكوب يمسكه بمنديل من الورق .

استضئسافونى فى فندق مارمر اينسات • الذى لفت نظرى ليس
الفخامه وانه لفخم ولكن الذى أثار اعجابى ، النظافه التى لا مثيل لها •
حتى فى المساء قبل النوم يمر رجل فى ملابس انيقه • وفى أدب جم
يطوى غطاء السرير ثم يضيف اليه بطانيه جديدة ثم يثنى حرق الاغطيه
بطريقه حتى لا يتكلف النزول الا أن يغمض عينيه هائثا •

ويفرغ الرجل السلة من أقل ورقة بها ••• ثم يعيد تلميع الحمام
ويضيف اليه صابونا مغلفا •

كان الفراعنه يقولون ان الشمس فى مصر غيرها فى بلاد الناس
وأقول ان اللون الأبيض فى تركيا غيره فى بلاد الناس •

والطعم فى هذا الفندق على غير العادة فى أعلاه فى الدور الثامن
عشر حيث تطل الموائد على البسفور تحيط به استانبول فى حنان واحتضان
•• منظر خلاب •

وأحسست أن الطعام فى تركيا له طقوس •• وأن شهر المطبخ
التركى لها أساس فعلى باب المطعم وقف انسان نظيف أنيق يقدم النعناع
والشيكولاته بعد الانتهاء من الأكل •

ولهذا الرجل زميل يمر على الحجلات ليلا يضع الى جانب السرير
قطعتان من الملبس •

أما الطعام فلست بحاجة الى أن اصغه وان كان هذا الطعام الشهى
الذى لا يقاوم هو الشيء الوحيد الذى كنت أهرّب منه فى تركيا حتى لا
يفسد جهد سنين فى النظام الذى أفرضه على نفسى وفى قسوة أحيانا كثيره
لا جريا وراء تحافه ولكن جريا وراء شفافية الروح •••• لأنى لا أحسن
الكتابه الا اذا كنت فى حالة لا هى امتلاء ولا هى خلاء أى بين الشبع والجوع
والكتابه عندى لا يعدلها شيء • لا أنسى قبل أن أغادر الفندق على الصفحة ،
الشباب المصرى فى تركيا ••• فى هذا الفندق مهندسان استدعتهما
تركيا لتتركيب الكمبيوتر ••• فرحت بقيمة مصرية تقصد لمهمه علميه •
تذكرت السلطان •

أن يعيش وسط هذه الانحناءات والتحيات والتعظيمات والمأكولات
معذور فى ولعه بلا ألقاب وفى حياة الاسترخاء •• فالذين كونوا الامبراطورية
أو اقترنوا بالقوة صفه منشئ الدول ثلاثه •

عثمان آل طغرل الذى أسس الدولة واليه انتسبت فيقال آل عثمان
أو العثمانيين • سليم وغزواته •

سليمان القانونى ابن سليم •

أما الباكون فقد رأوا نعيما وملكا كبيرا • ويبدو أن كل تركى يحس
أنه سلطان... رأيت فى إحدى الطرق ماسح أحذية أمامه صندوق ضخم
من النحاس الأصفر المشغول له بريق صندوق جميل مطعم ملىء
بالحانات والعيون كل شئ فى مكانه •

هذه المهنة تدمى احساسى • قد يعمل انسان بتنظيف الأرض ولا
بد أن يكون هناك من ينظف الأرض فى السلم الاجتماعى ، ولكن أن يسمح
انسان حذاء انسان آخر فلا ولو كانت آلتة صندوق من الذهب الخالص •

فتحت عيني فى السابعة صباحا لأرى البسفور كما تعودت أن افتح
عيني فى مصر على - النيل ولكنى فى هذا التوقيت وجدت الطبيعة نائمة
... الوقت ليل لم تظهر الشمس بعد .. لم يستيقظ معى الصباح •

امسكت القلم اسطر هذه الظاهرة .. ما أقربه الى كائن لا أكتب به
وانما اقضى اليه .. أحده .. أشركه فى الرؤيه والرؤيا أيضا •

Top Kapı Sarayı

فصر
أبواب وقباب وحدائق ... آيات قرآنيه بأعلى الأبواب • أسماء
السلطين مثبتة بالقصر •

قاعة ١ :

بدأت الجولة جناح الحزينة على اليمين .. فاترينة محفوظة بها البقالة
العسكرية - للسلطان وملحقاتها من دروع وسيف من الذهب مرصع
بالاحجار الكريمة ... حتى الحذاء من الذهب المرصع وكذلك الخوذة أى
من أخص القدم تحتى قمة الرأس

بدأت الجولة التى تروع كل ذو عينين ولكنى كنت أرى بقلبي
وعقلي وذاكرتى التى لا تنسى ما حدث لكنوز أسرة محمد على ومتحف محمد
محمود خليل .. فى تركيا رأيت ورأيت .. فاترينة بها حقائب مرصعة
باللؤلؤ والماس •

وشرايبات طويلة للسلطان محمود جلال الدين .. وشرايبات من
اللؤلؤ خلتها بعين المرأة حقائب يد .. ومعها فبخرتان •

فاترينة ببسا عرش السلطان مراد الرابع : أريكة من
المطعم بالصدف والفيروز .

فاترينة ببسا جراب المسدس مرصع بالؤلؤ وسيوف مرصعة
بالأحجار الكريمة حتى (شباك) الابريق مشغول ومرصع .
فاترينة ببسا جراب المسدس مرصع بالؤلؤ وسيوف مرصعة
بدنه مرصعة بالفيروز والماس .

فاترينة ببسا نرجيلة مرصعة وشمعدانات من الذهب ومة
لاطفاء الشموع من الذهب ومفرش من القטיפئة الحمراء مرصع
والماس يقرش تحت قدمي السلطان عند باب القصر .

فاترينة ببسا هدية من الصين للسلطان عبد الحميد عبارة عن
للقرص الصيني بحديقته من الذهب والفضة والأحجار الكريمة
والقصر على قاعدة ذهبية مرصعة .

والقاعدة على قاعدة من خشب الصندل المشغول .

فاترينة ببسا كشك الموسيقى مرصع وفوق قاعدة من الذهب
داخلها قصر مرصع فوقه فيل من الذهب على وشحه مرصعة .
على شكل أشجار من الذهب تفتح من أعلى فتنبعث منها الموسيقى
فاترينة ببسا سيوف مرصعة للسلطان سليم الأول .

فاترينة ببسا درع وسيوف والريشة والحزام والسهم
السهم جميعه من الذهب المرصع .

كل هذا لم تمسسه يد . لم يبدد . لم ينهب . . . لم
به فصوص زجاجية أو أثاث بدائي . . . اني أذكر بتفصيل لأن
الجامع في هذا الموضع قد يبدو من زخرف القول بينما الحقيق
ألمسها تفوق الخيال . . . اني أذكر بتفصيل علنا نتذكر شيئا
لمصر ان كان قد بقي شيء .

قاعة ٢ :

عرش السلطان أحمد يصعد اليه بارتقاء ثلاث درجات .
العرش خشب مطعم بالصدف والأحجار الكريمة .

مسابيح السلطان من حجر الزبرجد ومسابيح من اللؤلؤ ،
طبق كريستال قطره نحو ٧٠ سم وعمقه أو ارتفاعه نحو ٤٠ سم
مملوء بأججار الزبرجد ؛

كيف لم يرغب منها شيء ؟ انها مفردة أى من السهل الاختطاف
والإغتراف ؟

لو كنت مكان الأتراك لأفردت لهذا الطبق بمحتوياته فتحتفا مستقلا
وسميتها (الأمانة) أو (العفة) أو (القيمة والكبرياء) أو (الشسم)
أو (النزاهة) .

موقف تحار اللغة ، كالعقل ، فيه وخاصة عقل الانبساط المصرى
الذى يعرف ما جرى لكنوزه • وبعد (الطبق) ، ريشة مرصعة بالياقوت
والزبرجد •

قاعدة أحجار الزبرجد زنته ٣٢٦٠ ثلاثة آلاف ومائتان وستون
كيلو جراما • حملقت جيدا فتأكدت من الرقم •

١٣١٠ ألف وثلاثمائة وعشرة كيلو جراما من الزمرد

٥٠٠ خمسمائة وتسعون كيلو جراما من الزبرجد •

اتهمنا الخديوي اسماعيل بالاسراف حين قدم بضعة مئات من
الألوف للسلطان لى يعتمد عرش مصر لأولاده • معدود اسماعيل مرتين •

السلطان يملك هذا كله ماذا يقدم اليه لقد غبنه اسماعيل

عرش مصر يساوى عرش مصر ؟ كثير المال قليل ، فى عرش قيمته
بلا حدود •

— أدوات وأكواب من الحجر الأخضر المرصع والأبيض والكريستال •

— زمردا منود زنته ٣٢٦٠ ثلاثة ومائتان وستون جراما وهو من
الهند له ضوء يشع فى الظلام •

— جراب اسيف غطاؤه ساعة •

— سرير طفل من الذهب المرصع والغطاء من الحرير المرصع باللؤلؤ ،

لا تزال سائرة مسخرة • وبقدر حفاظ البلاذ على ميراثها يقدر الالم
الذى يعتصرنى على ميراث مصر وتراثها المسلوب والمنهوب •

ولكن أن أفلت اللصوص من حساب الأرض فلن يفلتوا من حساب السماء بأوا بغضب من الله واحتقار من الشعب

فى هذه اللحظة أرى مصحفا له غلاف مرصع وقد كتب عليه بأحجار الماس : لا إله إلا الله .

— فاترينة بها نياشين السلطان عبد الحميد والسلطان محمود الثانى رابها هلب من الماس ومرآة مرصعة وأدوات مرصعة .

— فانوينة بها نياشين مرصعة مهداة من الدول : (اليابان — بلجيكا — البرتغال — اليونان — اسبانيا — فرنسا — النرويج . .)
توددوا اليه فى أوج اقوته (١) .

قلائد من السويد والنمسا وانجلترا ويوغسلافيا حتى موناكو .

— شمعدانان كل منهما ٤٨ كيلوجراما من الذهب وفى كل منهما
ماسة وزنها ٦٦٦٦ كيلوجراما والتحفتان للسلطان عبد المجيد (١٨٣٩ —
١٨٦١) .

— أريكة مرصعة بالزبرجد للجلوس عليها فى العيد يرجع تاريخ
صنعها الى القرن السادس عشر .

— مجاير ومقال من الفضة والذهب وحجر القمر وحبى مرصعة .

— أريكة كبيرة من الذهب المرصع حتى الوسائد ومرصعة هدية من
السلطان نادر شاه للسلطان محمود (١٧٣٠ — ١٧٥١) .

شاعة الساعات :

كلها بالطبع مرصعة حتى العقارب وبينها ساعة من الصدف .

(١) يقول الدكتور عبد العزيز الشناوى فى كتابه (الدولة العثمانية) ولقد عاشت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون واجتاحت جيوشها الاسلامية العثمانية ، أقاليم شاسعة فى جنوب شرق أوروبا ووسطيا . وهى أقاليم لم تخضع قبل من قبل الحاكم مسلم وأحرزت باسم الاسلام انتصارات خاطفة وباهرة . وتساقطت فى أيديها دول أوروبية عديدة وامتلأت قلوب الحكومات والشعوب الأوروبية فزعا وعلما من هذه الدولة الاسلامية البائرة عليها فهم غر دارها .

الساعات كلها واقفة عند الساعة التاسعة وخمس دقائق اللحظة التي مات فيها اتاتورك وفى يوم ١٠/١١ صباحاً .

وفى هذا التوقيت من كل عام تقف الدولة والشعب . . التاكسيات والمحلات . . الطرق . . فى هذا التوقيت تعطى اشارة معلومة فيقف كل شيء . وكان الحياة بدورها تقف كما وقفت حياة اتاتورك فى هذه اللحظة .

قاعة :

— بها مصحف مفتوح على الصفحة التي مات عثمان وهو يقرأ فيها .

نتنقل الآن الى الحرمك وبه طرائف شتى .

والحرمك به ٤٠٠ أربعمائة حجرة ، المفتوح منها ، غرفتان وعلى باب الحرمك (كشك) زجاجى به شباك صغير يفتح ويتكلم منه الموظف المختص ثم يغلق .

الحرمك لا يفتح الا فى تمام الساعات ولمدة خمس دقائق فقط أى فى تمام العاشرة (١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ؛ ١٦) .

وهناك لوحة خشبية مخرمة تعلن هذا .

والحرمك نذكرة دخول خاصة .

جناح الحراسة مكون من ثلاثة أدوار . غرف على الجانبين للحراس من الأفريقيين الذين يهدون فى ذلك الوقت للسلطان .

معلق على الحائط عصاوان غليظان لضرب من يرتكب خطأ من الحراس

وهنا يبتسم الأجانب ابتسامة خبيثة .

يقول الداعل التركى على عهدنه وما أكثر مبالغات الأدلاء للاطراف أن التقليد المتبع فى الحرمك أن الذكر من أولاد الخدم اذا بلغ التاسعة يبعد عن المكان . . والذكر من أولاد الزوجات اذا بلغ السادسة عشرة ، يبعد .

الرجل الوحيد فى الحرمك هو السلطان ومن الطريف أن حجرة مكتب السلطان فى الحرمك تطل على (المسيح النسائى) أى حمام سباحة لنساء القصر !!

جناح خادن أفندم :

أم السلطان • وجناحها يضم أربعين حجرة •

أهم ما لفت نظري في جناح الوالدة ثلاثة أشياء :

١ - أريكة من دورين لتكون في مجلسها أعلى كثيرا من ضيفاتها نطل عليهن من أعلى •

٢ - الشيء الثاني :

- مفصورة يجلس فيها السلطان عندما يزور أمه !! نبعد عن أريكتها بضعة مترات !!

الأم أقرب الناس وأحب الناس •• عندها ترفع الحجب ولو كان الابن ملك الملوك ولكنه الولع الملوكي بالهيلمان •

وفي بهو الاستقبال في أحد الأعمدة حوض وصنبور حتى اذا حضرت الصلاة نهيا الوضوء وفي جناح أم السلطان هدايا قيمة :

ساعتان من الملكة فيكتوريا

كرسى من ألمانيا

فازان من الصين

٣ - غرفة طعام أعدتها أم السلطان أحمد اعدادا خاصا وكان به عروف عن الاكل •

الغرفة عليها صور منقوشة لجميع أنواع الطعام والحلوى والفاكهة تحايلا من أمه على فتح شهيته ألم أقل ان الأم هي الأم •

السلطان أحمد يملك مقاليد الأمور ويحكمه السلم والحرب فماذا في الحرم ملك أمه (تحايله) ليأكل •• ان سلطان الناس طفلها هي •

حجرة الطعام : صينية كبيرة مستديرة من الفضة على أرجل خشبية مرصعه وحولها شلت أى طبلية سلطاني •

حتى المكتب منضدة صدف منخفضة وثلاث شلت وأتذكر الدكتور محمود فوزي نائب رئيس الجمهورية الأسبق دعانا مرة للصعود الى

الطابق الأعلى فى بيته بالهرم وحين بزخر قاعة الاستقبال فى الدور الأول
بفاخر الأثاث على الطراز الحديث ، يحفل الدور العلوى بالأركان الشعبية
والإسلامية ويبتسم الدكتور فوزى فى هدوئه الذى غدا له طابعا
ويقول لى :

هذه الجلسة أكثر الجلسات راحة ولكن (القيام) شىء آخر
مشيرا الى صعوبة الوقوف بعد جلسة الأرض .

* * *

الذى أصفه هذا أراه من وراء كوردون : كل شىء له قيمة عند
أصحابه .. ليس غيرنا من يهدر تراثه .

* * *

وفى الحرمك طريق طويل .. ممر داخلى يسمى طريق الذهب لأن
السلطان كلما اخترقه نثر الذهب يمينا ويسارا أثناء سيره فيه !!

مرة أخرى أقول كم فى الحرمك من طرائف .

والحمام .. فى القصور التركية ليس حجرة ولكنه حجرات ..
حجرة رخامية البانيو والأحواض والأرض والجدران وحنفيات فضية
وذهبية ثم حجرة لارتداء الملابس فيها ثم حجرة للمساج ثم حجرة لتناول
شراب ساخن عقب الحمام أو لزوم الحمام وكلها تظللها سقف هي قباب
من الزجاج الملون .

ماذا أقول : حمام تركى .. والسعد وعد . وإن كنت أنا شخصا
أرى السعادة الحققة فى أشياء أخرى غير هذا كله بكل ما حوى وليس
هذا من فلسفة الشعوب .. والدليل عندى من تركيا نفسها فى استانبول
قصر يسمى (قصر البنت) له قصة .

كان للسلطان سليمان القانونى ابن سليم الأول بنت وحيدة وفى
ليلة فزع من نومه يرتجف فقد رأى فى المنام أن ثعبانا لدغ وحيدته
وأنها فقدت الحياة . ولم يطق هذه الرؤيا فأمر ببناء قصر للبنت فى
البسفور بعيدا عن الشاطئ اعاننا فى توفير الأمان لها وله شخصا انه
هنا أب .. وأب لابنة وحيدة .

وانتقلت البنت وحولها الخدم والحشم الى قصرها الجديد . والتقط
الأب الخائف أنفاسه .

وفى يوم سئل الى احدى سلال للخضر ثعبان وفى القصر زحف الى
• قربت عين أبيها ولدغها فماتت !!

وهكذا ملك السلطان كل شىء •

• وقد أعز ما يرجو ويختار •

ولكنه لم يملك الخيار •

وعاش بين الكنوز التى وصفتها محروما تعيسا •

• وكم وراء الأسوار العالية والسجوف المسدلة من مأس وأسرار •

رأيت قصر البنت

ورأيت سخرية القدر من الانسان ولو كان السلطان سمعت ضحكة
وبكىت • أما ، على الأميرة وفى باب القصور ، أقف عند قصر
Dolma Bahce Sarayi ضوئها أى مقفول •

• بحشنا أى قصر • وقد بناه السلطان عبد المجيد •

• هذا القصر لن أصفه فلن تبلغه الكلمات •

أجرب الأرقام هذه المرة

فى القصر : ٢٤٨ حجرة

٤٥ صالون

١٥٦ ساعة

١٣٦ شمعدان كريستال

بن درابزين سلم القصر من الكريستال والسلم خمس شعب الذهب
اندنى دخل فى محتويات القصر وزنه أربعة عشر طنا !!

• أترك القصور الى المساجد • • انها بيوت الله يرفع فيها اسمه •

مسجد السلطان احمد الثالث

ويسمى الجامع الأزرق • • وفى القاهرة قريبا من بوابة المتولى
مسجد طلائع بن زريك ويسميه الاثريون عندنا : المسجد الأزرق يبدو أن
الاسم جاء هنا وهناك لأذ النقوش فى المسجدين زرقاء •

وقد بدأ برميم جرم سقطت نقوشه بطريقه مختلفه فاقام أحد الأفراد ، دعوة على الحكومة وهى مادة تحضر واسلوب وعى .

وأروع ما سجلت نقوش هذا المسجد فى فبته الكبيرة حتى رويوا الى أن ادوارد السابع عندما زار هذا المسجد فى عهد كمال أتا تورك تام على ظهره تحت القبة الكبيرة لىتملى نقوشها .

وبهذا المسجد مقاصير للنساء أسدل عليها ستائر حضراء ليصلين فى المواسم الدينية .

وبهذا المسجد دور أعلى يخصص أيضا للنساء ، فى المواسم بمع غيرها للرجال بصفة دائمة .

وأعمدة هذا المسجد ذات أضلاع وهى من الرخام وقطر كل عمود عشرة أمتار !!

ونثارت فى أرجاء المسجد جزءا من النقوش هذه الكتابات :
يا حضرة بلال حبشى - كشف الدجى بجماله - صلى الله عليه وسلم -
انكاسب حبيب الله .

وأحد الأعمدة تحيط به دكة المبلغين وهى مقصورة أقيمت على أعمدة من الرخام .

وبالمسجد عدة أبواب وله عدة مآذن

وبعد العمودين الأماميين وضع سياج خشبى علقت عليه لافتات بـرجو الزوار الأجانب بعدم تجاوزه حتى لايتأثر جو الصلاة .

فى مسجد السلطان أحمد سمعت القرآن مجودا بالعربية بالطبع . .
وكان المقرئ جميل الصوت وان أخذت اذننى عليه اللحن فى اقراءه راحلت عيني قلة عدد المصلين ولو بالنسبة الى الساحة الضخمة للمسجد .

رحول الأعمدة نجويف دائرى من الخشب توضع عليه الأحذية ولهذا لايترونها بالباب الخارجى وكل عمود به تجويفان للموض .

أما مسجد أيا صوفيا فتلتفى فيه المسيحية والاسلام وهما دائما ملتقيان فى جوهرهما .

نشرت الآيات فيه . .

وفى أركانه الأربعة أسماء الخلفاء الأولي رضى الله عنهم
(أبو بكر - عمر - عثمان - علي) مما يدل على أن الأتراك سنيون .

وفى تركيا حاضرت فى جامعة مرمره . . أم المدرج أعداد غفيرة
من شباب الجامعة سمعوها واقفين على أقدامهم وحرص عدد كبير على
الكتابة أما الفتيات فلم ألاحظ كرنفال أزياء .

الطلاب غاية فى الجد والرغبة فى التحصيل والاحترام فى المظهر
والسلوك وهى قمة نشرف بها الجامعة والجامعيون .

ان جامعة مرمره مبناهها ليس فى فخامة جامعة القاهرة ولكن ماراته
عينى من المعانى تمنيته لأبنائنا فى سائر الجامعات المصرية .

واستابول بها ست جامعات وانقره بها أربع جامعات .

بعيدا عن العدد استانبول هى العاصمة الحضارية الفنية أما أنقره
هى العاصمة السياسية . وامتدت المحاضرة ثلاث ساعات بكى أثناءها
بعض الرجال كانت المحاضرة عن الحضارة الاسلامية وعن الاسلام دين
ودولة وحضارة وثقافة .

وتقدم مدير الجامعة وأهبدانى المصحف (الترجمة التركية للمصحف)
والتف بى أساتذة الكليات فى مكتب مدير الجامعة . وقال أستاذ فى
شحن ، كمن يعتذر !

سمعنا فرنسا وسمعتم انجلترا فأفسدوا ما بيننا والآن لم يبق
الا أن يعود الصفاء فالاسلام أعز ما عند مصر وتركيا من حيث آثاره
الباقية ومن حيث مستوى شعبينا أننا نحملك مسئولية عودة تركيا الى
حضن الاسلام بمؤازرة مصر .

وكان ردى أن هذه رسالة رجال الفكر فى البلدين لتكن زيارتى
ومحاضرتى نقطة بداية يتبادل فيها البلدان مصر وتركيا الأساتذة والعلماء
والطلاب . . يتبادلان الأفكار والأبحاث والمعارض والمجامع .

لا بد من حركة يستيقظ بعدها الوجدان ويؤوب الغائب ويشوب
الوداد . .

حركة لاتربط بما بين الأنظمة في سائر الدنيا من شد وجذب ..
إن الشعوب هي الأبقى والأقدر .

معاون يسوده الصدق والاحترام . ان من تقاليد رجال الدين في
الاسلام أن العالم يحترم زميله الى حد أنه يأخذ بفتواه في بلده ولو كان
بعدا . له رأى آخر .

ياقومي : غالية مبسوطة لاتردوها .

امریکا

فى طريقى الى امريكا

اللبلة السابفة على الرحلة ، قرأت من الذاكرة أنا ، نومي " سورة
" يس " بسلاسة وحضور ذهن لم يحدث فى حياتى فى اللحظة .

لو أن المصحف الشريف مفتوح أمامى ، ما تحقق هذا الانطلاق فى
القراءة الصحيحة العميقة كما حدث فى الحلم .

ودمجت عينى كمن يتحقق ، فتمتعت أنى كنت نائمة حين قرأت
ما قرأت ونهبت أن الليل يفرد جناحه ولم يشع فى غبش العتمة الا نور
الآيات التى انهلكت على ذاكرتى وتحدثت فترطب بها لسانى ترتبلا .

ثم عرفت بعد وصولى " ديتون " بولاية " اوهايو " أن ابنتى التى
أسافر من أجلها ، كانت فى غرفة العمليات فى اللحظة التى قرأت فيها
فى مصر ، سورة " يس " .

حضارة الثقافة

فى الأمم القديمه العريقة ، ثقافة الحضاره اى قداسة للقيمة ونفاسة الأسلوب واحترام التقاليد من فعل التاريخ الطويل فى الحضارة يلتقى فى هذا البسطاء والكبراء .. الفقراء والأغنياء لأن الثقافة هنا أسلوب وموقف ضمير هذا حين نجد فى أمريكا التى لم يتجاوز عمرها بضعة قرون ، حضارة الثقافة اى تقدم العلوم أو ما نسميه « التكنولوجيا اى العلم التطبيقى » .

ولا أقارن اليوم بين اللونين فلكل مزاياه وعطاياه . ولهذا أتمنى لصر أن تأخذ أحسن ما عند الآخرين فى عملية اختيار لا انبهار وتضييف اليه بقدرتها على العطاء ووراثاتها الحضارية مواكبة للعصر واسهاما فيه حتى لاتختفى الأضواء عن قسماتها أبدا ..

ومن هذا المنطلق حرصت فى زيارتى لأمريكا على زيارة :

– متحف التاريخ الطبيعى فى واشنطن .

– متحف المتروبوليتان فى نيويورك حيث الآثار المصرية حشد حاشد .

– جامعة ولاية أوهايو بطابعها الخاص فى مدينة كوكبوس باعتبارها من أكبر الجامعات الأمريكية .

– الادارة القومية لعلوم الفضاء والطيران فى مدينة « هيوستين

– مدينة السينما فى « لوس انجلوس » .

وجنة الأطفال اى والت ديزنى .

كما صرحت بعد هذا كله على زيارة حضارة أطفال أمريكية ومدرسة ابتدائية حيث يصنع الانسان أو يشكل الانسان التشكيل الذى يؤثر فى مراحل حياته كلها .

بحصول حاصل اذا قلت ان أمريكا متقدمة فى التكنولوجيا .. لانها
مقدمة فى أبحاث الفضاء .

مقدمة فى أبحاث الأرض جميعا .

مقدمة فى الجريمة أيضا .. الجريمة بكل أنواعها مما يجعل
أحرف جزءا من الحياة اليومية للإنسان .

أمريكا الحياة فيها سهله أن تعايش

وسهله أيضا أن تسلب وبطرق شتى

أهم المعالم الجادة فى أمريكا مراكز الأبحاث العلمية ، والإدارة
للمهمة لتدعيم الفضاء والطيران (ناسا) وهى اختصار للاسم :
National Aeronautics and space Administration

والمركز الرئيسى لها فى واشنطن ولها أحد عشر مركزا فى جهات
مختلفة والذي رأيت منها هو مركزها فى مدينة هيوستن بولاية تكساس
.. ولايات الجنوب والمصريون يسمونها صعيد أمريكا .

بهدهء شديد رأيت

وبهدهء أشد أستوعبت .

ومن قرار سحيق استمددت طمأنينة الرؤية كطمأنينة النفس .

فى وكالة الفضاء رأيت سفن الفضاء رأى العين بتعقيداتها الدقيقة ..

كنت مثل شاعر الألمان « جيته » كلما رأيت فتحا علميا أخرج
لأسمى انسان .

وإذا كان هذا الجانب من الحضارة الحديثة كسبا للإنسانية فطالما

أعطت مصر للإنسان فى كل مرحلة ولعل أكبر عطاء فى تاريخ الإنسان
حضارتيا الأولى .

ولايعنى هذا الاكتفاء بما أعطت على ، قيمته ، وضخامته ، ونفاسه

بل وبدرته فى نواح كثيرة . ولكن معناه أننى لم أقضاء كل قط أمام أى شئ
فى أمريكا أو غيرها .

كنت بما ورائى من معطيات مصر ، أغنى الأغنياء .. لقد وصلت

أمريكا وروسيا الى اللقم وهذا انجاز عظيم دائم . وهو يعينه النظر

المدارس فى ملكوت السموات والأرض الذى أمرنا به وقصرتنا فيه
أو توقفنا عنه .

ولكن مصر قبل الناس وقبل الأديان وصلت الى الله وكم أوصلتها
هذه المعرفة الى القيمة « والى طمانينة » عجزت عنها كل علوم الانسان
كلها فبلغ الانتحار أعلى نسبة له فى أمريكا قمة التكنولوجيا ، وفى السويد
قمة الرقى الحديث .

فى وكالة الفضاء رأيت أول مركبة نزلت على القمر أول سيارة
سارت على سطحه . رأيت نموذجاً كاملاً للمكوك . أول ساعة صعدت
الى القمر وقد فكوها الى جميع القطع التى تتكون منها حتى ماذق حجمه

رأيت صور سطح القمر والى جوارها عدسات مجسمة للرؤية .

رأيت الجرانيت للقمرى وصخورا بركانية .

رأيت غرفة التحكم فى رحلات رواد الفضاء .

رأيت طعام هؤلاء الرواد وكيف يتناولونه من خلال أنبوبة .

رأيت ملابسهم .

وفى وكالة الفضاء قاعات سينما لبرى المشاهد رحلة الصعود الى
الفضاء رؤية متحركة .

رأيت كيف لم يغفلوا شيئاً فزودوا سفن الفضاء حتى بالمرايا المعدنية
تفاديا لتفائر الزجاج وبأفران خاصة لتسخين الطعام وأدوات طبية
لعلاج الأسنان .

وفى وكالة الفضاء سمعت محاضرة عن أبحاث الفضاء وفى جانب
القاعة جهازان للفيديو نتابع فيهما ما نسمع .

وفى وكالة الفضاء لافتة تقول يستطيع المشاهد التصوير كما يشاء
وتذكرت لافتة على كوبرى قصر النيل تقول ممنوع التصوير !!

وليس البحث قاصراً على الادارة القومية بل ان فى أمريكا مراكز
أبحاث فردية أو بلغتنا « قطاع خاص » حيث يعكفون على البحث والتطويع
والابتكار ويسجلون الاختراع ويبيعونه للحكومة .

ودعاني قنصل مصر فى هيوستن الى الغداء وهناك التقيت بصفوة

من المصريين أحدهم مدير المركز الاسلامى بالمدينة الأمريكية وأعلنت من
القنصل أن الرجل كان وراء شراء أرض فى هيوستن لاقامة كنيسة
للمصريين المسيحيين بها بل هو الذى تفاوض وتم الاجراءات كلها . .
وهذا يؤكد من جديد أن مقولة الفتنة الطائفية كانت مفتعلة ومقحمة
علينا اقحاما للتخطية أو للتعمية . نحن كما قلت وأدين نحن مسلمين
ومسيحيين مصريون قبل الأديان ومصريون بعد الأديان ومصريون الى
آخر الزمان .

من الثقافة صناعة الانسان

الثقافة للانسان تبدأ :

قبل أن يولد من خلال وراثاته البعيدة والقريبة أى وراثاته
الحضارية عن أمته ووراثاته العرقية عن والديه وأسرته .

وساعة يولد بالحنان نسكبه الأم مع اللبن .

وبعد أن يولد بدءا بالبيت والحضانة والمدرسة .

من هذا المنطلق حرصت على أن أزور فى أمريكا حضانة أطفال
ومدرسة ابتدائية لأرى صناعة الانسان عند الآخرين لعلنى أتى منها بقبس
أو أجد عليها هدى .

وحرصت أيضا على أن تكون مدرسة عامة لا خاصة .

وما إن تقدمت بضع خطوات بعد المدخل فى حضانة الأطفال حتى
وجدت على الجدار معلقا بها جدول للمواد التى يتعلمها الطفل كل يوم
وكل أسبوع وكل شهر .

سائق أتوبيس الأطفال هو الوحيد خارج هيئة البوليس الذى
يسنطع أن يعطى مخالفة للسيارة التى تمر قبل أن يستقر الأطفال على
الرصيف . بعض الأطفال كان عندهم (حصّة نوم) ٠٠ وفى إطلاله
عليهم وجدت كل طفل فى سرير وتنبعث من الحجرة موسيقى هادئة
وبينهم مدرسة تنشر ذراعيها على اثنين منهم بالتناوب كجناحي حمامة
تربت على ظهورهم وتمسح رؤوسهم ٠٠

انه الايمان بالحنان تسكبه الأم فى البيت والمعلم فى المدرسة .
وملحق بالفصل حمام نظيف ليقضى الأطفال حاجتهم قبل النوم حتى
لا يستيقظ لهذا السبب طفل ويزعج الآخرين .

ودخلت إلى حجر الدراسة في كل حجرة علم ليشبب الطفل ويكبر معه في قلبه حب العلم .

وفي كل فصل مرسوم للطول ينتهي برأس حصان للتشويق .
وحدود للوزن ولافتة تقول : تعال نرى كيف ننمو .

وفي الفصول رسوم جميلة للمجو فيها الشمس وجه يضحك إشارة إلى الدفء أو رسم يمثل الهواء أو الجليد . . . الخ .

وفي الفصل شموعات للمعاطف .

وفي الفصل صندوقان جميلان للقمامة .

وفي كل فصل حوضان منخفضان .

ولافئة تقول : ان الأدوية ممنوع إعطاؤها الا بروسسه الطبيب وعلمة منسدين الورق .

وبساؤل الاطفال في العاشرة عصيرا وبسكويتا ثم الغذاء في الثانية عشرة وبعد النوم يتناولون مرة أخرى عصيرا وفاكهة .

وبالمدرسة فناء خاص بدراجات الاطفال لانستعمل خارجه .

وفناء خاص بالمرجيحة وقد صممت تصميمًا علميًا روعي فيها استدارة الاجزاء تفاديا للمدبب حرصا على الاطفال كما روعي فيها أن تكون المسافات بين قطعها لما واسعة واما متقاربة أو متلاصقة حتى لا ينحسر رأس أو يد طفل .

والأرض تحتها رمل أو حشائش .

وفي المدرسة الابتدائية كل فصل به عدة مناخذ كل منضدة معدة لحسنة من الاطفال وأدراج مفردة يجلس عليها من يحاول تعطيل جاره أو المجموعة .

وفي المدرسة الابتدائية كل فصل فيه مائدة استماع مستديرة عنينا سماعا وقصص . . . وذلك ليستمع مع المتابعة في القصة المكتوبة كل من بفرغ من واجبه .

ومكتبة الاطفال بالمدرسة تشمل الكتاب واللوحة واللعبة وتليفزيون وبيديو كاميرا للتعليم والتسلية .

وفى كل فصل العلم وخريطه امريكا بل ان العلم فى قاعة الطعام وقاعة الألعاب اينما ذهبوا طالعهم العلم لينزرع فى وجدانهم وينمو حبه معهم فيرسخ الانتماء .

وفى كل فصل شاشة سينما وفانوس سحرى وتليفزيون للتعليم وعندما تقص المدرسة قصة يترك الأطفال مقاعدهم ويجلسون على الأرض فى طبيعية وعفوية فيتحلقون حول المدرسة فى اصغاء شديد وانتباه شديد . وكثيرا ما يصاحب سردها شاشة العرض .

وفى كل فصل ساعة واصونه فى الحائط لايحاء أهمية الوقت .

وصندوق كبير مهذب الشكل لوضع المهملات ويبدأ التعليم بالكرافت أى التشكيل من الخيوط والأوراق والخشب لاكتشاف المواهب الفنية والطبيعية وعلى ضوء هذا يوجه الأطفال وتنمى مواهبهم .

وفى كل فصل فرن لوضع التشكيل الجيد من الصلصال ، فيه ، ليصير خزفا .

وفصل الموسيقى به عازل للصوت .

وقاعة الرسم لاحظت أن الرسم موجه فصفاة الرسم فيها دائرة واسعة للرسم على شكل طبق على يمينه سكين وملقعة وعلى يساره شوكة والطفل يرسم فى الدائرة ولكنه يتعلم فى الوقت نفسه طريقة الأكل وطريقة اعداد المائدة .

وكل فصل له جدار نصفه الأعلى من الزجاج حتى يرى المتابع من الخارج دون اقتحام .

وكلما كبر الأطفال قل عددهم فى الفصل لتكبر الفائدة .

وبالمدرسة حجرة للتخطيط يسمونها Teacher Planning

بها كتب للوسائل وأدوات .

أما قاعة الطعام فى المدرسة فقد استرعى انتباهى أن الأطفال يدخلون صفوفها الى المطبخ حيث يحمل كل منهم صينية مقسمة كتلك التى تقدم فى الطائرة ولكن بأسلوب اخدم نفسك . كل صينية عليها فى شكل جميل اللحم والخضر والفاكهة والحبز ولالأطفال أن يختاروا نوع الشراب كوكا أو عصير أو لبن احتراما لرغبتهم قبل أن يكون تحقيقا لها .

ولاحظت ان الأطفال يعدون الموائد قبل الطعام وينظفونها بعده
وكل طفل يحمل صينية الأكل ليلقى مخلفاتها فى صندوق المهملات ثم
يسلم الصينية .

ويدفع كل طفل دولارا ثمن الغذاء وثمان كرامة فلا شئ يذهب
بكرامة للإنسان قدر احساسه بأنه يأكل بلا مقابل . وتذكرت الشاعر
البدوى الذى أراد أن يهجو انسانا فقال :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
أى المظوم المكسور .

وعلى جدران حجرة الطعام رسمت فراشات جميلة وزهور بهيجة .
والطعام ككل شئ مدروس وعلى المدى الطويل فهناك خبراء يضعون
قائمة لشهر كامل . وهذه القائمة ترسل صورة منها لبيت كل طفل حتى
إذا رأت الأم شيئا ممنوعا على طفلها نبهت الى هذا أو أعطته غذاء ذلك
اليوم من البيت .

وللمدرسة قاعة فسيحة للألعاب بها كل ألوان الرياضة . وبألوان
جميلة . وعمل المشرفة الاجتماعية عندما تقوم به مدرسة تضطلع بحل
مشاكل الأطفال والحكمة فى هذان كلمة مدرسة طبيعية فى هذا الجو
أما المشرفة الاجتماعية فهى تشعر الطفل أنه مشكلة أو عنده شئ غير
طبيعى .

ولعل أقوى ما استوقفتى المعلقات المكتوبة والمنشورة فى جميع
أرجاء المدرسة فمضمونها حث على العمل والسلوك فى أسلوب يكاد يكون
ترجمة حرفية لبعض أحاديث الرسول عليه السلام أو آيات الكتاب الكريم .
مثل « ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » : ومثل الى « ان الله يحب
إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

ومثل « من عمل فأخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران » .
ومثل « إذا اجتمعت كل أسباب النجاح فلن تخلق شيئا إلا إذا عملت
أنت » .

وتذكرت الشيخ محمد عبده الذى فطن الى سر تقدم أوروبا فقال
أنها عملت بما عندنا . فتقدمت اننا مسلمون اسما وهم مسلمون فعلا .

ومع كل هذا العطاء يبدأ برنامج للأطفال فى المليونيرىون الساعة
السادسة صباحا لاغرائهم بالاستيقاظ المبكر حتى يشاهدوا برامجهم قبل
الذهاب الى المدرسة وعطاؤها مختلفا ألوانه .
أرايتم صناعة الانسان الجديد أى الطفل ؟

« من حديث الثقافة »

جامعة ولاية أوهايو

كان أول شيء سعيته إليه مكتبة الجامعة أملاً في أن أتعلم جديداً من القراءة وفي أسلوب البحث العلمى .

وفى الجامعة غير المكتبة الكبيرة خمسون مكتبة تابعة للكليات بأقسامها .

وفى طريقى إليها رأيت فى مدخل الجامعة تمثالاً ضخماً لرئيس الجامعة الأول لا لرئيس ولاية أوهايو التى تقع الجامعة فى عاصمتها ، ولا حتى رئيس أمريكا ٠٠٠٠ وهو معنى أطرحه على محافظ الجيزة وهو رجل جامعى . لعله يعدل عن فكرته التى أعلنها يوماً من أنه يرصد عشرين ألف جنيه لعمل تمثال لشخص سماه ولم يخطر على باله جامعة القاهرة الجامعة الأم التى تفخر بأسماء لطفى السيد - ومصطفى مشرفه والدكتور طه حسين والدكتور عبد الوهاب عزام - والدكتور السنهورى - والدكتور على ابراهيم .

وأخوان هذا الطراز .

دخلت المكتبة . لقد أبطلوا نظام الكروت ٠٠ كل شيء يتوصل إليه من خلال الكمبيوتر وهناك لافتة صغيرة بعد الدخول تقول : تستطيع أن تجد طلبك بنظام الكمبيوتر L.C.S. You can Find it with أى Libraary Computer System

وبالمكتبة ٣٧ مليون مجلد ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف كتاب . وبالجامعة قسم لأمهات المراجع العربية وآخر للمراجع الإسلامية . وحكى لى دكتور مصرى أن قسم الشرق الأوسط كانت عليه لافتة تقول اليهود Jewish فكتب المصريون لافتة تقول : تراث الاسلام وتصدر الجامعة صحيفة يومية ولكل طالب منها نسخة مجاناً هذه الصحيفة فيها خلاصة لما فى الصحف والمجلات .

وفي الجامعة وان كان هذا في كل مكان ممرات صاعدة وهابطة
للمعوقين من الدارسين وأماكن خاصة بهم في مواقف السيارات لا يقتربها
أحد. والا تعرض للغرامة .

وللجامعة بوليس خاص بها . ومطافئ خاصة بها . واستاد خاص
بها ومن طرائف الرياضة بالجامعة أن المشجعين يمنحون منحا دراسية
كالمتفوقين في أى ميدان علمي . . . ومن لطائف الطرائف أن المشجعين
يدرّبون تديربا خاصا بحيث يجيدون مصاحبة الموسيقى في التشجيع .

وللجامعة محطة تليفزيون خاصة بها بلا اعلانات .
ومحطة اذاعة خاصة بها .

وكل طالب بالجامعة يأخذ تديربا خاصا بالكمبيوتر عند الدخول
للاستفادة من التقدم الالكتروني .

أما الوجه الآخر لأمريكا فيتمثل في الفردية المدمرة . . مجتمع
يقوم على الفردية تهرأت فيه الأسرة والقيم حتى الدين حيدوه وجمدوه
وأرتضى رجاله هذا الوضع مستسلمين حيث لا حيلة لهم ومع هذا يطرّد
بناء الكنائس في مدن أمريكا يوما بعد يوم . بينما رأيت في كندا وفي
مدينة مونتريال على التحديد التي تعتبر واجهة كندا ، كنائس تهدم ليقام
على انقاضها معهد أو بناء خاص . وفي كوبيك هدمت كنيسة الجامعة
وبنيت مكانها معامل رسم ومع ما للعلم من خطر في الحياة فان الدين
أعظم خطرا والويل اذا أعرض الناس عن الدين لأى تعلات .



مجتمع يعلم أنه جاء في البداية من كل مكان فلكي يتفق بقدر ما .
اتفق على تجنب الدين كموقع حساسية . ولكن التجنيب المتحسب
المتحسس شيء غير الاسقاط . غير التجميد والتجميم حتى حين يؤخذ في
الاعتبار فانما ذلك على المستوى الفردي .

وحين يختفى الدور الرشيد للدين من الساحة ، فكل شيء جائز .
وهنا تظفر الرذيلة بمرتج غزير الكلا لا يذود عنه أحد .

سادت في أمريكا المادية العملية الى الحد الذي لم يعد فيه ارتباط
قيمي من أى نوع . . . تهرأت الأسرة وبعدها الأعراض والحرمات حتى
بلغ الأمر حدا اعتدى فيه الآباء على بناتهم ! وتقول الاحصائيات وأمريكا
شغوف بها أن الجريمة في العشرين سنة الأخيرة ٦٠٠٪ .

وان ٣٠٪ من الأطفال لا يعيشون فى أسرة مع أن سائق أنوبيس
مدرسة الأطفال - كما ذكرت - هو الوحيد خارج هيئة البوليس الذى
مستطيع أن يعطى مخالفة للسيارة التى تمر أثناء نزول أو تعدية أطفال
مدرسة !! حرصا على الأطفال ومغالة بهم .

بلد المتناقضات ، أمريكا :

والصبيان والبنات تحت سن ال ١٨ سنة يتناسلون ويستعملون
حبوب منع الحمل ثم يتناسلون والتليفزيون ناقش الظاهرة من منطلق
على مراكز تحديد النسل تخطر أسرهم أم لا ٠٠ لا من ناحية بشاعة
الظاهرة فى ذاتها وأشرك فى المناقشة ريجان وكان رأيه أن الأسرة تخطر
إذا كانت البنت تحت ١٨ سنة أما ما فوق ذلك فهى حرة !!!

وقد حمل ٢٣ من هؤلاء للمرة الثانية كما تقول الاحصائيات وقد
مت فى أمريكا مليون ونصف عملية اجهاص .

أما المتزوجون شرعا فنسبة الطلاق بينهم ٤٨٪ .

وهذا بعينه ما جاء فى البروتوكول العاشر من كتاب (بروتوكولات
حكما صينيون) ونصه :

(ذا أوحينا الى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمر
الحياة الأسرية بين الأميين ، وتفسد أهميتها التربوية ، وستعوق الرجال
على العقول الحصينة عن الوصول الى الصدارة وان العمامة - تحت
ارشادنا - ستبقى على تأخر مثل هؤلاء الرجال ، ولن تسمح لهم أبدا
أن يقرروا لهم خططا) ص ١٥٠ .

زينتال هذه كله على النفس فأسافر من كولمبوس الى لوس انجلوس
حيث دالت ديزنى مدينة فى المدينة . هناك رأيت رأى العين الزمان حين
وجود فيعود بالكبار الى الطفولة والعقوبة . قسوة أن ترى مرافق مدينتك
الحبيبة متهرئة .

ولكن قسوة أكثر وأفدح أن ترى انسان مدينتك متهرئا وقيم
مدينتك متهرئة .

كم يؤرقنى معاناة القاهرة ماديا ولكنها أهون بكثير من مدن
الاعنياء . . . الأغنياء فى كل شئ حتى الانحلال .

فى المجتمع الحديث فى أى بلد بتركيباته الكثيرة والمعقدة .
وفى المجتمع الحديث فى أمريكا بالذات حيث اللهث الشديد .
والايقاع السريع الذى يكرب الأعصاب أو على الأقل لا يدع فرصة للشعور
أو الحلم أو الخيال .

فى هذا المجتمع تقوم مدينة « ديزنى » عالما مسحورا أو عوالم
مسحورة شديدة البساطة . شديدة التركيب ، شديدة الاثارة والعفوية
معا شديدة الفتنة .

ويخلع الانسان الأقنعة واحدا بعد الآخر ويعود الى الطبيعة فى
لهفة . . . طبيعته وطبيعة الكون وينسى سمت العلم وصمت الحكمة ووقار
السن بما حصل عليه من مراكز وألقاب وتجارب وما التزم به من
مواضعات وتقاليد . . وينخرط شيئا فشيئا فى هذا العالم الجديد وبعد
فترة يسبق الأطفال الذين ظن أنه يصطحبهم فقط الى هذا البقعة السعيدة
فاذا به فى مثل ولعهم ان لم يكن أشد باللعب والمرح .

وينتقل من غواصة تجوب بقاع البحار الى صاروخ يفتح عينيه على
عوالم السماء وقد بلغ التقليد حدا يشبه للرأى حتى يحسبه حقيقة .
ومن قطار على عجلات مطاط الى تليفريك معلق فى الفضاء .

وفى لوس أنجلوس رأيت فى نيوفر سال أستديو وهو من أكبر
استوديوهات السينما الأمريكية . انه مدينة كبيرة حافلة .

فيه أحياء من كل البلاد لزوم الأتلام والقصور والبيوت واجهات
فقط تقليدا للأصل .

وأهم ما يثير الرأى الخيل الصناعية .

رأيت المظر الصناعى .

والشلالات الصناعية بهديرها الزاخر .

وانحسار الماء فى مجراه .

والحيوانات الضخمة التى تحرك بالموتور .

رأيت الحوت الضخم وتذكرت الفيلم المشهور وعرفت أن ما كان
يملاؤنا رعبا أثناء المشاهدة جسم من المطاط أخذ بالتشكيل هيئة الحوت
الطبيعى .

وان ٣٠٪ من الأطفال لا يعيشون في أسرة مع أن سائق أتوبيس مدرسة الأطفال - كما ذكرت - هو الوحيد خارج هيئة البوليس الذى يستطيع أن يعطى مخالفة للسيارة التى تمر أثناء نزول أو تعدية أطفال المدرسة !! حرصا على الأطفال ومغالة بهم .

بلد المتناقضات ، أمريكا :

والصبيان والبنات تحت سن ال ١٨ سنة يتناسلون ويستعملون حبوب منع الحمل ثم يتناسلون والتليفزيون ناقش الظاهرة من منطلق هل مراكز تحديد النسل تخطر أسرهم أم لا ٠٠ لا من ناحية بشاعة الظاهرة فى ذاتها وأشرك فى المناقشة ريجان وكان رأيه أن الأسرة تخطر اذا كانت البنت تحت ١٨ سنة أما ما فوق ذلك فهى حرة !!!

وقد حمل ٢٣ من هؤلاء للمرة الثانية كما نقول الاحصائيات وقد تمت فى أمريكا مليون ونصف عملية اجهاض .

أما المتزوجون شرعا فنسبة الطلاق بينهم ٤٨٪ .

وهذا بعينه ما جاء فى البروتوكول العاشر من كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) ونصه :

(اذا أوحينا الى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأميين ، وتفسد أهميتها التربوية ، وستعوق الرجال دوى العقول الحصينة عن الوصول الى الصدارة وإن العامة - تحت ارشادنا - ستبقى على تأخر مثل هؤلاء الرجال ، ولن تسمح لهم أبدا أن يقرروا لهم خططا) ص ١٥٠ .

ويثقل هذه كله على النفس فأسافر من كولمبوس الى لوس انجلوس حيث والت ديزنى مدينة فى المدينة . هناك رأيت رأى العين الزمان حين وجود فيعود بالكبار الى الطفولة والعفوية . قسوة أن ترى مرافق مدينتك الحبيبة متهرئة .

ولكن قسوة أكثر وأفدح أن ترى انسان مدينتك متهرئا وقيم مدينتك متهرئة .

كم يؤرقنى معاناة القساهرة ماديا ولكنها أهون بكثير من مدى الأغنياء ٠٠ الأغنياء فى كل شئ حتى الانحلال .

فى المجتمع الحديث فى أى بلد بنركيباته الكثرة والمعقدة .
وفى المجتمع الحديث فى أمريكا بالذات حيث اللهث الشديد .
والايقاع السريع الذى يكرب الأعصاب أو على الأقل لا يدع فرصة للشعور
أو الحلم أو الخيال .

فى هذا المجتمع تفوم مدينة « ديزنى » عالما مسحورا أو عوالم
مسحورة شديدة البساطة . شديدة التركيب ، شديدة الاثارة والعفوية
معا شديدة الفتنة .

ويخلع الانسان الأقنعة واحدا بعد الآخر ويعود الى الطبيعة فى
ايقة . . . طبيعته وطبيعة الكون وينسى سميت العلم وصميت الحكمة ووقار
السن بما حصل عليه من مراكز والقاب وتجارب وما التزم به من
مواضعات وتقاليد . . وينخرط شيئا فشيئا فى هذا العالم الجديد وبعد
فترة يسبق الأطفال الذين ظن أنه يصطحبهم فقط الى هذا البقعة السعيدة
فاذا به فى مثل ولعهم ان لم يكن أشد باللعب والمرح .

وينتقل من غواصة تجوب بقاع البحار الى صاروخ يفتح عينيه على
عوالم السماء وقد بلغ التقليد حدا يشبه للرأى حتى يحسبه حقيقة .
ومن قطار على عجلات مطاط الى تليفريك معلق فى الفضاء .

وفى لوس أنجلوس رأيت فى نيوفرسال أستديو وهو من أكبر
استوديوهات السينما الأمريكية . انه مدينة كبيرة، حافلة .

فيه أحياء من كل البلاد لزوم الأفلام والقصور والبيوت واجبات
فقط تقليدا للأصل .

وأهم ما يثير الرأى الخيل الصناعية .

رأيت المظر الصناعى .

والشلالات الصناعية بهديرها الزاخر .

وانحسار الماء فى مجراه .

والحيوانات الضخمة التى تحرك بالموتور .

رأيت الحوت الضخم وتذكرت الفيلم المشهور وعرفت أن ما كان
يمثلونا رعبا أثناء المشاهدة جسم من المطاط أخذ بالتشكيل هيئة الحوت
الطبيعى .

وعروضا سينمائية ومسرحية تمثل الحيل الصناعية .

الانسان من أمريكا فى بحر زاخر ترفعه موجة وتهبط به موجة
أخرى وهو بينهما لا يقر له ، قرار .
وأشتاق .

وتلوح وراء المحيط بلاد الصمت فى دينها آية ، والظل فيها عناية
بلاد فيها النيل والنخيل . . . كل شئ فيها أخضر حتى الحرف والنسماية .

لوس أنجلوس :

مدينة جميلة فسيحة خضراء نظيفة أنيقة ثرية . وقد لاحظت أفقيتها
أى المباني فيها من دور واحد فى أغلب المدينة وظننت هذا من براح الأرض
وقلة الكثافة السكانية نسبيا ولكنى علمت من المقيمين بها أنها مدينة زلازل
وأن زلزالا عنيفا وقع بها سنة ١٩٧٣ وهذا هو السر . ولكن فى بعض
المواضع ارتفعت ناطحات السحاب كالعادة وإن كانت قليلة وسألت وقد
لاحظت عيني ثراء المدينة وأهلها كيف الأمان هنا ؟ فقالوا : لا أمان . . .
السرقه والقتل واردة . . . فى هذه المدينة يفتقد الحى « الأمان » فى
الانسان . . . والمكان .

ودعاني رئيس المركز الاسلامى وزوجه الى دارهما فلاحظت فى
المدخل جرس انذار .

بيتها جميل فيه لمسة ذوق وأناقة حضارية ولكن هذا الزرار كان
على ثقلا مخيفا وتذكرت ميسون البدوية زوج معاوية حين ضاقت به
وبقصر الخلافة معه فقالت :

ولبيت تخفق الأرواح فيه أحسب الى من قصر منيف
حتى الحب على قيمته ونفاسته وهناءته بدا الأمان فى تلك اللحظة
عندى أهم منه .

قد يكون بين الأمريكين خاصة فى الأوساط الزراعية أفراد طيبون
أمناء مخلصون ولكن المجتمع ككتكوين ، شقى يشقى به الانسان .

وفى لوس أنجلوس رأيت شارع النجوم أو شارع « هوليوود »
هذا الشارع على جانبيه صبت نجوم خراسانية كل نجمة عليها اسم نجم
مشهور .

ونجوم عاطلة من الأسماء فى انتظار مولده نجم .

وفى شارع هوليوود سينما مصرية وسينما صينية وهما الأجيبيتان
الوحيدتان فى شارع الفن الأمريكى .

والسينما فى أمريكا اسمها Theatre أى مسرح . أمريكا اليوم
تحاول أن تخلق لها لغة . . . أنها تتخذ اللفظ الثانى فى القاموس أو
حذف بعض الحروف أو الكتابة حسب منطوق اللفظ فى محاولة خلق لغة
خاصة تختلف عن انجليزية انجلترا .

وعلى شارع هوليوود بصمات النجوم كفوفهم وأقدامهم مسند على
أرضه وتاريخ وضعها .

وفى لوس أنجلوس حديقة جامعة تسمى : **Arboratum**
بها ركن للنباتات الاستوائية وركن حديقة يابانية وجزء حديقة غربية
تذكرنى بحديقة الأزبكية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف
الأول من القرن العشرين حين كان بها ثمانمائة شجرة نادرة من جميع
أنحاء العالم .

ولوس أنجلوس الجميلة تبدو فى الليل خافتة النور خاصة الشوارع
الفرعية . وهى ظاهرة فى المدن الأمريكية .

ولست أدري حكمة هذا فى بلد تشيع فيه الجريمة حتى غدا إلتعامل
بالشيكات أو بطاقات بنكية ولا يجزؤ أحد على حمل نقود سائلة وإن فعل
ففى حدود ضيقه من توقع الانقضاء السافر أو النشل المقتنع .

وفد يعجب القارىء اذا علم أننى قرأت فى الصحف الأمريكية مقالات
عن الفقر بل الفقر المدقع !

وقد قادنى هذا الى الغوص فى أحوال المجتمع الأمريكى لا سيما
وأنتى لاحظت انتشار العمالة الأجنبية ووراء هذا كسل الأمريكى الحديث
فلم يعد مكافحا كالمهاجرين الأوائل بل بلغ الأمر حدا أن سئلت زوجة
عاملة عن زوجها فقالت انها تركته فى المنزل مستلقيا على سريره بشاهد
التلفزيون .

وراء هذا أيضا العجرفة فالأمريكى يرفض أعمالا كثيرة رابحة مثل
عمالة البناء أو المطاعم أو غيرها .

وراء هذا أيضا الاستخفاف ببعض الأمريكين وإن كانت القاعدة

الكبيرة تعمل فى جده ، يترك عمله وقتما يريد حتى لا يتعب نفسه أكثر .

ثم تذليل الحكومة لهم واعطاؤها مرتبات للمعطلين وبطاقات لمعام
بلا مقابل . ومع هذا رأيت فى نيويورك من يفتشون عن الطعام فى
صناديق القمامة . ويطلقون عليهم هناك « سيدة الحقيبة » lady bag (١)

ثم يأتى النظام الاقتصادى القائم على الشركات وهذه همها الربح
بأى ثمن متوسلة الى هذا بأسلوب التقسيط المريح الذى يغرى الفرد
بامتلاك ما فوق قدرته الشرائية .

ثم شيوع الكمبيوتر فى الحياة الأمريكية . حقا لقد وفى الراحة
والوقت ولكنه ألغى الجهد العقلى وهو قدرة ومثقة معا .

(١) فى مجلة (النيوك) العدد ٢٠٢ مارس سنة ١٩٨٤ مثال بصوان :

الوجه الآخر للتقدم الغربى

مليوناً مشرد فى الولايات المتحدة يبحثون عن مأوى وعن رغبة !

يقول كاتبه سهيل أبو ماضى :

ان هناك مليونى مشرد فى الولايات المتحدة الأمريكية . .

❶ وفى العاصمة واشنطن حيث مسرى الحياة يعبر من أعلى المسنويات فى العالم ،
تستشرى آلة هؤلاء المشردين

❷ تعتبر ديترويت ، فى ولاية ميتشيجان عاصمة صناعة السيارات فى العالم . . ومع
ذلك فان ازدهار هذه الصناعة لم يخفف من تفام عدد المشردين دون مأوى ، الذين تزايدوا
بنسبة ٥٠٪ فى السنة الماضية .

❸ حتى نيويورك نفسها فان مسألة التشرد تأخذ فيها بعداً مأساوياً حاداً ان احصائية
رسمية اعترفت ان السلطات ورجال الشرطة يعثرون يومياً فى شوارع المدينة على جملة
واحدة على الأقل تعود الى هؤلاء التمساء . أما فى موسم البرد فقد يعثر موظفو البلدية
على بضع جثث صباح كل يوم !

ويتساءل مصلح اجتماعى يعمل فى ولاية (ايوا) عن الأسباب فيقول :

— فثشوا عن الثورة الصناعية . اسخثوا عن التقدم التكنولوجى . . التطور أضعف
العلاقات العائلية الى أدنى حدودها فلم يعد هناك تعاون بين أبناء الست الواحد . فإذا لم
يستكن أحد أبناء العائلة من مواكمة التطور فان عجلة الحياة المتسارعة تدفع بأهله الى التخلي
عنه حتى يتمكنوا من تخفيف أعبائهم . هكذا يسقط على الطريق ويتحول الى مشرد .
أقول وببدر أن أمريكا ليست وحدها فى الغرب الذى قسم الناس الى عالم أول
يعنى نفسه بالطبع وعالم ثان وعالم ثالث فى شمال وغطرسة وعجرفة أثرياء الحضارة : على
وزن أثرياء الحرب فان المقال يقول انه فى مدينة باريس وحدها فيها أربعون ألف نسمة
دون مأوى وأنه فى برلين هناك ثمانون ألفاً لا يجدون سقفاً ينامون تحته ، وأنه فى امستردام
تسمعون ألفاً ممن لا يعرفون العيش فى البيوت .

ليت قومنا أو البهردين بالغرب على الأقل ، يعرفون هذه الحقائق . أى الرجسه
الأخر للتقدم الغربى .

ثم شينوع العقاقير مما انحدر بالصناعة نفسها فكثير الوقوع فى
الأخطار من عمال غير كاملى الوعي ولا أدل على هذه من افلاس شركة
كريزلر حتى اضطرت الحكومة الى دعمها ومع هذا لم تعد سيرتها الأولى . .
وقد طرح المشكلة فى استفاضة كاتب أمريكى

فى كتاب :

Megatrends (TIn Directions Trans forming ourlives by : John Naisbitt

وقد ذاع الى حد ترجمته الى أكثر من لغة وقد شرح مؤلفه
John Naisbitt المجتمع الأمريكى شريحا نفذ الى ما تحت الجلد .
ليس كل شىء فى الحياة أن تكون غنيا .

لقد سمعت سيدة أمريكية تقول أنها تتمنى أن تزوج أولادها من
شرقيات حيث البلاد التى لا تزال ترعى القيم على الرغم من معاناتها
الأخرى .

ومع هذا كله يلوذ الكثيرون من أبنائها بأمريكا ويعيش مصريون
كثيرون فيها حتى ان الجالية المصرية تعتبر أكبر الجاليات فى بعض البلاد
مثل « لوس أنجلوس » .

وتسألهم فيقولون والألم يعتصر نفوسهم : أن أمريكا مع كل
السلبيات وفرت الأمن الخارجى ، والأمن الداخلى بمعناه السياسى
فالمواطن الأمريكى آمن ضد الاعتقال وضد التأميم وضد البطش وضد
التحكم وضد الظلم .

ان السلبيات على فداحتها لم تمنع التقدم المذهل لأن سر التقدم

- الأمن .
- العدالة .
- وضوح الرؤية .
- تحديد الهدف .
- الثقة فى المواطن .

ان أعمالا كثيرة تستادى فى مصر أياما ومواصلات وجهدا لاهثا
وزحاما خانقا ، تقضى فى دقيقة بالتليفون .

بالتليفون تحجز مقعدا فى الطائرة وبالتليفون تعرف حساسات
التليفون ٠٠٠ النخ ٠ انها الثقة فى المواطن ٠

سر التقدم أن يوضع كل انسان فى موضعه الصحيح فيعطى عطاء
كاملا ٠

لقد تخصص احد أبنائنا فى الهندسة النووية وبكل حماسه عاد الى
مصر فلاقى احباطا شديدا ومع هذا عمل سنتين مقابل المنحة التى حصل
عليها ٠٠٠ وفى هذه المدة أعد صفا ثانيا من مائه من الشباب ثم خرج ٠

هذا الانسان يقول ان ٩٥٪ من هؤلاء خرجوا ويعرف أماكنهم
بالاسم والخمسة فى المائة الباقون لا يعرف أين هم وان كان يعرف انهم
ليسوا فى مصر ٠

صادف وقت وجودى فى أمريكا ، طواف اللجنة العسكرية المصرية
لتنقضى من كل شاب مصرى لم يؤد التجنيده ، ألف وخمسمائة دولار
لونا ومن البذل العسكري ٠ فاذا بالشباب يدفع وبعضهم خال عمل الآن ٠

ترى ما هو الأهم ؟ الدافع أم السؤال الحانى ؟ سؤال أولادنا هؤلاء
لماذا خرجوا ؟ وماذا يعملون الآن ؟ ٠ وكيف يعيشون ؟ ومتى يعودون
الى الوطن الأم ؟ ٠

سمعت أحدهم يقول لو وفرت لى مصر شقة متواضعة ما كنت
سافرت ولو وفرتها لى الآن أعود ٠

اذن ضاقت بهم السبل وضاقت بطموحاتهم المشروعة ، لا المطلقة ٠

وسمعت مصريا كبيرا مهاجرا يقول : العودة أمنية كل مصرى ولكنه
يخشى الروتين والتحكم ويضرب مثلا رجل الاقتصاد جمال عطية رئيس
البنك الاسلامى فى لوكسمبرج والذى قضت على أشواقه وشاية مغرصة
فقربل أسوأ مقابلة ٠

ولا ينسى الشباب المصرى مؤتمر أغسطس سنة ١٩٨٣ - وما بذل
فيه من تكاليف من الجانبين :

الحكومة المصرية التى استضافت المبعوثين والمهاجرين ٠

- والمصريين أنفسهم بما عطلوا من مصالحهم وأنفقوا من أوقاتهم .
- وإذا بالموتمر خطب مسهبة . لم يسألهم . سائل رأيهم في الإصلاح من واقع خبرتهم . لم يطلب منهم أحد دراسة مقارنة .
- وهذا مثال لعدم التخطيط والتنظيم وانبهام الهدف وسهولة الهدر ، والتسطيع في القرارات والتصرفات .

مدينة لا ترى السماء

انها نيويورك التي تقترن في أذهان الكثيرين بناطحات السماء.
وهيئة الأمم المتحدة .

ولكن نيويورك أيضا ، الى جانب حي مانهاتن ، فيها حي بورتريكا
المتهدم المتقادم ، البادى الفقر .

على أن ناطحات السحاب فى أمريكا لم تبهرنى بل رأيتها عيني
كابوسا رأسيا مستطيلا ٠٠٠ لأننى بنت الوادى المنبسطة والشمس
المشرقة . أحسست فى مانهاتن بالاختناق ٠٠٠ ففى هذا الحى ،
السماء شريط ضيق والانسان نقطة الى جانب ناطحة السحاب مع أنه هو
الذى بناها . لهذا كنت أهرع الى الشوارع القديمة حيث يتواضع الارتفاع
المصنوع فتطل السماء كما تتدارك رحمة الله عاصيا بعد متاب .

لقد رأيت مدينة ٠٠٠ مونتريال « فى كندا بعد نيويورك فأحسست
بالفارق ، .

الشرفات فى مونتريال حين لا تراها العين فى أمريكا لأن الأمريكان
يرون مكان الجلوس فى حديقة المنزل أو حديقة النادى .

وحين تربط المتاجر الأمريكية السلع فى سلاسل حتى لا تسرق
ويدسون فى الملابس قطعة تطلق جرسا اذا وصلت الى الباب خلصة ،
نجد فى مونتريال الدور الثانى فى المنازل له سلم من الشارع الى
الشرفة ٠٠٠ ولو أن عدوى ناطحات السحاب زحفت الى كندا الا أن
الشوارع لا يزيد ارتفاع المباني فيها من ثلاث طوابق .

ونيوويورك نتراكم فيها السلوج فى مارس وحتى تباسغ شرفات
الأدوار الأولى فى المنازل وتدفن السيارات تحتها .

وفى نيويورك رأيت « الحنطور » فى شوارع مانهاتن فى عملية
اجتذاب للهواه ٠٠٠ وما أكرههم بين الأمريكيين .

بلد المتناقضات ، أمريكا ٠٠٠ فبينما تغص نيويورك - من الامتلاء

والغصة معا - بناطحات السحاب ، نجد البيت الأمريكى عكس السيارة
الأمريكية ٠٠٠ كل شىء فيه صغير مفصل على حجم استعماله .

لقد ذهبت الى نيويورك فى الحقيقة لأرى متحف المتروبوليتان انه
متحف مصر فى نيويورك ٠٠٠

فى هذا المتحف صافحت عيني « سيركيت » التى صبروا لها تمثالا
مماثلا لتمثالها المصرى الذى كسر فى ألمانيا ٠٠٠ ورفرت روحى عليها ،
وطالت وقفتى أمام العيون السود تقول وأسمع .

رأيت معهد دندور وقد أفردوا له فى المتحف مكانا كأنه ميلهاني .
أحد جدران المكان زجاجى مائل . ركبوا المعبد على مرتفع ٠٠
ويحيط بالمعبد بحيرة من الماء . رأيت معبد كايم ستون . ورفوفا: كاملة
من أبواب البردى .

رأيت جدارا من الرفوف طوله ثلاثون مترا منطى بصحائف البردى .
ويتكرر هذا المنظر فى أكثر من قاعة .
رأيت آلة الهارب الموسيقية مأخوذة من تل العمارنة .

رأيت الباروكة وفوقها شرائط من الذهب الملون الذى يحسبونه
فى أيامنا آخر صيحة فى عالم الصياغة .

رأيت قاعة كاملة للمومياء . رأيت كنوزا من الخلى . رأيت الكاتب
المصرى . رأيت ايزيس وحورس .

رأيت مراكب ونواييت ومعرضا كاملا من الأدوات والعقود .

ودفعت أنا المصرية أربع دولارات ثمنا للتذكرة ، لأرى مالى المأخوذ
منى وقال لى أحد المسئولين فى المتحف فى زهو المالك : لعلك تمتعت
بزيارة المتحف فكان ردى عليه كيف حمايتكم أنتم هذا كله من مصر الى هنا .
أتراها المعونة الحضارية لأمريكا ؟ !

وكم بين سلعة المال ، وحصاد السنين .

رؤية مصرية لأمريكا لم يبهرها البريق :

واشنطن • • بين المتحف والمسجد

الرحلة الى أمريكا ، كما نعرف طويلة مرهقة وثمنها مرهق أيضا •
واذ صعدنا الى الطائرة T.W.A ت • د • أ • مرت الضيفة بهستامات
الموسيقى فاذا بها تتقاضى عن كل ساعة ثلاث دولارات ونصف دولار •
سألها ابني هل هذا ثمن للسماعة - وهو يعرف جيدا ، والموسيقى
هوايته ، أن السماعة لا تصلح الا لكبرى الطائرة فقالت : لا • • اننا
سنجمع السماعات ولكن هو ثمن الاستماع •

وابتسمنا وقلنا بدأت نيويورك ذات الطابع اليهودى ولم نبرح
القاهرة بعد •

بعد ساعات طلبت فى الطائرة فنجانا من الشاي وهو أبسط طلب
لراكب فجاءنى فى فنجان من ورق • ان تذكرة ت • د • أ • ثمنها ٧٤٥
جنيها وأنا لا أريد مع الشاي ما يقتزن به من مأكولات ولكنى أردته مجردا
فى فنجان صينى أو كوب من زجاج • ان الاناء جزء من الشراب مهما كان
الشراب ، الاناء أسلوب • • ومهما كان المضمون يضيع مع ، أو ، فى رداءة
الأسلوب • وقد يكون المضمون بسيطا ولكن جمال الأسلوب يضى عليه ،
ويضيف اليه ، الكثير فيغدو رائقا فائقا فى رأى العين والأذن والنفس
جميعا • وشاعرنا ابن الفارض يقول :

ولطف الأواني فى الحقيقة تابع للطف المعانى والمعانى بها تنمو
وقد وقع التفريق والكل واحد فأرواحنا خمر وأجسادنا كرم

شاي فى ورق

بعد سماعة بالايجار

وتذكرت الطائرة السعودية التى عدت بها من العمرة قبل سفرى
الى أمريكا • • والمدة بين جدة والقاهرة ساعة ونصف ساعة قدمت فيها
وليمة من الطعام •

انى فى طريق الشون الى ابنتى بعد غياب سنة وسبعة أشهر
وأحد عشر يوما وأربع عشرة ساعة وتسع وأربعين دقيقة فى اللحظة التى
اكتب فيها فى الطائرة .

أطيل النظر الى ساعتى بمعدل مرتين فى الساعة أو أكثر وأنا ،
المشهور عنى فى بيتى وبين المحيطين بى . أنى ، من الكتابة ، فى حالة
استغراق موصول تتداخل فيه الأوقات حتى يطلق أولادى فى فكاهة
مصرية . أن ساعتى فى الحقيقة ، بمثابة السورة ولا علاقة لها بتحديد
الزمان . وفى الحق أن الساعة دقيقة ولا عيب فيها ولكنى أملاً القلم
وانساها هى .

وصلت طائرنا نيويورك فى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر
أى فى رابعة النهار ويحلو لى أن أرى المدن من أعلى فنظرت من خلال
نافذة مقعدى بالطائرة فلم أر الا الضباب كثيفا وكسفا فلم يظهر شيء
من نيويورك .

ودخلنا مطار نيويورك تسبقنا شهرته فى التفتيش المفصل والطوابير
ولكن الحقيقة أنى مررت منه فى دقائق لم تفتح لى حقيبة ولم أقف فى
طابور .

أخذت من مطار نيويورك طائرة الى ولاية « أوهايو » مدينه « ديتون »
مرورا بكيفلاند ولكن الطائرة تأخر موعد قيامها مرتين لأن مطار كليفلاند
منعوا الدخول فيه لتراكم الجليد عليه ثم فتح المطار وبدأنا الرحلة .

اليوم ١٢ فبراير . الشمس ساطعة فى « ديتون » الى الحد الذى
سبب الملاحظة من المقيمين فيها أو الوافدين عليها تسبقهم أخبار الجليد
فى شتاء أمريكا هذا العام .

أكثر من مرة تسافر معى شمس مصر الى مواطن الأمطار والعواصف
والثلوج . ويذيع التلفزيون فى المساء أن ١٢ فبراير سنة ١٩٨٤ أدفا
يوم ، مر ، على ديتون منذ مائة عام اذ بلغت فيه درجة الحرارة معدلا لم
تبلغه من قبل .

فى « ديتون » رأيت مبنى كتب عليه (كنيسة ومدرسة للموسيقى)
وفى أوربا قول : ان الله يسمع القداس اذا عزفت موسيقى باخ .
والموسيقى بما فيها من صفاء وتعبير وفن ، حضارة .
وهذا وجه حسن من وجوه الايجابيات فى الحضارة الغربية الحاضرة .

ولكن يجب أن نذكر أن أوروبا نفسها تقول ان أجمل موسيقى كنسيه
فى العالم انما هى موسيقى الكنيسة المصرية . . . وهذه هى يعينها
موسيقى المعبد المصرى وهى بأسمائها الهيرغليفية الى اليوم كما لا يحسن
السنجارى . واللحن الاثري .

اجات سريعة :

✽ اشارات المرور فى أمريكا ننعد فى الاشارة الواحدة . . وعلى
ارتفاع بحيث تعطى الضوء الأخضر فى اتجاه . . والضوء الأحمر فى اتجاه
آخر بحيث يعرف كل مساره دون تداخل أو التواء .

✽ فى الشتاء . المواليده فى أقسام الولادة يضعونهم فى الحضانه
تصف عرايا تقريبا وتنساب فى الحضانه موسيقى هادئة ويضاء النور
ليلا من نوع الأنمعة البنفسجية ويوصى الأطباء الأمريكيون أن تحمل
الأم الطفل . على صدرها بعد الرضاعة بحيث يسمع دقات قلبها . .
ايانا بالحنان الصادق فى نشئته . . أسوقها الى الزاهدات فى الرضاعة
أو الآخذات بالالبان الصناعية فى غير ضرورة صحية .

✽ تحدثنى ابنتى أن كنائس أمريكا تذيب فى الأحاد أن اسرائيل
أصل الأشياء وأن اليهود أبرياء من القول بصلب المسيح !!!

✽ التليفزيون فى أمريكا ٢٤ ساعة كانه مسجل . ينقشع الضباب
فيعلن عنه فى الحال . فى كل مدينة ٤ محطات أو أكثر .

رأيت مذيع الصباح يتناول فنجانا من القهوة أثناء النشرة فى
طبيعية وبساطة . لو حدث هذا عندنا لرفع النقد عقيرته . . ليتنا نترفق
بالجدياء . . حتى لا تتقلب الوجوه الجديدة . . ليتنا نتيح لها التعبير
الحديد عن نفسها مجرد التعبير .

✽ برامج التليفزيون ذات الجوائز : تبلغ الجائزة ، آلاف الدولارات .
كم هى متواضعة جوائزنا التليفزيونية .

✽ البحيرات فى أمريكا كثيرة ما بين طبيعية وصناعية .

المساء والشمس :

وحين يتوفر الاثنان أو أحدهما يظهر البكىنى والشورت حتى فى
حرم الجامعات !!!

✽ المحال التجارية الشاملة تشكل (ظاهرة) فى كل مدينة بل فى كل قرية . انه مجتمع تجارى . . مجتمع عنصرى فيه نفرة غير معلنة . . . ثراء عريض وفقير فاحش مجتمع قاس لا يرحم . الدولار الهه المعبود .

فى طريقنا الى متاحف واشنطن ، وهى متجاورة ، مررنا بنادى الجامعة وهو ست طوابق ولكن أين ؟ فى شارع كسائر المباني فيه لا يحجب نهرا . وتذكرت المبنى الذى ترفع جامعة القاهرة اقامته على النيل عند الشيراتون على مسمع من محافظة الجيزة التى يبدو أنها لم تقطن بعد الى تلك الأساسات الذى يزيد ارتفاعه على عشرين مترا . ومعنى هذا أن البناء ضعفه فى الارتفاع .

رأينا فى واشنطن ، البيت الأبيض . كنا مع الناس نسبر الى جانبه ليس هناك حراس يقطعون الطريق . . . لم يهجز نهر من أجله عن المواطنين الدواعى الأمن . قد تكون هناك فى مواضع خفية من الحقيقة . أجهزة مراقبة أو تصنت ولكن هذا لا يعنى سائر المواطنين طالما لا يحجب عنهم أرضا أو نهرا أو فضاء . . ومن الطريف لافتة كبيرة الحجم فى مواجهة البيت الأبيض وضعها أحد المواطنين كتب عليها [الله هو الباقي]
God is the Absolute

المتحف القومى للتاريخ الأمريكى :

وكما توقعت ليس فيه قديم له عبق التاريخ .
وأمرىكا تعرف هذا جيدا حتى أنها تعلق بمكتب بريد مضى عليه عشرات السنين ووضعته فى مدخل المتحف . وابتسم ابنى الذى كان يصحبنى فى رحلتى وقال ان فى مصر بريد أقدم منه لا تزال تعمل .
فى المتحف تجسيد لمخترعات العلم الحديث الذى أسهمت فيه أمريكا . فى ركن السيكلوترون Cyclotron احتفظوا بمسودات وكراسات العالمين « أرنست لورانس » وزميله « ستانلى ليفنجستون » .

وفى منطقة المتاحف مسلة حديثة أو بناء بالطوب على هيئة مسلة لتخليد « جورج واشنطن » . وقد عرضوا تصميمات عديدة لنصب يخلو واستقر رأيهم على أن يكون النصب على هيئة المسلة المصرية والمسلة الأمريكية بصورتها ومبناها البسيط ككل تقليد تحية أهل النبوغ لأهل العبقرية .

رأيت متحف الكامرون . . يضم قدورا وسلالا وأشغالا وتمائيل أفريقية ولكن طريقة العرض حديثة .

أجمل ما رأيت في واشنطن :

متحف التاريخ الطبيعي :

- المعادن في صورتها الأولى مع الشرح بخط تقرأه العين المجردة .
- بعض هذه المعادن تغيرت طبيعته من الضغط المكتف مع حركة • الأرض .
- هناك أحجار تعكس الضوء .

ومعادن فسفورية Fluorescence

ومع كل حجر اسمه ، والتركيب الكيميائي له ، وخواصه ، ومصدره ، واسم يهديه في حالة الهداء .

الملحيات - السليكا - الكوارتز - الوبال .

وهناك قطعة ضخمة من الزمرد شطرته شطرين ثم أخذت منها شريحة وضعت في فاترينة تحت الضوء فتألقت جنة الزمرد .

✳ زفير من سيلان .

✳ ماسة هي أكبر ماسة في البرازيل زنتها ١٢٧ قيراطا لم تبطل بالسطو .

✳ عقد من الماس لم تمتد اليه يد آثمة .

✳ زمردة كانت أصلا من جواهر السلطان عبد الحميد .

✳ ماسة خام .

✳ اماتست .

✳ توباز من البرازيل

✳ اكوامارين .

✳ عين القط أو عيون القطط كلها على ما يبدو فقد رأيت ألوانا وأشكالا .

✳ أكبر ماسة زرقاء في العالم زنتها ٤٥٥ خمسة وأربعون قيراطا ونصف قيراط .

✳ نجمة آسيا .

✳ حلي يدوية من هنود أمريكا .

✳ تركواز من تركيا - بورما - نيوزيلندا .

✳ فليسبار .

✳ زبرجد (أبيض) Jade

✳ مجموعة من لؤلؤ المياه العذبة من نهر المسيسيبي .

واللؤلؤ عادة من البحار لا الأنهار .

وبهذه المناسبة سألت عن نهر المسيسيبي مرات . كنت في الحقيقة أسأل عن النيل اذ يقارن المسيسيبي به في الطول ثم تتوقف المقارنة في تواضع أمام سيده الأنهار حتى بعد أن وجدوا حفنة من اللآلئ في المسيسيبي . . . حصرت في فاترينة صغيرة حين انتشرت لآلئ النيل عمارة وحضارة وفنوننا وعلوما وعقيدة في واديه ثم في العالم أجمع .

في متحف التاريخ الطبيعي الأمريكي :

✳ توبازة وزنها ١١١ رطلا مائة وأحد عشر رطلا .

✳ أحجار كريمة من سيريلانكا .

✳ خاتم الامبراطور فرديناند مكسيميلان من المكسيك .

✳ تاج نابليون الأول الذي أهدى الى ماري لويز .

✳ عقد ماري لويز الذي أهداه اليها نابليون يوم مولد ابنهما الذي أطلق عليه لقب « ملك روما » .

✳ حلق ماري انطوانيت .

وفي متحف التاريخ الطبيعي الأمريكي ، زبرجد من مصر . .

مستخرج من جزيرة في البحر الأحمر اسمها قديما « سان جون » .
وهذا النوع من الزبرجد لا يخرج الا من هذه الجزيرة . . ونادرا ما يوجد في غيرها .

وفي متحف التاريخ الطبيعي :

✳ زبرجده زنتها ثلاثمائة قيراط وعشرة ٣١٠ قيراطا .

✳ أكبر كرة في العالم من الكريستال النقي قطعت في الصين

من حجر زنته ألف رطل وسويت في اليابان ٠٠ وأخذت تسديتها ١٨
شهر (ثمانية عشر شهرا) وتزن الآن ١٠٦ ٪ رطلا ٠

• الذهب والبلاطين في الطبعة ٠٠٠ أكسيدات ٠

في متحف التاريخ الطبيعي رحلة الانسمان من الكهف الى الصيد
الى الزراعة الى القرية الى المدينة بل رحلة الأجنة فهناك أجنة محتطة عمرها :
(٨) أسابيع ، (١٢) أسبوعا ، (١٤) أسبوعا ، (١٦) أسبوعا ،
(١٨) أسبوعا ٠ هذه الرحلة التي بدأت مع تخيير (يد) الانسمان يوم
نصب قامته ومثى على قلميه وحدهما ٠ لقد صنعت اليد ، الكثير فهي
ترى في الظلام ما لا تراه العين وسيلتها التحسس والاستشعار وهي
تمسك وبشكل وتسوى ٠ وسر اليد في التقاء الإبهام بالأصابع الأخرى :

• فأمريكا الجنوبية من بشر وغابات وحيوانات ٠

وأمريكا الشمالية كان روادها الأوائل مغولا من آسيا رسمت
قوافلهم على الخريطة ٠

• فأتريئة تضم كائنات نهر الأمازون ٠

• قطاع في المتحف الودع ٠ والعاج وخاصة تشكيل سن الفيل ٠

• وفي المتحف طائر كيوي KIW وهو الطائر الوحيد على الأرض
بغير جناحين ٠

• وركن للطيور المنقرضة والتي توجد الآن في جزيرة لجواناس
Lguans وليس على هذه الجزيرة انسان ٠

• وديك طويل الذيل حتى ليبلغ ذيله أربعة امتار lyre Bird

• ركن لمملكة النحل ٠٠٠ الشغالة ٠٠٠ الذكر ٠٠٠ الملكة ٠ بيوت
النحل ٠٠ منحل زجاجي ضخمة تتصل به أنبوبة تفتح على خارج المتحف
حيث يمكن للنحل أن يخرج منها يجمع رحيق الأزهار من الحدائق
الشاسعة الممتدة في منطقة المتاحف ٠

وفي المتحف حبوب وأيضا سوس الحبوب والى جانبه عدسات
مكبرة لتراء العين ٠

وفي المتحف هياكل عظيمة للحيوانات بدءاً من الديناصور
وحيتيات محنطة يتوسط الدور الأول فيل محنط .

ويسجل المتحف أيضاً رحلة الحيوان وكيف طورت الحيوانات
نفسها في معركة الحياة . فبعض الحيوانات حولت شعرها إلى أشواك .
أما الأرنب فقد استطالت أذنه ليسمع ويستشعر الخطر . . . وكأنيما
آذان استشعار .

وفي المتحف لمحات من الحضارات المختلفة
فمن مصر أواني ناضرة التشكيل وأدوات حجرية تاريخها ٤٠٠٠
سنة قبل الميلاد . ومومياة وتوابيت وفسطور عن عقيدة مصر في الحياة
الأخرى ونموذج للكتابة المصرية .
ومن إيران ، قرية على كوش .

ومن بابل صورة من قانون حمورابي .
وبطاقة تقول ان الحضارة الاسلامية حلقة الوصل بين العلم القديم
والعصر الحاضر والى جانبها سجادة جميلة . . .
ولكن الحضارة الاسلامية أكبر كثيراً من هذه الإشارة . . . ومثل
المتحف خط التطور بمجموعات مطروحة على جدران :
جدار الوجوه - جدار الشعر - جدار العيون .
وشرح الانتخاب الطبيعي من خلال الزهور .
وشرح التكاثر .

ومن الطريف فيه مطبخ أرضا وجدرانا وأناثا بالصراصر الصغيرة
لو أنها تركت للتكاثر ثلاث أجيال صراصرية .

على أن المتحف مثل التكاثر على لوحة كهربائية تضغط على زر
الانسان فتتصاعد الأرقام رأسية تمثل البداية ٣ حتى تصل في الجبل
الناهن الى ٤١١٤ !!

هذا كله لم يكن ليتجلى ويتألق لولا فن العرض المدرس علميا
ونفسيا . . .

لقد ألحق بقاعات العرض شاشات وأفلام تحكي باللون والحركة
والصوت محتويات القاعة زمانا ومكانا .

والحق بالقاعات سماعات يتناول المشاهد سماعه فيأتيه صوت
هادى واضح النبرات يقص عليه تاريخ وأسرار ما يشاهده ، أمامه من
نفائس المتحف .

وبالقاعات خرائط للأماكن والمصادر .

وفى بعض القاعات التعليمية المحتوى ، موظف من المتحف يجذب
الأطفال ويشرح لهم فى أسلوب شائق ، ويستمع الى أسئلتهم ويجيب
عليها . . . يحمل جواده مثلا أو طائرا كثير الألوان ويدعوهم الى لمسه
وتحسسبه فتندفع الأسئلة الطفله وهنا يأخذ الرجل فى الجواب قصصا
وحكايات .

طريقة العرض الجذابة صامته ونطاقه تعين على الفهم والنفاذ
والاستيعاب .

رأى ابنى ، أطفالا يفتحون كراسياتهم ويرسمون ما يرون لهم مما
يرون حولهم فقال :

— هذا المتاح لهم كله وفى سهولة ويسر ان لم يخرجوا الى الحياة
عبارة فهم أغبياء .

وفى مدخل المتحف كتبت لافتة تقول : One With The Earth
أى (الانسان هو الانسان) .

وفى قاعة الحضارات تسمع الفيلم المعروض يقول فى النهاية :
(الحضارة لا تموت ولكنها تهجر وتنتقل من مكان الى مكان) .
وهنا تركز الكاميرا على أبنية فى أمريكا متأثرة بطر العماراة فى
العالم القديم كمثال .

فهل يريدون أن يقولوا من طرف خفى ان الحضارة الآن تدخل فى
أمريكا بعد المطاف ؟

فاتهم اليون الشاسع بين الابتكار غير المسبوق ، والابداع على غير
مثال . . . وبين النقل والمحاكاة .

المتحف القومى للفنون The National Gallery of Arts

امتدادا لفن العرض رقت قاعات المتحف .

وكل قاعة تحمل اسما نقش على لافتة نحاسية بها سهم يشير الى الاتجاه الذى يسلكه المشاهد تنظيما للدخول والخروج فاذا كان السهم مثلا يشير الى ناحية الخروج فمعنى هذا أن الدخول اليها من باب آخر . وهذا فى صالح المشاهد أيضا لتنظيم الرؤية وتمامها فلا يفوته شئ

وفى كل قاعة صندوق به ورقة كبيرة مطبوعة تشرح محتويات القاعة تأخذها أولا ثم نبدأ من اليمين مستعينا بما فى الورقة من شرح . والورقة مثقوبة من الجانب فى دعوة الى الاحتفاظ بها داخل ملف خاص . وفى كل قاعة أريكتان للتملى ٠٠٠ بدليل وضعهما أمام أهم محتويات القاعة . وكل صورة تحتها بطاقة نحاسية عليها اسمها وموضوعها وتاريخها . والمدرسة الفنية التى تنتمى اليها ثم اسم الفنان فى حروف اكبر ٠٠٠ انه الأهم ٠٠٠ انه صاحب العطاء .

طلت وقفى فى هذا المتحف أمام بضعة لوحات بالذات على نفاسة ما فيه :

١ - لوحة اسمها « نفائسى » My Genus

١٨٩٢. للفنان ويليام م . هارنت William M. Harnett

ونفائسه كما تعكسها اللوحة : كتب وريشه ونوته موسيقية .

٢٠٠. اللوحة للخريف فيها احساس الريح وحزن ورقة الضفصاف حين تسقط من شجرتها .

٢٠٣. اللوحة ليوئاردو دافنشى وقد عرضوها بحيث ترى من الواجهة ومن الخلف . ومعها جهاز لقياس الضغط الجوى وقياس حرارة المكان . الى هذا الحد من المحافظة الحريصة .

وتذكرت لوحات معبد دندرة التى انتزعت من المعبد لم تحرك ساكنا .

مسجد واشنطن :

.. المسجد الاسلامى فى واشنطن قطعة من الفن الجميل لا يروع بالضخامة والكنه . يأسر بأنس العمارة ودقة التكوين ، ورقة النقوش

واشعاعات الضوء الملون عبر توافقه النيراميك في النهار ، والشريات
الاسلامية بالليل .

واجعل ما في هذا المسجد ، التقاء العالم الاسلامي فيه بلادا وشعوبا
قامت مصر بالتصميم الهندسي والبناء ثم ابدعت النقش بسابقتها في
الهندسة والزخرفة والملوك .

وارسلت الامام فهي في هذا المسجد : امامه وعلمه .

اما تركيا فقد كسبت غير قليل من الجدران بالقيشاني وكست ايران
الأرض بالسجاد الفاخر .

وبذلت سائر البلاد الاسلامية ، المال ، معينها لا ينضب



واشنتن : الليل والمجهول :

غادرنا واشنتن السابعة مساء في ابوبيس في طريقنا الى
بلاتسبرج .

سرنا والليل والمجهول .

وبعد نحو ثلاث ساعات ، انضم اليهما ، الثلج ، تمطره السماء
نجاجا .

وانتشرت على الطريق ، السيارات كاسحات النواجم ، ولكنها متوقفة
حتى يتوقف .

وخاف خوفا أكثر . . . وبدأت أقرأ عن ظهر قلب آيات وآيات
تأمني الله من خوف ومن ليل .

وفي اليوم التالي ظهرت الشمس . والشمس حين نستطع على
البساط الثلجي . منظر جديد للعين المصرية . . . وأحسبه كذلك لكل
بلاد الشمس المشرقة .

ووصل الاتوبيس بلاتسبرج لأجد سيارة اخي في انتظارى ولم
أصدق نفسي الا في بيته وهو بيني . . . وكان بيتي المصري انتقل من
القاهرة في هذه اللحظة لبجبل هذه البقعة الى ملمح مصري لولا الثلوج
التي أراها من النافذة فتأذكر أن البون شاسع والفرق بعيد فمصر أم
الشمس والليل والدفء في السماء . وعلى الأرض وبين حنايا القلب .

وأخذت مكاني في طائرة العودة فما ان استقر بي الكرسي حتى
كان أول شيء فعلته هو ضبط ساعتى حسب توقيت القاهرة حتى تقول
بسرعة حين أتطلع اليها في حساب الوقت الباقي على الوصول ٠٠٠
لا أطيق الجمع والطرح الآن في عملية فروق التوقيت .

ويطول الانتظار فأستعين عليه بالقراءة تارة وبسنة من النوم
طورا ٠٠ ان أطول ساعة في نهار الصائم هي التي قبل المغرب .

ويعلن الطيار مقدم الربيع ٠٠٠٠ كان يوم وصولى ١١ مارس
ولكنها ربيع دائم لا عمل للشهور فيه .

ولكن يبدو أن الطبيعة أرادت أن تعابىني فهبت عاصفة على مطار
القاهرة أعلن عنها الطيار نفسه ساعة الوصول .

ونزل الركاب وهم يهرعون الى سيارة المطار هربا من الريح ولكنى
بعد آخر درجة في سلم الطائرة سجدت على الأرض أقبل ترابها بمجامع
نفسى ٠٠٠٠ والتفت ابنى فام يجدنى بجانبه ووجدنى فى سجدة طويلة
على أرض المطار أو أرضها جبينى القاهرة فانزعج اذ حسبنى وقعت واذا
نادانى أى قلت له دعنى مع أمك الكبرى وأمى ٠٠٠ انها القاهرة وانها
دمر .

الصور



— قبة سانت پول



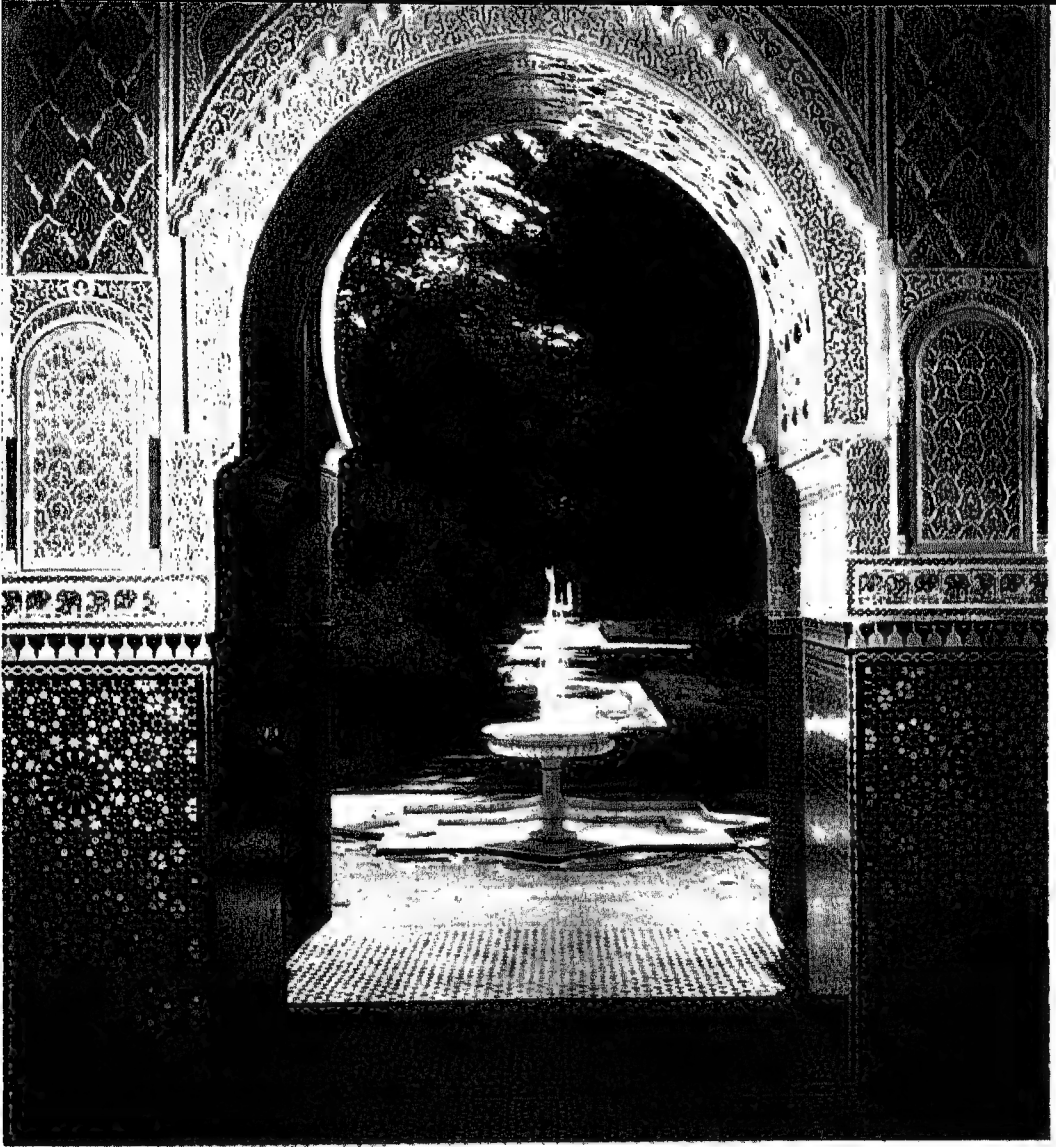
- جانب من عمارة تقليدية في تونس



— معابد أبو سمبل (أسوان)

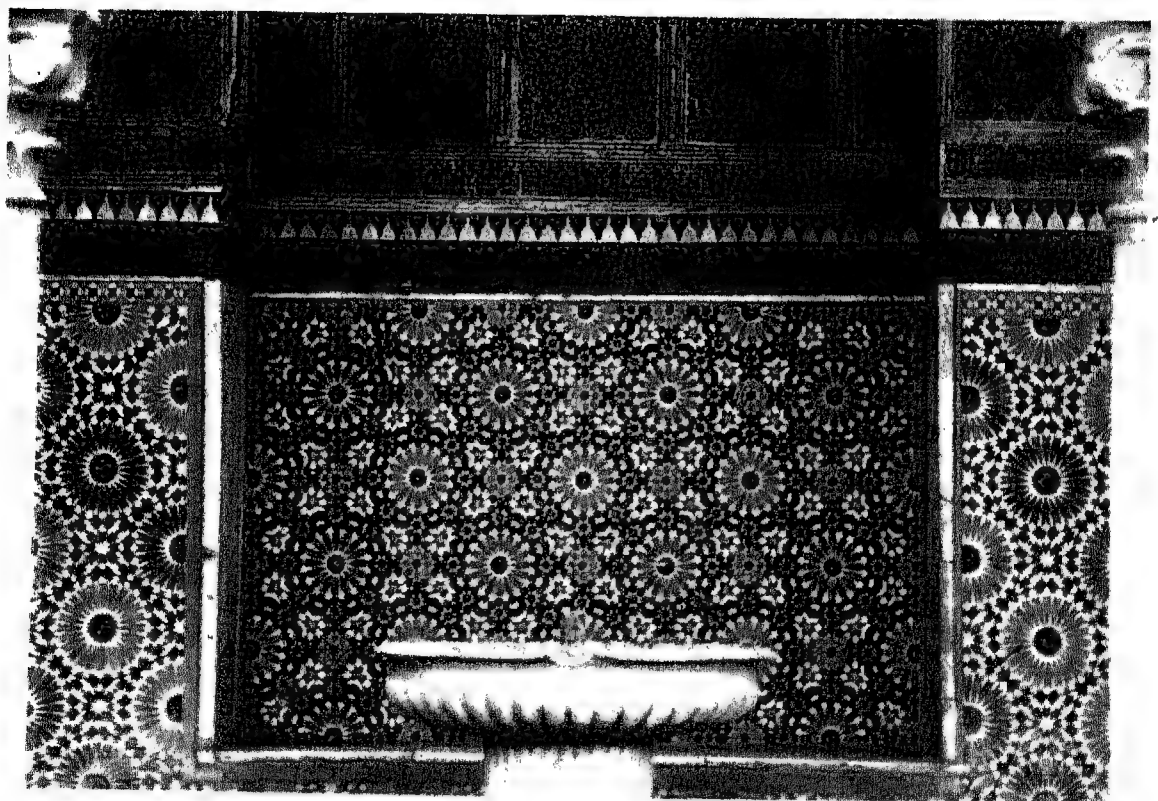


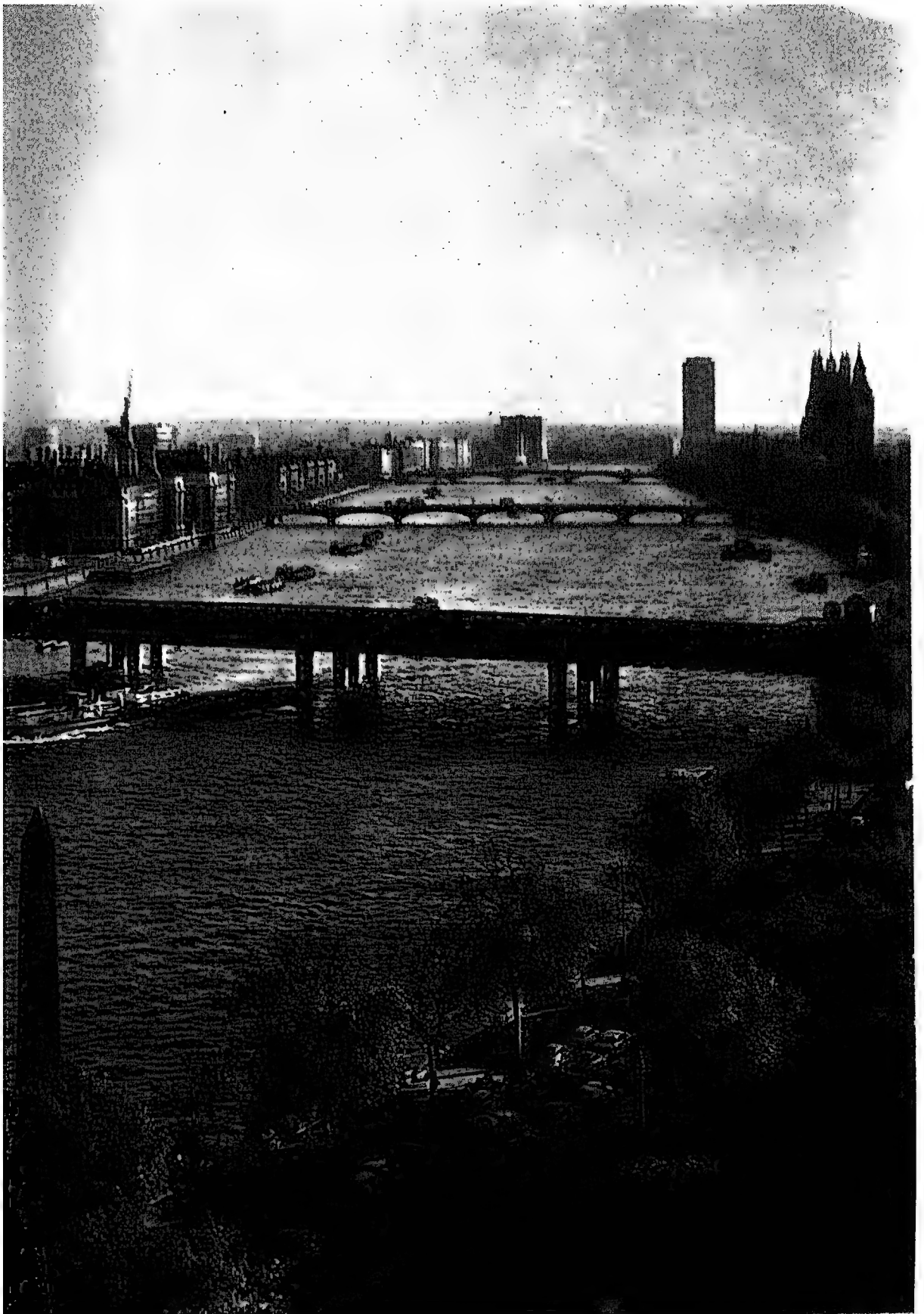
- شرفات ونوافذ ناتئة تشيد غالبا من خشب الساج أو
الأخشاب المتينة الأخرى . (جدة)



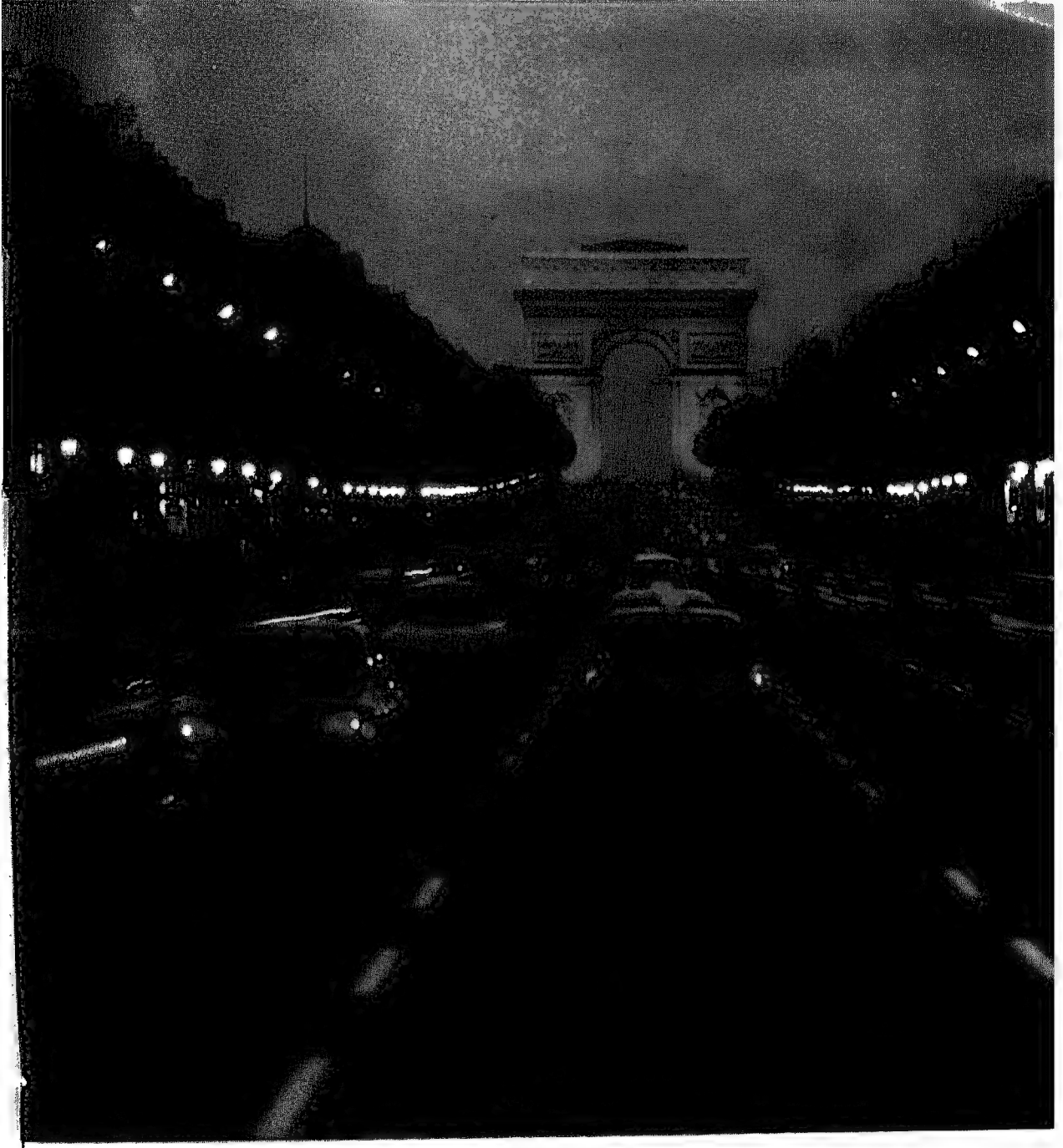
— باحة ، فاس (المغرب)

— تفاصيل للزليج المغربي (فاس)





— مهر التيمس (لندن)



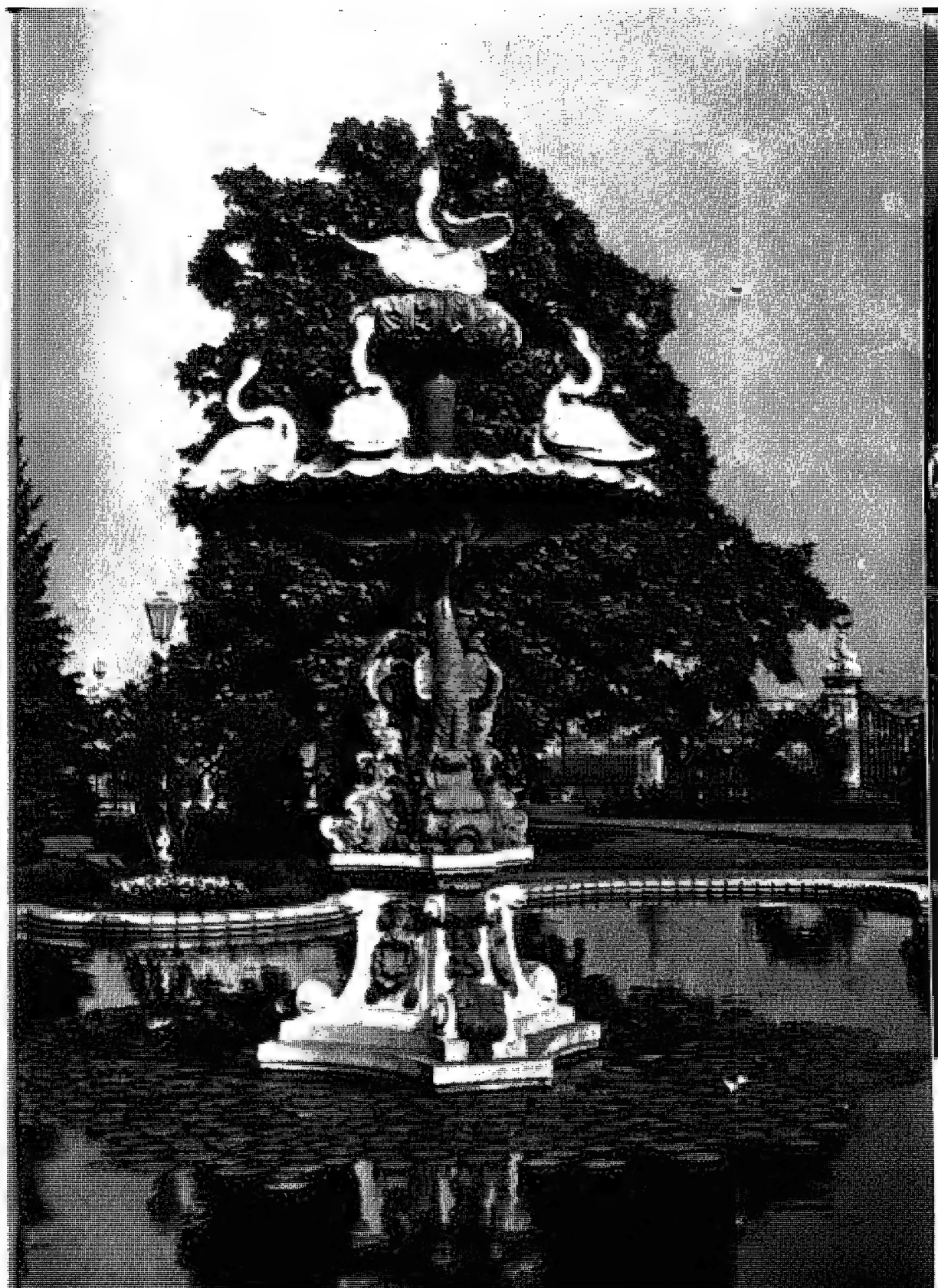
— قوس النصر (باريس)



— برج ایفل (پاریس)



– فتاة من كوكى ، قرية صغيرة بالقرب من الشلال الثانى .
شمال النوبة

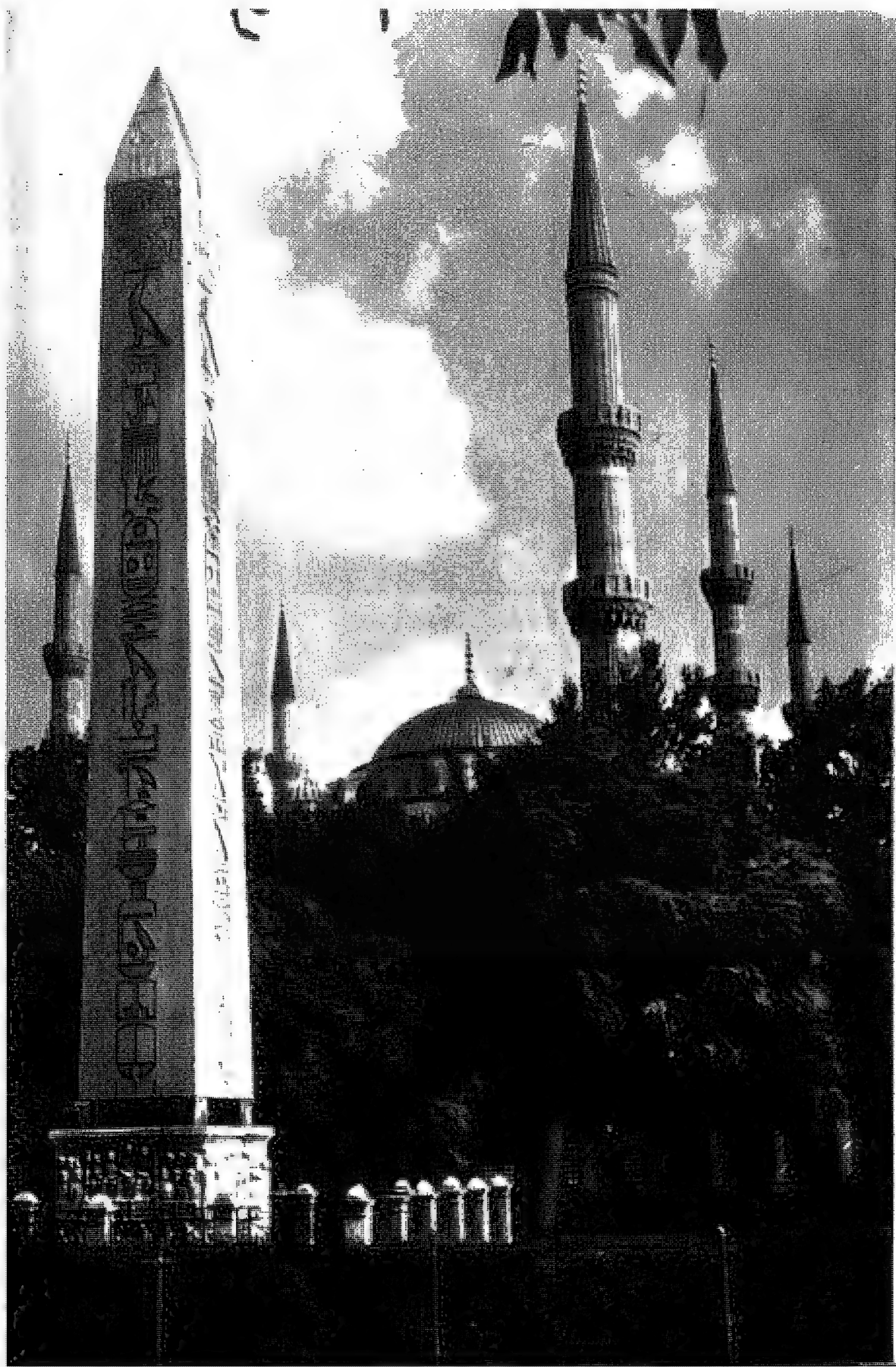


– نافورة في قصر دولما باختشي ، استانبول (تركيا)

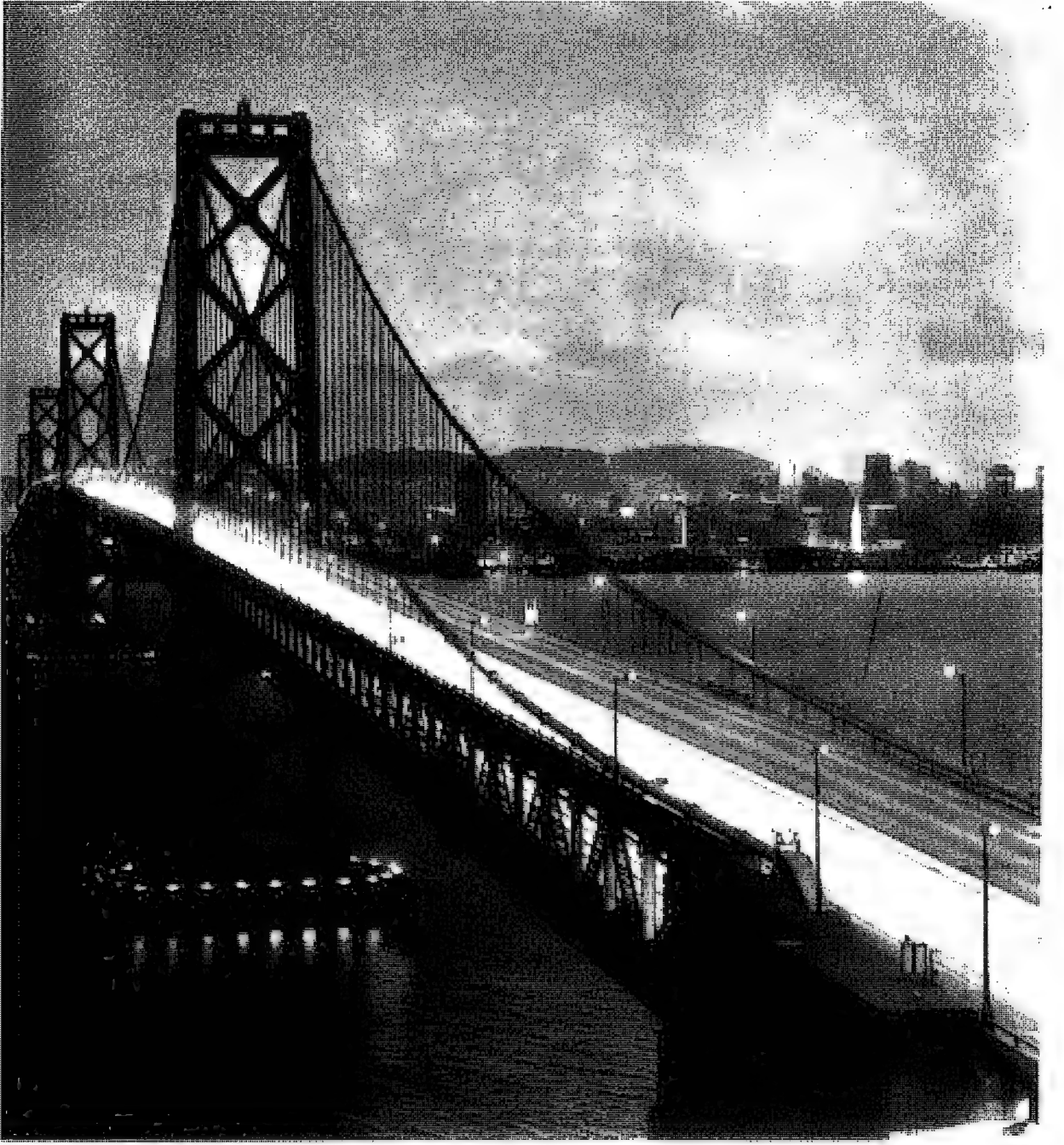


– جامع السليمانية (استانبول)

– قصر دولاباختشى (استانبول)



– جامع أياصوفيا في استانبول ، وقد ظهرت المسلة المصرية
في الميدان أمامه ، وكان السلطان سليم قد حملها معه من
مصر .



— كوبرى الباب الذهبى (سان فرانسيسكو) ، الولايات
المتحدة الأمريكية .

فہرس

[illegible]

هذه الرحلة تطوف الشرق والغرب تجوب أوروبا وأمريكا وتذرع
مصر من الشمال إلى الجنوب بقلب مشوق ، وعين وضاعة الرؤية
تصل الماضي بالحاضر وتنفلد إلى المستقبل بعقل مفتوح وأمل طموح .
والكتابة في هذه الرحلة تخلق في الآفاق ، وتغوص في الأعماق في
عملية استشفاف ومقارنة بين الحضارات والشعوب والبلاد تجمع
بين :

- العلم والأدب
- الموضوعية وجمال الأسلوب
- الكشف والوصف
- المعاصرة والتراث

وهي عند المعالم الرئيسية والبلاد تقدم بين يديها ، صفحة مركزة
جامعة فيها المعلومات والأرقام محققة وموثقة في منهج علمي يزيده
نصوعاً وسطوعاً ، حلل الأدب وروح الأديب .